



تصدر عن كلية الآداب  
جامعة ذمار

# الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة تعنى بالدراسات والبحوث الإنسانية

اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة

نقش قتباني جديد من هديم قطنان (مدينة هذو قديماً)

التشكيل الفني لحركة الزمن وبنائه في شعر البردوني

From Periphery to Center: Challenging Stereotypes and  
Deconstructing Binaries in Andrea Levy's Small Island

Les difficultés lexicales des étudiants yéménites en français

Difficulties and Problems Facing English Students in Translating  
Culture-Specific Items from English to Arabic and their Solutions

7



## الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة - تصدر عن كلية الآداب

### الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالكريم اسماعيل زبيبة  
أ.د. نصر الحجيلي  
أ.د. أحمد الاكوع  
أ.د. حسين العمري  
أ.د. علي سعيد سيف  
أ.د. أحمد محمد شجاع الدين  
أ.د. ابراهيم الصلوي  
أ.د. عبده فرحان الحميري

### صحح هذا العدد لغوياً القسم العربي:

د. عصام واصل  
سارة السنباني

### القسم الإنجليزي:

د. أمين الصل

### تنسيق وإخراج فني

محمد محمد علي سبيع

[moh.sobai@gmail.com](mailto:moh.sobai@gmail.com)

موبايل: 0067+771322894

### الإشراف العام

أ.د. طالب طاهر النهاري

### رئيس التحرير

أ.م.د. عبد الكريم مصلح أحمد البجلة

### مدير التحرير

د. فؤاد عبد الغني محمد الشميري

### نائب مدير التحرير

د. فضل العميسي

### هيئة التحرير

د. نجيب الـورافي  
د. أمين الجبر  
د. عصام واصل

### سكرتارية التحرير

د. عبدالله أحمد الجرفي  
علي عبده الرنه  
ندى عزالدين العصيمي

### المسؤول المالي

علي أحمد البخراني



## الآداب

مجلة علمية فصلية محكمة

تصدر عن كلية الآداب

جامعة ذمار، ذمار، اليمن

العدد السابع

يونيو 2018

الترقيم الدولي:

Issn: 2616-5864

الترقيم الوطنى

(551 لسنة 2018)

- جميع الحقوق محفوظة.
- لايحق إعادة نشر المواد المنشورة في المجلة دون استئذان هيئتها العلمية.
- لايحق الاقتباس من المواد المنشورة في المجلة من غير ذكر المصدر.

## المحتويات

- الافتتاحية..... أ.دطالب طاهر النهاري 5
- كلمة هيئة التحرير..... د. أمــــين الجـبر 6
- سلام عليك ... إلى روح صديقي مهيبوب غالب أحمد..... د. نجيب السورافسي 10
- الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (ت: 840هـ) 12
- صنعاء في السنة النبوية..... د. طه أحمد علي الكبسي 58
- العلاقة بين (التخلف) و(القعود) ومشتقاتهما في ضوء الاستعمال القرآني..... د. عبدالله علي الغبسي 82
- الشائعات (خطرها، وطرق الحد من آثارها) (في ضوء الهدى النبوي)..... د. عبد الناصر محمد قايد علي الصانع 103
- دور التسويق الإلكتروني في عملية الشراء في البيئة اليمنية 153
- نقش قُتْبَانِي جديد من هديم قطنان (مدينة هدو قديماً) (البارد -الحد 1)..... د. فيصل محمد إسماعيل الباراد 202
- اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار في الجمهورية اليمنية..... د. لطف محمد يحيى حريش 231
- الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة "دراسة آثارية معمارية"..... عباس صالح مسعد العزب 269
- قياس التهرب الضريبي في اليمن وطرق علاجه للفترة (1990-2015)..... د. مبروك محمد يحيى الذماري 300
- التشكيل الفني لحركة الزمن وبنائه في شعر البردوني..... د. محمد علي المكردى 354
- دراسة لنقش إسلامي شاهدي لامرأة من كوكبان..... د. فؤاد عبد الغني الشميري 379
- المسلمون والبيزنطيون في عهد الرسول ﷺ 11/1 هـ..... أ.د. على سعيد سيف 418
- From Periphery to Center: Challenging Stereotypes and Deconstructing Binaries in Andrea Levy's *Small Island* 464
- Les difficultés lexicales des étudiants yéménites en français 479
- Difficulties and Problems Facing English Students in Translating Culture Specific Items from English to Arabic and their Solutions 496



## قواعد النشر بالمجلة

الآداب مجلة علمية محكمة تعنى بنشر البحوث في مجال العلوم الإنسانية بالعربية والإنجليزية والفرنسية، تصدر عن كلية

الآداب جامعة ذمار، وفقا للشروط الآتية:

- 1- أن يتسم البحث بالأصالة والمنهجية العلمية السليمة ولم يقدم للنشر في مكان آخر.
- 2- تخضع البحوث للتحكيم العلمي حسب الأصول العلمية المتبعة.
- 3- تكتب البحوث بلغة سليمة، وتراعى فيها قواعد الضبط ودقة الرسوم والأشكال - إن وجدت - ومطبوعا على (Word) بحجم (14) وبخط (Simplified Arabic) بالنسبة إلى الأبحاث باللغة العربية وبخط (Times New Roman) للأبحاث باللغتين الإنجليزية والفرنسية، وتكون العناوين الرئيسة بخط غامق وبحجم (16).
- 4- تتم طباعة البحث باستخدام مسافة (1,5 سم) بين الأسطر وهوامش (2,5 سم) من كل جانب.
- 5- يرسل البحث من نسختين Word و PDF على البريد الإلكتروني للمجلة.
- 6- أن يصحح لغويا من قبل الباحث.
- 7- لا يتجاوز البحث (30) صفحة حد أعلى بما فيها الأشكال والجداول والملاحق وفي حال الزيادة يدفع الباحث ألف ريال عن كل صفحة.
- 8- توثق الهوامش في نهاية البحث على النحو الآتي:
  - أ- المخطوطات: المؤلف، اسم المخطوط، مكان حفظه، رقمه، الورقة.
  - ب- الكتب: اسم المؤلف، اسم الكتاب، مكان وتاريخ النشر، الصفحة.
  - ج- الدوريات: اسم المؤلف عنوان المقال اسم المجلة رقم وتاريخ العدد، الناشر، الصفحة.
  - د- الرسائل الجامعية: اسم صاحب الرسالة عنوانها، الكلية والجامعة، تاريخ إجازتها، الصفحة.
- 9- تتولى المجلة إبلاغ أصحاب الأبحاث المرسله بوصولها وقبولها للنشر مبدئيا ثم بقرار المحكمين حول صلاحيتها للنشر، أو إجراء التعديلات، أو الرفض.
- 10- الأبحاث المجازة للنشر يبلغ أصحابها بالعدد الذي سيتم نشرها فيه.
- 11- أصول البحوث المرسله إلى المجلة لا ترد إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- 12- يتحمل الباحثون أجور التحكيم مبلغ (20000) ريال يماني داخل اليمن و(150) دولار أمريكي أو ما يعادلها خارج اليمن، وتخفف لأعضاء هيئة التدريس في جامعة ذمار إلى النصف.
- 13- تورد المبالغ إلى حساب المسؤول المالي للمجلة رقم (211084) بنك اليمن التجاري - فرع ذمار الجمهورية اليمنية.
- 14- يتم تعبئة النموذج المعد لطلب النشر، ويرفق به إشعار التوريد البنكي مع البحث المرسل، والمجلة لا تعيد المبلغ بعد التحكيم إذا تم رفض البحث من قبل المحكمين.

ترسل البحوث باسم رئيس تحرير المجلة على إيميل المجلة الآتي: (D.Aladab2017@gmail.com)

عنوان المجلة: كلية الآداب - جامعة ذمار، هاتف (06-509584).

العنوان البريدي: ص.ب(87246) كلية الآداب - جامعة ذمار. ذمار، الجمهورية اليمنية.

## الافتتاحية

أ.د. طالب طاهر النهاري

رئيس الجامعة

المشرف العام

تسعى مجلة الآداب إلى إثبات حضورها وتميزها وتواصلها مع الباحثين من سائر المعمورة، ليس ذلك وحسب، بل وتحاول الانفتاح على شتى التخصصات المتاحة رغم الظروف الصعبة التي يمر بها البلد.

لم ترض هذه المجلة أن تتوقف عن الصدور، في الوقت الذي اختفت فيه مطبوعات أكاديمية كثيرة في الجامعات اليمنية، ولم تقبل الحضور والاستمرارية فحسب؛ بل حاولت أن تواظب على الصدور المنتظم والوصول إلى القارئ ورقياً وإلكترونياً، وهو ما يحمدها، كما يحمدها الإصرار على الحصول على الترخيم الدولي الذي حصلوا عليه مؤخراً ليجعلوا من مجلتهم ذات مكانة دولية مائزة الحضور.

يتميز هذا العدد عن سائر أعداد المجلة التي اطلعت عليها بغناه وتنوعه وثرائه المعرفي، إذ لم يقتصر على تخصص بعينه، أو توجه علمي محدد، بل حاول أن يجمع بين تخصصات تقع في نطاق الكلية وتخصصات لا تقع في نطاقها، وقد تعدد المحكمون من داخل الجامعة ومن خارجها.

إننا إذ نشمن لمجلة الآداب وطاقتها هذه الخطوات العلمية والعملية الكبيرة نؤكد أننا لن نألوا جهداً ولن ندخر طريقة في سبيل دعمها ودعم المجلات التي ستحذو حذوها، لتكون منبرا للبحث العلمي الذي نحن وبلدنا وأمتنا في حاجة إليه.

والله من وراء القصد

## كلمة هيئة التحرير

مهيبوب غالب: ذاكرة التاريخ.. أبجدية الإنسان

د. أمين الجبر. رئيس قسم التاريخ

امتاز الراحل مهيبوب غالب أحمد كليب رحمة الله عليه بنبيل أخلاقه، وعظمة تواضعه، وغزارة علمه. وهي ثلاثية قيمة شكلت سيماء شخصه، وجوهر طبعه، إن لم تكن لازمته السيكولوجية وسجيته الطبائعية الأكثر حضوراً وتجلياً، التي ارتقت به نحو السمو الإنساني والمجد العلمي / الأخلاقي، وصيرته ذلك الأكاديمي الأنموذج والتجسيد المثالي للمثقف العضوي. بل الصياغة الأرقى للمؤرخ الملتزم.

كان وافر الكاريزما في القيادة والإدارة، غزير المعرفة في المطارحة والمناقشة. في الوقت الذي سرعان ما يأسرك تواضعه الجرم وتبهرك تلقائيته اللامتكلفة، التي -قطعاً- كانت تخفي وراءها إنساناً عالماً بل عالماً إنساناً، إن صحت العبارة. لتبرمج في ذهنك ألياً الحكمة القائلة: «كلما ازداد المرء علماً ازداد تواضعاً».

فعندما يصبح الاعتراز بالنفس ثقافة والإبء والشموخ سجية يكبر المرء في عيون الرجال، ويتعملق في نظر الأمة لا محال، ناهيك إذا ما صار الزهد والتواضع سمة غالبية في تكوينه السيكولوجي، والبساطة والتلقائية سجية على طبعه وأخلاقه، فإنه -من ثم- يصبح مثلاً خالداً، يستحيل نسيانه، ونموذجاً إنسانياً رائعاً، قلماً تجود الحياة بتكراره. ويغدو من ثم «سلطان وحده»، يصعب تجاوزه ويتعذر تجبيره، لا يضيره قائل ولا ينتقصه حاقداً. بل يصبح عظيماً من الرجال، وإن أعرضت عنه الدنيا حيناً وعاكسته الحظوظ أحياناً، إذ ليس للحسابات المادية -في هكذا حالة- أي معنى ولا لمعادلة الربح والخسارة أي قيمة، فالإنسان «موقف» كما يقال وحسب. تكمن عظمته

الحقيقية في ذلك وفي عطائه وأخلاقياته وما دونها فزيف وهراء. وتلك سمات العظماء وحقائق الرجال الأصلاء لا يدركها إلا ذولب ولا يستعذبها إلا من يفقه معانيها. وهو ما نحسبه قد جسده بحق أ.د. مهيوب رحمة الله عليه، الذي نعهده علما من أعلام النخبة الثقافية/ العلمية في اليمن، ولقد أثبت بأخلاقه العالية وجزارته العلمية أن الزعامة الحقيقية والمجد الخالد هي تلك التي توفر لصاحبها إعجابا وحباً دونما أي مقابل ودونما ترهيب وترغيب، وليست تلك المبنية على النفعية وشروط امتلاك القوة والثروة المفضية بالضرورة إلى الاحتواء وشراء الولاءات واقتسام النفوذ وتوزيع المغانم. وهو ما كان يتمتع به أستاذنا الكبير بين زملائه وفي أوساط مجتمعه، ويحظى به بين محبيه ومجايليه، إذ نال علميته وبنى مجده الأكاديمي من تلقاء نفسه دونما الاتكاء على وهم السلطة والاستقواء بها. ودونما حاجة إلى سياسة الزيف والملق؛ الأمر الذي حال بينه والكثير من المناصب الحكومية التي عزف عنها مؤخراً، وانعكس، من ثم، على علاقاته الواسعة، بل على فلسفته للحياة برمتها، تجلت في تعامله الإنساني الراقى مع الكل المتعدد والمتنوع، وفي تعاطيه الواعي مع منظومة العمل السياسي والحزبي، التي تعامل معها من على مسافة متساوية، وبروح المؤرخ الناقد والتأمل، جعلته يعيش بمنأى عن تجاذب السياسة غير المسئولة وجدلها السياسي العقيم. تلك الخاصية التي شكلت -في اعتقادنا- الإرهاصة الأولى لأفقه السياسي، التي ظلت لازمته الفكرية بل سمته الليبرالية التي من خلالها تعامل ونظر إلى العالم والأحداث.

ولعل أكثر تلك المواقف تجلياً موقفه من مكونات العمل السياسي وعلاقاته المتنوعة بالأحزاب التي سيجها بحدود أصبحت معها غير قابلة للتجسير والمناجزة، إذ لم يبد انحيازاً أو تعصبا لأي منها باعتباره يمثل مرجعية علمية، لا ينبغي له التعامل بمقتضياتها السلبية فقد أدرك أن التعصب الحزبي والجهوي يعد نقیصة سياسية بل وعلمية تحط من مكانة صاحبها وهو ما ترجمه عملياً في ترأسه لقسم التاريخ وعمادة الكلية، التي تجاوز بها المفهوم الضيق للحزب وكل أشكال التعصب. وهذا في اعتقادنا يمثل ذروة النضج والواقعية السياسية اللتين تحلى بهما ومثلا سر نجاحه الذي نال به حب الجميع.

لقد شكل المرحوم -بحق- قامة علمية متكاملة، وأنموذجاً لمؤرخ استثنائي قلما نجد نظيراً له. فقد صنع زعامته أو بمعنى أدق حاك وجاهته في قلوب محبيه من تلقاء نفسه معتمداً على مؤهلاته

الذاتية وخبراته العلمية الواسعة التي لا يتسع المجال لحصرها هنا. بل باعتزازه المفرط بالنفس، لا على الاتكاء برسمية السلطة أو بالإرث الاجتماعي أو القرابي كما هو المعتاد. وهو ما حال بينه وكثير من المناصب الحكومية التي زهد عنها، لاسيما في أيامه الأخيرة، بحسابها هبات سياسية وأعطيات تمنحها ثقافة الزيف والملق، وعدها - كما الكثير من الشرفاء - من منتقصات النزاهة والوطنية بل الرجولة والشهامة بحسب تعبيره.

حقا ثمة رجال استثنائيون تصنعهم الأحداث وتصلبهم المواقف ليكونوا، من ثم، أكثر قدرة على فقه الحياة، وذلك الواقع الذي نحلم به، مثاليات تؤطر الأذهان وقيم تسيج الأخلاق. وتلك نعمة لا يلقاها إلا قلة نحسب فقيدنا الكبير واحدا منهم. فقد كرس جل حياته لقيم الخير والحق والسلام، ونذر نفسه لخدمة العلم وطلابه بل وجاد بهاله ووقته في سبيل المعرفة ومجالاتها، وإن كانت ثمة استثناءات فرضتها الظرفية السياسية الطارئة فرضت عليه حيناً. كما عهدناه وفيما مخلصا لوطنه معتزا بنفسه مكثفيا بحقه، تعز عليه نفسه أن يمد يده إلى ذوي السلطان أو إلى نافذ، وإن كان ذلك في متناول يديه، وهو ما وسع - في اعتقادنا - مساحة الحب والتقدير له في قلوب أصحابه ومحبيه، وزاد من قدره وشهرته العلمية الواسعة.

لقد علمنا أستاذنا الكبير رحمة الله عليه كيفية الحياة للعلم وبالعلم، كما علمنا، بمواقفه الشجاعة وقيمه النبيلة معنى الإباء والشموخ ومعنى الكرامة والاعتداد بالنفس، إذ انه لا بقاء في هذه الحياة إلا لثقافة القيم والأخلاق. فالفناء يُغيب كل عزيز وثمانين، كما يغادر الحياة كل ذي حيوات يدب على الأرض. وتلك حتمية الحياة الفانية، وناموس الحقيقة المغيبة التي لا تغادر صغيرا ولا كبيرا. فلم يبق في هذه الحياة من الفعل البشري سوى الآثار والذكريات التي تصبح بفعل دينامية التطور صيرورة تاريخية تحتزن البنى والقيم التي ينتجها الإنسان، وتراكم الخبرات والتجارب الحياتية. ليتوارثها الخلف عن السلف، ويضيف إلى قاموسها كل ذي لب وسعة أفق كل بحسب طاقته واهتماماته. لتكتسب من ثم صفة البقاء والديمومة، كما تصير ثقافة اجتماعية متجذرة ومثاليات قيمة محفورة في الذاكرة الجمعية. ثقافة تكرر معيار الأفضلية والوجاهة الحقيقية لمن يجسد معانيها ويتمثل بأخلاقياتها لا سوى.

غرس فينا -تلاميذه- الكثير من القيم النبيلة التي لا حصر لها، وتعهدها بالرعاية والاهتمام والتوجيه العلمي السليم، بغية إكسابنا كل معاني الفضيلة العلمية والصفات البحثية الحميدة، وتهدينا على مقتضى تلك القيم التي -حتمًا- علمتنا الشيء الكثير وشكلت بالنسبة إلينا مرجعية دائمة الحضور دائمة التجدد نعتز بانتمائنا -فكرا- إليها، ونفتخر بتوحدنا ثقافة معها. علمنا معنى الحياة للفضيلة، الحياة للقيم والعيش لها وبها، علمنا إن الزعامة الحقيقية هي في احترام وثقة الناس والانحياز إلى قضايا هم العادلة وليس في التعالي والاستقواء بالسلطة والثروة. علمنا أن الواجهة سلوك الفضلاء وثقافة النبلاء لا عريضة الخيلاء ومسلكتيات الجبناء، وأن بقاءها وديمومتها يكمن في تمثل هذه القيم والصفات والتخلق بها دون سواها. علمنا أن ثقافة الزيف والملق والاستجداء السياسي لا تستوطن إلا في البيئات الحاضنة للاستبداد والقابلية للتعايش معه، وأن اللحظة التاريخية الجميلة والفاصلة لا يصنعها إلا الرجال وحسب. علمنا بسلوكه الراقي أن ليس ثمة امتيازات لوظيفة أو مراتبية لمنصب انطلاقاً من فلسفة «تكليف لا تشریف»، وأن المعيارية الأكاديمية تكمن أساساً في جودة العطاء وغزارة الإنتاج بل وكفاءة الأداء والفاعلية. ليؤصل فينا من ثم روح التضامن والتآزر الخلاق ويؤسس لمبدأ الثقاف والتكامل البناء. علمنا أشياء جميلة لا حصر لها. أقل ما نقول حيالها حسبنا - معاهدين - أننا سنبدل قصارى جهدها لتمثلها وتجسيد مضامينها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. وأنه سيظل دوماً وأبداً أستاذاً للقيم الأكاديمية الراقية. تلك القيم التي لا مجال فيها لتضخم أنا وإمكان لئرجسية. سيبقى مدرسة للأخلاق المعرفية المائزة، تلك الأخلاق النابذة لكل ما هو دون العلمي والمعرفي. سيخلد في وعينا ووجداننا أستاذاً ومثالا وأنموذجا ومرجعية.

المجد والخلود لروحه الطاهرة.



## سلام عليك

د. نجيب الوراقى

إلى روح صديقي الراحل مهيب غالب أحمد ( في مشواه بموسكو)

سلام عليك

على قبرك المنطوي في صقيع البلاد البعيدة

على بسمة قمت تحتطها من جديد

وفي ذروة النزع طرت

بنجم حنينك ترسم وجه البلاد

البلاد البلاد

التي لم تعد وطننا بل جراد

والتي غادرتك لتتطفئ ويغيب سناها

يموت هلال بقيتها بين ليل القذائف

مقتولة بالرصاص البليد

\*\*\*

سلام عليك

وقد قمت من لجة الموت تسألنا

كيف طاوعنا القلب أن نتعدى شجونك

وكيف سللنا من النبض فحوى هواك كنصل

وما بالها الأرض

قد نزعت فيض أحلامك القابضات

بأثوابها مثل طفل

وأنت صباها

وأنت فتاها

وأنت هواها

الذي كم تعلقها فتعجل بالموت





كيلا يرى موتها شاخصا  
نائما فوق صدره مثل الجليد

\*\*\*

سلام عليك  
فها أنت تخرج من طعنة الأرض  
حافي الأسي  
مبعد الاشتياق  
وها أنت تخرج من غربة  
تتمشى على غيمة الأصدقاء  
تبحث عن تربة في الشتات  
تضم رفاتك  
مالي أراها أراك؟  
تغادر يا صاحبي  
أشعث القلب عاري الهوى  
ولا وطن ترتديه  
غير عوسجة تجرح الحب  
تستأصل الانتماء  
مالي أراك تسير؟  
ولا قمر في يديك يضيء السماء  
تموت كأبي وحيد  
تتأمل في سحنة الغرباء  
يرتجف البرد في شفقتك  
تفريق من الموت  
تسأل عن وطن  
كنت ألبسته صيف قلبك ذات شتاء  
ودثرته بالوريد.

**آيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>ط</sup>**

**العلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني (ت: 840 هـ)**

د. جمال محمد أحمد هاجر\*

الملخص:

تمثل هذه الدراسة لونا من ألوان تفسير القرآن، وهو تفسير القرآن بالقرآن، وقد أعمل العلامة ابن الوزير -رحمه الله تعالى- اجتهاده في تفسير قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>ط</sup> (فاطر: ٨).  
بآيات آخر لها صلة بموضوع الآية الكريمة، فأوضح ما أشكل عند بعضهم، وأبان أن الضلال من قبيل العقاب.

ومؤلف هذه الرسالة من أعيان علماء اليمن البارزين، الذين عاشوا في القرن التاسع الهجري، وأثرى بمؤلفاته النافعة المكتبة الإسلامية.

وقد جاء البحث على قسمين:

الأول- الدراسة، وفيها: التعريف بابن الوزير، ومكانته العلمية، والتعريف بالرسالة، ووصف النسخة الخطية.

الثاني- اشتمل على تحقيق المخطوط، والتعليق على ما ورد فيها بما يحقق إخراجها على الصورة التي أرادها المؤلف.

ويعد البحث إضافة علمية في الدراسات القرآنية؛ لما اشتمل عليه من دراسة تفسيرية تطبيقية، فسر فيه مؤلفه آية بآيات آخر.

\* أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد -كلية التربية والعلوم بدواع-جامعة البيضاء- اليمن.

## المقدمة

الحمد لله رب العالمين، أثار بكتابه قلوب المتقين، وأضل عن معرفة هداياته قلوب المنحرفين، والصلاة والسلام على نبيه الأمين، وعلى آله وأصحابه والتابعين، وبعد:

فإن علم التفسير من أشرف العلوم وأجلها وأرفعها؛ فهو العلم الذي من خلاله يفهم كلام الله تعالى، الذي هو أشرف كلام وأعلاه؛ لذا اهتم علماء المسلمين عامة، وعلماء اليمن خاصة بهذا العلم الشريف، واشتغلوا به تدريجاً وتآليفاً، وكان من بين هؤلاء العلماء الأجلاء، العلامة محمد بن إبراهيم الوزير، الذي ألف في خدمة القرآن الكريم مؤلفات عدة، ما بين كتاب ورسالة، ومنها هذه الرسالة، المسماة: (الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾<sup>ط</sup>، وبعد الاطلاع عليها ألفتها رسالة قيمة في موضوعها، حوت مادة علمية غزيرة، تستحق به التحقيق والإخراج؛ ليستفيد منها طلبة العلم.

### أهمية البحث، وأسباب اختياره:

تكمن أهمية البحث في أهمية الرسالة المحققة وقيمتها العلمية، ويتضح ذلك بما يأتي:

أولاً: مادتها العلمية المتميزة في موضوعها ومضمونها؛ إذ إن مؤلفها قام ببيان آية قرآنية، وأزال الإشكال عنها من خلال جمع الآيات القرآنية ذات الصلة بالموضوع نفسه، والنظر في معانيها، ودلالاتها، ولوازمها، وهذا يسمى بمنهج تفسير القرآن بالقرآن، وهو أعلى المناهج التفسيرية وأفضلها.

ثانياً: جلاله قدر مؤلفها، وهو العلامة ابن الوزير، الذي يعد من علماء اليمن المشاهير، المشاركين في جملة من العلوم والمعارف، ومنها علم التفسير.

### أهداف البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

- 1- إخراج هذه الرسالة إخراجاً علمياً وفق قواعد التحقيق العلمي المتبعة.
- 2- التعريف بمؤلف الرسالة الإمام ابن الوزير، الذي كان يعد مرجعاً علمياً لأهل اليمن في القرن التاسع الهجري، وتسليط الضوء على حياته ومصنفاته.

### الدراسات السابقة:

بعد البحث، والاطلاع، والدخول على المواقع المتخصصة في شبكة المعلومات (الإنترنت)، وسؤال أهل الخبرة والاختصاص لم أجد من تناول هذه الرسالة بالتحقيق والدراسة من قبل.

### منهج التحقيق:

اتبعت في تحقيق هذا المخطوط المنهج الآتي:

1. نسخ المخطوط من النسخة (أ)، ثم مقارنتها بالنسخة (ب)، واختيار الصحيح وإثباته في المتن، والإشارة في الهامش إلى ما في النسخة الأخرى.
2. تحرير النص بكتابته حسب القواعد الإملائية الحديثة، مع استخدام علامات الترقيم حسبما تقتضيه الحاجة.
3. كتبت الآيات القرآنية الكريمة على وفق رسم المصحف الشريف، وخرجتها داخل المتن.
4. خرجت الأحاديث النبوية والآثار الواردة من مظانها، مع ذكر أقوال المحدثين في الحكم عليها.
5. التعريف بالأعلام الوارد ذكرهم في المخطوط تعريفاً موجزاً.
6. ضببت بعض الكلمات الواردة في المتن إذا كان ثمة ضرورة لذلك.
7. وضعت كل زيادة في متن الرسالة بين قوسين معقوفين [ ]، وأشارت إلى ذلك في الهامش.
8. أشارت إلى صفحات نسخ المخطوطة الأصل في الهامش الجانبي الأيسر، واضعاً خطأً مائلاً بين معقوفتين يدل على بداية الصفحة والوجه هكذا: [1/ أ]، فواحد يعني رقم اللوح، وحرف (أ) يعني الوجه ألف من اللوح واحد.

### خطة البحث:

تتكون خطة البحث من: مقدمة، وقسمين، وخاتمة، وهذا تفصيلها:

المقدمة، وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة، ومنهج التحقيق.

القسم الأول: في التعريف بالمؤلف والرسالة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: في التعريف بالرسالة، ووصف النسخ الخطية.

القسم الثاني: النص المحقق.

وأما الخاتمة، ففيها أهم النتائج.

والله أسأل أن ينفع بها، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يدخرها عنده إلى يوم الدين، وآخر

دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## القسم الأول: الدراسة.

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف، وفيه مسائل:

المسألة الأولى: اسمه ونسبه ومولده.

هو الإمام الحافظ العلامة المجتهد، محمد بن إبراهيم بن عليّ بن المرتضى بن المنفصل بن المنصور بن محمد بن المنفصل بن الحجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف بن يحيى بن الناصر أحمد بن يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن السَّبَّط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه. كنيته: أبو عبد الله، لقبه: عز الدين<sup>(1)</sup>.  
مولده.

ولد ابن الوزير في شهر رجب سنة (775هـ)، بهجرة الظَّهْرَ أَوَيْن<sup>(2)</sup> من شطب، التي تقع شمال غرب صنعاء، بنحو (100 كم) تقريباً<sup>(3)</sup>.

المسألة الثانية: نشأته العلمية:

عند الكلام عن نشأة الإمام ابن الوزير العلمية نجد تدرج في سلم العلم تدرجاً علمياً؛ فإنه - رحمه الله تعالى - " حفظ القرآن الكريم، وجوده، واستظهره، وحفظ متون كتب الطلب: من نحو، وصرف، ومعانٍ، وبيان، وفقه، وأصول، ثم أخذ في قراءة شروحها المختصرة"<sup>(4)</sup>. وتنقل من شيخ إلى شيخ يجالس أهل العلم ويلتمس الفوائد، وقد قال عن نفسه: " ولم أزل منذ عرفت شمالي من يميني مشمراً في طلب معرفة ديني أتتقل في رتبة الشيوخ من قدوة إلى قدوة، وأتوقّل<sup>(5)</sup> في مدارس العلوم من ربوة إلى ربوة"<sup>(6)</sup>. وكان - رحمه الله - شديد الاهتمام بالعلم والتعلم، فقال: "فإني ما زلت مشغولاً بدرك الحقائق مشغولاً بطلب المعارف، مؤثراً الطلب لملازمة الأكابر، ومطالعة الدفاتر"<sup>(7)</sup>.

المسألة الثالثة: مكانته العلمية:

انقطع الإمام ابن الوزير للعلم، ولازم الشيوخ، وسافر من أجله إلى مدن يمنية، بل ومدن خارجية، مثل: مكة، والشام، ومصر، وتأهل للتدريس، وبلغ مرتبة الاجتهاد<sup>(8)</sup>.  
فقد كان الإمام ابن الوزير "محيطاً بالعلوم من خلفها وأمامها، والحري بأن يدعى بإمامها وابن إمامها، كان سبّاق غايات، وصاحب آيات وعنايات، بلغ من العلوم الأقصي واقتادها بالنواصي"<sup>(9)</sup>، فبلغ - بحقٍ - مرتبة الاجتهاد، وفاق الأقران، وزاحم الشيوخ، وبلغ مبلغاً عظيماً لم يبلغه أحدٌ من علماء عصره، بل لم يبلغ أحدٌ في اليمن ما بلغه من العلم، وقوة الحجّة كما ذكر ذلك أحمد بن عبد الله الوزير، قال: " وله في

علوم الاجتهاد المحل الأعلى، والقدح الملى، وبلغ مبلغ الأوائل، بل زاد، واستدرك، واختار وصنّف، وألف وأفاد وجمع وقيد، وبنى وشيد" (10).

المسألة الرابعة: أبرز شيوخه.

قال الشوكاني: "قرأ على أكابر مشايخ صنعاء وصعدة وسائر المدائن اليمينية ومكة وتبحر في جميع العلوم، وفاق الأقران، واشتهر صيته، وبعُد ذكره، وطار علمه في الأقطار" (11)، وسأقتصر هنا على ذكر بعض مشايخه - رحمهم الله تعالى - وسيكون ترتيبهم بحسب سني وفاتهم:

- علي بن عبد الله بن أبي الخير الصائدي، ت (793هـ).
- عبد الله بن الحسن بن عطية بن محمد بن المؤيد الدوّاري، ت (800هـ).
- جمال الدين الناصر بن أحمد بن المطهر، ت (802هـ).
- علي بن مسعود بن علي الأنصاري، المكي بلداً، المالكي مذهباً، ت (813هـ).
- محمد بن عبد الله بن ظهيرة، المكي الشافعي، ت: (817هـ).
- الهادي بن إبراهيم الوزير، ت (822هـ)، الأخ الأكبر للإمام ابن الوزير.
- سليمان بن إبراهيم العلوي الحنفي، المعروف (بنفيس العلوي)، ت (825هـ).
- علي بن أحمد بن سلامة السلمى، المكي، أبو الحسن، ت (828هـ).
- علي بن محمد بن أبي القاسم، ت (837هـ).
- جمال الدين محمد بن حمزة بن مظفر، ت (838هـ).
- جمال الدين محمد بن أبي بكر الناشري، ت (873هـ). وغيرهم كثير.

المسألة الخامسة: مذهبه:

سلك العلامة ابن الوزير طريق أئمة العلم والاجتهاد، في الالتزام بالكتاب والسنة، وانتهاج نهج سلف الأمة، قال القاضي إسماعيل الأكوغ: "أما محمد بن إبراهيم الوزير فقد نحى منحى السلف الصالح من الالتزام بالعمل بالكتاب وصحيح السنة غير مقيد لنفسه بمذهب الزيدية، ولا بأي مذهب آخر بعد أن ترك التقليد" (12).

المسألة السادسة: مصنفاته.

ترك الإمام ابن الوزير - رحمه الله - للأمة الإسلامية من بعده آثاراً علمية ضخمة، وكنوزاً مهمة في أغلب فنون العلوم والمعرفة، جمع فيها بين العلوم الثقيلة والعقلية. ومن أبرز هذه المصنفات:

- الأمر بالعزلة في آخر الزمان.

- الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨) (13).

- إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد.

- البرهان القاطع في إثبات الصانع، وجميع ما جاءت به الشرائع.

- ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان.

- تنقيح الأنظار في علوم الآثار.

- الروض الباسم في الذب عن سنة أبي القاسم (مختصر العواصم والقواصم).

- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم صلى الله عليه وآله وسلم.

- قبول البشرى في التيسير للبشرى.

المسألة السابعة: ثناء أهل العلم عليه.

نال الإمام ابن الوزير -رحمه الله تعالى- حب كثير من مشايخه وتلاميذه، وكل من عرفه، وقرأ كتبه ومصنفاته، قال أحمد بن عبد الله الوزير: "الذي شهد له بذلك جميع أهل الزمان من الأقارب والأباعد، والمخالف له في الاعتقاد والمساعد" (14).

وللعلماء والمؤرخين كلمات متناثرة في الإشادة به، والثناء عليه والاعتراف بفضله، وعظيم منزلته، فمن ذلك:

قال عنه شيخه نفيس الدين العلوي: "سيدنا الإمام حقاً، والمجتهد صدقاً، الفائق على أقرانه من الأغصان النبوية، والأفنان المصطفوية، المؤيد بالتأييد الإلهي، المختار لله تعالى، والموفق في اجتهاده، جمال العترة النبوية" (15).

وأما الإمام الشوكاني - فقد وصفه في كتابه (البدر الطالع) بما لم يصف به أحدًا ممن ترجم له في كتابه، فقال بعد ترجمته له: "وبالجملمة فصاحب الترجمة ممن يقصر القلم عن التعريف بحاله، وكيف يمكن شرح حال من يزاحم أئمة المذاهب الأربعة فمن بعدهم من الأئمة المجتهدين في اجتهاداتهم، ويضايق أئمة الأشعرية والمعتزلة في مقالاتهم، ويتكلم في الحديث بكلام أئمة المعتبرين مع احاطته بحفظ غالب المتون، ومعرفة رجال الأسانيد شخصاً وحالاً وزماناً ومكاناً، وتبحره في جميع العلوم العقلية والنقلية على حد يقصر عنه الوصف" (16).

المسألة الثامنة: وفاته.

توفي يوم الثلاثاء رابع وعشرين المحرم من سنة (840 هـ)، وكان عمره المبارك أربع وستون سنة رحمه الله (17).



**المطلب الثاني:** في التعريف بالرسالة، ووصف النسخة الخطية، وفيه مسألتان:  
المسألة الأولى: في التعريف بالرسالة.

عنوان الرسالة: الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾

موضوع الرسالة: فسر الإمام ابن الوزير - رحمه الله تعالى - قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، مستنداً في بيانه ذلك على الآيات القرآنية، والأحاديث النبوية، وأقوال علماء التفسير، وقد أبان المؤلف في أول المخطوط عن موضوعه، فقال: "هذه الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وفيه إن الإضلال من قبيل العقاب، فلا يُبتدأ به قبل الذنوب....".  
نسبة المخطوط إلى المؤلف: نسب كثير ممن ترجم للعلامة ابن الوزير هذه الرسالة إليه، وذكروها في فهراس مؤلفاته<sup>(18)</sup>، ومن الذين نسبوها إليه:

قال صلاح الدين، وهو يذكر أسماء مؤلفات ابن الوزير: "ومنها الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾، وفيه أن الإضلال من قبيل العقاب فلا يبتدئ به قبل الذنوب، وأجاد في ذلك غاية الإجابة"<sup>(19)</sup>.

وقال ابن أبي الرجال، وهو يتحدث عن مضمون رسالة ابن الوزير: "وكنت على حقاري كلفت بهذا المطلب، ووددت أن أجمع لنفسي ذلك، ولم أشعر بكتاب السيد - رحمه الله - فلما رأيته، قلت: إذا جاء نهر الله بطل نهر معقل<sup>(20)</sup>"<sup>(21)</sup>. وغيرهم.

المسألة الثانية: في وصف النسخ الخطية.

اعتمدت في تحقيق هذه الرسالة على نسختين خطيتين، هما كما يلي:

وصف النسخة الأصل:

1- عنوان الرسالة: الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.

2- مؤلف الرسالة: محمد بن إبراهيم الوزير.

3- أول المخطوط: الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. وفيه أن الإضلال من قبيل العقاب، فلا يبتدئ به قبل الذنوب.

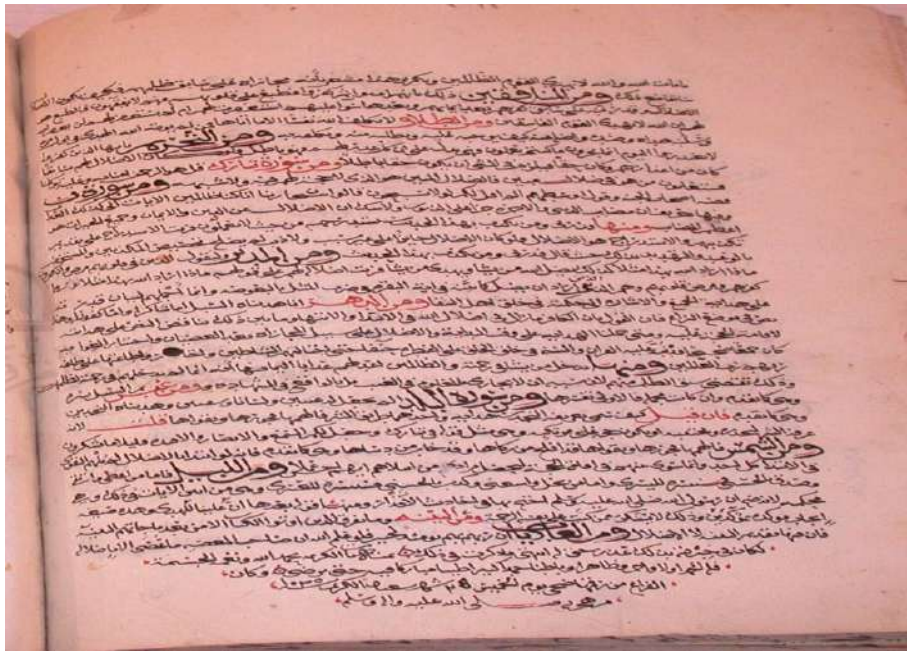
4- آخر المخطوط: فلو علم الله أن صاحب المعصية ما عصى إلا بإضلاله لكان في خيرته بذلك عذر حق له.

- 5- نوع الخط: نسخي معتاد.
- 6- عدد الأوراق: خمسة أوراق.
- 7- عدد الأسطر في الصفحة: ثلاثون سطرًا.
- 8- عدد الكلمات في السطر: (15 - 19) كلمة تقريبًا.
- 9- الناسخ: غير معروف.
- 10- تاريخ الانتهاء من النسخ: 28 / شعبان / 1035 هـ.
- 11 - مكان الحصول على المخطوط: مكتبة العلامة محمد بن محمد الكبسي .  
وقد جعلت هذه النسخة أصلاً لأسباب عديدة، منها:  
(1) كونها أقدم النسختين؛ إذ إنها كتبت سنة، (1035).  
(2) كونها سالمة من السقط والبياض إلا نزر قليل.  
(3) لأن خط ناسخها جيد.  
لهذه الأسباب جعلت هذه النسخة أصلاً، فإذا قلت في تعليقتي: نسخة الأصل، فمرادي هذه النسخة.  
وصف النسخة الثانية (ب).
- 1- عنوان الرسالة: الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.
- 2- مؤلف الرسالة: محمد بن إبراهيم الوزير.
- 3- أول المخطوط: الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾. وفيه أن الإضلال من قبيل العقاب، فلا يتبدئ به قبل الذنوب.
- 4- آخر المخطوط: فلو علم الله أن صاحب المعصية ما عصى إلا بإضلاله لكان في خيِّرته بذلك عذر حق له.
- 5- نوع الخط: نسخي معتاد.
- 6- عدد الأوراق: خمسة عشر ورقة (لوح).
- 7- عدد الأسطر في الصفحة: 16 سطرًا.
- 8- عدد الكلمات في السطر: (7 - 9) كلمة تقريبًا.
- 9- الناسخ: محمد بن عثمان بن علي بن محمد.
- 10 - تاريخ الانتهاء من النسخ: 6 / محرم / 1128 هـ.
- 11 - مكان الحصول على المخطوط: جامع المخطوطات المصورة على الإنترنت<sup>(22)</sup>. وقد رمزت لها ب (ب)، فإذا ورد هذا الرمز في تعليقتي فمرادي هذه النسخة.

### نماذج مصورة من النسخة الخطية الأصل:

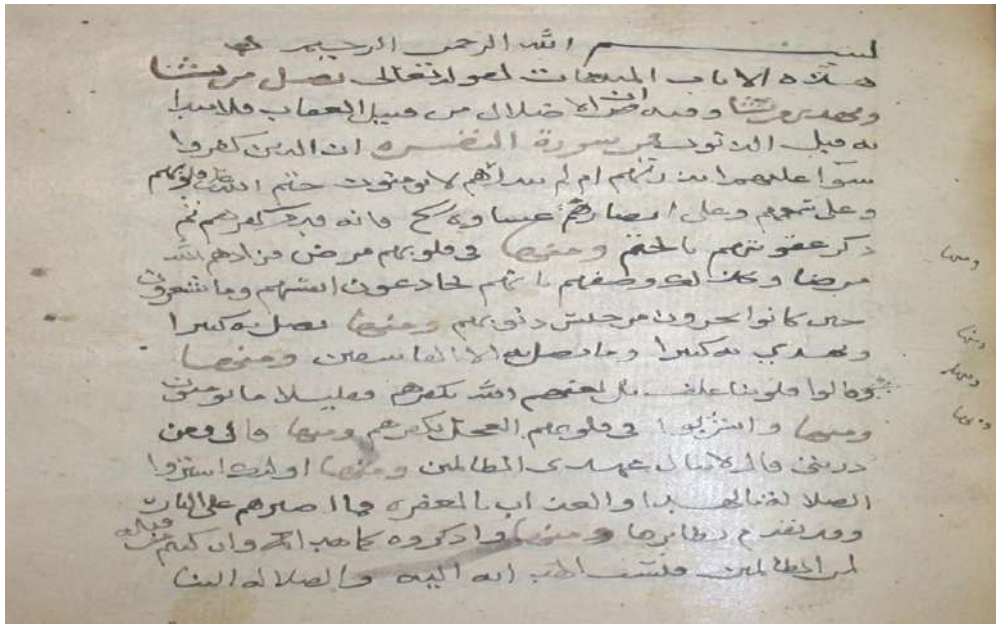


أول المخطوط الأصيل

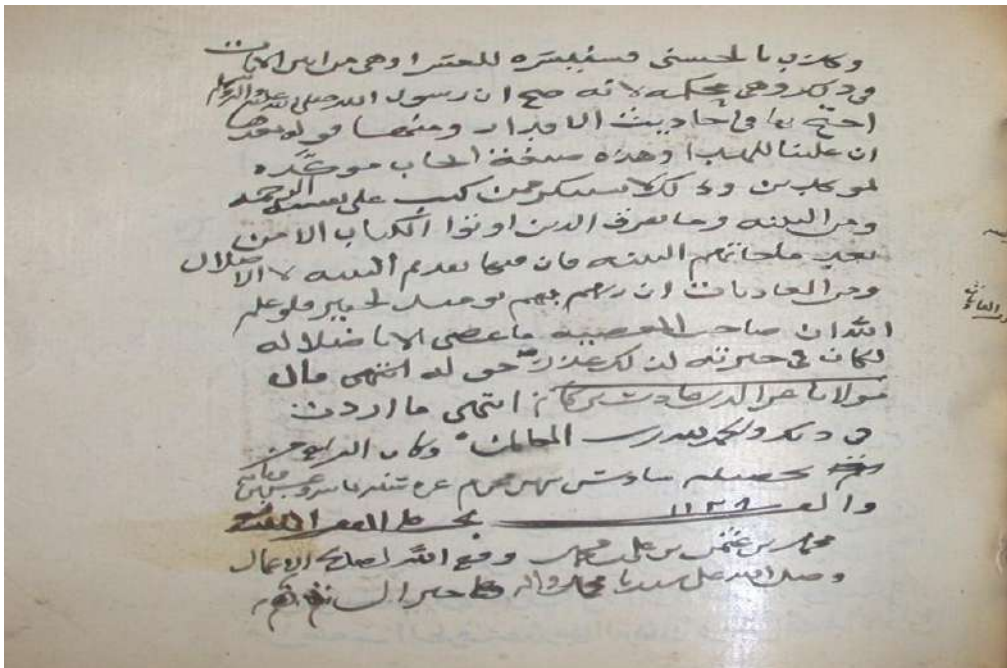


آخر المخطوط الأصيل

نماذج مصورة من النسخة الخطية الثانية (ب):



أول المخطوط (ب)



آخر المخطوط (ب)



القسم الثاني: النص المحقق.

بسم الله الرحمن الرحيم

[وبه نستعين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم] (23).

هذه الآيات المبينات لقوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (فاطر: ٨) (24).

وفيه: أن الإضلال من قبيل العقاب فلا يبتدأ به قبل الذنوب.

فمن سورة البقرة:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشْوَةٌ﴾ (25) ﴿(البقرة: ٦ - ٧). فإنه قدم كفرهم ثم ذكر عقوبتهم بالختم (26).

ومنها: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ (البقرة: ١٠). وكذلك، وصفهم بأنهم يخادعون أنفسهم، وما يشعرون حين كانوا يجزون من جنس ذنوبهم (27).

ومنها: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ (البقرة: ٢٦).

ومنها: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ (البقرة: ٨٨).

ومنها: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة: ٩٣).

ومنها: ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ (البقرة: ١٢٤).

ومنها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ

عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾﴾ (البقرة: ١٧٥)، وقد تقدم نظيرها.

ومنها: ﴿وَأَذْكُرُهُ كَمَا هَدَيْتِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾﴾

(البقرة: ١٩٨). فنسب الهداية إليه، والضلالة إلينا.

[ومنها] (28). ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى

الظُّلْمَةِ ۗ ﴾ (البقرة: ٢٥٧). فلولا تقدم نور الهدى حجة عليهم ما صح ذلك.

ومنها: ﴿ فَبِهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾ (البقرة: ٢٥٨).

وأمثالها كثيرة (29) خاصة في براءة (30)، ومنها: ﴿ لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا

يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ ۝ ﴾ (البقرة: ٢٦٤).

ومن سورة آل عمران:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُنُوتُوا اَللَّكْتَبَ اِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا

بَيْنَهُمْ ۗ ﴾ فبين أن حجته سابقة بالهدى والعلم، ولذلك ختم الآيات في ذلك، بقوله: ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ ۝ ﴾ (آل عمران: ٢٠).

ومنها: ﴿ وَمَكُرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكِرِينَ ۝ ﴾ (آل عمران: ٥٤).

ومنها: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ اِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا اَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ

وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝ ﴾ إلى قوله: ﴿ اِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَاَصْلَحُوا فَاِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ (آل عمران: ٨٦ - ٨٩). وهذا مما قدمت

ذكره من تخصيص نفي [هداية] (31) الظالمين في بعض الآيات، وأن الخاص مقدم وإن قل (32).

ومنها قول الراسخين (33): ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ اِذْ هَدَيْتَنَا ۗ ﴾ (آل عمران: ٨). فإن فيها

اعترافهم بسبق الهداية، والحجة لله بها، كقوله تعالى: ﴿ فَظَرَّتْ اَللَّهُ اَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ

عَلَيْهَا ۗ ﴾ (الروم: ٣٠)، ثم خوفهم لرسوخهم في العلم من عقوبتهم بذنوبهم بالإزاغة (34)،

كقوله: ﴿ اِنَّمَا يَحْتَشَى اَللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ اِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ۝ ﴾ (فاطر: ٢٨)، وأمثالها.

وكذلك قالوا بعد هذا: ﴿ وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً اِنَّكَ اَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ ﴾ (آل عمران: ٨)؛ لأن

العبد خطاء مذنب (35)، وما لم يقابل بسعة الرحمة هلك وخسر، كما قال آدم ونوح عليهما السلام:

﴿ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ﴿٤٧﴾ (هود: ٤٧). وما أحسن قولهم في خاتمها: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾، فتوسلوا إليه باسمه لا بأعمالهم، فإن اسمه ووصفه لا يتغير، والعمل قد يعرض له ما يفسده في الابتداء وما يجبطه في الانتهاء، ثم هو مع تقدير سلامته في طرفيه من جملة مواهب الله تعالى، والاستعاذة من إزاغة الرب العدل الحكيم الرحمن الرحيم متضمنة للاعتراف بمسببها من الذنوب كالاستعاذة من عذابه، وسؤال مغفرته سواء، وذكر الموهبة، [واسم الله] (36) الوهاب هنا] (37) مناسب للرسوخ في العلم والأدب (38)؛ لأنه مما يتوسل به من [لا يستحقه] (39)، [كقوله] (40) تعالى: ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ (الإسراء: ٢٠)، بخلاف الرحمة، [لقوله: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة: ١٠٥)، فتوسلوا إليه باسمه العام الوهاب إلى نيل رحمته] (41) التي يختص بكتابتها من يشاء، [في قوله: (فسأكتبها)] (42)، وأما سعتها فلكل شيء (43).  
ومنها: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ (آل عمران: ١٧٩).

ولم يقل: حتى يُجِبَّ بعضهم أو يبدهم [بالتخييب] (44) من غير سبب.

ومن سورة النساء:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالََةَ ﴾ (النساء: ٤٤).

ومنها: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء: ٤٦).

[ومنها] (45) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ (١٦٨)

إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ (النساء: ١٦٨-١٦٩).

ومن [سورة] (46) المائة:

﴿فِيمَا نَقُضِبُهُمْ مِثْقَلَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ (المائدة: ١٣).



ومنها: ﴿ فَانْسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (المائدة: ١٤).

ومنها: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

ومنها: ﴿ فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا ﴾ (المائدة: ٧١)، فلو كان هو الذي بدأهم بالإضلال لم يتب عليهم بعد العمى، ولا نسب العمى إليهم والتوبة إليه.

ومنها: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ... إلى ... ﴿ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ (المائدة: ٧٨). فاللعن بمعنى الإضلال؛ لأنه الإبعاد من رحمة الله تعالى.

ومن سورة الأعراف (47):

﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ (الأعراف: 29-30)، وفي قوله: (حَقَّ عَلَيْهِمْ) دلالة على أنها [لزمتهم] (48) بحق وحكمة، لا اتفاقاً بلا سبب.

ومنها: ﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ ... إلى ... ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكٰفِرِينَ ﴾ (الأعراف: 100-101).

ومنها: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ... الآية ﴾ (الأعراف: 146). وقوله: (بِغَيْرِ الْحَقِّ) لا يدل على المخالفة بمفهومه (49).

[ومنها] (50) ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ (الأعراف: 163). فهذا في معنى الإضلال؛ لأنه من التيسير للعسرى (51) عقوبة.

ومنها: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ ﴾ (الأعراف: 176).

ومنها: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: 182).

[ومن سورة الأنفال] (52):

ومنها: (53) ﴿ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ ۗ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ (الأنفال: ٢٣)

ومن [سورة] (54) براءة (55):

﴿ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ (التوبة: ١١٥). دل على أنه عقوبة؛ لأنه جعل الإضلال هنا بمنزلة الهلاك في قوله: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا مَّا تَرْفِيهَا ﴾ (الإسراء: ١٦). أي: أرسلنا إليهم الرسل بالأوامر والحجج البينة؛ قطعاً لأعدائهم.

ومنها: ﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفٰلِسُونَ ﴿٦٧﴾ (التوبة: ٦٧).

ومن [سورة] (56) يونس:

﴿ كَذٰلِكَ زَيْنٌ لِّلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوْا يَعْمَلُوْنَ ﴿١٢﴾ (يونس: ١٢).

﴿ وَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا ۚ كَذٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمَجْرِمِيْنَ ﴿١٣﴾ (يونس: ١٣). أي: الهلاك والإضلال.

ومنها: ﴿ فَمَا كَانُوْا لِيُؤْمِنُوْا بِمَا كَذَبُوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۚ كَذٰلِكَ نَضَعُ عَلَى الْقُلُوْبِ الْمُعْتَدِيْنَ ﴿٧٤﴾ (يونس: ٧٤).

وفيها دلالة على أن الله يبدأ بالهداية، كما قال في ثمود: ﴿ وَأَمَّا ثَمُوْدُ فَهَدَيْتَهُمْ فَاسْتَحَبُّوْا

الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ ﴾ (فصلت: ١٧)، ﴿ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ (طه: ٥٠)، وعلى أنه

لا يضل أحداً إلا بعد الهداية لهذه الآية في ثمود، وحديثي الفطرة: [خلقت عبادي حنفاء

فاجتالتهم<sup>(57)</sup> الشياطين عن دينهم<sup>(58)</sup>، وقوله: (كل مولود يولد على الفطرة) [ (59) (60)؛ لأن

الآية ليست خاصة في قوم بل [هي] (61) في كل من أضله الله، فتأمل.

ومنها: ﴿ كَذٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوْا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُوْنَ ﴿٣٣﴾ (يونس: ٣٣).

ومنها: ﴿ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَّنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ ۗ ﴾ (يونس: ٣٥)، ولم يقل: من يضل عن الحق.

ومنها: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِيْنَ ﴿٨١﴾ (يونس: ٨١).

ومنها قول موسى: ﴿رَبَّنَا أَطْمَسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ۝٨٨﴾ (يونس: ٨٨)، والأنبياء لا يجوز عليهم إرادة الشر [ابتداءً] (62) بالإجماع، فدل على أنه اتبع سنة الله في إرادة الجزاء بذلك على الإضرار، وكذلك فعل جبريل [عليه السلام] (63) مع فرعون (64) عند الغرق فيما روي (65)، وفيه أن الهداية إلى الحق [هي] (66) من خصائص الربوبية (67) لا يكلها إلى أحد.

ومنها: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ۝٤٥﴾ (يونس: ٤٥).  
ومنها: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَبِجَعْلِ الرَّجْسِ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝١٠٠﴾ (يونس: ١٠٠).

ومن [سورة] (68) هود:

ليس فيها إلا قوله [تعالى] (69): ﴿لِيَبْلُوكُمْ أَيَكْفُرُوا أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (هود: ٧).

ومن [سورة] (70) الرعد:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ۗ﴾ (الرعد: ١١)، وبدايتهم بالإضلال قبل الذنوب يخالف ذلك.

ومنها: ﴿قُلْ إِنْ أَرَادَ اللَّهُ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ ۗ﴾ (الرعد: ٢٧). فدل آخر الآية على أن معنى أولها يضل من لم ينب.

ومنها: ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَصَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۝٣٣﴾ (الرعد: ٣٣).

ومن سورة إبراهيم [عليه السلام] (71):

[قوله] (72): ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٤﴾ (إبراهيم: ٤). فقدم البيان ليكون الإضلال بعد الاستحقاق، ولذلك ختم الآية بذكر اسمه الحكيم (73).

ومنها: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم: ٢٧)، وأما قوله فيها: (وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ)، فإنه يحتمل وجهين:

أحدهما: أنها [كالسبب] (74) لما قبلها من إضلال الظالمين، وتثبيت المؤمنين كما قال البغوي (75) في تفسيرها، أي: ويفعل الله ما يشاء من التوفيق والخذلان والتثبيت وعدمه (76)، فيكون في هذا المعنى كآية الحج، وهي قوله تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (الحج: ١٨).

وثانيهما: أن تفسير هذا الإجمال بالآيات البينات، مثل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٤)، فإنه سبحانه لا يستثني بعد الوعد للمؤمنين بالخير أصلاً ويستثني بعد الوعد في مواضع هذه الآية منها، وكذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ (التوبة: ٢٧)، بعد قوله: ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (٢٦) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ﴾ (التوبة: ٢٦-٢٧)، وقبلها نحوها في براءة، ومنه: ﴿وَالْآخِرُونَ مُرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ... الآية﴾ (التوبة: ١٠٦)، ومنه الأحاديث الصحيحة الكثيرة: الحسنه بعشر أمثالها أو أزيد (77)، والسيئة بمثلها أو أغفر (78)، وقد استوفي هذا في مواضعه، فيكون المراد أن تثبيت المؤمنين وعد مجزوم به لا ريب فيه، وأما إضلال الظالمين، فقد يختص الله-تعالى- بعفوه من يشاء منهم فيهديه، بل هذا هو المعلوم، ولا بد من تخصيص وعيده للظالمين بالإضلال، وإلا لما اهتدى كافر بعد كفره، وعامة الصحابة من هذا القبيل.

ومن [سورة] (79) النحل:

[قوله تعالى] (80): ﴿وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (النحل: ٩)، فلو كان الجائر منه ناقص، وأخل بما جعله [ناقض] (81) عليه.

ومنها: ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ (النحل: ٣٦).  
[ومنها] (82): ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ  
تَصْرِيحٍ﴾ (النحل: ٣٧)، والحجة منها في (حَقَّتْ)؛ فإن معناه يخالف معنى من ينفي الحكمة،  
والإضلال بالحق والاستحقاق.

[ومنها] (83): ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ  
يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٣). فيها الجمع [بين] (84) الحجة الظاهرة  
بالعمل والحكم الباطنة في المشيئة، وأن الله لم يجرد المشيئة والحكمة فيها عن الحجج الظاهرة.  
ومنها: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (٩٩) إِنَّمَا  
سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٩٩ - ١٠٠)، وإنما للحصر،  
وسلطان الشيطان في معنى الإضلال.

ومنها: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى  
لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ١٠٢)، فكيف يقال: إنه يبتدئهم بالضللال أو يضلهم بعد أن اهدوا  
بهدها، وقبلوه من غير ذنب أحدثوه؟

ومنها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ...﴾ إلى قوله... ﴿وَأَنَّ  
اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (١٧) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ...  
إلى... ﴿هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ (١٧٨) النحل: ١٠٤ - ١٠٨).

ومنها: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اٰخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (النحل: ١٢٤). وبمثل ذلك ورد الحديث  
أنهم أمروا بالجمعة فاختلَفوا [فأضلوا] (85) (86)؛ ولذلك توعدهم في آخر هذه الآية، بقوله: ﴿وَأَنَّ  
رَبَّكَ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (النحل: ١٢٤).  
ومنها: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

ومن [سورة] (87) بني إسرائيل:

﴿وَكُلِّ إِسْنِينَ أَلْزَمْنَاهُ طَلِيحَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ﴿١٣﴾﴾... إلى قوله... ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ (الإسراء: ١٣-١٦).

ومنها: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصَلُّهَا ﴿١٧﴾... إلى... ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (الإسراء: ١٦-٣٠). وإذا كان هذا في الرزق، فكيف في الدين؟

[ومنها] (88): ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿١٤﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿١٥﴾... إلى... ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا... الآية﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٨).

ومنها: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿١٥﴾﴾ (الإسراء: ٦٥).  
ومنها: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٤﴾﴾ (الإسراء: ٩٤). والخصم يقول: إلا أن أضلهم الله ابتداءً قبل الاستحقاق.

ومنها: ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ ﴿٩٥﴾﴾... إلى... ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا...﴾... إلى قوله... ﴿فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٦﴾﴾ (الإسراء: ٩٧-٩٩).

ومن [سورة] (89) الكهف:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴿٥٧﴾﴾ (الكهف: ٥٧).

[ولم يقل فمن أظلم ممن ذكر آيات ربه، فجعل الله على قلوبهم أكنة، وفي آذانهم وقراً فأعرضوا عنها] (90)، بل بدأ تنبيههم ثم ذكر عقوبته لهم عليه، ثم ذكر بعد ذلك مغفرته وتأخير عذابه.

ومنها: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ... الآية ﴾ (الكهف: ٥٥). ولم يقل: إلا أن أضلهم الله.  
ومن [سورة] الحج<sup>(91)</sup>:

﴿ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴾ (الحج: ٤).  
﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ (الحج: ٥٣).

ومن المجمات في الحج بعد السجدة: ﴿ إِنْ أَلَّكَ اللَّهُ فَعَلْ مَا يَشَاءُ ﴾ (الحج: ١٨)<sup>(92)</sup>.  
ومن الفروق بين المحكم والمتشابه، قوله تعالى: ﴿ وَالْقَلَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَىٰ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَرَ وَسْبًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (النحل: ١٥).  
ومن سورة النور:

﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تضيبهم فتنة أو يضيبهم عذاب أليم ﴾ (النور: ٦٣).  
والإضلال فتنة، وقد جعلها كالعذاب، وهو لا يكون مبتدأ.  
ومن [سورة] الفرقان<sup>(93)</sup>:

﴿ وَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴾ (الفرقان: ١٧). ولم يقل: أم أنا أضللتهم.

ومنها: ﴿ لِيَتَنَّى لَمْ اتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ (الفرقان: ٢٨ - ٢٩).  
﴿ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴾ (الفرقان: ٢٩ - ٢٨).  
ومن [سورة] الشعراء<sup>(94)</sup>:

قول الخليل عليه السلام: ﴿ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ (الشعراء: ٧٨).



وقال: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّئِينَ ﴿٧﴾﴾ (الزخرف: ٢٧)، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّئِينَ ﴿٩٩﴾﴾ (الصفافات: ٩٩). على القطع، مثل: يطعمني، ويسقين، ويميتني، ويحيين<sup>(95)</sup>، ولم يجعله على الطمع والرجاء، كقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (الشعراء: ٨٢). وقال في الحكاية عن أهل النار: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾﴾ (الشعراء: ٩٩)، وهذا وهم في دار الحق، فَحُمِلَ عَلَى الضلال الأول الذي لم يكن مستحقاً بالعقوبة. ومنها: ﴿كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٣٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣١﴾﴾ (الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠١).

ومنها: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنْذِرُونَ ﴿٣٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (الشعراء: ٢٠٨ - ٢٠٩). فدل على أن سنة الله البداية بالحجة والإعذار، لا العقوبة والإضلال. ومنها: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ تَنَزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٣١﴾ تَنَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢). ومن لا تنزل عليه الشياطين غير مُضَلِّ.

ومن سورة النمل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ (النمل: ٤). بدأ بالذنب، وثنى بالعقوبة، ولم لا يعكس؟ تأمل.

وكذلك سائر كتاب الله المحكم الذين لا يأتيه الباطل، وكذلك قال بعدها: ﴿وَإِنَّكَ لَتَلْقَىٰ الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾ (النمل: ٦).

ومنها: ﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾ (النمل: ١٤)، فدل على أن سوء العاقبة تختص بالمفسدين؛ لأنها عقوبة.

ومنها: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ (النمل: ٥٠). فبدأ بمكرهم؛ لأنه سبب مكره كما في غيرها<sup>(96)</sup>، وهي سنة الله.

ومنها: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (النمل: ٨٥).

ومن [سورة] (97) القصص:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (القصص: ٥٠)، وهذا سببه السوء، وعمومه مخصوص بالنصوص، والتفصيل والإجماع بخلاف عكسه، وهو أنه لا يضل المهتدين، فإنه [لا مخصص] (98) لعموماته، حيث جاءت.

ومنها: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (القصص: ٥٦). وهذا تعليل فيما يحسن التفضل به من الهداية، فكيف يجب ترك التعليل في الإضلال.

ومنها: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ (القصص: ٥٩).

ومن [سورة] (99) العنكبوت:

﴿وَمَا كُنْتَ تَسْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَزَّتَابِ الْمُبْطِلُونَ﴾ (العنكبوت: ٤٨). فهذا يدل على ترك أبعاد المفسد في التكليف، فكيف الابتداء بالإضلال.

ومنها: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (العنكبوت: ٦٩). هذا عموم معلل لا تخصيص له، ولا استثنى منه، ومن ارتد بعد الإسلام فإنما أتى من سوء اختياره في الابتداء كأول التكليف إذا صح أن [الإسلام] (100) كان صحيحاً.

ومن [سورة] (101) الروم:

﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ (الروم: ٩)، فنبه على إزاحة العذر لتقدم الرسل، وأن هذه [سنته] (102).

ومنها: ﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾... إلى... ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (٣٨) بل أتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم فمن يهدي من أضلَّ الله وما لهم من نصيرين (٣٩) (الروم: ٢٨-٢٩). فقدم اتباعهم أهواءهم بغير علم، ثم ذكر [إضلالهم] (103)،

وعدم الناصر لهم، بين هذا بالنصوصية، فقال [تعالى] (104) ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتِ

اللَّهُ الَّذِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقَيْمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (الروم: ٣٠).

فإن قلت: كيف قال: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾، وقد بدلها الكفار؟ وقد جاء في الحديث: (وإنما أبواه يهودانه) <sup>(105)</sup>، وفي الحديث الآخر: (إن الشياطين اجتالتهم) <sup>(106)</sup> عن دينهم) <sup>(107)</sup>. [فالجواب] <sup>(108)</sup>: من وجهين: أحدهما: أنهم ما غيروها ولا قدروا على تغييرها، وإنما جحدوها عناداً، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا﴾ (النمل: ١٤). وكما قال أمير المؤمنين <sup>(109)</sup> عليه السلام: "الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجحود" <sup>(110)</sup>. وهذا قول أهل المعارف. وثانيهما: أن يكون قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: ٣٠). من الله في الابتداء، أي [لا يبدل] <sup>(111)</sup> الله هذه السنة، كقوله: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب: ٦٢). وإن كان بعد أن خلقها مكن العبد من تغييرها للابتلاء كما مكن الواشيات <sup>(112)</sup> المغيرات خلق الله [تغييراً] <sup>(113)</sup> <sup>(114)</sup>، ومكن عصاري العنب خمرًا، ونحو ذلك، والله أعلم.

ومنها: ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (الروم: ٥٩). وإنما يصح ذمهم بالجهل الاختياري، لا الضروري، فإنه متعذر سقط فيه تكليف الصبي والمجنون والنائم بالنص <sup>(115)</sup> والإجماع. ومن [سورة] <sup>(116)</sup> الجزر <sup>(117)</sup>:

﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ (السجدة: ٣). ولم يرد مثل هذا في الضلالة، فدل على أن الهدى محكم خير محض [في المهتدين] <sup>(118)</sup> [مراد لنفسه] <sup>(119)</sup> بخلاف الضلالة، فلا يقال: تمدحه بهما على سواء. ومنها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا﴾ (السجدة: ٢٢). فجعل تذكيره سابقاً ليكون حجة عليه، واعتراضه متأخرًا ليقطع عذره فيه، ولم يقل: ومن أظلم ممن لم يعرض حتى بدأهم [الله] <sup>(120)</sup> بالإضلال، والصد عن الحق؛ ولذلك عقب ذلك بقوله: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ﴾ (السجدة: ٢٢).

ومن [سورة] (121) سبأ:

﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾ (سبأ: ٨) (122).

فخصهم بها، وسوى بينهما في اختصاصهم بها، فدل على أنها تختصان بالمستحقين (123).

﴿قُلْ إِنْ ضَلَّكَ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتَ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾ (سبأ: ٥٠).

[ومن سورة فاطر] (124):

ومنها: ﴿أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا

تَذَهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ (فاطر: ٨). [وهو] (125) كقوله:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾﴾ (النمل: ٤) (126).

ومنها: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ (فاطر: ٤٢). وهي في النذير، وهو غير مضل وفاقاً، فكذلك ما جاء في القرآن نحو ذلك.

ومن [سورة] (127) يس:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا....إلى [قوله]: (128) لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾﴾ (يس: ٨ - ١٠). معلل

لمفهوم قوله: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ (يس: ١١)، قيل: معلل بقوله: ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ...إلى آخرها﴾ (يس: ١٠). يعني لا يقبلون لطفًا.

أما قوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ (يس: ٧)، فهو مثل سبق العلم، ليس من العقوبة حتى يتبع الذنب،

وإنما الذي يكون [من] (129) الذنوب ما كان من جنس العقوبات.

ومنها: ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِيلًا كَثِيرًا﴾ (يس: ٦٢). وأمثالها، وفي الصحيح: (يقول الله:

إني خلقت عبادي حنفاء، فجاءت الشياطين فاجتالتهن عن دينهم) (130). ولا بد أن يكون الإضلال

القبیح مخالفاً للإضلال العدل المنسوب إلى الله عز وجل، وما ذلك إلا بالنظر إلى الحكمة، وقد نبه الله

على أنها الاستحقاق.

ومن [سورة] (131) الصافات:

﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّا كُنْتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَلْ لَمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَغِينَ ﴿٣٠﴾ (الصافات: ٢٧ - ٣٠).  
ففيها بيان أن عدم إيمانهم هو سبب تسلط المضلين والشياطين عليهم، وإن هذا شيء لظهوره قد عرفه المضلون والشياطين، كيف [لا يعرفه] (132) علماء الإسلام؟ وكذلك قول المضلين والشياطين بعد ذلك:

ب/3

﴿ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَعْوَيْتَكُمْ إِنَّا كُنَّا غَوِينَ ﴿٣٢﴾ (الصافات: ٣١ - ٣٢).  
يوضحه قوله تعالى بعد ذلك: ﴿ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ (الصافات: ٣٣ - ٣٥)، الآيات إلى: ﴿ وَمَا تُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٧﴾ (الصافات: ٣٩ - ٤٠).  
ومنها قوله في شجرة الزقوم: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ (الصافات: ٦٣).  
ومنها: ﴿ إِنَّهُمْ الْقَوَاءُ آبَاءُهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٦﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٦٧﴾ (الصافات: ٦٩ - ٧٠).  
فهذه الآية توافق حديث: (وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه) (133).  
ومنها: ﴿ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١١١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفِتْنَيْنِ ﴿١١٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾ (الصافات: ١٦١ - ١٦٣).

قيل: إضلالهم بما اختاروه من المعاصي، فكذلك هو سبحانه لا يصد عن الخير، ويصرف عنه بالإضلال، إلا من هو كذلك؛ لأن المعنى واحد، ولن تجد لسنة الله تبديلاً (134).  
ومن [سورة] (135) ص:

﴿ إِنَّ كُلُّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ (ص: ١٤)، قدم التكذيب على العقوبة، والإضلال عقوبة.

ومنها: ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ ﴿٢٤﴾ (ص: ٢٤). [فسره] (136) الحاكم (137) [بحديث] (138) صحيح أنه عوقب على عجب (139) وقع [منه] (140) (141).

ومنها: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ (٢٨) ﴿(ص: ٢٨)﴾.

ومنها: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ﴾ (٣٤) ﴿(ص: ٣٤)﴾.

والذي في القرآن من استغفار داود وسليمان يدل على صحة ما في التفسير من ذنبيهما جملة.

ومنها: ﴿قَالَ فِيعَزَّتِكَ لَأَعُوِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (٨٣) ﴿(ص: ٨٢-٨٣)﴾.  
ومن [سورة] (١٤٢) الزمر:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (٣) ﴿(الزمر: ٣)﴾.

ومنها: ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَلَيْسَةِ فَلُوِبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ (٢٢) ﴿(الزمر: ٢٢)﴾.  
وأشار إلى أن ضلالهم وإضلالهم [سبب] (١٤٣) تساوة قلوبهم، وهي من [أمانة] (١٤٤) كسبهم  
وذنوبهم؛ لأنها خلقت حنيفة على الفطرة بالنصوص.

ومنها: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ (٣٦) ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ (٣٧) ﴿(الزمر: ٣٦-٣٧)﴾. فأخرها تعليل لأولها.

ومنها: ﴿أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرْتَنِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّخِرِينَ﴾ (٥٦) ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٥٧) ﴿إلى... إلى...﴾ ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاْفِرِينَ﴾ (٥٨) ﴿(الزمر: ٥٦-٥٩)﴾.

فثبت [أن] (١٤٥) قوله: (لو أن الله هداني) باطل، وأن الله قد هدى الجميع، كما قال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى﴾ (فصلت: ١٧). فلو كان يتبدأهم بالإضلال أو الصد  
عن الحق الذي هو ضد الهدى، ويفعل ذلك من أول مرة في جميع أحوالهم لم يكذب قولهم: ﴿لَوْ أَنَّ  
اللَّهَ هَدَانِي﴾.

فإن قلت: مرادهم الهدى العام.

قلت: ما يصح أن ينكروه.

فإن قلت: فالهدى الخاص منتف عنهم.

قلت: هم أرادوه، لكنه لا يجب، فأجيب عليهم بأن الهدى العام هو الحجة.  
ومن [سورة] (146) المؤمن (147):

﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾ (غافر: ٦).  
ومنها قوله [تعالى] (148): ﴿ وَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ ﴾ ... إلى ... ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴾ (غافر: ٣٤)، ولا شك أن هذا وعيد وتهديد بالإضلال على هذا الذنب العظيم، فلو كان الله يضل ابتداءً من غير ذنب لم يصلح الوعيد والتهديد بذلك على الذنوب؛ فإن أهل الذنوب يقولون حينئذ، وهو -أيضاً-: يضل من لا ذنب له، ويضل من هو مهتد منيب تواب، ثم وصفهم بالجدال في آيات الله بغير سلطان (149) إلى قوله: ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾ (غافر: ٣٥). وهي كالأولى لكن لئلا وصفهم بزيادة العصيان والتكبر وصف إضلاله لهم بالزيادة، فجعله طبعاً على القلوب على حسب الذنوب.

ومنها: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ آيَاتِ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ (٧٣) إلى قوله ... ﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴾ (غافر: ٧٣ - ٧٤). والتوجيه في الحجة كما مر في التي قبلها، ألا ترى إلى قوله بعدها: ﴿ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴾ (غافر: ٧٥). فهل شك أن هذا كلام من هو مختار [للإضلال] (150) سالك به مسالك العذاب والنكال!!

وهل يمكن أن نسلك مثل هذا في إضلال من لا ذنب له أو إضلال المحسنين؟  
ومن سورة السجدة (151):

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ صَاعِقَةً الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (فصلت: ١٧).

ومنها: ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ (فصلت: ١٩)، إلى قوله بعد ذكر كفرهم وأعمالهم:

﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴾ (فصلت: ٢٥).



ومنها: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ (فصلت: ٤٤).  
ومن سورة حم عسق (152):

﴿ وَوَشَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الشورى: ٨). لم ينف عنهم الولي والنصير إلا بعد ظلمهم، ثم ذكر اتخاذهم للأولياء من دونه (153).

ومنها: ﴿ وَمَا تَفْقَرُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الشورى: ١٤). فدل على أن العلم والهدى أول ما بدأهم الله به.  
[ومن] (154) [سورة] (155) الزخرف:

﴿ أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ﴾ (الزخرف: ٥).  
ومنها: ﴿ وَوَلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ..... الآية ﴾ (الزخرف: ٣٣). فيها دلالة على أن الله لا يفعل المفسد في الدين.

ومنها: ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾... إلى... ﴿...﴾ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الزخرف: ٣٦ - ٤٠).  
ومن [سورة] (156) الدخان:

﴿ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الدخان: ١٣ - ١٤)، فرتب امتناع الذكرى عنهم على فعلهم.

ومنها: ﴿ وَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (الدخان: ٣٢). فيها أن اختياره بعلم وحكمة لا مجرد اتفاق.  
ومن [سورة] (157) الجاثية:

﴿ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ ﴿٤٤﴾ ﴾ (الجاثية: ١٧).

ومنها: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَرَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ عَشْرَةَ فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (الجاثية: ٢٣).

ومن [سورة] (158) الأحقاف:

﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ... إِلَى... إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (الأحقاف: ١٠).

ومنها: ﴿ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَه أُفٍّ لَكُمْ... إِلَى... أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمِّمْ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ ﴾ (١٨) وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يَظَاهُونَ ﴾ (١٩) (الأحقاف: ١٧ - ١٩).

ومنها: ﴿ وَلَقَدْ مَكَنَّا لَهُمْ فِيهَا إِنْ مَكَنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْرِءُونَ ﴾ (٢٦) (الأحقاف: ٢٦). [وفيها] (159) ذكر التمكين، وهو معنى التحلية [منها] (160) المنة بالبداية بالهدى [بخلق] (161) الأسماع والأبصار والأفئدة، ولو بدأهم بالإضلال الصاد عن الهدى ما كان للمنة بذلك معنى واضح، وإن عدم انتفاعهم بذلك الهدى بسبب كفرهم.

من سورة محمد [ﷺ] (162):

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴾ (١) ... إِلَى... وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ... إِلَى... أَمْثَلَهُمْ ﴾ (محمد: ١ - ٣).

ومنها: ﴿ وَمَنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ﴾ ... إِلَى... ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (١٦) وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَوَاتَّخَذُوا نِقَابَهُمْ ﴿ (محمد: ١٦ - ١٧).

ومنها: ﴿ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾ ... إِلَى... ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ﴾ (٢٣) أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿ (٢٤) إِنَّ الَّذِينَ أَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ ﴾ (٢٥) (الآيات (محمد: ٢٠ - ٢٥).

والحجة في قوله: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾. وفي ترتيب تسليط الشيطان على بدايتهم بالمعاصي.

ومنها: ﴿وَلَبَلُواكُمْ حَتَّى نَعَاكُمْ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَتَبَلَّوْا أَخْبَارَكُمْ﴾ (محمد: ٣١).

ومنها: ﴿وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى﴾ (محمد: ٣٢).

ومن [سورة] (164) الفتح:

﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرَبُّنَا ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ

وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (الفتح: ١٢). فرتب التزيين على سبقهم بظن السوء.

ومن [سورة] (165) الحشر:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَٰسِقُونَ﴾ (الحشر: ١٩).

فرتب إنساها لهم أنفسهم على تقديمهم لنسيانه ترتيب الجزاء على الأعمال (166)، وتكرر ذلك في القرآن

مشعر بوجوبه.

ومن [سورة] (167) الصف:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تَقُولُونَ لِآلِ الرَّسُولِ إِيَّاكُمْ فَلَمَّا

زَاعُوا أَرْزَاقَ اللَّهِ قُلُوبُهُمْ﴾ (168) وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ (الصف: ٥). (169)

وبعدها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ (الصف: ٧).

ومن [سورة] (170) الجمعة:

﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ

الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَّٰتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ (الجمعة: ٥).

وتكرير هذا مشعر بأنه مجازاة على سابق ظلمهم، فكيف يكون الإضلال سابقاً مع ذلك.

ومن [سورة] (171) المنافقين:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطَحَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾﴾ (المنافقون: ٣). فالطبع

هو الإضلال، وقد رتبته على سابق كفرهم بعد إيمانهم، وبعدها: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ

أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾﴾ (المنافقون: ٦).

ومن [سورة] (172) الطلاق:

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتِيهَا ﴾ (الطلاق: ٧). فمن لم يؤته الله الهدى في أول مرة، وسلبه هداة [وصده] (173) وأضله عنه كيف يوجهه عليه، ويطلبه منه ويكلفه به؟

ومن [سورة] (174) التحريم:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا أَيَّامًا نَحْنُ نَحْزُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (التحريم: ٧). فهي تدل على أن كل عذر لهم فهو باطل، فلو كان الإضلال لهم سابقاً كان من أعتذارهم، وكان حقاً فيلزم في الشيء أن يكون حقاً باطلاً.

ومن سورة تبارك (175):

﴿ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّتًا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مَنِ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ (الملك: ٢٩). فالضلال المبين: هو الذي لا حجة لهم فيه ولا شبهة.

ومن [سورة] (177) ن (178):

قصة أصحاب الجنة (179)، وقول أوسطهم: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم: ٢٨-٣٣)، وفيها تعريف أن مصائب الدنيا والآخرة جزاء على الذنوب، ولا شك أن الإضلال عن الدين والإيمان وجميع الخيرات هو أعظم المصائب.

ومنها: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (القلم: ٤٤). فرتب الاستدراج على تقديم تكذيبهم، والاستدراج: هو الإضلال. فلو كان الإضلال جائزاً على غير سبب ولا ذنب لم يصلح تخصيص المكذبين والمستخفين بالوعيد والتهديد بذلك؛ حيث قال: ﴿ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ ﴾ (القلم: ٤٤).

ومن [سورة] (180) المدثر:

﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (المدثر: ٣١)، فرتب إضلاله لهم على قولهم: ﴿ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ﴾،

وعلى كفرهم ومرض قلوبهم، وهم الذين [أراد] <sup>(181)</sup> أن يضل كما بيّنه في آية البقرة في ضرب المثل بالبعوضة <sup>(182)</sup>، وإنما أجمعهم لبيان قدرته على هداية الجميع، والإشارة إلى حكمته في خلق أهل الشقاء.

ومن [سورة] <sup>(183)</sup> الدهر <sup>(184)</sup>:

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣ ﴾ (الإنسان: ٣)، وهذا نص في موضع النزاع، فإن القول بأن الكافر ما زال في إضلال الله [تعالى] <sup>(185)</sup> في الابتداء والانتها، وما بين ذلك تناقض النص على هدايته لإقامة الحجة عليه، ومتى حملنا الهداية على وقت البداية، والإضلال على سبيل المجازاة بعد العصيان واختيار الغواية كان جمعًا صحيحًا؛ قد نبه عليه القرآن والسنة في خلق الخلق على الفطرة حنفاء حتى اجتالتهم الشياطين <sup>(186)</sup>، واختاروا طاعتها على طاعة ربهم، رب العالمين.

ومنها: ﴿ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١ ﴾ (الإنسان: ٣١). فيها أنه إنما لم يدخلهم في رحمته لظلمهم، وذلك يقتضي سبق الظلم منهم؛ لأن سببه أن لا يجازى بالمعلوم في الغيب، بل بالواقع في الشهادة.

ومن [سورة] <sup>(187)</sup> عبس:

﴿ تَرَى السَّبِيلَ يَسْرُهُ ۝٢٠ ﴾ (عبس: ٢٠)، وهي كما تقدم، وإن كانت جملة فالأولى تفسيرها.

ومن سورة البلد:

﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ (البلد: ٨ - ١٠). وهي كما تقدم.

فإن قيل: كيف [سمي] <sup>(188)</sup> تعريفه النجدين هداية، وأحدهما طريق الشر، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ ﴾ (الشمس: ٨)؟

قلت: لأنه عرفه الشر؛ ليحذره ويجتنبه [أن] <sup>(189)</sup> يكون حجة على مرتكبه، وهي مثل قوله في تبارك: ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٢٣ ﴾ (الملك: ٢٣).

ومن [سورة] (190) الشمس:

﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۗ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۗ ﴾  
(الشمس: ٨ - ١٠). وهي كما تقدم، فإنه لو ابتداءً بالإضلال لم يلهم التقوى في الابتداء كل أحد، وإنما سوّى بينهم في إقامة الحجة؛ ليحصل مراده من ابتلاهم أيهم أحسن عملاً.

ومن [سورة] (191) الليل:

﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ۗ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ۗ فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى ۗ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۗ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۗ فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى ۗ ﴾ (الليل: ٥ - ١٠). وهي من أبين الآيات في ذلك، وهي محكمة؛ لأنه صح أن رسول الله - ﷺ - احتج بها في أحاديث الأقدار (192)، ومنها قوله بعدها: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى ۗ ﴾ (الليل: ١٢)، وهذه صيغة إيجاب مؤكدة بمؤكدين (193)، وذلك [لا ينكر] (194) من كتب على نفسه الرحمة (195).

ومن [سورة] (196) البينة:

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۗ ﴾ (البينة: ٤). فإن فيها تقدم البينة لا الإضلال.

ومن [سورة] (197) العاديات:

﴿ إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ ۗ ﴾ (العاديات: ١١). فلو علم الله أن صاحب المعصية ما عصى إلا بإضلاله لكان في خيrote بذلك عذر حق له.

انتهى ما ذكرت في ذلك، عن الآيات الكريمة بحمد الله ونعمه الجسيمة، فله الحمد أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه حتى يرضى.

وكان الفراغ من رقمها ضحى يوم الخميس (28) شهر شعبان الكريم، سنة (1035) من هجرته صلى الله عليه وآله وسلم / (198).

الخاتمة، وفيها أهم النتائج:

الحمد لله أولاً وأخيراً، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

فقد ظهر لي بعد دراسة وتحقيق هذه الرسالة العلمية القيمة للعلامة محمد بن إبراهيم الوزير اليماني

- رحمه الله تعالى - أن أسجل النتائج التالية:

أولاً: أن صاحب هذه الرسالة من مشاهير علماء اليمن؛ لما عرف به من كتاباته المحققة، وعقيدته السليمة، وجهوده في الدفاع عن كتاب الله وسنة نبيه محمد ﷺ.

ثانياً: أن العلامة ابن الوزير تناول في رسالته هذه آية أشكل فهمها، فتناولها بالدراسة والتحقيق، فأوضح المشكل، وبين الحق.

ثالثاً: سلك الإمام ابن الوزير في رسالته هذه منهج تفسير القرآن بالقرآن.

هذا ما يسر الله -تعالى- الوقوف عليه وبيانه في هذه الدراسة، والحمد لله على تيسيره، وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين.

### الهوامش والإحالات:

(1) أفدت في ترجمته من المصادر التالية:

محمد بن عبد الله الوزير، ترجمة الإمام الحافظ محمد بن إبراهيم الوزير -خ-، ص1، أحمد بن عبد الله الوزير، تاريخ بني الوزير -خ-، ص74، أحمد بن عبد الله الجنداري، الجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز -خ-، ص194، محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار مكتبة الحياة - بيروت، (6/272)، أحمد بن صالح ابن أبي الرجال، مطلع البدور ومجمع البحور، ت: عبد الرقيب حجر، مركز أهل البيت للدراسات والبحوث، صعدة، ط: الأولى، 1425هـ - 2004م، (4/138)، عبد الوهاب البريبي السكسكي، طبقات صلحاء اليمن (المعروف بتاريخ البريبي)، ت: عبد الله محمد الحبشي، مكتبة الإرشاد - صنعاء - 1414هـ / 1994م، ص19، إبراهيم بن القاسم الشهاري، طبقات الزيدية الكبرى، ت: عبد السلام الوجيه، مؤسسة الإمام زيد بن علي الثقافية - الأردن، ط: الأولى، 1421هـ - 2001م، (2/896)، محمد بن علي الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار المعرفة - بيروت، (2/82)، عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي - بيروت، (8/210)، خير الدين الزركلي، الأعلام، دار الملايين - بيروت، ط: الخامسة، 1980م، (5/300)، إسماعيل بن علي الأكوغ، أعلام اليمن المجتهدون (الإمام محمد بن إبراهيم الوزير وكتابه العواصم والقواصم)، دار ابن حزم - بيروت، ط: الأولى، 1418هـ - 1997م، ص10.

(2) هجرة الظهراوين: قال القاضي إسماعيل الأكوغ: "كانت هجرة عامرة، وقد أتى عليها الخراب، ولم يبق إلا بيتان مسكونان فقط ومسجدها، وبجوارها قبة صغيرة على قبر، وكانت تدعى (هجرة شظب). وتبعد هذه الهجرة عن صنعاء شمال غرب بنحو (100 كم)، وبضعة كيلو مترات، ومن مدينة عمران بنحو (58 كم)، وكانت هذه



- الهجرة مزدهرة بالعلماء والفقهاء. ينظر: إسماعيل بن علي الأكوغ، هجر العلم ومعاقله في اليمن، دار الفكر المعاصرة، بيروت، ط: الأولى، 1416هـ-1995م، (3/1339).
- (3) ينظر: تاريخ بني الوزير-خ-، ص 89، الجامع الوجيز-خ-، ص 214، عبد الواسع بن يحيى الواسعي، تاريخ اليمن (المسمى فرجة المهموم والحزن)، المطبعة السلفية، القاهرة، 1346هـ، ص 211.
- (4) أعلام اليمن المجتهدون، ص 15، مرجع سابق.
- (5) التوقل: الإسراع في الصعود. محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر - بيروت، ط: الثالثة-1414هـ، (11/733).
- (6) محمد بن إبراهيم الوزير، الروض الباسم في الذبِّ عن سُنَّةِ أبي القاسم، ت: علي العمران، دار عالم الفوائد، (4/1).
- (7) محمد بن إبراهيم الوزير، العواصم والقواصم في الذبِّ عن سُنَّةِ أبي القاسم، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، 1412هـ / 1992م، ط: الثانية، (1/201).
- (8) إسماعيل بن علي الأكوغ، الزيدية نشأتها ومعتقداتها، دار الفكر - دمشق سورية، ط: الثالثة، 1418هـ / 1997م، ص 37.
- (9) مطلع البدور ومجمع البحور، (4/138)، مرجع سابق.
- (10) تاريخ بني الوزير -خ-، ص 74.
- (11) البدر الطالع، (2/81، 82).
- (12) أعلام اليمن المجتهدون، ص 67.
- (13) وهي الرسالة التي يقوم الباحث بتحقيقها.
- (14) تاريخ بني الوزير-خ-، ص 75.
- (15) ترجمة الإمام محمد بن إبراهيم -خ-، (16/ب).
- (16) البدر الطالع، (2/90).
- (17) ينظر: تاريخ بني الوزير-خ-، ص 89، الجامع الوجيز-خ-، ص 214، تاريخ اليمن (المسمى فرجة المهموم والحزن)، ص 211).
- (18) ينظر: مقدمة كتاب العواصم والقواصم، لابن الوزير، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (9/1)، ومقدمة كتاب الروض الباسم، لابن الوزير، تحقيق: علي العمران، (10/1)، ومقدمة كتاب ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، تحقيق: جمال هاجر، كلية التربية، جامعة ذمار، 2008، ص 36، وغيرهم.
- (19) مطلع البدور، (4/153).

20) مثل عربي، ينظر: أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة - بيروت، لبنان، (1/88).

21) مطلع البدور ومجمع البحور، (4/153).

22) عنوانها: <http://wqf.me>

23) ساقطة من (ب).

24) تمام الآية: ﴿ أَفَمَنْ رُزِنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (فاطر: ٨).

25) زيادة من (ب).

26) الختم: مصدرٌ ختمت الشيء، ومعناها: التغطية على الشيء والاستيثاق منه حتى لا يدخله شيء. محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، ط: الأولى - 1414 هـ، (1/46).

27) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ يُخْلِعونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخْلَعُونَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة: ٩).

28) ساقطة من (ب).

29) مثل، قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٦٤)، وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (آل عمران: ٨٦)، وقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة: ٥١).

30) وردت في سورة التوبة في خمسة مواضع، منها: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

التوبة: ١٩)، وقوله: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفٰلسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤)، ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ (التوبة: ٣٧).

31) [هداه] في (ب).

32) القاعدة الأصولية، تقول: إن الخاص مقدم على العام عند التعارض. ينظر: أحمد بن إدريس القرافي، أنوار البروق في أنواع الفروق، عالم الكتب، (3/287)، عياض بن نامي السلمي، أصول الفقه الذي لا يسعُ الفقيه جهله، دار التدمرية، الرياض، السعودية، ط: الأولى، 1426 هـ - 2005 م، ص 14.

33) قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "يعني بالراسخين في العلم: العلماء الذين قد أتقنوا علمهم ووعوه، فحفظوه حفظاً لا يدخلهم في معرفتهم وعلمهم بها علموه شك ولا لبس". محمد بن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط: الأولى، 1422 هـ - 2001 م، (223/5).

- 34 الزَيْغُ: الميل عن الاستقامة. الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية- دمشق بيروت، ط: الأولى - 1412هـ، ص 387.
- 35 كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ - قَالَ: (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون). محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، ت: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط: الثانية، 1395 هـ - 1975 م، برقم، (2499)، (4/659)، أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، ت: شعيب الأرنؤوط- عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1421 هـ - 2001 م، برقم، (13049)، (20/344)، والحديث حسن، كما قال الشيخ الألباني. ينظر: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، مشكاة المصابيح، ت: محمد بن ناصر الألباني، المكتب الإسلامي- بيروت، ط: الثالثة، 1985 م، برقم، (2341)، (2/1411).
- 36 زيادة من (ب).
- 37 زيادة من الحاشية، النسخة الأصل.
- 38 قال الحرالي: "ولما كان الأمر اللدني ليس مما في فطر الخلق وجبلاتهم وإقامة حكمتهم، وإنما هو موهبة من الله- ﴿ بحسب العناية ختم بقوله: {إنك أنت الوهاب}، وهي صيغة مبالغة من الوهب والهبة، وهي العطية سباحاً من غير قصد من الموهوب. إبراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (4/251).
- 39 [من لا يستحق] في (ب).
- 40 [لقوله] في (ب).
- 41 ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).
- 42 زيادة من الحاشية، النسخة الأصل.
- 43 يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَرَحِمْتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكُفُّهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ (الأعراف: ١٥٦).
- 44 [بالتنخبط] في (ب).
- 45 زيادة من (ب).
- 46 زيادة من المحقق.
- 47 ذكر المؤلف -هنا- من سورة الأنعام، والصحيح أنها من سورة الأعراف كما أثبتناه.
- 48 في الأصل [لهم]، وما أثبتناه من (ب).
- 49 قال ابن عاشور: "وقوله: (بغير الحق)، زيادة لتشجيع التكبر بذكر ما هو صفة لازمة له، وهو مغايرة الحق، أي: باطل، وهي حال لازمة للتكبر، كاشفة لوصفه، إذ التكبر لا يكون بحق في جانب الخلق، وإنما هو وصف

لله بحق؛ لأنه العظيم على كل موجود، وليس تكبر الله بمقصود أن يجترز عنه هنا حتى يجعل القيد بغير الحق للاحتراز عنه". محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م، (105/9).

- (50) زيادة من (ب).
- (51) قال الشوكاني: "(فَسُنِّيَتْهُ لِلسُّرَى) أَي: فسنيته للخصلة العسرى، ونسبها له حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ويضعف عن فعلها فيؤديه ذلك إلى النار". فتح القدير، (5/551).
- (52) لم يذكر اسم السورة، وهي زيادة من المحقق.
- (53) كتب: (ومنها)، أي من سورة الأعراف، والصحيح ما أثبتناه أنها من سورة الأنفال.
- (54) زيادة من المحقق.
- (55) سميت السورة بأسماء كثيرة، منها ما ذكره المؤلف (براءة)، وهناك أسماء أخرى: ينظر: د. محمد الشايغ، أسماء سور القرآن، دار كنوز أشبيلية، السعودية، ط: الأولى، 1432هـ / 2011م، ص 67.
- (56) زيادة من المحقق.
- (57) اجتالهم عن دينهم: أي أزالتهم، مأخوذ من الجولان، وَهُوَ الزَّوَالُ عَنِ الْمَسْتَقْرِ. محمد بن فتوح الميورقي الحميدي، تفسير غريب ما في الصحيحين، ت: زبيدة عبد العزيز، مكتبة السنة - القاهرة - مصر، ط: الأولى، 1415 - 1995م، ص 498.
- (58) الحديث في صحيح مسلم، برقم، (2865)، (4/2197).
- (59) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).
- (60) الحديث في صحيح البخاري، برقم، (1385)، (2/100)، صحيح مسلم، (2658)، (4/2047).
- (61) في المخطوط [هم]، والصواب ما أثبتناه.
- (62) [للابتداء] في الأصل، وما أثبتناه من (ب).
- (63) زيادة من (ب).
- (64) فِرْعَوْنُ: لقب يطلق على كل من ملك مصر في التاريخ القديم، وَأَصْلُهُ بِاللُّغَةِ الْمِصْرِيَّةِ الْقَدِيمَةِ "برعو" وَمَعْنَاهُ: الْبَيْتُ الْعَظِيمُ، وَذَكَرَ ابْنُ الْأَثِيرِ أَنَّ اسْمَهُ الْوَلِيدُ بْنُ مُصْعَبٍ، وَفِرْعَوْنُ لِقَبِ كُلِّ عَادٍ وَمَتَجَبِرٍ، وَاشْتَهَرَ فِرْعَوْنُ مُوسَى بِتِهَادِيهِ فِي طُغْيَانٍ وَإِنْرَالِهِ الْحُسْفُفِ وَالْهَوَانِ بِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ، فَعَاقَبَهُ اللَّهُ وَأَهْلَكَه بِالْعَرَقِ هُوَ وَجُنُودِهِ. ينظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1417هـ / 1997م، (1/150)، محمد بن محمد، الملقب بمرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، ت: مجموعة من المحققين، دار الهداية، (35/506)، د. صلاح الخالدي، الأعلام الأعجمية في القرآن، دار القلم، دمشق، ص 117.

65 عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (لَمَّا أَعْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ، قَالَ: {آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ} [يونس: 90] " فَقَالَ جِرِيرٌ: يَا مُحَمَّدُ فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَخُذُ مِنْ حَالِ الْبَحْرِ فَأَدُسُّهُ فِي فِيهِ مَخَافَةً أَنْ تُدْرِكَهُ الرَّحْمَةُ). سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، المعجم الكبير، ت: حمدي السلفي، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط: الثانية، برقم، (12932)، (12/216)، سنن الترمذي، برقم، (3107)، (5/287). وقال الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصغير، برقم، (5206)، (2/924).

66 زيادة من (ب).

67 فالرسول ﷺ - بعثه الله داعياً ومبلغاً ولا يملك من الهداية شيئاً سوى هداية الدلالة والبيان، وخلق الله إبليس مزيناً ومغويماً، وليس له القدرة على إضلال أحد من البشر إذ الهدى والضلال بيده سبحانه. ناصر بن علي الشيخ، مباحث العقيدة في سورة الزمر، مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، 1415هـ/1995م، ص538.

68 زيادة من المحقق.

69 زيادة من (ب).

70 زيادة من المحقق.

71 في المخطوط (علمم)، وهي ساقطة من (ب).

72 ساقطة من (ب).

73 قال ابن جرير الطبري: "الحكيم) الذي لا يدخل تديره خلل ولا زلل". وقال: "حكيم فيما قضى بين عباده من قضاياه". جامع البيان، (3/578).

74 [تأكيد] في (ب).

75 أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي، صاحب معالم التنزيل، وشرح السنة، والتنزيه، والمصابيح، وغير ذلك، ولد سنة 436هـ، وتوفي سنة 510هـ. ينظر: محمد بن أحمد الذهبي، تذكرة الحفاظ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، (4/37)، عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، طبقات الشافعية، ت: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة، ط: الثانية، 1413هـ، (7/75)، شمس الدين الداوودي المالكي، طبقات المفسرين، دار الكتب العلمية - بيروت، (1/161).

76 الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل، ت: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي/بيروت، ط: الأولى، 1420هـ، (4/351).

77 من تلك الأحاديث، حديث: عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال أخبر رسول الله ﷺ - أني أقول والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت، فقال له رسول الله ﷺ - : (أنت الذي تقول والله لأصومن النهار، ولأقومن الليل ما عشت؟ قلت: قد قلته، قال: إنك لا تستطيع ذلك فصم وأفطر، وقم ونم، وصم من الشهر

ثلاثة أيام؛ فإن الحسنه بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر). صحيح البخاري، برقم، (3418)، (8/517).  
وحدیث: أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (كُلُّ عَمَلٍ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ، بِعَشْرِ  
أَمْثَلِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةٍ ضِعْفٍ). مسند الإمام أحمد، برقم، (9714)، (15/445).

78) منها، حدیث: (قلت: يا رسول الله فبم نجازي من سيئاتنا وحسناتنا؟ قال: الحسنه بعشر أمثالها، والسيئة  
بمثلها أو تغفر). محمد بن عبد الله النيسابوري، أبو عبد الله الحاكم، المستدرک على الصحيحين، ت: مصطفى  
عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، 1411 - 1990، برقم، (8683)، (4/560).

79) زيادة من المحقق.

80) زيادة من (ب).

81) ساقطة من (ب).

82) ساقطة من (ب).

83) [وفيها] من (ب).

84) زيادة من المحقق.

85) ساقطة من (ب).

86) يشير إلى حدیث: رَبِيعِ بْنِ حِرَاشٍ وَحُدَيْفَةَ - رضي الله عنهما - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (أضل الله عن  
الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة  
فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم  
القيامة المقضي لهم قبل الخلائق). صحيح مسلم، برقم، (2019)، (7/3).

87) ساقطة من (ب).

88) زيادة من المحقق.

89) زيادة من المحقق.

90) ساقطة من (ب).

91) زيادة من المحقق.

92) ﴿يُنزِلُ الْمَلَكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ (النحل: 2). ذكرها بعد هذه  
الآية، وليست منها.

93) زيادة من المحقق.

94) زيادة من المحقق.

95) يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعَمُنِي وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي  
ثُمَّ يُحْيِينِي ﴿٨١﴾﴾ (الشعراء: 79 - 81).

96) يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾ (آل عمران: ٥٤).

97) زيادة من المحقق.

98) [لا تخصيص] في (ب).

99) زيادة من المحقق.

100) [إسلامه] في (ب).

101) زيادة من المحقق.

102) [سنة] في الأصل، وما أثبتناه من (ب).

103) [إضلاله] في (ب).

104) زيادة من (ب).

105) الحديث عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه

أو يمجسانه). رواه البخاري، برقم، (1359)، (341/4)، مسلم، برقم، (6926)، (52/8).

106) اجْتَأَلْتَهُمْ: أي استخففتهم فَذَهَبَتْ بِهِمْ وساقتهنهم إِلَى مَا أَرَادُوهُ مِنْهُنَّ، وجالوا مَعَهُمْ فِي الضَّلَالَةِ. ينظر: عياض بن

موسى المالكي، مشارق الأنوار، المكتبة العتيقة ودار التراث، (165/1)، المبارك بن محمد الجزري، النهاية في

غريب الحديث، ت: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت - 1399 هـ -

1979 م، (317/1).

107) نص الحديث: عن عياض بن حمار المجاشعي، أن رسول الله ﷺ - قال ذات يوم في خطبته: (ألا إن ربي أمرني

أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني يومي هذا، كل مال نحلته عبدا حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم

أتهم الشياطين فاجتالتهن عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به

سلطانا). صحيح مسلم، برقم، (7386)، (158/8).

108) [والجواب] في (ب).

109) علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين، أبو الحسن: رابع الخلفاء الراشدين، وأحد

العشرة المبشرين، وابن عم النبي -رضي الله عنه- وصهره، من أكابر الخطباء والعلماء بالقضاء. ولد بمكة سنة، (23

ق/هـ)، ورُيِّ في حجر النبي -رضي الله عنه- قتل في رمضان بالكوفة سنة (40هـ). ينظر: محمد بن إسماعيل البخاري،

التاريخ الكبير، ت: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن، (259/6)، مسلم بن

الحجاج النيسابوري، الكنى والأسماء، ت: عبد الرحيم القشقرى، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، السعودية،

ط: الأولى، 1404 هـ/ 1984 م، (213/1)، الأعلام، (295/4).

110) عز الدين بن هبة الله بن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ت: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية،

بيروت/ لبنان، ط: الأولى، 1418 هـ- 1998 م، (843/1).



- (111) [لا يعدل] في الأصل، وما أثبتناه من (ب).
- (112) الوشم في اليد: أن يغرز كف المرأة ومعصمها بإبرة ثم بكحل فيخضر. عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، غريب الحديث، ت: د. عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط: الأولى، 1405 - 1985، (2/469).
- (113) ساقطة من (ب).
- (114) قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ -رضي الله عنه-: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْيَاتِ وَالْمُسْتَوْشِيَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى). صحيح البخاري، برقم، (4886)، (12/187)، صحيح مسلم، برقم، (2125)، (3/1678).
- (115) يشير إلى حديث عليٍّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمُعْتَوِرِ، - أَوْ قَالَ: الْمُجُنُونِ - حَتَّى يَعْقِلَ، وَعَنِ الصَّغِيرِ حَتَّى يَكْبُرَ). مسند الإمام أحمد، برقم، (956)، (2/266)، سنن أبي داود، برقم، (4400)، (4/243)، سنن النسائي، برقم، (3432)، (6/156)، سنن ابن ماجه، برقم، (2041)، (1/658). قال الشيخ الألباني: صحيح. ينظر: صحيح الجامع الصحيح، برقم، (5825)، (1/659).
- (116) زيادة من المحقق.
- (117) قال الناسخ في الحاشية، النسخة الأصل: هذه ليست سورة الجزز، بل هي سورة السجدة. قلت: وهو الصحيح؛ لأنه لا يوجد من سهاها بهذا الاسم في من ألف في أسماء سور القرآن، ينظر: أسماء سور القرآن، د. محمد الشايع، ص 108، د. منيرة الدوسري، أسماء سورة القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، السعودية، الدمام، ط: الأولى، 1426 هـ، ص 309.
- (118) ساقطة من (ب).
- (119) زيادة من (ب).
- (120) زيادة من (ب).
- (121) زيادة من المحقق.
- (122) ذكرها المؤلف مع الآيات التي وردت في سورة السجدة قبلها، والصحيح أنها من سورة سبأ كما أثبتناه.
- (123) ساقط من (ب).
- (124) ساقطة من المخطوط.
- (125) [وهي] في (ب).
- (126) ذكر المؤلف هاتين الآيتين في سورة سبأ، وصوابه أنها من سورة فاطر وسورة النمل، وهو ما استدركه الناسخ في الحاشية حيث قال: هذه الآية -أيضاً- والتي بعدها ليست من سبأ، وإنما هي من فاطر كما في المصحف.

(127) ساقطة من (ب).

(128) زيادة من (ب).

(129) ساقطة من (ب).

(130) سبق تخريجه.

(131) زيادة من المحقق.

(132) [لا يقال] في نسخة (ب).

(133) سبق تخريجه.

(134) جزء من آية، نصها كاملة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ

اللَّهِ (الأحزاب: 62).

(135) ساقط من (ب).

(136) [فسره] في (ب).

(137) محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم النيسابوري، الشهير بأبي عبد الله الحاكم: من أكبر حفاظ الحديث

والمصنفين فيه. مولده بنيسابور، سنة (321هـ) ووفاته بها سنة، (405هـ) صنف كتباً كثيرة، منها: تاريخ

نيسابور، والمستدرک على الصحيحین، ومعرفة علوم الحديث. ينظر: أحمد بن محمد بن خلکان، وفيات الأعيان

وأبناء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر-بيروت، (4/280)، صلاح الدين الصفدي، الوافي

بالوفيات، ت: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث-بيروت، 1420هـ- 2000م،

(3/260).

(138) [لحديث] في (ب).

(139) العجب: هو عبارة عن تصور استحقال الشخص رتبة لا يكون مستحقاً لها. التعريفات، ص 147.

(140) [معه] في (ب).

(141) نص الحديث: عن ابن عباس -رضي الله عنهما، قال: "ما أصاب داود ما أصابه بعد القدر إلا من عجب عجب

به من نفسه، وذلك أنه قال: يا رب ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا وعابد من آل داود يعبدك يصلي لك، أو

يسبح، أو يكبر وذكر أشياء، فكره الله ذلك فقال: «يا داود إن ذلك لم يكن إلا بي فلولا عوني ما قويت عليه،

وجلالى لأكلنك إلى نفسك يوماً» قال: يا رب فأخبرني به فأصابتها الفتنة ذلك اليوم". المستدرک على الصحيحین،

برقم، (3620)، (2/470).

(142) زيادة من (ب).

(143) [بسبب] في (ب).

(144) [آيات] في (ب).

(145) زيادة في (ب).

(146) زيادة من الحاشية، النسخة الأصل، وهي ساقطة من (ب).

(147) من أسماء سورة غافر المشتهرة، وقد عنونت بهذا الاسم في كثير من مصاحف الشرق والغرب، كما ذكرت ذلك د. منيرة الدوسري في كتابها (أسماء سور القرآن وفضائلها)، ص 347.

(148) ساقطة من (ب).

(149) يشير إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾ (غافر: ٣٥).

(150) [بالإضلال] في (ب).

(151) هو أحد أسماء سورة فصلت التي عنونت بها السورة في بعض المصاحف. ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 358.

(152) من أسماء سورة الشورى التي وردت في كلام النبي ﷺ - وأصحابه رضوان الله عليهم أجمعين. ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 364.

(153) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَأَلَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾ (الشورى: ٩).

(154) ساقطة من (ب).

(155) زيادة من المحقق.

(156) زيادة من المحقق.

(157) زيادة من المحقق.

(158) زيادة من المحقق.

(159) زيادة من (ب).

(160) [وفيها] في (ب).

(161) [فخلق] في (ب).

(162) في المخطوط: صللم.

(163) ما بين المعقوفتين ساقط من (ب).

(164) زيادة من المحقق.

(165) زيادة من المحقق.

166) قال ابن تيمية رحمه الله: "يقتضي أن نسيان الله كان سببا لنسيانهم أنفسهم، وإنهم لما نسوا الله عاقبهم بأن أنساهم أنفسهم". ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ت: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، المدينة النبوية، السعودية، 1416هـ/ 1995م، (16/ 348).

167) زيادة من المحقق.

168) [إلى] في (ب).

169) قال الناسخ في الحاشية، النسخة الأصل: بياض من الأم المنسوخ منها.

170) زيادة من المحقق.

171) زيادة من المحقق.

172) زيادة من المحقق.

173) ساقطة من (ب).

174) زيادة من المحقق.

175) من أسماء سورة الملك، وقد بعض المفسرين والعلماء بهذا الاسم. ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 464.

176) [إلى] في (ب).

177) ساقطة من (ب).

178) من أسماء سورة القلم، وقد عنونت بها بعض المصاحف، وكذلك ذكرها بعض المفسرين. ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 474.

179) التي ذكر المولى - عز وجل - قصتها في سورة القلم، قال تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ...﴾ (القلم: 17 - 32).

180) زيادة من المحقق.

181) ساقطة من (ب).

182) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا...﴾ (البقرة: 26).

183) زيادة من المحقق.

184) من أسماء سورة الإنسان، وقد وقعت هذه التسمية في بعض المصاحف، وعنون لها بهذا الاسم بعض المفسرين. ينظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، ص 500.

185) زيادة من (ب).

186) سبق تخريج الحديث.

187) زيادة من المحقق.

(188) ساقطة من (ب).

(189) [أو] في الأصل، وما أثبتناه من (ب).

(190) زيادة من المحقق.

(191) زيادة من المحقق.

(192) قال ابن الوزير رحمه الله: "وقد تقصيت ما ورد في ذلك فبلغت أحاديث الأقدار وثبوتها مائة حديث وخمسة وخمسين حديثاً، وأحاديث وجوب اعتقاد ذلك اثنين وسبعين حديثاً صار الجميع مائتي حديث وسبعة وعشرين حديثاً من غير الآيات القرآنية". محمد بن إبراهيم الوزير، إثبات الحق على الخلق، دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الثانية، 1987م، ص 251.

(193) المؤكدان: إن واللام.

(194) [لا يستنكر] في (ب).

(195) يشير إلى قوله تعالى: ﴿قُلْ لِمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفْرًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٢).

(196) زيادة من المحقق.

(197) زيادة من المحقق.

(198) في نسخة (ب) [قال مولانا عز الدين عادت بركاته: انتهى ما أردت في ذلك، والحمد لله رب العالمين، وكان الفراغ من تحصيله سادس شهر محرم، غرة سنة ثمان وعشرين ومائة وألف (1128)، بخط الفقير إلى الله - تعالى - محمد بن عثمان بن علي بن محمد، وفق لصالح الأعمال، وصلى الله على سيدنا محمد وآله خير آل].



## صنعاء في السنة النبوية

د. طه أحمد على الكبسى \*

الملخص :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الكريم أما بعد؛ فإن اليمن من البلدان الإسلامية العريقة التي حظيت باهتمام كبير من رسولنا ﷺ وعلى وجه الخصوص مدينة صنعاء، فقد ورد في فضلها أحاديث عدة جمعتها في هذا البحث، وقد احتوى هذا البحث من خلال المقدمة والأحاديث على الآتي :

- 1- إن مدينة صنعاء من أعظم المدن اليمنية وأقدمها تاريخاً .
- 2- إن الصحابة رضي الله عنهم أوذوا في الله أذى شديداً .
- 3- تمكن الله سبحانه وتعالى للدين الإسلامي وانتشار الأمن حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه .
- 4- ظهر في زمن النبي ﷺ كذابان أدعى كل منهما النبوة ثم أهلكهما الله عز وجل .
- 5- إن الله سيعطي نبيه ﷺ حوضاً طوله ما بين صنعاء إلى حضرموت .
- 6- المسجد الكبير بصنعاء بني بأمر النبي ﷺ وحدد اتجاه القبلة تحديداً دقيقاً، وفي هذا عَلم من أعلام النبوة .
- 7- بشارة النبي ﷺ للصحابة - رضي الله عنهم - بفتح الشام وفارس واليمن ، وقد حقق الله ﷻ لهم هذه البشارات .

\* أستاذ السيرة النبوية المساعد، كلية التربية، جامعة ذمار.

## المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، أما بعد.

فإن للبلدان فضائل ومزايا ذكرت في الكتاب والسنة، ومن هذه البلدان التي اختصت بفضائل كثيرة اليمن وبلدانها وأهلها، فقد جاء في المستدرک عن عياض الأشعري قال: لما نزلت {فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: 54] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هم قومك يا أبا موسى" وأوماً رسول الله ﷺ بيده إلى أبي موسى الأشعري<sup>(1)</sup>. ومن الأحاديث: "والإيمان يمان، والحكمة يمانية"<sup>(2)</sup>. وهناك أحاديث كثيرة في ذلك، وقد قمت في هذا البحث بجمع الأحاديث التي ذكر فيها أهم المدن اليمنية وهي صنعاء ودراستها.

قال الكرمانى<sup>(3)</sup>: وصنعاء - بفتح الصاد المهملة وسكون النون وبالمد - قاعدة اليمن ومدينته العظمى<sup>(4)</sup>، قال ياقوت<sup>(5)</sup>: صنعاء اليمن أعظم مدنها وأجلها، تشبه دمشق في كثرة البساتين والمياه<sup>(6)</sup>. وصنعاء عاصمة اليمن وأكبر مدنها وأقدمها تاريخاً، حتى يقال أن سام بن نوح هو أول من اختطها، ولهذا تسمى مدينة سام، كما تسمى مدينة آزال نسبة إلى آزال بن قحطان. وقد كانت أحد مراكز السبئيين والحميريين، ولكنها لم تستعمل عاصمة إلا منذ القرن السادس الميلادي، إذ جعلها إبرهة الحبشي مركزاً له، وبنى فيها كنيسته المعروفة بـ(القليس) الواقعة خرائبها في أعلا سوق الملح بجوار قصر غمدان.

ترتفع مدينة صنعاء عن سطح البحر بنحو 7800 قدم، وهي وسط وإد فسيح تحيط به الجبال العالية، فمن جهة الشرق تتصل بجبل (نقم)، ومن الغرب تتصل بجبلي (عَصْر) و(عَيَّان)، وكان يحيط بالمدينة سور ضخيم ترجع أقدم أجزائه إلى أيام الأيوبيين، وما زالت معالمه موجودة، وكان للسور عشرة أبواب، باب اليمن، وباب سِتْرَان، وباب شُعُوب، وباب الشَّقَادِيْف، وباب الرُّوم، باب القاع، وباب البلقة، وباب حُزَيْمَة، وباب شرارة، وباب السَّبْحَة، وقد أخرجت معظمها بسبب التوسع العمراني الذي شهدته مدينة صنعاء في الأربعين عاماً الأخيرة<sup>(7)</sup>. ولأجل مكانة مدينة صنعاء



وارتباطها بالحديث النبوي فقد رأيت أن أكتب هذا البحث عن ذلك وجعلت عنوانه " صنعاء في السنة النبوية " .

### أهمية الموضوع

- 1- تُعد مدينة صنعاء من المدن التاريخية القديمة ولها تاريخ عريق.
- 2- اهتمام المسلمين بهذه المدينة العريقة بإرسال النبي ﷺ الصحابة إليها، ونشر الإسلام فيها وبناء المسجد فيها.

### أسباب اختيار الموضوع

- 1- هذا الموضوع لم يسبق إلى البحث فيه - حسب علمي - .
- 2- نظرا إلى أهمية هذه المدينة أحببت أن أجمع الأحاديث الواردة فيها، وإبراز فضيلة هذه المدينة وما اختصت به.

### منهج البحث

- 1- اتبعت المنهج الاستقرائي في البحث، فقد جمعت الأحاديث المتعلقة بالموضوع، والمنهج النقدي من خلال دراسة الأحاديث ونقد أسانيدھا وتقويتھا، وكذلك المنهج الاستنباطي في استخراج الفوائد من الأحاديث.
- 2- ذكرت نص الحديث كاملاً مع السند إلا إذا كان في الصحيحين أحدهما فاكتفيت بالصحابي.
- 3- ترجمت للأعلام الذين وردت أسماؤهم في البحث بترجمة مختصرة معتمداً في ذلك على كتب التراجم.
- 4- خرجت الحديث من مظانه فإن كان في الصحيحين أو أحدهما لم أذكر سندها واكتفيت بذكر الصحابي، واكتفيت بتخریجه منها أو من أحدهما لتلقي الأمة لهما بالقبول، إلا إذا وجد لفظاً زائداً فقد خرجته من غيرهما وبينت درجة هذه الزيادة، أما إذا كان الحديث خارج الصحيحين فذكرت الحديث بسنده من الكتاب، وخرجت الحديث من الكتب الأخرى، واعتمدت في بيان درجتها على أقوال العلماء المشهود لهم بالفضل والدراية بهذا العلم.
- 5- عند تخریج الحديث قمت بذكر الكتاب، والباب، والجزء، والصفحة، ورقم الحديث.
- 6- قمت ببيان غريب الحديث إن وجد.
- 7- قمت بشرح الحديث شرحاً مختصراً مخافة الطول.

8- استخرجت من الأحاديث ما يستفاد منها.

9- بالنسبة إلى المصادر والمراجع اكتفيت بذكر اسم المصدر والمرجع، واسم صاحب الكتاب فقط، وذكرت معلومات النشر في ذكر المصادر والمراجع.

وقد اشتمل البحث على مقدمة وسبعة مباحث، المقدمة وفيها تمهيد، أهمية البحث، وأسباب اختياره، ومنهج البحث، والمباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: حديث خباب بن الأرت رضي الله عنه.

المبحث الثاني: حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المبحث الثالث: حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

المبحث الرابع: حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

المبحث الخامس: حديث وبر بن عيسى الخزاعي رضي الله عنه.

المبحث السادس: حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

المبحث السابع: حديث ابنة أبي الحكم الغفاري رضي الله عنها.

#### المبحث الأول

الحديث الأول: عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة قلنا له: ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا؟ قال: " كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون ".<sup>(8)</sup>

#### أولاً: التخريج

أخرجه البخاري <sup>(8)</sup> في صحيحه <sup>(9)</sup>.

#### ثانياً: الشرح الإجمالي

لقي الصحابة رضي الله عنهم من أذى قريش الشيء الكثير، فجاء الصحابي خباب بن الأرت رضي الله عنه النبي صلى الله عليه وسلم وهو محمر وجهه قيل من أثر النوم، وقيل من الغضب، يطلب منه الدعاء على أهل قريش، فأجابه بأنه كان في الأمم الماضية أناس وهم الأنبياء وأتباعهم يلقون من قومهم من الأذى، وذكر من ذلك أن أحدهم

كان يمشط بأمشاط الحديد ما دون عظامه من لحم أو عصب ما يصرفه ذلك عن دينه، ويوضع المشار على مفرق رأسه فيشق باثنتين ما يصرفه ذلك عن دينه وليتمن الله أي ليكملن الإسلام وانتشاره، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله وفيه إيماء إلى قوله تعالى {لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ} [التوبة: 33]، والتقدير: ولا يخاف إلا الذئب على غنمه، لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية، لا للأمن من عدوان الذئب فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى (10).

ثالثاً: ما يستفاد من الحديث

- 1- صبر الصحابة ﷺ على الأذى من كفار قريش أول الإسلام.
- 2- إنما لم يجب النبي ﷺ سؤال خباب ومن معه بالدعاء على الكفار مع قوله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60] وقوله: {فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا} [الأنعام: 43]؛ لأنه علم أنه قد سبق القدر بما جرى عليهم من البلوى ليؤجروا عليها كما جرت به عادة الله في أتباع الأنبياء فصبروا على الشدة في ذات الله، ثم كانت لهم العاقبة بالنصر وجزيل الأجر (11).
- 3- هذه الأمة موعودة بالنصر والتمكين مهما بلغت من الضعف والهوان، فإذا رجعوا إلى دينهم وصبروا فإن الله سيعيد لهم عزتهم ومكانتهم.
- 4- فيه فضيلة لمدينة صنعاء بأنها ستكون أرض أمن وإيمان.

#### المبحث الثاني

عن أبي هريرة ؓ، يقول: قال رسول الله ﷺ: « بينا أنا نائم أُتيتُ بخزائن الأرض، فوضع في كفي سواران من ذهب، فكبراً علي، فأوحى الله إلي أن انفضحها، فنفضحتها فذهبها، فأولتها الكذابين اللذين أنا بينها، صاحب صنعاء، وصاحب اليامة ».

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه البخاري (12)، ومسلم (13)، وأحمد (14)، وابن أبي عاصم، وأبو يعلى، والطبراني (15).

ثانياً: غريب الحديث

سواران : تشية سوار (16).

بخزائن الأرض: قال الخطابي<sup>(17)</sup>: المراد بخزائن الأرض ما فتح على الأمة من الغنائم من ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما، ويحتمل معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة، قال غيره: بل يحمل على أعم من ذلك<sup>(18)</sup>.

وأهماني: قال أبو العباس القرطبي<sup>(19)</sup> وإنما أهمه شأنها لأنها من حلية النساء، ومما يجرم على الرجال<sup>(20)</sup>.

صاحب صنعاء: هو الأسود بن كعب، ويلقب بزدي حمار، وسبب هذا اللقب - على ما قاله ابن إسحاق<sup>(21)</sup> -: إنه لقيه حمار، فعثر، فسقط على وجهه، فقال: سجد لي الحمار. فارتدَّ عن الإسلام، وادَّعى النبوة، ومخرق على الجهال فاتبعوه، وغلب على صنعاء، وأخرج منها المهاجر بن أسد المخزومي<sup>(22)</sup>، وكان عاملاً لرسول الله ﷺ عليها، وانتشر أمره، وغلب على امرأة مسلمة من الأساورة، فتزوجها فدسَّت إلى قوم من الأساورة: أني قد صنعت سرباً يوصل منه إلى مرقد الأسود فدلتهم على ذلك، فدخل منه قوم، منهم فيروز الديلمي<sup>(23)</sup>، وقيس بن المكشوح<sup>(24)</sup> فقتلوه، وجاؤوا برأسه إلى رسول الله ﷺ، على ما قاله ابن إسحاق<sup>(25)</sup>.

صاحب اليمامة: وهو مسيلمة - مصغر بكسر اللام - ابن ثمامة بن كبير - بموحدة - ابن حبيب بن الحارث من بني حنيفة. ادعى النبوة سنة عشر<sup>(26)</sup>.

### ثالثاً: شرح الحديث

بينما النبي ﷺ في المنام فرأى رؤيا، وهي أنه أعطي من خزائن الأرض، والمراد بالخزائن هي خزائن الأرض التي فتحت لهذه الأمة من الغنائم من ذخائر كسرى وقيصر وغيرهما، ويحتمل معادن الأرض التي فيها الذهب والفضة، بل يحمل على أعم من ذلك، فأتي بسوارين من ذهب فأنكر ذلك وعظم عليه لبس الذهب؛ لكون الذهب من حلية النساء، فأوحى الله إليه بواسطة الملك فنفضها فطارا، فأولها الكذابين اللذين ادعيا النبوة، وهما الأسود العنسي بصنعاء، ومسيلمة الكذاب باليمامة، ووجه التأويل، أن أهل صنعاء وأهل اليمامة كانوا أسلموا فكانوا كالساعدين للإسلام فلما ظهر فيهما الكذبان وبهرجا على أهلها بزخرف أقوالها ودعواهما الباطلة انخدع أكثرهم بذلك، فكانت اليدان بمنزلة البلدين، والسواران بمنزلة الكذابين، وكونها من ذهب إشارة إلى ما زخرفاه، والزخرف من أساء الذهب<sup>(27)</sup>.

وقد أهلك الله الأسود العنسي في حياته ﷺ، ومسيلمة في عهد أبي بكر ﷺ، ويحتمل أن يكون ما تأوله النبي ﷺ في السوارين بوحى، ويحتمل أن يكون تفاعل بذلك عليهما دفعا لخالهما فأخرج المنام المذكور عليهما؛ لأن الرؤيا إذا عبرت وقعت والله أعلم<sup>(28)</sup>.

رابعاً: ما يستفاد من الحديث

1- في الحديث إشارة الى تملك المسلمين خزائن الأرض مشارقها ومغاربها، وذلك بفتحها وأخذ

خزائن أموالها، وهذا ما حدث بعد موته عليه الصلاة والسلام.

2- ظهور من يدعي النبوة في هذه الأمة، وأولها صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة.

3- حقارة شأن هذين الكذابين، وأن التخلص منهما لم يعد النفخ.

4- أن الرسول ﷺ كان يفسر لأصحابه ما يرى في المنام؛ لأن رؤيا الأنبياء حق ووحى من الله

تعالى.

### المبحث الثالث

عن حارثة بن وهب، يقول: سمعت النبي ﷺ وذكر الحوض فقال: «كما بين المدينة وصنعاء»، وزاد ابن أبي عدي، عن شعبة، عن معبد بن خالد، عن حارثة: سمع النبي ﷺ قوله: «حوضه ما بين صنعاء والمدينة» فقال له المستورد: ألم تسمعه قال: الأواني؟ قال: لا، قال المستورد: « ترى فيه الآنية مثل الكواكب ».

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه البخاري<sup>(29)</sup>، ومسلم<sup>(30)</sup>.

ثانياً: شرح الحديث

قوله " حوضي كما بين صنعاء والمدينة": قال المناوي<sup>(31)</sup>: أي مسافة عرضه كالمسافة بينهما، قال القاضي<sup>(32)</sup>: وحديث الحوض صحيح، والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة، لا يُتأول ولا يحال عن ظاهره، خلافاً لمن لم يقل من المبتدعة الباقين له، والمحرفين له بالتأويل عن ظاهره. وهو حديث ثابت متواتر النقل، رواه جماعة من الصحابة<sup>(33)</sup>.

ثالثا: ما استفاد من الحديث

- 1- أكرم الله سبحانه وتعالى نبيه محمد ﷺ بحوض عظيم يشرب منه هو وأمته.
- 2- في الحديث بيان عرض هذا الحوض ما بين " المدينة وصنعاء "، وصنعاء وعمان، وجاء في روايات أخرى أمكنة أخرى " صنعاء وأيلة " (34)، وجاء كما بين " أيلة إلى الجحفة " (35) وكلها متقاربة.
- 3- في الحديث بيان أن آنيته كثيرة جدا مثل عدد الكواكب بل جاء في حديث أنها عدد نجوم السماء (36).

#### المبحث الرابع

قال الإمام الترمذي (37) - رحمه الله - : حدثنا سويد، قال: أخبرنا عبد الله، قال: أخبرنا رشدين بن سعد قال: حدثني عمرو بن الحارث، عن دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ " أدنى أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة، وتنصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية إلى صنعاء ". وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: " من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبدا، وكذلك أهل النار " وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: " إن عليهم التيجان، إن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب ". هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث رشدين.

#### أولا: تخريج الحديث

أخرجه الترمذي (38)، وابن المبارك (39)، وابن حبان (40)، وأبو داود (41) جميعهم من طريق عمرو بن الحارث... به.

#### ثانيا: الحكم على الحديث

الحديث ضعيف في سنده رشدين بن سعد (42)، والعلة الثانية: دراج في أبي الهيثم ضعيف. قال ابن عدي (43): حدثنا ابن أبي عصمة، قال: حدثنا أحمد بن أبي يحيى، قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول أحاديث دراج، عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد فيها ضعف. سمعت ابن حماد يقول: دراج أبو السمع

منكر الحديث، قاله أحمد بن شعيب النسائي<sup>(44)</sup>. وقال الألباني: ضعيف<sup>(45)</sup>. قلت: وبما أن الحديث الضعيف فلم أقم بشرحه ولم أذكر ما يستفاد منه إذ لا طائل من ذلك.

#### ثالثاً: دراسة سند الحديث

- 1 - سويد بن نصر بن سويد المروزي أبو الفضل لقبه الشاه راوية ابن المبارك، ثقة من العاشرة، مات سنة أربعين وله تسعون سنة<sup>(46)</sup>.
- 2 - عبد الله بن المبارك المروزي مولى بني حنظلة، ثقة ثبت فقيه عالم جواد مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، مات سنة إحدى وثمانين، وله ثلاث وستون سنة<sup>(47)</sup>.
- 3 - رشدين - بكسر الراء وسكون المعجمة - ابن سعد بن مفلح المهري - بفتح الميم وسكون الهاء - أبو الحجاج المصري، ضعيف، من السابعة، مات سنة ثمان وثمانين، وله ثمان وسبعون سنة<sup>(48)</sup>.
- 4 - عمرو بن الحارث بن يعقوب الأنصاري مولا هم المصري أبو أمية أيوب، ثقة فقيه حافظ، من السابعة، مات قديماً قبل الخمسين ومائة<sup>(49)</sup>.
- 5 - دراج - بثقليل الراء وآخره جيم - ابن سمعان أبو السمح - بمهملتين الأولى مفتوحة والميم ساكنة - قيل: اسمه عبد الرحمن ودراج لقب السهمي، مولا هم المصري القاص، صدوق، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف، من الرابعة، مات سنة ست وعشرين<sup>(50)</sup>.
- 6 - سليمان بن عمرو بن عبد أو عبيد الليثي العتواري، أبو الهيثم المصري، ثقة من الرابعة<sup>(51)</sup>.

#### رابعاً: غريب الحديث

الْجَائِيَةُ الْمَشْهُورَةُ فِيهَا شِمَالُ بَلَدَةِ الصَّنَمِيْنَ، وَهَاتَا تَلُّ يُعْرَفُ بِتَلِّ الْجَائِيَةِ، أَيَّ قَرِيْبَةً مِنَ الْجَوْلَانِ<sup>(52)</sup>.

#### المبحث الخامس

قال الطبراني - رحمه الله تعالى - : حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني قال: نا إبراهيم بن محمد بن عرعة، قال: نا عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، عن النعمان بن بزرج، قال: حدثني ابن رمانة قال: قال وبر بن عيسى الخزاعي<sup>(53)</sup>: قال لي رسول الله ﷺ: «إذا بنيت مسجد صنعاء، فاجعله عن يمين جبل، يقال له: ضين» لا يروي هذا الحديث عن وبر بن عيسى إلا بهذا الإسناد، تفرد به: عبد الملك الذماري.

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه الطبراني (54).

ثانياً: الحكم على الحديث

قال الهيثمي (55): وإسناده حسن (56).

ثالثاً: غريب الحديث

ضين (57): بكسر الضاد وسكون الياء والنون جبل باليمن (58).

رابعاً: دراسة رجال الإسناد

1- أحمد بن يحيى بن إسحاق أبو جعفر البجلي الحلواني، سكن بغداد وحدث بها عن سعيد بن سليمان الواسطي، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، ثقة، مات يوم الاثنين لخمس بقين من ذي الحجة سنة ست وتسعين ومائتين (59) قال ابن العماد الحنبلي: كان رجلاً صالحاً من الثقات (60).

2- عبد الملك بن عبد الرحمن بن هشام أبو هشام الذماري - بفتح المعجمة وتخفيف الميم - الأبنأوي - بفتح الهمزة وسكون الموحدة بعدها نون - وقد ينسب إلى جده، صدوق كان يصحف من التاسعة دس (61).

3- محمد بن عرعة بن البرند - بكسر الموحدة والراء وسكون النون - السامي - بالمهملة - البصري، ثقة، من صغار التاسعة، مات سنة ثلاث عشرة (62).

4- النعمان بن بزرج يروي عن أبان بن سعيد بن العاص، يقال إن له صحبة، روى عنه سليمان بن وهب الأبنأوي من چشم (63).

5- محمد بن سعيد بن رمانة من أهل اليمن يروي عن أبيه عن وهب بن منبه، روى عنه عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري (64).

خامساً: الشرح الإجمالي

أمر النبي ﷺ أميره على اليمن ببناء مسجد صنعاء - يسمى الآن الجامع الكبير - وهو أقدم جامع في التاريخ وحدد قبلته بشكل دقيق جدا وقد بينته في الحاشية وبينت الإعجاز العلمي لموقع هذا المسجد العظيم، فجعله عن يمين جبل يقال له ضين، وقد ثبت أن الرسول ﷺ أرسل إلى اليمن أحد عشر معلماً، منهم علي بن أبي طالب ﷺ الذي أرسله الرسول ﷺ إلى همدان بن زيد، ومنهم معاذ بن جبل ﷺ أرسله الرسول ﷺ إلى مخلاف الجند، ومنهم أبو موسى الأشعري ﷺ أرسله الرسول ﷺ إلى تهامة،



ومنهم وبر بن يُحَنَس الخزاعي رضي الله عنه الذي أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم إلى صنعاء. أرسلهم دعاة وهداة، وورد عن كثير منهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي أمره أن يبني مسجداً، إلا أن غالبية المؤرخين يميلون إلى أن مسجد صنعاء بني على يد أحد رجلين: إما وبر بن يحنس الأنصاري أو فروة بن مسيك المرادي <sup>(65)</sup>.

سادساً: ما استفاد من الحديث

1- في هذا الحديث فضيلة للصحابي الجليل وبر بن يحنس الذي أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن يدعو إلى الإسلام.

2- الحديث علم من أعلام النبوة فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر غيبي وهو تحديد قبلة مسجد صنعاء بدقة متناهية من غير الاستعانة بالآلات الحديثة.

3- فضيلة بعض الأماكن ومن ذلك فضيلة مسجد صنعاء فقد بني بأمر من النبي صلى الله عليه وسلم وتحديد منه.

#### المبحث السادس

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا عوف، عن ميمون أبي عبد الله، عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق، قال: وعرض لنا صخرة في مكان من الخندق، لا تأخذ فيها المعاول، قال: فشكوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عوف: وأحسبه قال: وضع ثوبه ثم هبط إلى الصخرة، فأخذ المعول فقال: " بسم الله " فضرب ضربة فكسر ثلث الحجر، وقال: " الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحُر من مكاني هذا ". ثم قال: " بسم الله " وضرب أخرى فكسر ثلث الحجر فقال: " الله أكبر، أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر المدائن، وأبصر قصرها الأبيض من مكاني هذا " ثم قال: " بسم الله " وضرب ضربة أخرى فقلع بقية الحجر فقال: " الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا".

أولاً: تخريج الحديث

أخرجه أحمد <sup>(66)</sup>، وابن أبي شيبة <sup>(67)</sup> والرويانى <sup>(68)</sup>، وأبو يعلى <sup>(69)</sup>، والبيهقي <sup>(70)</sup>، جميعهم من طريق عوف... به.

### ثانياً: دراسة الإسناد

- 1- محمد بن جعفر الهذلي البصري المعروف، بغندر، ثقة صحيح الكتاب، إلا أن فيه غفلة، من التاسعة، مات سنة ثلاث أو أربع وتسعين ومائة<sup>(71)</sup>.
- 2- عوف بن أبي جميلة - بفتح الجيم - الأعرابي العبدي البصري، ثقة رمي بالقدر وبالتشيع، من السادسة، مات سنة ست أو سبع وأربعين وله ست وثمانون<sup>(72)</sup>.
- 3- ميمون أبو عبد الله البصري مولى ابن سمرة، ضعيف، وقيل اسم أبيه، أستاذ وفرق بينها ابن أبي حاتم، من الرابعة ت س ق<sup>(73)</sup>.

### ثالثاً: الحكم على الحديث

قال الحافظ ابن حجر<sup>(74)</sup> إسناده حسن<sup>(75)</sup>، وقال الهيثمي: فيه ميمون أبو عبد الله، وثقة ابن حبان، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات<sup>(76)</sup>. قال الأرناؤوط: إسناده ضعيف، لضعف ميمون أبي عبد الله - ويقال له: ميمون بن أستاذ - وهو البصري، فقد نقل الأثر<sup>(77)</sup> عن أحمد قوله: "أحاديثه مناكير"، وقال ابن معين<sup>(78)</sup>: لا شيء، وقال أبوداود: تكلم فيه، وذكره ابن حبان في "الثقات"<sup>(79)</sup> وقال: كان يحيى القطان<sup>(80)</sup> سيئ الرأي فيه، وقال النسائي<sup>(81)</sup> وأبو أحمد الحاكم<sup>(82)</sup>: ليس بالقوي، وقال ابن المديني<sup>(83)</sup>: سألت يحيى بن سعيد عن ميمون أبي عبد الله الذي روى عنه عوف، فحمض وجهه وقال: زعم شعبة أنه كان فسلاً<sup>(84)</sup>. قلنا: ومع ذلك حسن الحافظ إسناده<sup>(85)</sup> وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. عوف: هو ابن أبي جميلة الأعرابي<sup>(86)</sup>. وللحديث أصل في الصحيح عن جابر رضي الله عنه فقال: إنا يوم الخندق نحضر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا هذه كدية عرضت في الخندق فقال: أنا نازل ثم قام وبطنه معصوب بحجر ولبثنا ثلاثة أيام لا ندوق ذواقاً فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول فضرب فعاد كئيباً أهيل<sup>(87)</sup> أو أهيم<sup>(88)</sup>.<sup>(89)</sup>

### رابعاً: شرح الحديث

بينما الصحابة رضوان الله عليهم يحفرون الخندق فوقفت أمامهم صخرة عظيمة لم يستطيعوا إزالتها، فاستعانوا بالنبي صلى الله عليه وسلم، فضربها ثلاث ضربات بـسّر في كل ضربة ببشارة عظيمة، البشارة الأولى بفتح الشام، والثانية بفتح فارس، والثالثة بفتح اليمن، وقد حقق الله صلى الله عليه وسلم له ولأصحابه من بعده هذه البشارات.

خامسا: ما يستفاد من الحديث

- 1- الحديث دليل على تواضع النبي ﷺ لمشاركته الصحابة ﷺ في حفر الخندق.
- 2- من السنة في ابتداء أي أمر بالبسملة.
- 3- فيه بشارة للنبي ﷺ ولأمتة بفتح الشام، وفارس، واليمن وعلم من أعلام النبوة.

#### المبحث السابع

قال الإمام أحمد - رحمه الله - : حدثنا ابن أبي عدي، عن محمد بن إسحاق، عن سليمان بن سحيم، عن أمه ابنة أبي الحكم الغفاري قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الرجل ليدنو من الجنة حتى ما يكون بينه وبينها قيد ذراع فيتكلم بالكلمة فيتباعد منها أبعد من صنعاء".

#### أولا: تخريج الحديث

أخرجه أحمد<sup>(90)</sup>. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف محمد بن إسحاق مدلس، وقد عنعن وبقيه رجاله ثقات رجال الصحيح، وابن أبي الدنيا<sup>(91)</sup> في الصمت<sup>(92)</sup>، وابن أبي عاصم<sup>(93)</sup> جميعهم من طريق ابن أبي عدي... به.

#### ثانيا: الحكم على الحديث

قال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد وثق<sup>(94)</sup>. قال الألباني: ضعيف<sup>(95)</sup>.

فالحديث ضعيف وهناك من الأحاديث الصحيحة ما يغني عنه منها عن أبي هريرة، سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن العبد ليتكلم بالكلمة، ما يتبين فيها، يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق»<sup>(96)</sup>.

#### ثالثا: دراسة رجال الإسناد

- 1- محمد بن إبراهيم بن أبي عدي وقد ينسب لجده، وقيل: هو إبراهيم أبو عمرو البصري، ثقة، من التاسعة، مات سنة أربع وتسعين ومائة على الصحيح ع<sup>(97)</sup>.
- 2- محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المطلبي مولا هم المدني، نزيل العراق إمام المغازي، صدوق يدلس ورمي بالتشيع والقدر، من صغار الخامسة، مات سنة خمسين ومائة ويقال بعدها خت م<sup>(98)</sup> 4.
- 3- سليمان بن سحيم أبو أيوب المدني، صدوق من الثالثة، م د س ق<sup>(99)</sup>.

### رابعاً: شرح الحديث

يخبر النبي ﷺ أن المسلم يعمل الأعمال الصالحة التي تقربه إلى الله ﷻ وإلى دخول جنته، ولكنه لم يحفظ لسانه مما يغضب الله ﷻ فتكلم بالكلام من الذي يسخطه، وقال أهل العلم: هي الكلمة عند السلطان بالبغي والسعي على المسلم، فربما كانت سبباً لهلاكه، وإن لم يرد ذلك الباغي، لكنها آلت إلى هلاكه، فكتب عليه إثم ذلك، والكلمة التي يكتب الله له بها رضوانه هي الكلمة يريد بها وجه الله بين أهل الباطل، أو الكلمة يدفع بها مظلمة عن أخيه المسلم، ويفرج عنه بها كرباً من كرب الدنيا، فإن الله تعالى يفرج عنه كرباً من كرب الآخرة، ويرفعه بها درجات يوم القيامة<sup>(100)</sup>.

### رابعاً: ما يستفاد من الحديث

- 1- كلما عمل المؤمن الأعمال الصالحة فإنه يقترب من الجنة.
- 2- ينبغي على المؤمن أن يحافظ على أعماله الصالحة ولا يرتكب الأقوال والأعمال التي تؤدي إلى إحباطها، يقول الله سبحانه وتعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ } [محمد: 33].
- 3- يجب على المؤمن أن يتفكر في كلامه قبل أن يتلفظ به فهو محاسب على كل كلمة يتلفظ بها، فالكلمة الواحدة قد تكون سبباً لرفعته في الدنيا والآخرة، والكلمة الخبيثة قد تكون سبباً لهلاكه في الدنيا والآخرة، يقول النبي ﷺ " ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟" <sup>(101)</sup>.

### الهوامش والإحالات:

- 1) ينظر: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي النيسابوري المعروف بابن البيع (ت 405هـ)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1411 هـ - 1990 م (2/342 / رقم الحديث 3220). وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
- 2) ينظر: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت 449هـ)، شرح صحيح البخاري لابن بطال، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد - السعودية، الرياض، الطبعة الثانية، 1423 هـ - 2003 م (4/179 / رقم الحديث 3499).

- 3) محمد بن يوسف بن علي الكرمانى ثم البغدادي، ولد في جمادى الآخرة سنة 717 هـ، من أهم مصنفاته الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، وتوفي راجعا من الحج في المحرم سنة 786 هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، (ت 852 هـ)، تحقيق مراقبة / محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1392 هـ / 1972 م، حيدر آباد/ الهند (6/ 66-67).
- 4) ينظر: محمد بن يوسف بن علي بن سعيد، شمس الدين الكرمانى (ت 786 هـ)، الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، طبعة أولى: 1356 هـ - 1937 م، طبعة ثانية: 1401 هـ - 1981 م (14/ 175).
- 5) ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، أبو عبد الله، شهاب الدين: مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم، فعاش من نسخ الكتب بالأجرة، من مؤلفاته معجم البلدان، توفي سنة 626 هـ. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت 681 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت (6/ 127)، والأعلام للزركلي (8/ 131).
- 6) ينظر: الشيخ الإمام شهاب أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (626 هـ)، المشترك وضعاً والمفترق صقعا، عالم الكتب، الطبعة الثانية، 1406 هـ - 1986 م، ص 289.
- 7) ينظر: إبراهيم أحمد المقحفي، معجم البلدان والقبائل اليمنية، دار الكلمة للطباعة والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية، 1422 هـ - 2002 م، ص 920، 921.
- 8) محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي أبو عبد الله البخاري، جبل الحفظ، وإمام الدنيا في فقه الحديث، من الحادية عشرة، مات سنة ست وخمسين في شوال وله اثنتان وستون سنة ت س. تقريب التهذيب، المؤلف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852 هـ)، المحقق: محمد عوامة، دار الرشيد - سوريا، الطبعة الأولى، 1406 هـ - 1986 م (ص: 468).
- 9) ينظر: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت 256 هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، تحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (9/ 141 / رقم الحديث 3612). دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1422 هـ.
- 10) ينظر: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني (ت 852 هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379 هـ (1/ 188) بتصرف، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، المؤلف: علي بن سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (ت 1014 هـ)، دار الفكر، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1422 هـ - 2002 م 9/ 3747.

11) ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، أبو العباس، شهاب الدين (ت 923هـ)، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة السابعة، 1323 هـ (10 / 96).

12) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (5 / 170 / رقم الحديث 4375).

13) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت 261هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي ﷺ (4 / 1781 / رقم الحديث 2274) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت وزاد مسلم " وأهماني ". مسلم هو: ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، ثقة حافظ إمام مصنف عالم بالفقه، مات سنة إحدى وستين وله سبع وخمسون سنة. تقريب التهذيب (1 / 529).

14) ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت 241هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1421 هـ - 2001 م (23 / 61 / رقم 14718). وزاد فيه " صاحب حمير ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة " وقال الأرنؤوط: إنسانه ضعيف لسوء حفظ عبد الله بن لهيعة. أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني المروزي، نزيل بغداد أبو عبد الله أحد الأئمة، ثقة حافظ فقيه حجة وهو رأس الطبقة العاشرة، مات سنة إحدى وأربعين وله سبع وسبعون سنة. تقريب التهذيب (1 / 84).

15) ينظر: أبي بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت: 287هـ)، كتاب السنة، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، (2 / 476 / رقم الحديث 982)، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، 1400 هـ / 1980 م، مسند أبي يعلى الموصلي، المؤلف: أحمد بن علي بن المثنى أبو يعلى (ت 307هـ)، تحقيق: حسين سليم أسد (1 / 349 / رقم 449) دار المأمون، للتراث - دمشق، الطبعة الأولى، 1404 هـ - 1984 م. ولفظها «إن بين يدي الساعة ثلاثين كذابا وإنك أحدهم». كلاهما من طريق محمد بن الحسن الأسدي، حدثنا هارون بن صالح الهمداني، عن الحارث بن عبد الرحمن عن أبي الجلاس... والحديث ضعيف في سنده أبو الجلاس الكوفي قال عنه ابن حجر: مجهول. تقريب التهذيب (ص: 630). ولهذه الزيادة شاهد عند الطبراني قال: حدثنا أحمد بن داود المكي، والعباس بن الفضل الأسفاطي؛ قالوا: حدثنا عبد العزيز بن الخطاب، قال: حدثنا قيس بن الربيع، عن أبي إسحاق، عن سبيع السلولي، عن عبد الله بن الزبير، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «إن بين يدي الساعة ثلاثين كذابا، منهم الأسود العنسي صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة». و المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (14 / 264 / رقم 14904)، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، دار الصميعي - الرياض، الطبعة الأولى، 1415 هـ - 1994 م، ابن أبي عاصم هو: الحافظ الكبير الإمام أبو بكر أحمد بن

عمرو بن النبيل أبي عاصم الشيباني الزاهد، قاضي أصبهان، له الرحلة الواسعة والتصانيف النافعة، مات في ربيع الآخر سنة سبع وثمانين ومائتين. طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 285)، وأبو يعلى الموصلي هو: الحافظ الثقة محدث الجزيرة أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التيمي صاحب المسند الكبير، مات سنة سبع وثلاثمائة. طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 309). والطبراني هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب مطير اللخمي الشامي، مسند الدنيا وأحد فرسان هذا الشأن، من مصنفاته المعجم الكبير، والأوسط، والصغير وغيرها، مات لثلاث بقين من ذي القعدة سنة ستين وثلاثمائة عن مائة عام وعشرة أشهر. طبقات الحفاظ للسيوطي (1/ 272 - 373).

16) ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري (35 / 78).

17) الخطابي هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب، البستي أبو سليمان، فقيه، محدث، من نسل زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب رضي الله عنه له مؤلفات عديدة، منها: معالم السنن، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين، وغريب الحديث. توفي سنة 388هـ. ينظر: الوفيات لابن خلكان 2/ 214.

18) ينظر: فتح الباري لابن حجر (12 / 424) بتصرف.

19) القرطبي: هو أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي، مولده عام: 578هـ، كان من كبار علماء عصره في الحديث والفقه وغيرها، من أشهر مصنفاته المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، مات سنة ست وخمسين وستائة. ينظر: ذيل التقييد في رواية السنن والمسانيد، محمد بن أحمد الفاسي المكي أبو الطيب (ت 832 هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1410هـ. (1/ 361).

20) ينظر: الإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم القرطبي (ت 656هـ)، المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، تحقيق: محي الدين ديب مستو وآخرين، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1417هـ - 1996م. (6 / 45).

21) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر ويقال أبو عبد الله المطلبي مولا هم المدني الإمام، رأى أنسا، وروى عن عطاء، والزهرري، وعنه شعبة والحامدان، والسفيانان، ويونس بن بكير، وأحمد بن خالد، كان صدوقا من بحور العلم، وله غرائب في سعة ما روى تستنكر، واختلف في الاحتجاج به، وحديثه حسن، وقد صححه جماعة، مات سنة إحدى وخمسين ومائة، وقيل سنة اثنتين. والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية - مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى، 1413 هـ - 1992 م (2 / 156).

22) لم أقف عليه.

- (23) فيروز الدليمي البياني صحابي له أحاديث، وهو الذي قتل الأسود الذي ادعى النبوة في زمن النبي ﷺ، ومات في زمن عثمان وقيل بل في زمن معاوية بعد الخمسين. تقريب التهذيب (ص: 448).
- (24) هو: أبو شداد. واختلف في اسم المكشوح، فقيل هيرة بن هلال، وهو الأكثر قيل: لا صحة له. وقيل: بل لقيس بن مكشوح صحبة باللقاء والرواية، ولا أعلم له رواية، وهو أحد الذين قتلوا الأسود العنسي قتل قيس بن مكشوح رحمه الله بصفين مع علي رضي الله عنه. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تأليف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، 1412 هـ - 1992 م (3/ 1299).
- (25) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم (8/ 173).
- (26) ينظر: فتح الباري لابن حجر (8/ 89).
- (27) ينظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم بتصرف (6/ 44).
- (28) ينظر: فتح الباري لابن حجر (12/ 425).
- (29) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب في الحوض (8/ 121 / رقم 6591).
- (30) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا ﷺ وصفاته (4/ 1797).
- (31) محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، زين الدين: من كبار العلماء بالدين والفنون. انزوى للبحث والتصنيف، وكان قليل الطعام كثير السهر، فمرض وضعفت أطرافه، فجعل ولده تاج الدين محمد يستلمي منه تأليفه. له نحو ثمانين مصنفاً، منها شرح الجامع الصغير، كنوز الحقائق، توفي بها سنة 1031 هـ. ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المؤلف: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي (ت 1111 هـ)، دار صادر - بيروت (2/ 412-415).
- (32) هو: عالم المغرب، القاضي عياض بن موسى بن عياض، أبو الفضل اليحصبي، السبتى، الحافظ، صاحب المصنفات منها: الشفاء في شرف المصطفى، مات: 544 هـ، تذكره الحافظ (4/ 67).
- (33) ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم (7/ 260).
- (34) ينظر: صحيح مسلم (4/ 1801).
- (35) الحديث عن عقبة بن عامر، قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات، فقال: «إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة...». صحيح مسلم (4/ 1796).
- (36) جاء من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله ما آتية الحوض قال: «والذي نفس محمد بيده لأنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، ألا في الليلة المظلمة المصحية، آتية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه أشد بياضا



من اللين، وأحلى من العسل» صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء (4/ 1798 / رقم 2300).

(37) الترمذي هو: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذي أبو عيسى، صاحب الجامع، أحد الأئمة ثقة حافظ، من الثانية عشرة، مات سنة تسع وسبعين. تقريب التهذيب (1/ 500).

(38) ينظر: محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي (ت 279هـ)، الجامع الصحيح سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاکر وآخرون أبواب صفة الجنة، باب ما جاء ما لأدنى أهل الجنة من الكرامة (4/ 695 / رقم الحديث 2562)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

(39) ينظر: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المروزي (ت 181هـ)، مسند الإمام عبد الله بن المبارك، تحقيق: صبحي البدر السامرائي، مكتبة المعارف - الرياض، الطبعة الأولى، 1407 هـ (1/ 71 / رقم 117). ابن المبارك هو: عبد الله بن المبارك المروزي، مولى بني حنظلة، ثقة ثبت، فقيه، عالم، جواد، مجاهد، جمعت فيه خصال الخير، مات سنة 181هـ. ينظر: التقريب (1/ 320).

(40) ينظر: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان الدارمي، (ت 354هـ)، صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثانية، 1414 هـ - 1993 م (16/ 414 / رقم 7401). ابن حبان: هو محمد بن حبان البستي، صاحب التصانيف، ولي قضاء سمرقند، وكان من فقهاء الدين وحفاظ الآثار، من مصنفاته المسند الصحيح، والتاريخ، توفي سنة 354هـ. انظر: طبقات الحفاظ، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الأولى، 1403هـ (1/ 375).

(41) ينظر: أبو بكر بن أبي داود، عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت 316هـ)، البعث، تحقيق: خادم السنة المطهرة أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1407 هـ - 1987 م (1/ 64 / رقم 78). وأبو داود هو: سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي، السجستاني، ثقة، حافظ، مصنف السنن وغيرها، مات: 275هـ. التقريب 1/ 250.

(42) ينظر: محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا (ت 1353 هـ)، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت (7/ 240).

(43) ابن عدي هو: أبو أحمد عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني، علامة بالحديث، ورجاله، كان يعرف بابن القطان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عدي، له مصنفات عدة. منها: الكامل، والانتصار، مات: 365 هـ. طبقات الحفاظ، للسيوطي ص 380.

(44) ينظر: أبو أحمد بن عدي الجرجاني (ت 365هـ)، الكامل في ضعفاء الرجال، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة الأولى، 1418 هـ - 1997 م (4/ 10).

45) ينظر: الإمام محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ)، ضعيف سنن الترمذي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني (ت 1420هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2000م - 1420هـ ص (255).

46) ينظر: تقريب التهذيب (1/ 260).

47) ينظر: تقريب التهذيب (1/ 320).

48) ينظر: تقريب التهذيب (1/ 209).

49) ينظر: تقريب التهذيب (2/ 419).

50) ينظر: تقريب التهذيب (1/ 201).

51) ينظر: تقريب التهذيب (1/ 253).

52) ينظر: عاتق بن غيث (ت 1431هـ)، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى، 1402هـ - 1982م (ص: 77).

53) وبر بن يحنس، وبر وقيل: وبرة بن يحنس الخزاعي، سمع النبي ﷺ عنه النعمان بن بزرج، أن النبي ﷺ قال له: " إذا أتيت مسجد صنعاء..... " وذكر الحديث، هو الذي أرسله النبي ﷺ إلى داؤويه وفيروز الديلمي وجشيش الديلمي ليقتلوا الأسود العنسي الذي ادعى النبوة. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1415هـ - 1994م (5/ 408).

54) ينظر: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت 360هـ)، لمعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة، 1415هـ (1/ 253).

55) الهيثمي هو: الحافظ نور الدين أبو الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان بن عمر بن صالح، ورافق العراقي في السماع فسمع جميع ما سمعه، وكان ملازماً له مبالغاً في خدمته، وكان يحفظ كثيراً من متون الأحاديث، من مصنفاته مجمع الزوائد، مات في تاسع عشرين رمضان سنة سبع وثمانمائة. طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 545).

56) ينظر: نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت 807هـ)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الفكر، بيروت - 1412هـ (2/ 118 / رقم 1966).

57) وجه الإعجاز في حديث النبي ﷺ: لا يستطيع إنسان أن يرسم خطأ مستقيماً على السطح الكروي بين مدينتين متباعدتين، إلا إذا توفرت له الخرائط الدقيقة المأخوذة بالطائرات والأقمار الصناعية وآلات التصوير الدقيقة، وعلم بخطوط الطول والعرض للكرة الأرضية، وعرف بارتفاع المدن على سطح البحر، ولم يتيسر

هذا إلا بعد أربعة عشر قرناً من زمن الرسول ﷺ، وقبل ألف وأربع مائة عام، حدد النبي صلى الله عليه وسلم خطأً مستقيماً بين جبل ضين والكعبة عندما وصف المسجد الذي أمر ببنائه في صنعاء، النتيجة خط مستقيم من المسجد الذي أمر النبي ﷺ ببنائه ماراً بقمة جبل ضين ليصل إلى وسط الكعبة المشرفة فحدد الموضع والمكان فقد روى عبد الرزاق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر وبر بن يحنس الأنصاري حين أرسله إلى صنعاء والياً عليها فقال: " ادعهم إلى الإيمان، فإن أطاعوا لك به، فاشرع الصلاة، فإذا أطاعوا لك بها فمر ببناء المسجد لهم في بستان باذان، من الصخرة التي في أصل غمدان، واستقبل بها الجبل الذي يقال له: (ضين). وحدد الجهة الدقيقة للكعبة باستعمال معلم واضح لأهل صنعاء القديمة هو جبل ضين. منتديات ستار تايمز. www.startimes.com. وغمدان- بضم الغين وسكون الميم -، ثم دال ونون بينهما ألف: جاء في النص: بينون وسلحين من حصون اليمن التي هدمها أرباط (الحبشي) ولم يكن في الناس مثلها. قلت: غمدان بناء عجيب قرب صنعاء لا زالت آثاره ماثلة للعيان، قيل إنه كان يتكون من عشرين سقفاً، واتخذه سيف بن ذي يزن مقراً لحكمه. وكان أحد ملوك حمير قد بناه قبل ذلك بزمان، ويعتبر غمدان أطول بناء بناه العرب، وكان في زمنه من الأعاجيب. ويقول ياقوت في معجم البلدان: بني على سبعة أسقف، بين كل سقف وآخر أربعون ذراعاً وهذا الخبر معقول من ناحية وغير معقول من ناحية أخرى. فكونه سبعة أسقف أقرب إلى الصواب من عشرين سقفاً، ولكن قوله " بين السقف " والسقف أربعون ذراعاً، فيه نظر. المعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ص: 358.

58) ينظر: معجم البلدان (3 / 465).

59) ينظر: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (ت 463هـ)، تاريخ بغداد، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ - 2002 م (5 / 212).

60) ينظر: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العباد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: محمود الأرنؤوط، تخريج عبد القادر الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986 م (3 / 410).

61) ينظر: تقريب التهذيب (1 / 363).

62) ينظر: تقريب التهذيب (1 / 496).

63) ينظر: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ)، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، الطبعة الأولى، 1395هـ - 1975 م (5 / 474).

64) ينظر: الثقات لابن حبان (9 / 35). قال المطيري: ترجم له البخاري، وابن أبي حاتم، ولم يذكر في جرحاً ولا تعديلاً، وذكره ابن حبان في "الثقات" (9 / 35). ينظر: الفرائد على مجمع الزوائد (ص 232).

65) ينظر: عبدالله سالم نجيب، تاريخ المساجد الشهيرة، منارات الهدى في الأرض (1/ 189).

66) ينظر: مسند أحمد (30/ 626 / رقم الحديث 18694).

67) ينظر: ابن أبي شيبة أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي (ت 235 هـ)، المصنف، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، 1409 هـ (7/ 378 / رقم الحديث 36820).

68) ينظر: أبي بكر محمد بن هارون الروياني (ت 307 هـ)، مسند الروياني، تحقيق أيمن علي أبو يمان، (1/ 276، 277 / رقم 410) مؤسسة قرطبة، القاهرة 1416 هـ. والروياني: هو الحافظ الإمام أبو بكر محمد بن هارون، صاحب المسند، مات سنة 300 هـ. ينظر: طبقات الحفاظ (1/ 319)..

69) ينظر: المسند (3/ 244 / رقم الحديث 1685).

70) ينظر: أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458 هـ)، دلائل النبوة، تحقيق: الدكتور/ عبد المعطى قلعجي، دار الكتب العلمية - ودار الريان للتراث، الطبعة الأولى، 1408 هـ / 1988 م (3/ 421). البيهقي هو: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي، الإمام، الحافظ، شيخ خراسان. ولد سنة 384 هـ. ولزم الحاكم، وأخذ عنه علم الحديث. ألف كثيرًا من الكتب منها: السنن الكبرى، والصغرى، وشعب الإيمان، ودلائل النبوة، وغيرها. مات: 458 هـ. بنيسابور، ونقل إلى بيهق، ودفن فيها. ينظر: طبقات الحفاظ، للسيوطي 432.

71) ينظر: تقريب التهذيب ص 472.

72) ينظر: تقريب التهذيب ص 433.

73) ينظر: تقريب التهذيب ص 556.

74) ابن حجر: هو الحافظ شيخ الإسلام، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر الكفائي، ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعائة، من تصانيفه، فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب وغيرها، مات سنة اثنتين وخمسين وثمانائة. ينظر: طبقات الحفاظ (1/ 553).

75) ينظر: فتح الباري (7/ 397).

76) ينظر: مجمع الزوائد (6/ 117).

77) الأثرم هو: أحمد بن محمد بن هانئ أبو بكر الأثرم، ثقة حافظ له تصانيف، من الحادية عشرة، مات سنة ثلاث وسبعين قاله ابن قانع. تقريب التهذيب (ص: 84).

78) هو: يحيى بن معين بن عون الغطفاني مولا هم أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور إمام الجرح والتعديل، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين بالمدينة النبوية، وله بضع وسبعون سنة ع. تقريب التهذيب (ص: 597).

79) ينظر: الثقات (2/ 556).

- 80) يحيى بن سعيد بن - فروخ بفتح الفاء وتشديد الراء المضمومة وسكون الواو ثم معجمة - التميمي أبو سعيد القطان البصري، ثقة متقن حافظ إمام قدوة، من كبار التاسعة، مات سنة ثمان وتسعين ومائة وله ثمان وسبعون ع. تقريب التهذيب (ص: 591)
- 81) أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر أبو عبدالرحمن النسائي الحافظ، صاحب السنن، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة. تقريب التهذيب (1 / 80).
- 82) أبو أحمد الحاكم، محدث خراسان، الإمام الحافظ، الجهد، محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق النيسابوري، الكرابيسي، من مؤلفاته الكنى، مات في شهر ربيع الأول سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. تذكرة الحفاظ، تأليف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت 748هـ)، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة الأولى، 1419هـ- 1998م (3 / 123).
- 83) علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيج السعدي مولاهم أبو الحسن ابن المدني، بصري ثقة ثبت إمام أعلم أهل عصره بالحدِيث، من العاشرة، مات سنة أربع وثلاثين على الصحيح خ ت س فق. تقريب التهذيب (ص: 403).
- 84) الفسّل من الرّجال: الرّدّل الذي لا مروءة له ولا جلد كالمفسول. ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، تأليف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (ت 1205 هـ)، مجموعة من المحققين، 157/30، دار الهداية.
- 85) ينظر: فتح الباري 397/7.
- 86) ينظر: مسند أحمد (30 / 626).
- 87) أي رَملاً سائلاً. النهاية في غريب الأثر 5 / 677.
- 88) الرّمال الهيم وهي التي لا تروى. يقال: رَمُلٌ أهيمٌ. النهاية في غريب الأثر 5 / 678.
- 89) ينظر: صحيح البخاري (10 / 151) رقم الحديث (4101).
- 90) ينظر: مسند أحمد (27 / 156) رقم (16610).
- 91) ابن أبي الدنيا هو: عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس الأموي مولاهم أبو بكر ابن أبي الدنيا البغدادي، الحافظ صاحب التصانيف المشهورة المفيدة، قال الخطيب: كان مؤدب أولاد الخلفاء، له مصنفات منها "الفرج بعد الشدة"، "مكارم الأخلاق"، مات في جمادى الأولى سنة إحدى وثمانين ومائتين. طبقات الحفاظ للسيوطي (ص: 299).
- 92) ينظر: أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس البغدادي الأموي القرشي المعروف بابن أبي الدنيا (ت 281هـ)، الصمت وآداب اللسان، تحقيق: أبي إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ (1 / 221) رقم (427).
- 93) ينظر: أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشيباني (ت 287هـ)، الأحاد والمثاني، تحقيق: د. باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية - الرياض، الطبعة: الأولى، 1411 هـ - 1991م (6 / 225) رقم (3458).

- 94) ينظر: أبو عبد الله، خليل بن محمد بن عوض الله العربي، الفرائد على مجمع الزوائد، دار الإمام البخاري، الدوحة - قطر، الطبعة الأولى، 1429 هـ - 2008 م (11/208).
- 95) ينظر: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، دار المعارف، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1412 هـ / 1992 م (7/7/ رقم الحديث 3004).
- 96) ينظر: صحيح البخاري (8/100 / رقم 6477).
- 97) ينظر: تقريب التهذيب ص 465.
- 98) ينظر: تقريب التهذيب ص 467.
- 99) ينظر: تقريب التهذيب ص 251.
- 100) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (10/186، 187).
- 101) مسند أحمد (36/345) قال الأرئوط: صحيح بطرقه وشواهده، وهذا إسناد منقطع، أبو وائل - وهو شقيق بن سلمة - لم يسمع من معاذ، وعاصم بن أبي النجود صدوق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (ت1420هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م ص 913 / رقم الحديث 5136.



## العلاقة بين (التخلف) و(القعود) ومشتقاتهما

### في ضوء الاستعمال القرآني

د. عبدالله على الغبسي\*

الملخص:

يدور محور هذا البحث حول إيضاح العلاقة بين مفهومي: (التخلق والقعود) ومشتقاتها في ضوء استعمال القرآن الكريم لهما؛ إذ إن هذين المفهومين قد وصف بهما كل من المنافقين والأعراب وبعض المؤمنين الذين تخلفوا عن الخروج للغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم - ونظراً إلى التقارب الكبير بينهما في المعنى .

ولما كان من غير المنطقي المساواة بين الذين تخلفوا عمداً بدون عذر ، وبين الذين تخلفوا بعذر ، فقد قام الباحث بإيجاد الفروق الدلالية بين المفهومين لإيضاح ما ورد لمخاطبة كل فريق من الفريقين (المتخلفين بدون عذر ، والمتخلفون بعذر) من خلال حصر مشتقات كل مفهوم على حدة ، وعدد مرات وروده في القرآن، ومعرفة الضمائم الإسنادية المرتبطة بكل صيغة ، وعمل ذلك في مخططات بيانية. للوصول إلى إيجاد الفروق الدلالية بينهما ، ومعرفة علاقة العموم والخصوص بينهما ، وهل يجوز وضع أحدهما مكان الآخر .

وقد استعان الباحث بالمنهج الوصفي كونه الأنسب لذلك .

\* أستاذ اللسانيات المساعد بقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة ذمار.

المقدمة: إن التأمل في القرآن الكريم يجد أنه يزخر بالألفاظ المتشابهة في دلالاتها على مدلول واحد معين، كالعمل والفعل، والحضور والمجيء والإتيان، والتخلف والقعود عن القتال، وهذا ما يبدو لأول وهلة، ولغير التأمل بعمق في آيات القرآن الكريم. والحقيقة التي يجب أن تُعرف أن هذه الألفاظ وغيرها في القرآن الكريم لا ينطبق بعضها على بعض، وإلا لكان ذلك نوعاً من التكرار الذي لا طائل من ورائه، وحاشا كلام الله تعالى من ذلك. ولذلك فإن الباحث قد قام بكتابة هذا البحث لمحاولة معرفة الفروق الدلالية بين مفهومي (التخلف) و(القعود).

أهمية البحث: تأتي أهمية هذا البحث من خلال الآتي:

- أهمية علم الدلالة الذي بوساطته يعرف المقصود من الكلام، والكشف عن الإيحاءات الخفية التي تحملها الألفاظ.
- دقة الاستعمال القرآني في اختيار الألفاظ، ووضع كلٍّ منها في مكانه المناسب، بحيث لو وضع مرادفه فيه لما أفاد المعنى المراد. إذ إن القرآن الكريم أفصح النصوص وأدقها تعبيراً.
- حدود البحث: اقتصر البحث في مفهومي (التخلف) و(القعود) على الآيات الدالة على الجهاد، والخروج للغزو مع النبي ﷺ فقط، التي وردت في ثلاث سور من القرآن الكريم، وهي: النساء، والتوبة، والفتح. وتم استبعاد الألفاظ المشتقة منها التي لا تتعلق بالخروج للغزو، مثل: المختلف، والاختلاف، ومختلفون، والقواعد، والمقعد، وغير ذلك مما ليس له صلة بالموضوع.
- مشكلة البحث: وُضع هذا البحث للإجابة عن التساؤلات الآتية:

- هل جاءت لفظتا (التخلف) و(القعود) ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعنى واحد؟ وهل يجوز أن يحل أحدهما محل الآخر؟
- هل كانت الصيغ الصرفية المتشابهة المشتقة من (التخلف) و(القعود) متشابهة في دلالاتها في ضوء الاستعمال القرآني، أو أن بينها فروقا؟
- أهداف البحث: يهدف هذا البحث إلى إيضاح مفهومي (التخلف) و(القعود) من خلال تحديد السمات الدلالية لكل واحد منهما، من خلال معرفة الدلالات التي يحملها في أفصح النصوص اللغوية وأدقها على الإطلاق، وأعني به القرآن الكريم.



منهج البحث: سيقوم الباحث باستعمال المنهج الإحصائي التحليلي، من خلال القيام بحصر الآيات التي وردت فيها ألفاظ (التخلف) و (القعود) ومشتقاتها، ثم ذُكر أقوال العلماء في تعريف كل لفظ منها لغوياً، ثم استخراج الفروق الدلالية بينها في اللغة، من خلال التعريفات التي أوردوها لكل واحد منها، بعد ذلك قام الباحث بعمل إحصاء شامل لورود هذين المفهومين في القرآن الكريم، وأشكال ذلك الورود، وعمل ذلك في مخططات بيانية؛ لمعرفة عدد مرات كل مشتق، والضامم الإسنادية المرتبطة بكل صيغة، ثم قام بتقسيم هذه الألفاظ بحسب صيغها الصرفية، بعد ذلك قام بتدوين المعطيات المستفادة من ذلك، وبناء على هذه المعطيات فقد قام الباحث باستخراج الفروق الدلالية بين مفهومي (التخلف) و (القعود) في ضوء الاستعمال القرآني، وبعد استخراج تلك الفروق قام بتدوين النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد استعان الباحث بجملة من المراجع، كالمعجمات اللغوية، وكتب التفسير، وبعض الدواوين الشعرية.

التعريف اللغوي: أ - مادة: خ ل ف: قال ابن فارس: "الخاء واللام والفاء أصول ثلاثة: أحدها أن يجيء شيء بعد شيء يقوم مقامه، والثاني خلاف فُدام، والثالث التَّغْيِيرُ.

فالأول (الخَلْفُ) والخَلْفُ ما جاء بعد... وتقول: قعدتُ خلاف فلان، أي: بعده. والخوالفُ في قوله تعالى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾<sup>(1)</sup> هن النساء؛ لأن الرجال يغيبون في حروبهم ومغاوراتهم وتجاراتهم، وهنَّ يُخْلَفْنَهُمْ في البيوت والمنازل... والأصلُ الآخرُ (خَلْفٌ) وهو غيرُ فُدام... وأما الثالثُ فقوْلُهُم: خَلْفَ فُوهُ، إذا تَغَيَّرَ وأخْلَفَ"<sup>(2)</sup>.

وقيل: إن المقصود بالخوالف في هذه الآية هو النساء، وقيل الفاسد من الناس<sup>(3)</sup>. وروي عن أبي زيد أن الخوالف هم الذين لا يغزون، واحدهم خالفة، كأنهم يُخْلَفُونَ من غزا<sup>(4)</sup>. وكأن الهاء للمبالغة، كما هي في علامة ونسابة. وقيل إن الخوالف هم الصبيان المتخلفون<sup>(5)</sup>. وقالوا: "عبدٌ خالفٌ وصاحبٌ خالفٌ إذا كان مخالفاً، ورجلٌ خالفٌ، وامرأةٌ خالفةٌ إذا كانت فاسدةً ومتخلفةً في منزلها"<sup>(6)</sup>.

ب - مادة: ق ع د: قال الراغب الأصفهاني: "فَعَدَ: القعود يُقَابَلُ به القيام، والقَعْدَةُ للمرّة، والقَعْدَةُ للحال التي يكون عليها القاعد، والقعودُ قد يكون جمع (قاعد)، قال تعالى: (فاذكروا الله قياماً

وقعوداً)، والمَقْعَد: مكان القُعود، وجمعه: مقاعد<sup>(7)</sup> وقال ابن فارس: "قَعَدَ: القاف والعين والذال أصل مطرد مُتَنَاسٍ لا يُخَلَّف، وهو يضاهي الجلوس، وإن كان يُتَكَلَّمُ في مواضع لا يُتَكَلَّمُ فيها بالجلوس"<sup>(8)</sup>. فد(القاعد) قد يُعَبَّرُ به عن المتكاسل في الشيء، نحو قوله تعالى: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين)، ويُعَبَّرُ به أيضاً عن التوقُّع، نحو قوله تعالى: (إنا ههنا قاعدون)<sup>(9)</sup>، والقاعد: يقصد بها المرأة التي قعدت عن الحيض والأزواج، جمعها قواعد، فإن أردت القعود فتقول: امرأة قاعدة<sup>(10)</sup>.

أما (القاعد) موضوع البحث فهو الذي لا يغزو ولا يمضي إلى القتال، قال ابن منظور: "ويقال: رَجُلٌ قَاعِدٌ عن الغزو، وقوم قُعَاد، وقاعدون. والقَعْدُ الذين لا ديوانَ لهم. وقيل: القَعْدُ الذين لا يمضون إلى القتال، وهو اسم للجمع"<sup>(11)</sup>.

فالقاعد هنا يساوي (الخالف) في الآيات السابقة. إذ إن الخالف - كما جاء في أحد تعريفاته اللغوية - هو: الذي لا يغزو مع القوم<sup>(12)</sup>.

من خلال التعريفات اللغوية السابقة نستنتج أن معنى (الخالف، والخالفة) اللذين جمعهما (الخالفون، والخوالف) تتأرجح بين المعاني الآتية:

الذين لا يغزون مع القوم، النساء المتخلفات في بيوتهن، الصبيان المتخلفون، الفاسدون من الناس، المخالفة.

إلا أن أكثر المفسرين واللغويين يذهبون إلى أن المقصود بالخوالف في الآية هو النساء اللاتي خلفهن أزواجهن في المنازل بعد خروجهم للقتال والتجارة. ورغم هذا القول فإننا لا نستطيع إنكار أي واحد من المعاني الأخرى للخالف والخالفة.

فهؤلاء المنافقون والأعراب الذين تحلفوا عن القتال مع الرسول - صلى الله عليه وسلم - قد يصدق عليهم أنهم لم يغزوا، وأنهم فاسدون؛ لأنهم رغبوا بأنفسهم وأموالهم عن رسول الله، وكرهوا الخروج معه في الحر... إلخ، ويصدق عليهم - أيضاً - أنهم مخالфон له؛ إذ إنهم قعدوا عن القتال حين خرج إليه هو وأصحابه.

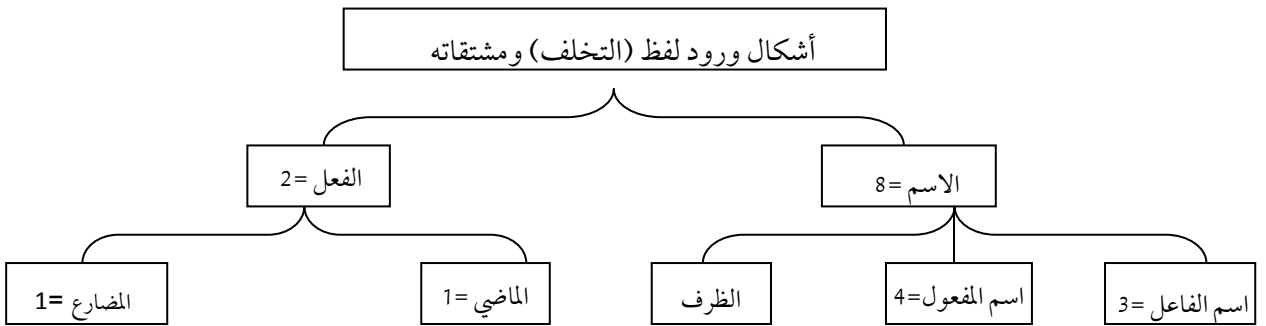
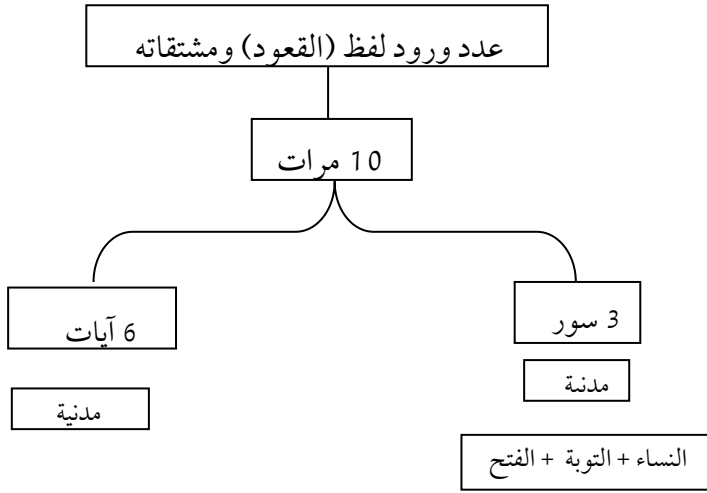
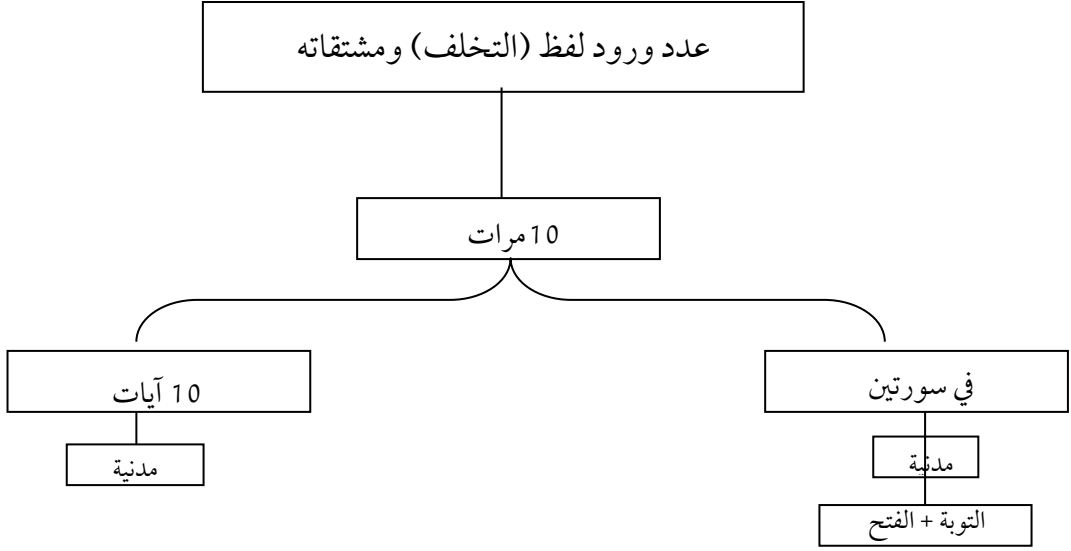
وأما القاعدون فإنه يمكن عرض معاني لفظة (القاعدون / القواعد) على النحو التالي:  
المتكاسلون عن الشيء، المتوقِّعون، الذين لا يغزون ولا يمضون إلى القتال، النساء اللاتي قعدن عن الحيض والأزواج.

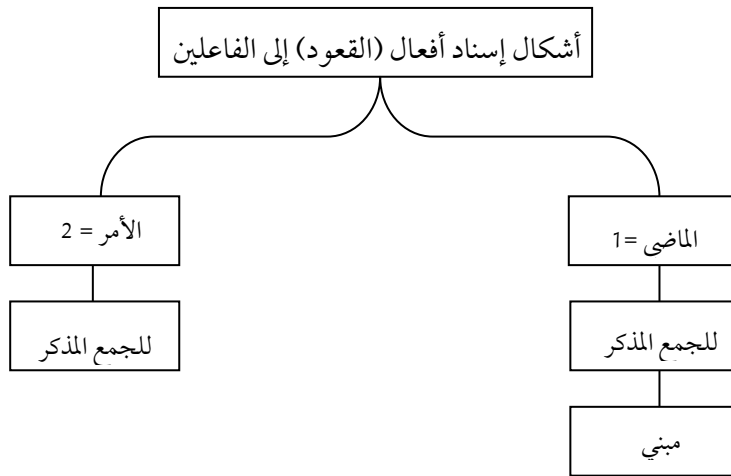
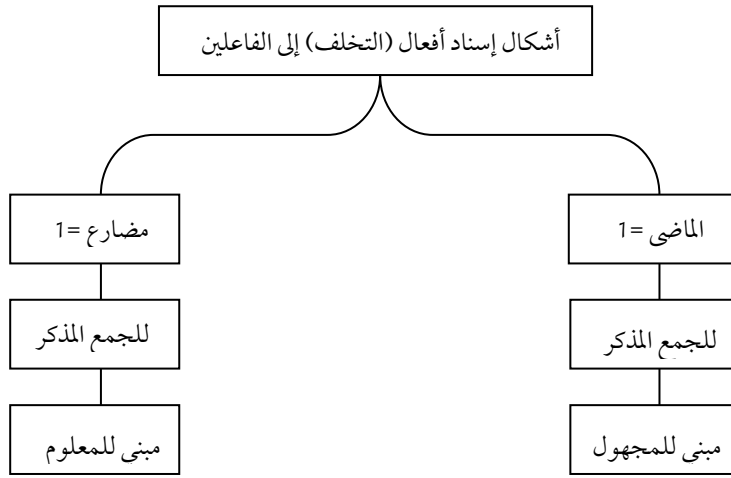
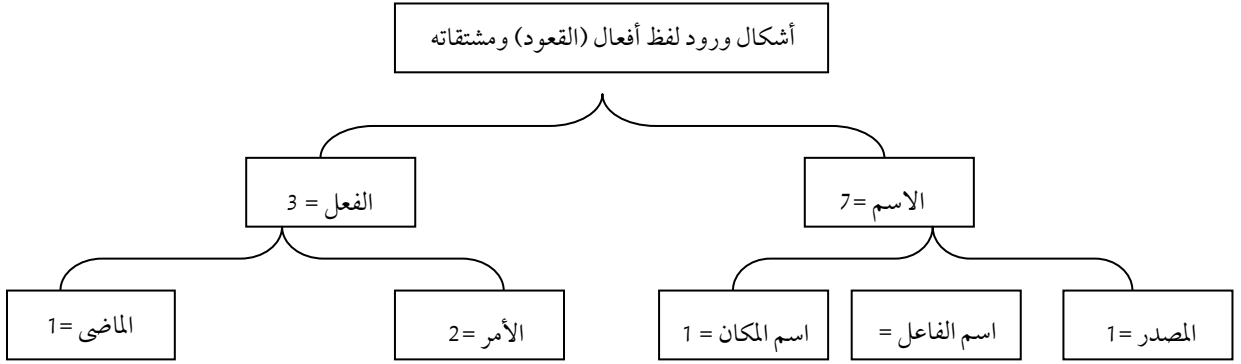
من خلال التعريفات السابقة، يمكن تلخيص الفروق الدلالية بين اللفظين على النحو الآتي:

م	الخالفون	القاعدون
1	الذين لا يغزون مع القوم.	الذين لا يغزون ولا يمضون إلى القتال.
2	النساء المتخلفات في بيوتهن.	
3	الصبيان المتخلفون.	
4	الفاسدون من الناس.	
5	المخالفة.	
6		النساء اللاتي قعدن عن الحيض والأزواج.
7		المتوقعون.
8		المتكاسلون عن الشيء.

من خلال الجدول السابق يمكن تسجيل الملحوظات الآتية:

- أن اللفظين اتفقا في الدلالة على نقطة واحدة، وهي عدم الخروج للقتال مع القوم، واختلفا في بقية النقاط.
- أن التخلف أشمل من القعود؛ إذ إن مادة (خلف) ثلاثة أصول، هي: التخلف، والفساد، والمخالفة، أما مادة (قعد) فليست إلا أصل واحد، هو القعود الذي يشاكل الجلوس.
- اتفق اللفظان في دلالتهما على النساء، ولكنهما اختلفا في وصف هؤلاء النساء، فالتخلفات هن اللاتي تركهن أزواجهن في البيوت عند خروجهم للغزو أو التجارة، والقواعد هن اللاتي قعدن عن الحيض والأزواج.
- أورد الراغب الأصفهاني (القاعد) بمعنى المتكاسل عن الشيء، واستشهد له بقوله تعالى (لا يستوي القاعدون من المؤمنين)، وهي الآية التي استدل بها العلماء على أن المقصود بالقاعد فيها: الذي لا يخرج للقتال. وهذا يعني أن بين المعنيين عموم وخصوص، فالتكاسل أعم من عدم الخروج للقتال؛ لأن التكاسل صفة قد تشمل جميع الأفعال الصادرة عن الإنسان، بما فيها التكاسل عن الخروج إلى القتال.
- إن هذه الملحوظات ليست إلا فروضاً علمية، ولا يمكن التحقق من صحتها إلا من خلال الاستعمال القرآني لهذين اللفظين ومشتقاتهما، ومعرفة الصيغ الصرفية التي وردت بها، وما تدل عليه تلك الصيغ، ومعرفة الضامم المتصلة بكل صيغة منها، وذلك على النحو الآتي:





ويمكن تفصيل البيانات الواردة في هذه المخططات على النحو الآتي:

أولاً: الصيغ الصرفية من (التخلف):

أ - صيغة اسم الفاعل: ويعرف اسم الفاعل بأنه ما دلَّ على الحدث والحدوث وفاعله.<sup>(13)</sup> وتشمل هذه الصيغة المذكر (الخالفين) والمؤنث (الخوالف) وهي في الآيات التالية:

قال تعالى: ﴿فَأَقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾<sup>(14)</sup>، وقال تعالى ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(15)</sup>، وقال تعالى: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾<sup>(16)</sup>

فالخالفُ والخالفةُ اسما فاعلين على وزن (فاعل)، وقد وردتا ثلاث مرات: مرة للمذكر، ومرتين للمؤنث. ولم تأت هذه الصيغ واصفة للمنافقين أو الأعراب وصفا مباشرا، وإنما أتت مضافاً إليها كلمة (مع)؛ لتصبح هكذا: (مع الخالفين، مع الخوالف)، أي أن الخالفين والخوالف ليسوا المنافقين أو الأعراب، وإنما وصفوا بالقعود مع أولئك (الخالفين/ الخوالف)، الذين يُقصدُ بهم النساء والصبيان، أو غيرهم.

فالذين اتصفوا بالحدوثِ والحُدوثِ وفاعله (أي التخلف) ليسوا المنافقين أو الأعراب، وإنما اتصفوا ببقائهم وقعودهم مع هؤلاء (الخالفين / الخوالف).

ب - صيغة اسم المفعول:

ويُعرف اسم المفعول بأنه: ما دلَّ على حدثٍ ومفعوله كـ (مضروب) و(مُكْرَم).<sup>(17)</sup>

وتشمل هذه الصيغة (المخلفون) بالرفع، و(المخلفين) بالجر، فقد وردت لفظة (المخلفون)

ثلاث مراتٍ في قوله تعالى:

﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾<sup>(18)</sup>، وقد نزلت في

المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك. وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾<sup>(19)</sup> وقوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا

أَنْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَائِمٍ لِتَأْخُذُوهَا ذُرُونًا أَنْتَبِعْكُمْ﴾<sup>(20)</sup>.

وكلاهما نزلت في الأعراب وهم: (قبائل جهينة، ومزينة، وغفار، وأشجع، وأسلم) الذين تخلفوا عن الحديبية، وفتح خيبر.

وأما (المخلفين) - بالجر - فوردت مرة واحدة في هؤلاء الأعراب، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَىٰ قَوْمِ آبَائِهِمْ فِي هَؤُلَاءِ الْأَيَّامِ بِمَا نَفَعُوا آبَاءَهُمْ فِي الْأَيَّامِ السَّابِقَةِ ۗ فَمَا كَانَ لَهُمْ جُنْدٌ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ سُدْعِهِمْ فَلِمَ كَفَرُوا بِهِمْ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ﴾ (21). في هذه الأربع الآيات نجد أن لفظتي (المخلفون/المخلفين) قد وُصف بها هؤلاء القوم، أعني (المنافقين والأعراب) صراحة، ولم يوصف بها غيرهم، كما هو الحال في اسم الفاعل في الآيات السابقة، ولكنهم وصفوا بأنهم مُخَلَّفُونَ، ونحن نعلم أن اسم المفعول ليس كاسم الفاعل في الدلالة. فإذا كان اسم الفاعل هو: ما دلَّ على الحدث والحدوث وفاعله؛ فإن اسم المفعول هو: ما دلَّ على حدثٍ ومفعوله. ويمكن تفصيل هذا القول كما يأتي:

إذا أخذنا اسم الفاعل من المادة (خ ل ف) فإنه سيكون (خالِف)، واسم المفعول فإنه سيكون (مُخَلَّف) المشتق من الفعل (خَلَّف)، وهذا يعني أن في هذين المشتقين حدثٌ يشتركان فيه، وهو (التخلف) أي المصدر، ولكنها يختلفان في ما عداه، فاسم الفاعل يدل - فضلاً عن الحدث - على فاعل هذا الحدث، أي الذي أحدث الحدث (التخلف) هو الفاعل نفسه، وهو الذي قام به. أما اسم المفعول فإنه يدل - فضلاً عن الحدث - على مفعول هذا الحدث، أي الشخص الذي وقع عليه هذا الحدث، أعني: (التخلف)، وعندما نقول أنه وقع عليه الحدث فهذا يعني أن فاعله شخصٌ آخر.

ومن هنا فإن (اسم الفاعل) (خالِف) يختلف تماماً عن (اسم المفعول) (مُخَلَّف) المشتق من الفعل (خَلَّف)؛ لأن الأول هو من تخلف بنفسه، والثاني هو من خلفه غيره، وتركه خلفه. من خلال هاتين الصيغتين، نجد أن الذين وُصفوا بأنهم (خالِفين / خوالِف) أي الذين وُصفوا بأنهم تخلفوا عن قصدٍ وإرادةٍ منهم ليسوا المنافقين ولا الأعراب، وإنما هم النساء والصبيان أو من في حكمهم، كما أسلفنا. وأن الذين وُصفوا بأنهم (مخلفون) و (مخلفين) - أي الذين خلفهم غيرهم وتركهم وراءه ولم يتخلفوا بإرادتهم وحدها - هم المنافقون والأعراب. فهم قد وقع عليهم حدث (التخلف) من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ لأن معنى (مخلفين) أن هناك تخلفاً وفاعلاً لهذا

التخلف، وهم النبي وأصحابه، وأن هناك أشخاصاً وقع عليهم التخلف، أي: مفعول التخلف، وهم المنافقون والأعراب.

وعلى الرغم من أن المنافقين قد تخلفوا عن غزوة تبوك بمحض إرادتهم؛ رغبةً في القعود في المدينة، وكرهة للحرب، فإن القرآن الكريم قد وصفهم بـ (المخلفون / المخلفين) أي: بصيغة اسم المفعول، ولم يصفهم بـ (المتخلفون / المتخلفين) أي: بصيغة اسم الفاعل. ويمكن أن يكون الجواب على ذلك من وجوه:

"الأول: أن الرسول -عليه السلام- منع أقواماً من الخروج معه؛ لعلمه بأنهم يُفسدون ويُشوشون، فهؤلاء كانوا مُخلفين، لا متخلفين.

والثاني: أن أولئك المتخلفين صاروا مُخلفين في الآية التي بعد هذه الآية، وهي قوله: (فإن رجعت الله إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً) التوبة: 83، فلما منعهم الله تعالى من الخروج معه صاروا بهذا السبب مُخلفين.

الثالث: أن من يتخلف عن الرسول - عليه السلام - بعد خروجه إلى الجهاد مع المؤمنين يوصف بأنه تَخَلَّفَ، من حيث لم ينهض، فبقي وأقام".<sup>(22)</sup>

ج - صيغة الفعل: أما صيغة الفعل فقد وردت مرتين: الأولى بصيغة المضارع، وهو مبني للمعلوم، وذلك في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْعَبُوا بِنَفْسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ﴾<sup>(23)</sup>، وقد نزلت في أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب، وهم الذين تخلفوا عن القتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم. والثانية بصيغة الماضي، وهو مبني للمجهول، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾<sup>(24)</sup>، وقد نزلت في ثلاثة من المؤمنين تخلفوا بدون عذر، وهم مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية.

إن معنى الفعل المبني للمعلوم يختلف عن معنى المبني للمجهول، ففي الآية الأولى جاء الفعل (يتخلفوا) دالاً على أن هؤلاء الأعراب هم الفاعلون للتخلف، أي إنهم قد تخلفوا بمحض إرادتهم



عن النبي ﷺ، ولكنَّ ذُكِرَ التَّخَلُّفُ هنا جاء لمعاتبتهم على إيثارهم أنفسهم على النبي ﷺ؛ لأن ذلك سينقص من أجرهم<sup>(25)</sup>؛ رغم أن بعض المفسرين يرى أنه نهيٌ أتى بصيغة النفي، أي أنه لا يجوز التخلف عن النبي إطلاقاً<sup>(26)</sup>.

ولو كان الغرض من ذلك هو العتاب وليس العقاب، فإن بإمكان قائلٍ أن يقول: إن الخروج للجهاد ليس بفرض عين، وإنما هو فرض كفاية، ولو كان فرض عينٍ لوجب على هؤلاء المتخلفين العقاب - رغم أنهم تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم -. ولكن يمكن الرد على ذلك بأنه قد قيل: إنها منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾<sup>(27)</sup>.

أما في الآية الثانية فقد جاء الفعل مبنياً للمجهول (خُلِّفُوا)؛ لأن الله تعالى لما علم أن هؤلاء الثلاثة المؤمنين كان تخلفهم تفریطاً منهم من غير شكٍ ولا ارتيابٍ في الخروج للقتال مع النبي ﷺ؛ فإنه تعالى قد عفا عنهم وتاب عليهم، ومن ذلك أنه خفف القول عليهم في القرآن الكريم فجعله مبنياً للمجهول، وكأنهم تركوا تركاً، وخلفهم غيرهم.

د - صيغة الظرف: لم يرد الظرف (خلاف) إلا مرة واحدة في قوله تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)<sup>(28)</sup>.

ويمكن تعريف الخلاف بأنه: "اسمٌ للجهة المعينة، كالتخلف، والسبب فيه أن الإنسان متوجّهٌ إلى قدامه، فجهةٌ خلفه مخالفةٌ لجهة قدامه، في كونها جهةً متوجّهاً إليها"<sup>(29)</sup>.

وقد تباينت أقوال اللغويين والمفسرين في معنى (خلاف)، فقال الراغب الأصفهاني: إنها بمعنى: مخالفين<sup>(30)</sup>، وقال الزمخشري: إنها بمعنى: خَلْفٌ، فيقال: أقام خلافَ الحيِّ، بمعنى: بُعدهم، فظعنوا ولم يظعن معهم. واستشهد لذلك بقراءة أبي حيوة: (خلف رسول الله)<sup>(31)</sup> وقيل: إنها بمعنى المخالفة؛ لأنهم خالفوه، حيث قعدوا ونهض، وانتصابه على أنه مفعولٌ له أو حالٌ، أي: قعدوا لمخالفته، أو مخالفين له<sup>(32)</sup>. والذي يطمئن إليه الباحث ويرجح هو أنها - هنا - ظرف بمعنى: خَلْفٌ، مع جواز أن تكون مفعولاً له، أو حالاً.

ثانيا: الصيغ الصرفية من (القيود):

أ - صيغة اسم الفاعل: ورد اسم الفاعل المجموع (القاعدون، والقاعدين) خمس مرات: منها ثلاث مرات تخص المؤمنين في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرَ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخُسْفَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾<sup>(33)</sup>، ومرتين عند الحديث عن المنافقين في قوله تعالى: ﴿\* وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتِهِمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾<sup>(34)</sup>. وقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾<sup>(35)</sup> ومن هنا يمكن أن نفرق بين (القاعدين) في سورة النساء وبين (القاعدين) في سورة التوبة، فالمذكورون في سورة النساء هم طائفة من المؤمنين الذين تخلفوا عن الجهاد مع النبي ﷺ، والمذكورون في سورة التوبة هم المنافقون. ولذلك يصح أن يكون قعود المؤمنين تكاسلا - كما هو الحال عند الراغب - مع إيمانهم بوجوب الجهاد، ويكون القعود من المنافقين تخلفا عن الغزو والقتال، مع تعمدهم ذلك.

ب - صيغة الفعل: ورد من مادة (قعد) ثلاثة أفعال، في ثلاث آيات: واحد منها بصيغة الماضي، وذلك في قوله تعالى: (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله)<sup>(36)</sup>. واثنان بصيغة الأمر، وذلك في قوله تعالى: (وقيل اقعدوا مع القاعدين)<sup>(37)</sup>، وقوله تعالى: (فاقعدوا مع الخالفين)<sup>(38)</sup>.

لم يكن فاعلو هذه الأفعال من المؤمنين - بخلاف اسم الفاعل -، فأما الذين كذبوا الله ورسوله فهم قوم قعدوا عن الجهاد، لا بعذر ولا بشبهة عذر، إنما جراءة على الله تعالى.<sup>(39)</sup> وأما الذين وُجِّه إليهم الأمر بالقعود بقوله تعالى: (اقعدوا / فاقعدوا) فهم المنافقون.

ج - صيغة المصدر: يُعرف المصدر عند النحاة بأنه: "الاسم الدالُّ على الحدث الجاري على الفعل، كالضرب، والإكرام"<sup>(40)</sup>، أو أنه "الاسم المنصوب الذي يجيء ثلثا في تعريف الفعل، نحو ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْبًا"<sup>(41)</sup>.

ولم يرد المصدر من (قعد) إلا مرة واحدة، في قوله تعالى: (إنكم رضيتم بالقعود أول مرة)<sup>(42)</sup>، والذين رضوا بالقعود في هذه الآية هم المنافقون، عندما خرج النبي - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، ولذلك فقد أُمرَ - صلى الله عليه وسلم - بعدم إشراكهم في القتال معه مرة أخرى، حتى وإن طلبوا منه ذلك.

د - صيغة اسم المكان: لم يرد اسم المكان من (قعد) في آيات الجهاد إلا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: (فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله)<sup>(43)</sup>، والمقصود بهم المنافقون.

ويسمى اسم المكان هذا باسم المكان القياسي، أو اسم المكان المشتق من المصدر، أي: الذي يُشتق من المصدر بطريقة القياس الصرفي؛ ليدل على المكان، مثل: مَوْقِفٌ، ومَجْرَى، ومَقْعَدٌ.<sup>(44)</sup> وعلى الرغم من أن بعض المفسرين<sup>(45)</sup>، قد ذهب إلى أن المقعد - هنا - ليس إلا مصدراً، أي: فرحوا بقعودهم وإقامتهم بالمدينة؛ فإن ابن عباس قد ذهب إلى أن المقصود بالمقعد: المدينة المنورة، وعلى هذا فهو اسم مكان.<sup>(46)</sup> وهذا الرأي هو ما يطمئن إليه الباحث ويرجحه.

ثالثاً: المزوجة بين المفهومين (التخلف) و (القعود): فضلاً عن ذلك فإن القرآن الكريم قد زاوج بين اللفظين في آية واحدة فجعل الفعل من (القعود) وجعل اسم الفاعل من (التخلف)؛ تأكيداً على أنها هنا بمعنى واحد، وأنه بالإمكان أن ينوب أحدهما عن الآخر، وذلك في قوله تعالى: ((فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْنُوكَ لِخُرُوجٍ فَقُلْ لَنْ نَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ))<sup>(47)</sup>.

ونحن نعلم أن فعل الأمر (اقعدوا) قد ورد أيضاً مع اسم الفاعل (القاعدين) في قوله تعالى: ((وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ))<sup>(48)</sup>، وهذا قد يدل على أنها بمعنى واحد. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن لفظة (القاعدين) أو (القاعدون) لم ترد صفة لهؤلاء المنافقين، وإنما وصفوا بأنهم (مع القاعدين)، إذ يقول الله فيهم: ((وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ))<sup>(49)</sup>، ويقول -أيضاً-: ((وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ))<sup>(50)</sup>. فالقاعدون والخالفون ليسوا المنافقين، ولكن القاعدين في الآية هم فريق من المؤمنين الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد مع الرسول ﷺ تكاسلاً منهم، بدليل قوله تعالى: ((لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرِ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ

المُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكَلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا))<sup>(51)</sup>.

إن الباحث يرى أن المقصود بالقاعدين في هذه الآية ليس النساء أو الصبيان فحسب، كما ذهب إلى ذلك المفسرون، ولكنه يرى أن القاعدين هم أهل الأعداء من المسلمين، والدليل على ذلك من القرآن نفسه، إذ إن لفظة (القاعدين / القاعدون) لم تخص إلا هؤلاء المعذرين، ولم تذكر النساء أو الصبيان من قريب أو بعيد. أما النساء فقد وصفن بـ(القواعد) في قوله تعالى: ((وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا))<sup>(52)</sup>، والقعود هنا ليس كالقعود في حقَّ المعذرين؛ لأن قعودهن هو طعنهن في السن وعدم تطلعهن إلى الزواج، وهو بخلاف قعود هؤلاء عن القتال.

فقد وردت لفظتا (القاعدون / القاعدين) اللتان هما وصف للذين تأخروا عن القتال مع المؤمنين في هذه الآية ثلاث مرات. ولم ترد في وصف المنافقين صراحة، ولكن القرآن وصفهم بأنهم قعدوا مع هؤلاء القاعدين. فإذا كان قعود هؤلاء القاعدين مبرراً؛ فإن قعود المنافقين معهم ليس مبرراً.

أما قوله تعالى: ((وَقِيلَ أَفَعُدُّوا مَعَ الْقَاعِدِينَ))<sup>(53)</sup>. فقد تكلم فيه بعض المفسرين بأن قائل القول هذا، أي الذي قال لهم (اقعدوا)، يجوز أن يكون هو الله - عز وجل - وذلك من خلال تشبيته لهم؛ لأنه كره خروجهم؛ لأجل الإفساد، وقيل: هو إبليس، عن طريق الوسوسة لهم، وقيل: قاله بعضهم لبعض، وقيل: إن الذي قال لهم ذلك هو الرسول ﷺ بدليل قوله تعالى: ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَا أَذْنَتْ هُمْ))<sup>(54)</sup> وفي هذا خلاف بين المفسرين<sup>(55)</sup>.

والذي يترجح لدى الباحث أنه يمكن أن يكون القول من الجميع، ولكن الأرجح من ذلك كله هو أن بعض المنافقين هو الذي قاله لبعضهم الآخر، بدليل قوله تعالى على لسانهم: ((وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ))<sup>(56)</sup>.

وإذا كان القائل هو الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه مدفوع باحتمال أن يقال: إنهم استأذنوه في الخروج معه، فأذن لهم، وعلى هذا يسقط السؤال<sup>(57)</sup> كما يندفع أن يكون القائل هو الله عز وجل، أو أن يكون إبليس؛ بأن القول يحتاج إلى قائل، ومقول، ومقول له، فإذا انعدم واحد منها لم يعد القول

قولاً؛ لأننا نعلم أن الله تعالى لم يخاطبهم ولم يقل لهم ذلك قولاً، وكذلك إبليس فإنه لم يخاطبهم مباشرة، ولم يتكلم معهم.

بعد هذا العرض لمخططات ورود لفظتي (التخلف، والقعود) ومشتقاتها في آيات الجهاد في القرآن الكريم، يتضح الآتي:

- 1- تساوى اللفظان مع مشتقاتهما في عدد ورودهما. إذ ورد كلُّ منهما (10) مرات، فقد ورد لفظ (التخلف) ومشتقاته في (10) آيات، في سورتين مدنيتين، هما: التوبة، والفتح. وورد لفظ (القعود) ومشتقاته في (6) آيات، في (3) سور مدنية، هي: النساء، والتوبة، والفتح.
- 2- ورد من (التخلف) اسمُ الفاعل (3) مرات: مرة للجمع المذكر (الخالفين) ومرتين للجمع المؤنث (الخوالف)، واسمُ المفعول (4) مرات، كلها للجمع المذكر (المخلفون / المخلفين). بينما لم يأت من (القعود) إلا اسمُ الفاعل فقط، وكان للجمع المذكر: (القاعدون / القاعدين)، إذ ورد (4) مرات.
- 3- ورد من (التخلف) فعلان: أحدهما ماضٍ (خُلِّفُوا)، والآخر مضارع (يتخلفوا)، في حين ورد من (القعود) (3) أفعال: اثنان بصيغة الأمر (اقعدوا)، وواحد بصيغة الماضي (قعد).
- 4- جاء من (التخلف) الظرف مرة واحدة، وهو: (خلاف)، وجاء من (القعود) المصدرُ (القعود) مرة واحدة، واسمُ المكان (مقعدهم) مرة واحدة.
- 5- أُسندت جميع الأفعال من (التخلف، والقعود) إلى الجمع المذكر فقط.
- 6- ورد من لفظة (التخلف) فعل مبني للمجهول (خُلِّفُوا)، أما من لفظة (القعود) فلم يرد.
- 7- أتى اسم الفاعل من (التخلف) بصيغة الجمع المذكر مرة واحدة (الخالفين)، ومرتين بصيغة الجمع المؤنث (الخوالف)، أما من (القعود) فلم يأت اسم الفاعل إلا بصيغة الجمع المذكر (القاعدون / القاعدين).
- 8- كثرة ورود الصيغ الاسمية من اللفظين مقارنة بالصيغ الفعلية، فقد وردت الصيغ الاسمية من (التخلف) (8) مرات، وكان أكثرها صيغة اسم المفعول، إذ وردت (4) مرات، تلتها صيغة اسم الفاعل، إذ وردت (3) مرات، وأخيراً صيغة الظرف التي لم ترد إلا مرة واحدة. وأما لفظة (القعود) فقد وردت منها الصيغ الاسمية (7) مرات، كان أكثرها صيغة اسم الفاعل، إذ وردت (5) مرات، تلتها صيغتا المصدر، واسم المكان، إذ وردت كلُّ منهما مرة واحدة.

9- كثرة إسناد أفعال اللفظين إلى واو الجماعة، فقد أسندت إليه (4) مرات، ولم تسند إلى الاسم الظاهر إلا مرة واحدة.

10- لم يأت اسم الفاعل من لفظة (التخلف) مرفوعا، وإنما أتى مضافا إليه (مع الخالفين)، أما من (القعود) فقد ورد اسم الفاعل مرفوعا (القاعدون) ومجرورا (القاعدين).

من خلال المعطيات السابقة المستخرجة من مخطط ورود مفهومي (التخلف والقعود) يمكننا تسجيل الفروق بينهما - من جهة -، وبين بعض مشتقاتها وبعضها الآخر - من جهة ثانية - على النحو الآتي:

أتى فعل الأمر من القعود في قوله تعالى: (فاعدوا مع الخالفين) وقوله: (اعدوا مع القاعدين)، ولم يأت من التخلف؛ وذلك لأن الأمر من (التخلف) قد يؤدي معاني أخرى غير المعنى المراد منه -هنا- وهو عدم الخروج للقتال، ومن ذلك قوله تعالى على لسان موسى لأخيه هارون: ﴿أَخْلَفْنِي فِي قَوْمِي﴾. ولذلك فقد جاء فعل الأمر (اعدوا) مقترنا بـ(القاعدين / الخالفين) على حد سواء؛ نظرا إلى دقة الفعل (اعدوا) في الدلالة على المعنى المراد، وهو طلب عدم خروجهم للقتال.

- لم يأت من لفظة (القعود) اسم المفعول (المُقْعَدون)؛ لأن (المُقْعَد) لا يصح أن يدل على الذي تركه غيره في الحِيّ حين خرجوا للغزو والجهاد. لأن المُقْعَد هو الذي قعد عن الديوان، ومن يعجز عن النهوض لِرَمَانَةٍ به. أي: من يعجز عن النهوض عن قعود، أو اضطجاع؛ لِعَلَّةٍ فيه (58).

- أُسْنِدُ إِلَى لَفْظَتِي (المخلفون / المخالفين) الفعلان: (سيقول، وقُل) بصيغتي المضارع الدال على الاستقبال، والأمر، في قوله تعالى (سيقول المخلفون، وقُل للمخلفين)، أما مع (القعود) فقد جاء الفعلان: (قالوا، وقيل) بصيغة الماضي، أحدهما مبني للمعلوم والآخر مبني للمجهول. في قوله تعالى: (وقالوا ذرنا نحن مع القاعدين، وقيل ااعدوا مع القاعدين).

- تساوت صيغة اسم المفعول من (التخلف) أي: (المخلفون / المخالفين) مع صيغة اسم الفاعل من (القعود) أي (القاعدون / القاعدين) في دلالة كل منهما على الذين تخلفوا عن الخروج للقتال مع النبي ﷺ. ولم تدل عليهم صيغة اسم الفاعل من لفظة (التخلف).

- لما تحدث القرآن الكريم عن أهل المدينة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك - وفيهم المؤمنون، والمنافقون، والأعراب - فقد شدّد عليهم وعاتبهم، حين أسند إليهم الفعل المبني للمعلوم (يتخلفوا)، أي إن تخلفهم كان بمحض إرادتهم، أما عندما أسند الفعل إلى الثلاثة المؤمنين الذين تاب الله عليهم فيما بعد، وهم: مرارة بن الربيع، وكعب بن مالك، وهلال بن أمية؛ فقد تطفّ القرآن معهم، وأسند إليهم الفعل الماضي المبني للمجهول؛ تخفيفاً عنهم، فقال عنهم: (وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا).

- لما فرّق القرآن الكريم بين صنفين من المؤمنين: القاعدين من غير ضرر والمجاهدين بأموالهم وأنفسهم من حيث الأجر فقط، وساوى بينهما في أن موعد كل منهما الحسنی؛ دل ذلك على أن القعود بسبب الضرر ليس فيه أثم، بخلاف (التخلف) فإن القرآن شدّد على منعه، قال تعالى: (ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله).

الخاتمة: من خلال ما تقدم يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- أن القعود والتخلف - في القرآن الكريم - قد يترادفان ويتبادلان المواقع ليدل أحدهما على الآخر؛ ولكن من خلال ورودهما في القرآن الكريم وجد الباحث أن أسماء الفاعلين من (القعود) أعم منها من (التخلف)؛ لأن المذكر والمؤنث من (التخلف) وهما (الخالفون والخوالف) قد أتيا بمعنى واحد، وهو أن يُخلفَ أحدٌ غيره بعد خروجه للقتال أو التجارة، ويستوي في ذلك المذكر والمؤنث، أما المذكر من (قعد) وهو (القاعدون) فقد أتى بمعنى القعود عن القتال والحرب؛ ولذلك فقد عُرف عند الخوارج فريقٌ منهم لم يكونوا يخرجون معهم للقتال، سموهم (القَعْدُ)، أما لفظة (القواعد) الدالة على المؤنث فلم تأت بهذا المعنى، وإنما بمعنى القعود عن الحيض، وعدم الرغبة في الزواج.

- أن المنافقين والأعراب الذين تخلفوا عن الخروج للقتال مع الرسول صلى الله عليه وسلم في غزواته: (تبوك، والحديبية، وفتح خيبر) لم يوصفوا صراحة بأنهم قاعدون أو خالفون، وإنما وصفوا بأنهم قعدوا (مع الخالفين) أو (مع القاعدين)، بدليل أن لفظتي: (الخالفين والقاعدين) لم تأتيا إلا مجرورين بإضافة (مع) إليهما، ولم تأت لفظة (قاعدون) مرفوعة إلا في موضع واحد،

وهو الذي وُصِفَ فيه المعذرون من المؤمنين فقط، أما لفظه (الخالفون) -بالرفع- فلم تأتِ مطلقاً.

- أنه من خلال معاني الصيغ الصرفية للألفاظ المشتقة من (القيود) و(التخلف) الخاصة بالأعراب والمنافقين، يمكن إيجاد فروق بين (الخالفين) و(المخلفين) من خلال دلالتها الصرفية، إذ الأولى اسم فاعل، والثانية اسم مفعول. فالذين وُصفوا باسم الفاعل (الخالفين) لم يكونوا المنافقين أو الأعراب، ولكن هؤلاء المنافقين والأعراب قد وُصفوا بـ(المخلفين)، ومعنى هذا أنهم لم يتخلفوا من تلقاء أنفسهم -فقط-، وإنما خَلَفَهُم المجاهدون من المؤمنين وتركوهم في المدينة مع المتروكين من النساء، والصبيان، وغيرهم؛ خشية تشويشهم، وإفسادهم جيش المسلمين، وتثبيطهم عن القتال.
- قرن القرآن الكريم قيود أولئك المنافقين بالخوالف بقوله: (مع الخوالف) تشنيعاً لهم ولفعلتهم التي تنافي صفات الرجولة في الإقدام والشجاعة؛ لأن الخوالف (جمع خالف) من صفات النساء، وهذه صفة ذم، كقول زهير<sup>(59)</sup>:

وما أدري وسوف إخال أدري أقومُ آل حصنٍ أم نساء  
فإن تكن النساء مخباتٍ فحق لكل محصنة هداء

وقال آخر: (60)

كُتِبَ القتلُ والقتالُ علينا وعلى الغاياتِ جرُّ الذبولِ<sup>(61)</sup>

- لما أجاز القرآن الكريم القيود لأصحاب الأعدار من المؤمنين؛ دل ذلك على أن القيود صنفان: قيود بعذر، ولم يكن إلا لطائفة من المؤمنين، وقيود من غير عذر، وكان للمنافقين الذين رضوا بالقيود، أما التخلف فليس له إلا وجه واحد، وهو التخلف من غير عذر. حتى الثلاثة المؤمنين الذين تاب الله عليهم كان تخلفهم من غير عذر، ولكن صدقهم واعترافهم بذلك للنبي ﷺ، وندمهم عليه كان سبباً في عفو الله عنهم. وهذا يدل على أن التخلف أشمل من القيود، وأعم.



الهوامش والإحالات

- (1) التوبة: 87، 93.
- (2) أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، دمشق، 1399 هـ، 1979 م: 2 / 210، 212.
- (3) أبو الحسن بن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2000 م: 5 / 202.
- (4) ابن سيده، المخصص: تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1996 م: 3 / 320.
- (5) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. د. ط: 23 / 258.
- (6) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب: دار صادر، بيروت، ط 1: 9 / 82.
- (7) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن: تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، د. ط، د. ت: 409.
- (8) أحمد بن فارس، الصحابي في فقه اللغة: منشورات: محمد علي بيضون، ط 1، 1418 هـ، 1997 م: 5 / 108.
- (9) المفردات في غريب القرآن: 409.
- (10) الصحابي: 5 / 108.
- (11) لسان العرب: 3 / 357.
- (12) تاج العروس: 23 / 258.
- (13) ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، د. ت: 3 / 181.
- (14) التوبة: 83.
- (15) التوبة: 87.
- (16) التوبة: 93.
- (17) أوضح المسالك: 3 / 196.
- (18) التوبة: 81.
- (19) الفتح: 11.
- (20) الفتح: 15.

- (21) الفتح: 16.
- (22) فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب: دار إحياء التراث العربي. بيروت. ط3. 1420هـ: 16 / 113.
- (23) التوبة: 120.
- (24) التوبة: 118.
- (25) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تفسير ابن كثير: تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة للنشر- والتوزيع، 1420 هـ، 1999م: 4 / 234.
- (26) أبو إسحق الثعلبي، تفسير الكشف والبيان: تحقيق: الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 1422 هـ، 2002م: 5 / 109، تفسير البحر المديد: أبو العباس أحمد بن محمد الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2002م: 3 / 177، واللباب في علوم الكتاب: أبو حفص الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1998م: 10 / 236.
- (27) التوبة: 122، تفسير ابن كثير: 4 / 154.
- (28) التوبة: 81.
- (29) مفاتيح الغيب: 16 / 113.
- (30) المفردات في غريب القرآن: 157.
- (31) جار الله الزمخشري، الكشاف: دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ: 2 / 296.
- (32) مفاتيح الغيب: 16 / 113.
- (33) النساء: 95.
- (34) التوبة: 46.
- (35) التوبة: 86.
- (36) التوبة: 90.
- (37) التوبة: 46.
- (38) التوبة: 83.
- (39) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 10 / 169.
- (40) ابن هشام الأنصاري، شرح قطر الندى: تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة، ط11، 1383هـ: 260، و الحدود في علم النحو: شهاب الدين البجائي الأندلسي، تحقيق: نجاة حسن عبدالله نولي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، العدد: 112، السنة: 33، 1421 هـ، 2001م: 473.
- (41) ابن آجروم محمد بن داوود الصنهاجي، متن الأجرومية: الناشر: دار الصميعي، 1419 هـ، 1998م: 18.

- (42) التوبة: 83.
- (43) التوبة: 81.
- (44) ينظر: ابن هشام الأنصاري، شرح شذور الذهب: تحقيق: عبد الغني الدقر، الشركة المتحدة للتوزيع، سوريا، د. ط، د. ت: 304.
- (45) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: 10 / 158.
- (46) ينظر: نفسه: 10 / 158.
- (47) التوبة: 83.
- (48) التوبة: 46.
- (49) التوبة: 46.
- (50) التوبة: 86.
- (51) النساء: 95.
- (52) النور: 60.
- (53) التوبة: 46.
- (54) التوبة: 43.
- (55) اللباب في علوم الكتاب: 10 / 106، 107. وتفسير الفخر الرازي: فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط: 16 / 63.
- (56) التوبة: 86.
- (57) اللباب في علوم الكتاب: 10 / 106.
- (58) المفردات في غريب القرآن: 409.
- (59) زهير بن أبي سلمى: ديوانه، اعتنى به وشرحه: حمدو طهاس، دار المعرفة، بيروت، ط2، 1426 هـ. 2005 م: 13.
- (60) عمر بن أبي ربيعة: ديوانه، وقف على طبعه وتصحيحه: بشير يموت، المطبعة الوطنية، بيروت، ط1، 1353 هـ، 1934 م: 233.
- (61) اللباب في علوم الكتاب: 10 / 167.



## الشائعات (خطرهما، وطرق الحد من آثارها) (في ضوء الهدى النبوي)

د. عبد الناصر محمد قايد على الصانع\*

المخلص:

يتناول هذا البحث بيان حقيقة الشائعة، وبيان جملة من الأسباب والدواعي والأغراض التي تكون وراء ترويح الشائعات، وجملة من العوامل التي تساعد على اتساع نطاقها، وبيان جملة من الآثار السيئة التي تتركها الشائعات على الأفراد والمجتمعات والجماعات .

ثم تناول البحث بالبيان المنهج الصحيح في التعامل مع الشائعات في ضوء الهدى النبوي الراشد، من خلال ضرب نماذج من الشائعات التي انتشرت في زمن الوحي، وكيف تعامل النبي ﷺ مع تلك الشائعات ليخرج منها بأقل الخسائر، وكذلك من خلال التوجيهات والإرشادات النبوية التي تتعلق بهذا الموضوع .

وأكد الباحث في ختام بحثه على أمرين مهمين:

الأول: وجوب الثبوت من كل ما يصل إلى السمع، عملاً بالأدلة التي توجب الثبوت، فبئس مطية الرجل زعموا.

والثاني: يكون بعد التأكد من صحة الخبر ووثوق مصدره، وهو النظر في المصلحة من نشره أو عدم نشره، فليس كل ما يُعلم يقال، وقد تكون المصلحة في كتمانها وطيه وعدم نشره، والشريعة جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

\* أستاذ مشارك - قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية - كلية الآداب - جامعة إب .

مقدمة

الحمد لله الصادق في قيله، والعدل في أحكامه: " وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدَّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ " [الأنعام: 115]، والصلاة والسلام على من كان الصدق له علامة، والأمانة له ديانته، ورضي الله عن آله وأصحابه الكرام الموصوفين في محكم البيان بالصدق والفلاح والموعودين بالرضا من الله والرضوان: " مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا " [الأحزاب: 23]، ونسأل الله أن يرزقنا حبهم، والسير على طريقتهم، والافتقار لآثارهم، وأن يحشرنا في زميرتهم مع نبينا محمد ﷺ، أما بعد:

إن مما ابتلي به الناس اليوم أن الأخبار والشائعات أصبحت تُنقل على ألسن بعضهم، وأقلامهم من غير تثبت ولا روية، خاصة مع تنوع وسائل الاتصال والإعلام السمعية والبصرية التي أصبحت لذلك مطية.

فما أكثر ما يُنشر على بعض القنوات الفضائية، والجرائد اليومية، والمجلات الأسبوعية والشهرية، والشبكات، ومواقع التواصل الاجتماعي مما لا أصل له، وإنما هو كذب قد يراد به إحداث الفتن والاضطرابات في المجتمعات الإسلامية، والتحريض على الفتنة، وتوسيع هوة الخلاف بين أبناء الشعب الواحد، والقبيلة أو الجماعة الواحدة، أو بين أبناء الدول الإسلامية، وعلى المستويات كلها، وعندما تختلط الأمور؛ وتكثر الحوادث والفتن، وتتنوع المشكلات تتطلع النفوس إلى استكشاف الحقائق، وذلك أمر طبيعي لملء الفراغ النفسي، وإشباع تلك الحاجة الفطرية فيكون الحرص على متابعة مصادر الأخبار، وهذه الحاجة كثيراً ما يستغلها أصحاب المطامع لتنفيذ مآربهم؛ فينشرون في وسائلهم الإعلامية أخباراً كاذبة؛ وتحليلات باطلة لكسب ما يرجون الوصول إليه؛ فيتلقف تلك الأخبار والتحليلات أناس لا حظ لهم في علم ولا فهم؛ فيبنون عليها آراءهم؛ وينسجون عليها مواقفهم؛ بل قد يصل الحال بهم إلى أن يُوالوا ويُعادوا بناء على تلك الأخبار، والتحليلات المغرضة. إن هذه الشائعات التي لا يُعرف صحتها من سقيمها لم يُصبح نشرها -للأسف- قاصراً على فئة معينة من عامة الناس، بل الذي يُحزن المؤمن أكثر عندما يرى أن ممن يسهم في نقلها أيضاً بعض الأخيار الصالحين.

ومن المتفق عليه أن المسلمين اليوم يواجهون غزواً ثقافياً وفكرياً وحضارياً يطال كل جوانب حياتهم كلها، ولم يعد هذا الغزو الشامل مقتصرًا على الوسائل التقليدية للغزو الفكري، بل أضحت الرسالة الغازية تعبرُ إلى الأجيال والعقول عن طريق الخبر الذي تبثّه وكالات الأنباء، والتحليل السياسي أو الاجتماعي الذي تكتبه الصحيفة، وعن طريق الصورة التي ترسلها الوكالات الفضائية المصوّرة.. وهذا الغزو يعمل على زعزعة مبادئ الإسلام وقيمه، وهدم أخلاقياته ومثله في نفوس أبناء المسلمين لينشأوا في غربة عن دينهم وحضارتهم وتراثهم.

وإذا علمنا ذلك سندرك خطورة تصديق ما ينشر ويتداول في وسائل الإعلام بدون تثبت أو روية.

إذن فنحن أمام حرب (قديمة - جديدة) اسمها (حرب الشائعات) إلا أنها في وقتنا الحاضر لها مداها؛ بسبب الثورة الإعلامية التي يعيشها العالم اليوم، وهذه الحرب لها أثر كبير، وخطر شديد في تشكيل العلاقة بين أبناء البلد الواحد، وصناعة العلاقات بين الدول، وهي حرب نفسية، قد تكون تمهيدا لما بعدها من الحروب التي تنوعت اليوم وتعددت.

إن الشائعات من أخطر الآفات المدمرة للمجتمع، فكم من شائعات جنت على أبرياء، وكم من شائعات أشعلت نار الفتنة بين قبائل وأحزاب وجماعات وشعوب ودول وكم من شائعة أدت إلى إزهاق الأنفس البريئة، أو إلى وحشة وقطيعة، أو إتلاف أموال معصومة، وكم من شائعات نالت من علماء وعظماء. والوقوع في مثل هذا الخطأ والانحراف ناتج عن البعد عن المنهج النبوي الراشد، وامتثال توجيهاته في مثل هذه النوازل، ولو عمل الناس بمقتضى هدي سيد المرسلين ﷺ لتجنبوا شرا كثيرا، وصلحت أحوالهم في عاجل أمرهم وآجله، ولسلموا من أن يكونوا مصدراً من مصادر الشائعات، أو مطية لمرورها على ألسنتهم أو بأقلامهم أو بأطراف أناملهم.

وقد كان موقف الإسلام حاسماً حازماً قوياً من الشائعات ومروجيها لما يترتب عليها من آثار سلبية تزلزل كيان المجتمع وتؤثر على تماسكه وتلاحم أبنائه كما سيتضح من خلال الأسطر القادمة. ونظراً إلى أهمية الموضوع وخطورته، وحاجتنا إلى التذكير به، فقد رأيت أن أسهم في عرض هذه المشكلة وعلاجها من خلال الهدي النبوي الراشد، الذي جاء بالوحيين الكتاب والسنة، في هذا البحث.

ومما يبرز أهمية الموضوع إضافة إلى ما سبق:

- كثرة النصوص المتعلقة بالموضوع تصرّحاً، أو إشارة، تحذيراً من الشائعات وبيانا لخطورها، وتوضيحا للمنهج الواجب التزامه نحوها.
- كثرة الشائعات في هذه الأيام بسبب فتنة الحزبية والاختلاف والاقتيال الدائر بين أطراف مختلفة في البلاد، وكثرة من يتأثر بهذه الشائعات، وسرعة انتشارها وتصديقها بين الناس وتداولها.
- ضعف التزام المسلمين اليوم بأخلاقيات الإسلام والآداب الشرعية لا سيما في باب التعامل مع الشائعات، وقد يكون ذلك عن جهل منهم بخطورة ما يفعلونه، فضلا عن الغفلة عن مخططات الأعداء التي تستهدفهم.
- خطر الشائعات، وسوء أثرها على الفرد والجماعة، مما يوجب التنبيه على ذلك للعلم والحذر، لأجل ذلك كان هذا الجهد المتواضع إسهاما في إبراز بعض هذه الأخلاقيات والتوجيهات والآداب عليها تنير الطريق أمام المسلمين وتبصّرهم بمدى الخطورة المترتبة على تصديق الشائعات ونشرها وإشاعتها.
- وقد حاولت الاختصار قدر الإمكان، فعزوت الآيات إلى سورها في صلب البحث، وخرجت الأحاديث تحريجا مناسبا وبينت الحكم على كل حديث من كلام أهل العلم، ولم أتعرض لتراجم الأعلام و البلدان إثارا للاختصار، وقد جاءت خطة البحث مختصرة -بعد المقدمة- في المباحث الآتية:

المبحث الأول: تعريف الشائعة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: التحذير من الشائعات والترهيب من تصديقها وترويجها.

المبحث الثالث: أسباب انتشار الشائعات.

المبحث الرابع: نماذج من الشائعات وبيان بعض آثارها.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في التعامل مع الشائعات والحد من آثارها.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

## المبحث الأول: تعريف الشائعة

أولاً في اللغة: شائعة مفرد: والجمع شائعات وشوائعُ. قال ابن فارس: الشين والياء والعين أصلان، يدلُّ أحدهما على معاضدة ومساعدة، والآخر على بَثُّ وإشادة... وأما الآخر فقولهم: شاع الحديث، إذا ذاع وانتشر. [ومنه حديث: "أَيُّ رَجُلٍ أَشَاعَ عَلَى رَجُلٍ عَوْرَةَ لَيْشِينَهُ بِهَا"<sup>(1)</sup> أي أظهر عليه ما يعيبه، يقال: شاع الحديث وأشاعه إذا ظهر وأظهره]<sup>(2)</sup>. ويقال شَيَّعَ الرَّاعِي إِبلَهُ إذا صاح فيها، والاسم الشِّياع، وهي القصبه التي يَنْفُخُ فيها الرَّاعِي وهي أيضاً (النداء والبوق يدعى به).. ومن الباب قولهم في ذلك: له سهم شائع، إذا كان غير مقسوم، وكأنَّ من له سهمٌ ونَصِيبٌ انتشرَ في السَّهْمِ حتَّى أخذَه، كما يَشِيْعُ الحديثُ في الناس فيأخذ سَمْعَ كُلِّ أَحَدٍ، ومن هذا الباب: شَيَّعَتِ النَّارُ فِي الحطبِ، إذا أَلْهَبَتْهَا..<sup>(3)</sup>

وأشاعَ الخبر، أي أذاعه (وأظهره ونشره)، فهو رَجُلٌ مَشِياعٌ، أي مذياعٌ، وأشاعَ بالقوم: نادى وصاح، والشائع: المنتشر، والشائعة: الخبر ينتشر غير مثبت منه<sup>(4)</sup>.

ثانياً في الاصطلاح: ظهر أن الشائعة في اللغة هي الإظهار والنشر، وذلك يصدّق على ما هو صدق أو كذب، ولكن العرف قصرها على الأخبار التي لم يثبت صدقها بعد، ويقال لها: الأراجيف، واحدها إرجاف، وأصل الرَّجْفِ الحركة والاضطراب<sup>(5)</sup>، والشائعة فيها هذا المعنى، وقد قال الله تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا تَقْتِيلًا" [الأحزاب: 60، 61]، والمرجفون هم الذي يقولون: "جاء الأعداء"، و"جاءت الحروب"، وهو كذب وافتراء<sup>(6)</sup>.

قال السعدي في تفسيره: المخوفون المرهبون الأعداء، المتحدثون بكثرتهم وقوتهم، وضعف المسلمين، ولم يذكر المعمول الذي ينتهون عنه ليعم ذلك، كل ما توحى به أنفسهم إليهم، وتوسوس به، وتدعو إليه من الشر، من التعريض بسب الإسلام وأهله، والإرجاف بالمسلمين، وتوهين قواهم، والتعرض للمؤمنات بالسوء والفاحشة، وغير ذلك من المعاصي الصادرة، من أمثال هؤلاء<sup>(7)</sup>.

وتُعرف الشائعة في الاصطلاح بتعريفات كثيرة متقاربة، ومن أحسن ما تعرف به: أنها المعلومات أو الأفكار التي يتناقلها الناس، دون أن تستند إلى مصدر موثوق يشهد بصحتها، أو الترويج لخبر محتلق لا أساس له من الواقع، أو يحتوي على جزء ضئيل من الحقيقة.



ويظهر من التعريف أن للشائعة صوراً:

- قد تكون الشائعة خبراً لا أساس له من الصحة، ولكن نُشر وتداوله لناس على أنه حقيقة.
- أو خبراً صحيحاً أضيفت إليه معلومات غير صحيحة.
- أو خبراً صحيحاً حصل فيه تهويل، وأُظهر على غير حقيقته.
- أو خبراً صحيحاً، لكن عُلق عليه أو فُسر أو حُلل بطريقة مغايرة لحقيقته لغرض ما.. (8).

وبين إشاعة، وشائعة فرق لطيف:

فـ"الإشاعة" مصدر من الفعل "أشاع" وتعني إذاعة الخبر وإفشاءه بين الناس، وكلمة "شائعة" اسم فاعل من "شاع" بمعنى ذاع وانتشر، والفعل "أشاع" نسب إلى فاعل، بينما الفعل "شاع" أسند الفعل إلى الشائعة نفسها، وقد يكون في الفعل: "أشاع" من معنى القصد والتعمد في نشر الخبر ما ليس في الفعل "شاع"، والله أعلم.

قال في لسان العرب: شاع الخبر في الناس... انتشر وافترق وذاع وظهر، وأشاعه هو، وأشاع ذكر الشيء أطاره وأظهره<sup>(9)</sup>. ويقال: الإشاعة هي تضخيم للأخبار الصغيرة، وإظهارها بصورة تختلف عن صورتها الحقيقية، فهي إذن أخبار موجودة، لكن إظهارها بصورة مختلفة عن حقيقتها بالتهويل والتعظيم أصبحت "إشاعة".

أما "الشائعة" فهي أقوال أو أخبار أو أحاديث انتشرت بين الناس، فتناقلوها دون تثبيت من صحتها، ودون التحقق من صدقها، أما إذا قلنا: "هذا خبر شائع" فسيكون على معناها اللغوي، أي ذائع منتشر<sup>(10)</sup>.

المطلب الثاني: التحذير من الشائعات والترهيب من تصديقها وتروييحها

ورد التحذير من الشائعات في نصوص كثيرة، نسوق منها ما يأتي:

أولاً: مما ورد في القرآن الكريم في التحذير من الشائعات

- 1- يؤكد الشرع ضرورة الثبوت والتبين من الأخبار والروايات التي تتناقلها الألسن، ويصف مروجي الشائعات بالفسق، فقال تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" [الحجرات: 6]، قرأ الجمهور: "فتبينوا" من التبين، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: "فتبينوا" من الثبوت<sup>(11)</sup>.

ومعنى القراءتين واحد، فالمراد من التبين التعرف والتفحص، ومن الثبت الأناة وعدم العجلة، والتبصر في الأمر الواقع والخبر الوارد حتى يتضح وحتى تظهر الحقيقة فيما أنبأ به الفاسق، ولا تقتصروا على خبره كراهة أن تصيبوا قوماً بجهالة، فقوله تعالى: "أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا" أي: لئلا تصيبوا قوماً، أو كراهة أن تصيبوا قوماً "بجهالة" والجهالة هنا هي: أن يجهل حال القوم، لأن الخطأ ممن لم يتبين الأمر ولم يثبت فيه هو جهالة، لأنه لم يصدر عن علم.

وقوله تعالى: "فَتَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"، فإذا قذفت هؤلاء القوم البراء مما هم برآء منه بغية أذيتهم بجهالة، لاعتقادكم أنهم يستحقون ذلك طبقاً لخبر الفاسق، ثم يظهر لكم عدم استحقاقهم، فهذه الإصابة وهذه الأذية تجعلكم "تُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ"، يعني: على ما فعلتم من العجلة وترك التأني، نادمين لظهور كذب الفاسق فيما أنبأ به عنهم، وستندمون على إصابتكم إياهم بالجنابة التي تصيبونهم بها (12).

وقد روي في سبب نزول هذه الآية حديث عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ قد بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وإنه لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا ليتلقوا رسول الله ﷺ، وإنه لما حدث الوليد أنهم خرجوا يتلقونه رجع إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله إن بنى المصطلق قد منعوا الصدقة، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم إذ أتاه الوفد، فقالوا: يا رسول الله، إنا حدثنا أن رسولك رجع من نصف الطريق، وإنا خشينا أن يكون إنما رده كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله، وإن رسول الله ﷺ استغشهم وهم بهم، فأنزل الله عز وجل عذرهم في الكتاب فقال: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" [الحجرات: 6] (13).

قال ابن كثير: يأمر تعالى بالثبوت في خبر الفاسق ليحتاط له، لئلا يحكم بقوله فيكون في الأمر نفسه كاذباً أو مخطئاً، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه، وقد نهى الله عن اتباع سبيل المفسدين، ومن هاهنا امتنع طوائف من العلماء من قبول رواية مجهول الحال لاحتمال فسقه في الأمر نفسه (14). فهذا "من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتبثوا في خبره، ولا يأخذوه مجرداً، فإن في ذلك خطراً كبيراً، ووقوعاً في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة

خبر الصادق العدل، حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سبباً للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق، التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه، عمل به وصدق، وإن دلت على كذبه كذب، ولم يعمل به، ففيه دليل، على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا، ولهذا كان السلف يقبلون روايات كثير من الخوارج، المعروفين بالصدق، ولو كانوا فساقاً<sup>(15)</sup>.

وإنما خصص الفاسق بعدم تصديق خبره؛ لأنه مظنة الكذب، فهو موضع الشك حتى يثبت خبره، مع العلم أن الأخذ بخبر الثقة جزء من منهج التثبت في الإسلام؛ لأنه أحد مصادره، أما الشك المطلق في جميع المصادر وفي جميع الأخبار، فهو مخالف لأصل الثقة المفروض بين الجماعة المؤمنة، ومعتل لسير الحياة وتنظيمها في الجماعة، والإسلام يدع الحياة تسيير في مجراها الطبيعي، ويضع الضمانات والحواجز فقط لصيانتها لا لتعطيلها ابتداء. ثم إن التثبت إنما يكون في الأمور غير الواضحة، التي تحتاج إلى تثبت وتبين، يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة، فالواضحة البيّنة لا تحتاج إلى تثبت وتبين؛ لأن ذلك تحصيل حاصل، وأما الأمور المشككة غير الواضحة، فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟ إن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشور عزيمة، إذ به يعرف دين العبد وعقله ورزاقته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي"<sup>(16)</sup>؛ وذلك أن الكلمة السيئة والشائعة المغرضة خطرهما عظيم، خاصة في مثل هذه الأزمان، ولها أثارها السلبية على الأفراد والمجتمعات، بل وعلى الأمة بأسرها وعلى أمنها، فكم أشعلت الكلمة من حروب، وكم أهلكت من قرى وأبادت من جيوش، وكم أورثت من غلّ وحقد في الصدور، وكم خربت من بيوت وهدمتها على أهلها.

2- قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِنَا أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا" [النساء: 94].

عن ابن عباس قال: مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ وهو يسوق غنماً له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ، فنزلت

هذه الآية: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا..." إلى آخرها<sup>(17)</sup>.

وورد في سبب نزولها رواية أخرى، من حديث عبد الله ابن أبي حدرد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله ﷺ إلى إصم<sup>(18)</sup>، فخرجت في نفر من المسلمين، فيهم أبو قتادة الحارث بن ربيعي، ومحمم بن جثامة بن قيس، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إصم مر بنا عامر بن الأصبط الأشجعي، على قعود له، معه مئيع ووطب<sup>(19)</sup> من لبن، فلما مر بنا سلم علينا فأمسكنا عنه، وحمل عليه محمم بن جثامة فقتله بشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومئيعه، فلما قدمنا على رسول الله ﷺ وأخبرناه الخبر نزل فينا القرآن: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا"<sup>(20)</sup>.

وروى سبب ثالث لنزول الآية، كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بعث رسول الله ﷺ سرية، فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا، وبقي رجل له مال كثير لم يبرح فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأهوى إليه المقداد فقتله، فقال له رجل من أصحابه: أقتلت رجلا شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، إن رجلا شهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد، فقال: "ادعوا لي المقداد. يا مقداد، أقتلت رجلا يقول: لا إله إلا الله، فكيف لك بلا إله إلا الله غدا؟". قال: فأنزل الله: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا"، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: "كان رجل مؤمن يخفي إيمانه مع قوم كفار، فأظهر إيمانه، فقتلته، وكذلك كنت تخفي إيمانك بمكة قبل"<sup>(21)</sup>.

ومهما يكن سبب نزولها، فالمقصود هو وجوب التثبت في الأمر، وأن "عرض الحياة الدنيا لا يجوز أن يدخل للمسلمين في حساب إذا خرجوا يجاهدون في سبيل الله، فإنه ليس الدافع إلى الجهاد ولا الباعث عليه، وكذلك التسرع بإهدار دم قبل التبين، وقد يكون دم مسلم عزيز لا يجوز أن يراق. والله سبحانه يذكر الذين آمنوا بجاهليتهم القريبة وما كان فيها من تسرع ورعونة؛ وما كان فيها من

طمع في الغنيمة، ويمن عليهم أن طهر نفوسهم ورفع أهدافهم، فلم يعودوا يغزون ابتغاء عرض الحياة الدنيا كما كانوا في جاهليتهم، ويمن عليهم أن شرع لهم حدوداً وجعل لهم نظاماً؛ فلا تكون الهيجة الأولى هي الحكم الآخر، كما كانوا في جاهليتهم كذلك، وقد يتضمن النص إشارة إلى أنهم هم كذلك كانوا يخفون إسلامهم - على قومهم - من الضعف والخوف، فلا يظهره إلا عند الأمن مع المسلمين، وأن ذلك الرجل القليل كان يُخفي إسلامه على قومه، فلما لقي المسلمين أظهر لهم إسلامه وأقرأهم سلام المسلمين<sup>(22)</sup>.

3- قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" [الحجرات: 12].

قال ابن كثير: يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثماً محضاً، فليجتنب كثير منه احتياطاً<sup>(23)</sup>، فإياها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيراً من ظن السوء بالمؤمنين، إن بعض ذلك الظن إثم. وسوء الظن بالآخرين يكون لأسباب منها الشائعات الكاذبة والمغرضة، فيجب التثبت والتبين فيها حتى لا يقع العبد في المحذور، ويحق عليه الإثم بسوء ظنه بغيره، فالواجب ألا يبادر المرء إلى تصديق ما يسمعه من تهم تمس بالآخرين، لا سيما إذا كانوا من أهل الدين والخير والصلاح، فحسن الظن مقدم، وله أن يتبين، ويسأل، فقد يكون الخبر كاذباً، وقد يكون صحيحاً ولكن زيد فيه ما ليس منه، أو فسر على غير وجهه، أو أن لصاحبه عذرا اضطره للوقع في ذلك الأمر، أو غير ذلك، فالمهم هو أن الأصل حسن الظن لا سيما بمن عرف سلامة سيرتهم واستقامة أحوالهم وحرصهم على السداد والمقاربة من العلماء الصادقين والدعاة الناصحين وطلبة العلم المخلصين، أو ممن لهم سابقة في الإسلام، وقدم صدق في الدعوة إلى الله والبلاء في سبيله<sup>(24)</sup>، وقد ورد في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ"<sup>(25)</sup>.

4- لأجل ذلك يمدح الله عباده الصادقين، ويأمرنا بأن نكون معهم، فقال جل من قائل عليهم: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ" [التوبة: 119]، أي "في أفواههم وأفعالهم وأحوالهم، الذين

أقوالهم صدق، وأعمالهم وأحوالهم لا تكون إلا صدقا خلية من الكسل والفتور، سالمة من المقاصد السيئة، مشتملة على الإخلاص والنية الصالحة، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة"<sup>(26)</sup>.

"وفي الآية ما لا يخفى من مدح الصدق، واستدل بها - كما قال الجلال السيوطي - من لم يبح الكذب في موضع من المواضع لا تصرحاً ولا تعريضاً، وأخرج غير واحد عن ابن مسعود أنه قال: لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيته شيئاً ثم لا ينجزه، وتلا الآية، والأحاديث في ذمه أكثر من أن تحصى، والحق بإباحته في مواضع...<sup>(27)</sup> ثم ذكر ما يدل على ذلك.

ومما يكون سببا في الوقوع في الكذب والحرمان من الاندراج في زمرة الصادقين أن يحدث المرء بكل شيء يطرق سمعه، دون تثبت، وأن يكون مبلغ علمه أن يقول: زعموا... كما سيأتي...

5 - أنكر الله سبحانه وتعالى على من نشر كل خبر جاءه دون التثبت ومراجعة أهل الاستنباط بذلك الخبر، فقال جل ذكره: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا" [النساء: 83]، وهذا "إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها، فيخبر بها ويفشيها وينشرها، وقد لا يكون لها صحة"<sup>(28)</sup>.

يقول الشيخ السعدي: "هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاط للمؤمنين وسرور لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه، ولهذا قال: "لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ" أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة، وفي هذا دليل على قاعدة أدبية، وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يؤول من هو أهل لذلك، ويُجعل إلى أهله، ولا يُقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب، وأحرى للسلامة من الخطأ، وفيه النهي عن

العجلة والتسرع في نشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه، هل هو مصلحة، فيُقدم عليه الإنسان؟ أم لا، فيحجم عنه؟" (29).

6- قال الله تعالى: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ" [النور: 15]، وهذا إنكار من الله على الصحابة كيف يتلقفون خبراً كهذا الذي تتحدث عنه الآيات، وهو قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ويلقيه بعضهم إلى بعض، دون أدنى تثبت أو ترو، وهو أمر باطل؛ ولهذا قال: "وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ"، والأمران محظوران، التكلم بالباطل، والقول بلا علم، "وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا"؛ فلذلك أقدم عليه من أقدم من المؤمنين الذين تابوا عنه، وتطهروا بعد ذلك، "وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ"، وهذا فيه الزجر البليغ عن تعاطي بعض الذنوب على وجه التهاون بها، فإن العبد لا يفيد حسبانته شيئاً، ولا يخفف من عقوبة الذنب، بل يضاعف الذنب، ويسهل عليه مواقفته مرة أخرى (30).

وما يتعلق بشائعة الإفك سيأتي بسط الكلام فيها، ولكن المراد هنا أن الله أنكر عليهم نشر الكلام الذي لا علم لهم بحقيقته، بل الدلائل والقرائن تدل على بطلانه، وهو تربية لهم وللأمة جميعاً في هذا الباب، وإن كانت الآية نازلة في شأن عائشة فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فلا ينبغي للمسلم اللبيب أن يتلقف الأخبار بدون ترو أو تثبت أو نظر في عواقبها وآثارها... فإن هذا لا يليق بالمسلم العاقل.

7- توعدهم الله الذين يحبون إشاعة الفاحشة في المجتمع بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، فقال الله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [النور: 19]، هذا تأديب لمن سمع شيئاً من الكلام السيئ، فقام بذهنه منه شيء، وتكلم به، فلا ينبغي له أن يشيعه ويذيعه، فقد قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ" أي: الأمور الشنيعة المستقبحة المستعظمة، فيحبون أن تشتهر الفاحشة "فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"، أي: موجه للقلب والبدن، وذلك لغشه لإخوانه المسلمين، ومحبة الشر لهم، وجراسته على أعراضهم، فإذا كان هذا الوعيد لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره ونقله؟" .. وكل هذا من رحمة الله بعباده المؤمنين، وصيانة أعراضهم، كما صان



دماءهم وأموالهم، وأمرهم بما يقتضي المصافاة، وأن يجب أحدهم لأخيه ما يجب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه: "وَاللّٰهُ يَعْزَمُ وَانْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ"، فلذلك علمكم، وبين لكم ما تجهلون<sup>(31)</sup>.

والآية صريحة في دلالتها، وقد جاءت تعقياً على حادثة الإفك التي تمثل نوعاً من أسوأ أنواع الشائعات، إذ إن الله سبحانه وتعالى توعد أولئك الذين يجبون أن تنتشر مقالة السوء في أوساط المؤمنين بعذاب أليم في الدنيا والآخرة، وخصوصاً إذا كانوا يسعون لترويجها ونشرها بين الناس بترديدها ونقلها من مكان إلى آخر.

ولنتأمل تركيب الآية، فقد نصت على من يجب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولم يبارس هو إشاعة الفاحشة، فلو أشاعها كان الجرم أكبر والعقاب أشد، وحينما يتمنى الإنسان أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فهو ليس مؤمناً حقاً، بل هو في صف المنافقين شعر أو لم يشعر، لأن الله عز وجل يقول: "إِنْ تَمَسَسَكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا" [آل عمران: 120].

8- قال الله تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْمًا تُقْفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا" [سورة الأحزاب: 60، 61]. فالمرجفون في المدينة هم الذين يشيعون الفاحشة، يكذبون، ويروجون الأكاذيب والأباطيل، ويسوقونها طعناً في الأبرياء، وإثارة للفتن بين المسلمين، وتفريقاً لصفهم، وزرعاً للربح بينهم<sup>(32)</sup>، وقد قال تعالى: "وَمَنْ يَكْسِبْ حَاطِيَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا" [سورة النساء: 112].

فكم من شائعات أغرت الناس وأغوتهم، وكم من شائعات وقع الناس بأسبابها في الخطأ، وكم قُدِحَ في أناس أبرياء، وأشيع عنهم ما لم يقولوه، ونُسب إليهم ما لم يأمرؤا به أو يفعلوه، إنما يقصد هذه الأشياء الأمور المغرضون وأهل الحقد والحسد، والذين في قلوبهم مرض، ينتصرون لأنفسهم على حساب إذلال الآخرين والإساءة إليهم.

9 - "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [الإسراء: 36]، أي: ولا تتبع ما ليس لك به علم، بل تثبت في كل ما تقوله وتفعله، فلا تظن ذلك يذهب لا لك ولا عليك، "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا"، فحري بالعبد الذي يعرف أنه



مسئول عن ما قاله وفعله، وعن ما استعمل به جوارحه التي خلقها الله لعبادته أن يعد للسؤال جواباً، وذلك لا يكون إلا باستعمالها بعبودية الله وإخلاص الدين له وكفها عما يكرهه الله تعالى<sup>(33)</sup>، وقد قال النبي ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"<sup>(34)</sup>، وقال تعالى: "مَا يُلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" [ق: 18].

وهذا تحذير من أن يتكلم الإنسان بشيء لا يعلم صدقه من كذبه، وقد يكون غرض أحدهم أن يقال: إن لديه علماً، أو يلفت أنظار الناس إليه، أو ليفسد بين الناس، أو غير ذلك من الأغراض، فإنه بذلك آثم ويستحق الوعيد، ويدخل في ذلك أن يتشبع الإنسان بما لم يعط من مال أو علم أو عطاء أو نحوه، فهذا كما قال النبي ﷺ: "المتشبع<sup>(35)</sup> بما لم يعط كلابس ثوبي زور أي كذب"<sup>(36)</sup>. والحاصل أنه يجب على الإنسان أن يتثبت فيما يقول، ويتثبت فيمن يُنقل إليه الخبر، لاسيما إذا كثرت الأهواء وصار الناس يتخبطون ويكثر من القيل والقال بلا تثبت ولا بينة، بل بالأهواء والعصبيات، فإنه يكون أشد وجوباً، حتى لا يقع الإنسان في المهلكة. قال ابن كثير عند تفسيرها: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يقول: لا تقل، وقال العوفي عنه: لا ترم أحداً بما ليس لك به علم، وقال محمد بن الحنفية: يعني شهادة الزور، وقال قتادة: لا تقل: رأيت ولم تر، وسمعت ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم؛ فإن الله سائلك عن ذلك كله، ثم قال: ومضمون ما ذكره: أن الله تعالى نهي عن القول بلا علم، بل بالظن الذي هو التوهم والخيال، كما قال تعالى: "اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ" [الحجرات: 12]، وفي الحديث: "إياكم والظن؛ فإن الظن أكذب الحديث"<sup>(37)</sup>. وفي سنن أبي داود: "بئس مطية<sup>(38)</sup> الرجل: زعموا"<sup>(39)</sup>، وفي الحديث الآخر: "إن أفرى الفرى"<sup>(40)</sup> أن يُرى عينيه ما لم تريا"<sup>(41)</sup>، وفي الصحيح: "من تحلم حلماً كُلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين، وليس بعاقد"<sup>(42)</sup>، "أي قال: إنه رأى في النوم ما لم يره، يقال: حلّم - بالفتح - إذا رأى، وتحلم إذا ادعى الرؤيا كاذباً.

فإن قيل: إن كذب الكاذب في منامه لا يزيد على كذبه في يقظته، فلم زادت عقوبته ووعيده وتكليفه عقد الشعيرتين؟ قيل: قد صح الخبر «إن الرؤيا الصادقة جزء من النبوة» والنبوة لا تكون إلا وحيًا، والكاذب في رؤياه يدعي أن الله تعالى أراه ما لم يره، وأعطاه جزءاً من النبوة لم يعطه إياه، والكاذب على الله تعالى أعظم فرية ممن كذب على الخلق أو على نفسه.

ثانيا: مما ورد في السنة في التحذير من الشائعات ونشرها

1- قيل لأبي مسعود: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في "زعموا؟". قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "بئس مطية الرجل زعموا"<sup>(43)</sup>.

والمطية بمعنى المركوب، "زعموا" قريب من الظن، أي أسوأ عادة للرجل أن يتخذ لفظ "زعموا" مركبا إلى مقاصده، فيخبر عن أمر تقليدي من غير تثبت فيخطئ، ويجرب عليه الكذب<sup>(44)</sup>. و"زعم" تقال في الأمر الذي لا يوقف على حقيقته ولا صدقه من كذبه، و"إنما ذم هذه اللفظة لأنها تستعمل غالبا في حديث لا سند له ولا بُتَّ فيه، إنما هو شيء يُحكى عن الألسن، فشبّه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: "زعموا"، بالمطية التي يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمّه، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه، و الاحتياط فيما يرويّه، فلا يروي حديثا حتى يكون مرويا عن ثقة<sup>(45)</sup>.

قال الألباني: وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة "زعموا" وإن كانت في اللغة قد تأتي بمعنى قال، كما هو معلوم، ولذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى: "زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا" [التغابن: 7] ثم أتبع ذلك بقوله: "قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ" [التغابن: 7]<sup>(46)</sup>.

2- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "كَفَىٰ بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"، وعن عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما قالا: "بَحْسِبِ الْمَرْءِ مِنَ الْكُذْبِ: أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ"<sup>(47)</sup>.

ومعنى الحديث: أن من حدث بكل ما سمع فقد استكثر من الكذب، وفي الأحاديث النهي عن التحديث بكل ما سمع الإنسان، فإنه يسمع في العادة الصدق والكذب، فإذا حدث بكل ما سمع فقد كذب لإخباره بما لم يكن... والكذب هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، ولا يشترط فيه التعمد، ولكن التعمد شرط في كونه إثما<sup>(48)</sup>، ومن كان يحدث بكل ما سمع، وينشر كل ما وصل إليه فقد حمل الناس على تكذيبه واتهامه.

وفي مقدمة صحيح مسلم عن عبد الله قال: قال لي مالك: اعلم أنه ليس يسلم رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماما أبدا وهو يحدث بكل ما سمع، وقال عبد الرحمن بن مهدي: لا يكون الرجل إماما يقتدى به حتى يمسك عن بعض ما سمع<sup>(49)</sup>.

فكم من كلمة، أو مقالة، أو عبارة، أو صورة ينشرها الناس اليوم أو يذيعونها وهم لا يعرفون مصدرها ولا صدقها من كذبها، وكم من كلمة تهوي بقائلها في نار جهنم أبعد ما بين المشرق والمغرب، كلمات تخرج من الشفاه أو الأقلام كالسهام القاتلة، قد يبذر بها بذور الفرقة، وينفخ في أبواب الفتنة، إذا سمع خبراً طار به كل مطار، ينشره ويبته يفاخر بأنه حاز السبق في نشره، والكلمة تبلغ الآفاق متخطية حواجز الزمان والمكان في ثوان يسيره، بلمسة بنان أو ضغطة أزرار، وكان الواجب أن يسأل نفسه قبل ذلك كله: أين الحقيقة؟ ثم: أين المصلحة؟

3- وقد ورد ما يدل على النهي عن التحديث بما لا يعلم صدقه من كذبه من حديث النبي ﷺ، وهو حديث قول النبي ﷺ: "من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"<sup>(50)</sup>.

قال النووي: ضبطناه "يرى" بضم الياء... فمعناها: يظن... وفيه تغليظ الكذب والتعرض له، وأما من غلب على ظنه كذب ما يرويهِ فرواه كان كاذباً، وكيف لا يكون كاذباً وهو مخبر بما لم يكن<sup>(51)</sup>. وأخرج ابن عبد البر في التمهيد: عن عروة بن الزبير قال: "إني لأسمع الحديث أستحسنه فما يمنعني من ذكره إلا كراهية أن يسمعه سامع فيقتدي به، وذلك أي أسمع من الرجل لا أثق به قد حدث به عمن أثق به أو أسمع من رجل أثق به قد حدث به عمن لا أثق به فلا أحدث به"، ثم قال: هذا فعل أهل الورع والدين... وفي خبر عروة هذا دليل على أن ذلك الزمان كان يحدث فيه الثقة وغير الثقة فمن بحث وانتقد كان إماماً... ما أظن قول عروة هذا إلا مأخوذ من قول ﷺ: "من روى عني حديثاً يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين"، وذلك أن كل من حدث بكل ما سمع من ثقة وغير ثقة لم يؤمن عليه أن يحدث بالكذب، والله أعلم<sup>(52)</sup>.

وجاء في عون المعبود: "... والمقصود أن الإخبار بخبر مبناه على الشك والتخمين دون الجزم واليقين قبيح، بل ينبغي أن يكون لخبره سند وثبوت، ويكون على ثقة من ذلك لا مجرد حكاية على ظن وحسبان، وفي المثل: "زعموا مطية الكذب"<sup>(53)</sup>.

قال السعدي رحمه الله: "من الغلط الفاحش الخطر قبول قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبنى عليه السامع حباً وبغضاً، ومدحاً وذمماً، فكم حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أموراً لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور،

وخصوصاً ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عُرف عنهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز، وبهذا يعرف دين المرء ووزناته وعقله" (54).

4- عن سمرة بن جندب رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " رأيت رجلين أتياي... قالوا: الذي رأيته يشق شدة فكذاب يكذب بالكذبة تحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة" (55)، وفي هذا غاية التنفير والتحذير من نشر الكذب والترويح له؛ لما فيه من الوعيد على من فعل ذلك.

ويدخل في ذلك كل كذب يروج وينشر ويصدق في الناس، وقد قالوا: كذبة المنبر بلقاء مشهورة، وهذا يشمل كذب الحكام على رعاياهم وشعوبهم، وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، ومملك كذاب، وعائل مستكبر" (56).

ويدخل في ذلك أيضاً كذب الصحفيين فيما يكتبون وينشرون حرصاً على ما يسمى بالسبق الصحفي، وما تحمله من أسباب الإثارة، وتحويل الحقائق لأغراض غير نزيهة، فالصحفي الذي ينشر على الألوף خبراً باطلاً، والسياسي الذي يعطى الناس صوراً مقلوبة عن المسائل الكبرى، وذو الغرض الذي يتعمد سوق التهم إلى الكبراء من الرجال والنساء، أولئك يرتكبون جرائم أشق على أصحابها وأساء عاقبة، وما ذلك إلا لآثارها السيئة على الأفراد والمجتمعات، ما تحدثه من فتنة وتنافر وخصومات بين الناس (57).

5- عن النبي ﷺ أنه قال: "إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ" (58). ومعنى قوله: "قيل وقال" أي: حكاية أقاويل الناس وأحاديثهم، والبحث عنها، فيقول: قال فلان كذا، وقيل لفلان كذا، وهو يشمل حكاية ما لا يعلم صحته؛ فإن الحاكي يقول: قيل وقال، والمراد من الأحاديث بيان كراهة كثرة الكلام، ونقل الأخبار؛ لأنها تؤول إلى الخطأ، وإنما كرره للمبالغة في الزجر عن الحديث الذي يقوله الناس من غير تثبت، ولا تدبر، ولا تبين.

قال في دليل الفالحين: يريد به المنع من التبرع بنقل الأخبار، فعاد لما فيه من هتك الستار، وكشف الأسرار، وقد أشار إلى أن ذلك ليس من محسنات الإسلام بقوله ﷺ: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" (59)، وفيه من جهة المعنى موافقة لقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي

الَّذِينَ آمَنُوا... الآية [النور: 19]؛ لأن الله تعالى ستار<sup>(60)</sup>، ويُخص من هذا نقل الأخبار النافعة لا سيما إذا كانت صحيحة عن ثقة<sup>(61)</sup>.

6 - عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: "أبما رجل حالت شفاعته دون حد من حدود الله تعالى لم يزل في سخط الله حتى ينزع، وأبما رجل شد غضبا على مسلم في خصومة لا علم له بها فقد عاند الله حقه وحرص على سخطه وعليه لعنة الله تتابع إلى يوم القيامة، وأبما رجل أشاع على رجل مسلم بكلمة وهو منها بريء سبه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيه يوم القيامة في النار حتى يأتي بإنفاذ ما قال"<sup>(62)</sup>.

قال في فيض القدير: قوله "وأبما رجل أشاع على رجل مسلم" أي أظهر عليه ما يعيبه "بكلمة وهو منها بريء يشينه بها" أي فعل ما فعل بقصد أن يشينه أي يعيبه أو يعيره بها "في الدنيا" بين الناس "كان حقا على الله أن يدلّه يوم القيامة في النار حتى يأتي بإنفاذ ما قال" وليس بقادر على إنفاذه، فهو كناية عن دوام تعذيبه بها، من قبيل الخبر المأثور: "كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين"<sup>(63)</sup>، فهو وعيد شديد لمن يشيع ما يضر بالآخرين، ويقصد شينهم وسبهم وذمهم في المأثور.

#### المبحث الثالث: أسباب انتشار الشائعات

هناك أسباب كثيرة تسهم في سرعة انتشار الشائعات وتصديقها بين السامعين لها، لا سيما إذا توافرت لها عوامل الانتشار، فهي تمتاز بالإيجاز والسهولة في التذكر، وسهولة النقل والرواية، والارتباط بواقع الناس وما يعيشونه من هموم وقضايا كما أن تأخر البيان والتفنيد والإنكار لهذه الشبهة بسبب ضعف التواصل بين القواعد وقياداتها له أثر كبير في تطوير الشائعة وتضخيمها، ولعل الاستجابات الفردية من عوامل انتشارها وتوسيع نطاقها، ويمكن وضع أسباب انتشار الشائعة في نقاط كما يأتي:

- كثرة وسائل الاتصالات الحديثة وتعددتها وانتشارها وسهولة استخدامها، كل ذلك يعد سبباً هاماً في انتشار الشائعات، فهي تقوم بنشر كم هائل جداً من المعلومات في وقت يسير جداً، وبكل يسر وسهولة.

- انعدام أو غياب المعلومات الصحيحة أو ندرتها حول حدث أو موضوع من الموضوعات التي تشغل بال المجتمع، فيأتي المغرضون فيصطنعون الشائعات ويثونها في الناس، فيتعلق الناس بها على أنها حقائق، وقد يكون الخبر صحيحاً، ولكن يكون التحليل لهذا الموضوع مضللاً بقصد أو بغير قصد، أو يفسر على غير وجهه.

- الجهل وغياب الوعي أو ضعفه في المجتمع، فتلك بيئة خصبة لترويج وانتشار الشائعات، لسهولة انطلاء الأكاذيب عليهم، وقلة من يسأل عن مصدر لتوثيق ما يتداول من معلومات.

- من ما يسهم في انتشار الشائعة تعلقها بموضوع له أهمية بالنسبة إلى الناس أو الأفراد، أو أنها تحقق نوعاً من الرضا النفسي لديهم، أو أنهم يجدون فيها جواباً لسؤال يتردد كثيراً في أوساطهم، فيكون لدى الناس رغبة في تصديقها.

- عدم وجود الطرف المخول بالرد على الشائعة يزيد لهيبتها ويبعد عنها الشكوك والأقويل، كما أن ضعف حلقات التواصل بين القيادات والقواعد يؤدي إلى رواج الشائعات وتأثيرها في الناس.

- أن يكون موضوع الإشاعة مما يوافق هوى في نفوس السامعين، كأن يكون مصدر الخبر ممن تميل إليه قلوب السامعين لصحبة أو حزبية أو مشيخة مما يمنع السامع من البحث عن صحة الخبر والتثبت منه.. أو يكون الخبر انتصاراً لفئة السامعين وطائفتهم أو قضيتهم، أو ينال من خصومهم ويهون من شأنهم.

يقول ابن خلدون: ولما كان الكذب متطرقاً للخبر بطبيعته، وله أسباب تقتضيه، فمنها التشيعات للآراء والمذاهب، فإن النفس إذا كانت على حال الاعتدال في قبول الخبر أعطته حقه من التمحيص والنظر حتى تتبين صدقه من كذبه، وإذا خامرها تشيع لرأي أو نحلة قبلت ما يوافقها من الأخبار لأول وهلة، وكان ذلك الميل والتشيع غطاء على عين بصيرتها عن الانتقاد والتمحيص فتقع في قبول الكذب ونقله، ومنها توهم الصدق وهو كثير، وإنما يجيء في الأكثر من جهة الثقة بالناقلين<sup>(64)</sup>.

أما الأسباب التي تدعو مروجي الشائعات إلى ترويجها ونشرها، فكثيرة أيضاً ومنها:

السبب الأول: اتباع الهوى، وطاعة النفس الأمارة بالسوء، فيعمل على نشر ما يوافق هوى نفسه، ولو كان على حساب إلحاق الضرر بغيره، فلا يهمه ما يحصل بعد ذلك من خطر للآخرين، ولهذا أنكر الله

جل وعلا على من هذا صنيعه، فقال تبارك وتعالى: "أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ" [الجنائية: 23]، وقال جل وعلا: "وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ" [سورة ص: 26].

السبب الثاني: الجهل بخطر الشائعة، والجهل بعواقب ترويجها، فقد يؤدي به جهله إلى أن يطلق الشائعة من باب المزاح والدعابة، أو ملء الفراغ دون تقدير لعواقب ما يكتب وينشر ويقول...

السبب الثالث: النفاق، فالمنافقون يرجفون بين المسلمين لتحقيق أهدافهم الخبيثة من التشكيك في العقيدة أو نزع الثقة من أهل العلم أو تفريق الكلمة أو غيرها من الأغراض السيئة، قال تعالى: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا" [الأحزاب: 60]، فيرجفون في المؤمنين، ويقولون: جاء العدو، وانتصر الأعداء، وهزم المؤمنون إرجافاً بين المؤمنين، وإضعافاً لعزائمهم.

فما فتنة إلا وكان للمنافقين يد فيها، وما حادثة الإفك من ذلك ببعيد، وقد وصف الله المنافقين بالعداوة للمؤمنين، كما قال تعالى: "هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ" [المنافقون: 4]، فهم أهل إرجاف وكذب وبهتان، يُحْفُونَ ما لا يُبْدُونَ، وهم قوم لا خلاق لهم.

إذاً فأعظم مصدر للشائعات الكبرى هم المنافقون، وهم يتلقون ذلك من اليهود بدرجة أولى، فهم أرباب إتقان أسلوب الشائعات إرجافاً بين المؤمنين، وتفريقاً بين خصومهم، وزرعاً للفتنة بينهم، وتحقيقاً لمآربهم الخبيثة.

وصدق الله إذ يقول: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ لِيُغْوُوا نَفْسَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ" [التوبة: 47].

وهنا الإشكال الكبير أن في المؤمنين من يسمع لهم ويصدقهم ويتأثر بما يقولون: "وَفِيكُمْ" أناس ضعفاء العقول "سَمَّاعُونَ لَهُمْ" أي: مستجيبون لدعوتهم يغترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتشبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم، فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فلله أتم الحكمة حيث ثبثهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفاً من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل

يضرهم<sup>(65)</sup>، وهؤلاء الذين يتأثرون بهذه الأراجيف والشائعات يكون ذلك منهم: "إما لظن مخطئ، أو لنوع من الهوى، أو لمجموعهما، فإن المؤمن إنما يدخل عليه الشيطان بنوع من الظن واتباع هواه، ولهذا جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات، ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات"<sup>(66)</sup>.

**السبب الرابع: الفراغ الذي يؤدي بلا شك إلى ترويج الشائعات بطرق ووسائل مختلفة، ويكون ذلك بغرض التسلية وإزجاء الفراغ، كما يحدث على صفحات التواصل الاجتماعي على اختلافها وتعددتها، فعملية النسخ واللصق سهلة ومغرية، يتناقل أهلها فيها القيل والقال، والزور والبهتان، وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: "بِعَمَّتَانِ مَعْبُورٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ"<sup>(67)</sup>.**

ويزداد خطرهما وإثمها إذا تحولت إلى غيبة وطعن في أبرياء، أو صد عن سبيل الله على وجه التشهير والفضيحة، أو تثييط الهمم، وتفت في عضد المؤمنين الصادقين، أو تساعد على نشر فتنة في المجتمع.

**السبب الخامس: حب الظهور والبروز الإعلامي، فحب الظهور مرض نفسي، وهو من الحيل العقلية التي يلجأ إليها ضعاف النفوس من أجل إبراز أنفسهم على حساب الآخرين، نتيجة لما يعانیه من الفشل في حياته العامة، مُعْتَقِدًا أن ذلك يُعَوِّض ما يشعر به من نقص.**

**السبب السادس: الكراهية للآخرين والحقد عليهم: فإن الشعور بالكراهية نحو الآخرين والحقد عليهم أو الحسد لهم سبب في زرع الشائعات، فيعمل مُرَوِّجُ الشائعة على نشرها من باب الكراهية والبغضاء لشخص أو جهة حتى يسيء إلى سمعته بين الناس، ويكون هذا أحياناً من باب الانتقام لنفسه بإلحاق الضرر بأخيه، ولا شك أن الحقد والحسد والعناد والأنانية على رأس الأسباب التي تحمل أصحابها على نشر الشائعات الكاذبة حول غيرهم، وهذا نوع من الفجور في الخصومة التي جعلها النبي ﷺ إحدى علامات النفاق عياداً بالله من ذلك.**

وكل ما سبق يرجع إلى ضعف الإيمان وقلة العلم، وضعف مراقبة الله في قلب العبد والجهل بحقائق الأمور ومآلاتها وعواقبها.

كما أن لمروجي الشائعات أهدافاً ومآربَ كثيرة منها ما هو ديني عقدي، ومنها ما هو مادي نفعي، ومنها ما هو سياسي، ومنها ما هو عسكري، وغالبا ما تحصل هذه الشائعات في أيام الفتن



والاختلاف والحروب أو في الحالات الأمنية غير الاعتيادية، وتهدف هذه الشائعات إلى تسبب ربكة في الطرف المعني بالشائعة، ومن أهداف ترويح الشائعات جس النبض، ومعرفة مقدار ردة الفعل من الناس حول قضية من القضايا العامة..

المبحث الرابع: نماذج من الشائعات التي حدثت في زمن النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم وما كان لها من آثار، وكيف تعامل معها النبي ﷺ والصحابة رضي الله عنهم

إن الصراع بين الحق والباطل قديم ومستمر ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، لذا فإن أهل الباطل من كفرة ومنافقين ومبتدعة ومن لفّ لفهم من أهل الشهوات والشبهات ، لا يفترّون أبداً في استعمال كل وسيلة، ولو كانت محرمة تعيق الحق وأهله ، عن مواصلة طريقه، والاستمرار في دعوة الناس إلى الخير، وتحقيق هدفه ألا وهو عبادة الله في الأرض، وتعبيد الناس لله وحده لا شريك له، ويسعون في زعزعة أمن المسلمين، وتفريق كلمتهم، وزرع الفتن بينهم، والصد عن دينهم ودعوتهم، وصدق الله إذ قال في بيان مشاعرهم نحونا: "لَا يَأْلُونَكُمُ حَبَالًا وَدُؤًا مَا عَتَيْتُمْ قَدَ بَدَتِ الْبُغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ" [آل عمران: 118]، وقال الله جلا وعلا: "يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ" [التوبة: 32، 33].

قال الإمام البغوي رحمه الله: أي: يطلوا دين الله بألسنتهم وتكذيبهم إياه، وقال الكلبي: النور القرآن، أي: يريدون أن يردوا القرآن بألسنتهم تكديبا، "وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ" أي: يعلي دينه ويظهر كلمته ويتم الحق الذي بعث به محمدا ﷺ: "وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" (68).

ثم إن أكثر الناس تعرضا للشائعات الكاذبة هم الرسل الكرام -عليهم صلوات الله وسلامه- وأتباعهم من العلماء المصلحين، والدعاة المخلصين المؤثرين ، وهذا ثابت منذ فجر الإنسانية، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فإن الصراع بين الخير والشر باق ما بقي الناس في هذه الحياة تشكيكا في نواياهم، وطعنا في دعوتهم ورسالتهم التي يبلغونها للناس.

لقد حكى لنا القرآن الكريم من الشائعات الكاذبة التي كان أعداء الرسل يثرونها حول شخصيات الرسل ودعوتهم ومن تهم زائفة حتى ينفذ الناس عنهم وعن دعوتهم التي تقوم على وجوب اخلاص العبادة لله الواحد القهار وعلى التحلي بمكارم الأخلاق... وكان لنبينا ﷺ من ذلك

نصيب كبير، لقد قالوا عنه: إنه ساحر، وإنه كذاب، وبأن ما جاء به من قرآن ما هو إلا أساطير الأولين، إلى غير ذلك من الشائعات التي لا يقبلها قلب سليم، بل كانت تسقط عند أدنى تأمل، وأقل نقاش ورد.

فهذا الطفيل بن عمرو الدوسي كان رجلاً شريفاً، وشاعراً لبيباً، رئيس قبيلة دوس، وكانت لقبيلته إمارة أو شبه إمارة في بعض نواحي اليمن، قدم مكة في عام 11 من النبوة، فاستقبله أهلها قبل وصوله إليها، وبدلوا له أجل تحية وأكرم تقدير، وقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا، وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر، يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجه، وإنما نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمع من شياً.

يقول الطفيل: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت ألا أسمع منه شيئاً ولا أكلمه، حتى حشوت أذني حين غدوت إلى المسجد كُرْسُفًا؛ فَرَقًا من أن يبلغني شيء من قوله، قال: فغدوت إلى المسجد فإذا هو قائم يصلي عند الكعبة، فقممت قريباً منه، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، فسمعت كلاماً حسناً، فقلت في نفسي: واثكل أمي، والله إني رجل لبيب شاعر؛ ما يخفي عليّ الحسن من القبيح، فما يمنعي أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان حسناً قبلته، وإن كان قبيحاً تركته، فمكنت حتى انصرف إلى بيته فاتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فعرضت عليه قصة مقدمي، وتخويف الناس إياي، وسد الأذن بالكرسف، ثم سماع بعض كلامه، وقلت له: اعرض عليّ أمرك، فعرض عليّ الإسلام، وتلا عليّ القرآن، فوالله ما سمعت قولاً قط أحسن منه، ولا أمراً أعدل منه، فأسلمت وشهدت شهادة الحق، وقلت له: إني مطاع في قومي، وراجع إليهم، وداعيهم إلى الإسلام، فادع الله أن يجعل لي آية، فدعا.

وكانت آيته أنه لما دنا من قومه جعل الله نوراً في وجهه مثل المصباح، فقال: اللهم في غير وجهي؛ أخشى أن يقولوا: هذه مثلة، فتحول النور إلى سوطه، فدعا أباه وزوجته إلى الإسلام فأسلمها، وأبطأ عليه قومه في الإسلام، لكن لم يزل بهم حتى هاجر بعد الخندق، ومعه سبعون أو ثمانون بيتاً من قومه، وقد أبلى في الإسلام بلاء حسناً، وقتل شهيداً يوم اليمامة.

وهذا ضَمَادُ الأزدِي كان من أزدِ شَنُوءَة من اليمَن، وكان يرقِي من هذا الريح، قدم مكة فسمع سفهاءها يقولون: إن محمداً مجنون، فقال: لو إني أتيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي، فلقيه، فقال: يا محمد، إني أرقِي من هذا الريح، فهل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: "إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد"، فقال: أعد عليّ كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال: لقد سمعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت مثل كلماتك هؤلاء، ولقد بلغن قاموس البحر، هات يدك أبايعك على الإسلام، فبايعه<sup>(69)</sup>.

وقد أثرت شائعات كان لها أثر سلبي وسيء على المسلمين، سنذكر بعضها منها لبيان أخطارها وكيف تعامل النبي ﷺ والمسلمين معها، فمن هذه الشائعات:

#### شائعة أن كفار قريش قد أسلموا بعد هجرة بعض المسلمين إلى الحبشة:

وفي رمضان من السنة نفسها (الخامسة من البعثة) خرج النبي ﷺ إلى الحرم، وفيه جمع كبير من قريش، فيهم ساداتهم وكبرآؤهم، فقام فيهم، وفاجأهم بتلاوة سورة النجم، ولم يكن أولئك الكفار سمعوا كلام الله من قبل؛ لأنهم كانوا مستمرين على ما تواصى به بعضهم بعضاً، من قولهم: "لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ" [فصلت: 26]، فلما باغتهم بتلاوة هذه السورة، وقرع آذانهم كلام إلهي خلاب، وكان أروع كلام سمعوه قط، أخذ مشاعرهم، ونسوا ما كانوا فيه فما من أحد إلا وهو مصغ إليه، لا يخطر بباله شيء سواه، حتى إذا تلا في خواتيم هذه السورة قوارع تطير لها القلوب، ثم قرأ: "فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا" [النجم: 62] ثم سجد، لم يتمالك أحد نفسه حتى خر ساجداً، وفي الحقيقة كانت روعة الحق قد صدعت العناد في نفوس المستكبرين والمستهزئين، فما تمالكوا أن يخروا لله ساجدين.

وسَقَطَ في أيديهم لما أحسوا أن جلال كلام الله كَوَى زمامهم، فارتكبوا عين ما كانوا يبذلون قصارى جهدهم في محوه وإفنائهم، وقد توالى عليهم اللوم والعتاب من كل جانب، ممن لم يحضر هذا المشهد من المشركين، وعند ذلك كذبوا على رسول الله ﷺ وافتروا عليه أنه عطف على أصنامهم بكلمة تقدير، وأنه قال عنها ما كانوا يرددونه هم دائماً من قولهم: "تلك الغرائق العلى، وإن شفاعتهم

لترتجى"، جاءوا بهذا الإفك الميين ليعتذروا عن سجودهم مع النبي ﷺ، وليس يستغرب هذا من قوم كانوا يألفون الكذب، ويطيرون الدس والافتراء.

وبلغ هذا الخبر إلى مهاجري الحبشة، ولكن في صورة تختلف تمامًا عن صورته الحقيقية، بلغهم أن قريشًا أسلمت، فرجعوا إلى مكة في شوال من السنة نفسها، فلما كانوا دون مكة ساعة من نهار وعرفوا جليلة الأمر رجع منهم من رجع إلى الحبشة، ولم يدخل إلى مكة من سائرهم أحد إلا مستخفيًا، أو في جوار رجل من قريش، ثم اشتد عليهم وعلى المسلمين البلاء والعذاب من قريش، وسطت بهم عشائرتهم، فقد كان صعب على قريش ما بلغها عن النجاشي من حسن الجوار، ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم بُدا من أن يشير على أصحابه بالهجرة إلى الحبشة مرة أخرى (70).

إشاعة أن النبي ﷺ قتل يوم أحد: في معركة أحد أشاع الكفار أن الرسول ﷺ قتل، وأصل هذه الشائعة كلمة حاقدة أطلقها شيطان رجيم في هذا "الظرف الدقيق الذي خارت فيه عزائم كثير من الصحابة المطوقين، الذين لم يكونوا مع رسول الله ﷺ وانهارت معنوياتهم، حتى وقع داخل صفوفهم ارتباك شديد، وعمتها الفوضى والاضطراب"، وتفرق عنه أصحابه، ودخل بعضهم المدينة، وانطلق بعضهم فوق الجبل إلى الصخرة فقاموا عليها وألقى كثير منهم ما معهم من سلاح، ولكن "استطاع رسول الله ﷺ أن يشق الطريق إلى جيشه المطوق، وانطلق رسول الله ﷺ يدعو الناس: "إلي عباد الله، إلي عباد الله"، حتى انتهى إلى أصحاب الصخرة، فلما رأوه... فرحوا حين وجدوا رسول الله ﷺ حيًّا، وفرح رسول الله ﷺ حين رأى أن في أصحابه من يمتنع به، فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله ﷺ ذهب عنهم الحزن، فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه، ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا، وكان أول من عرفه كعب بن مالك فنادي بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسول الله ﷺ، فبلغ هذا الصوت إلى آذان المسلمين، فلاذ إليه المسلمون، وبعد هذا التجمع أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم في الانسحاب المنظم إلى شعب الجبل (71).

ونزل القرآن الكريم معقباً ومعلماً ومريباً وموجهاً للجماعة المؤمنة، فقال الله سبحانه وتعالى:  
"وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ" [آل عمران: 144].

قال ابن كثير: لما انهزم من المسلمين يوم أُحُد، وقُتِل من قتل منهم، نادى الشيطان: ألا إن محمداً قد قُتِل، ورجع ابن قميئة إلى المشركين فقال لهم: قتلْتُ محمداً، وإنما كان قد ضرب رسول الله ﷺ فَشَجَّه في رأسه، فوقع ذلك في قلوب كثير من الناس، واعتقدوا أن رسول الله قد قُتِل، وجوزوا عليه ذلك، كما قد قصَّ الله عن كثير من الأنبياء، عليهم السلام، فحصل وهن وضعف وتأخر عن القتال ففي ذلك أنزل الله على رسوله ﷺ: "وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ" أي: له أسوة بهم في الرسالة وفي جواز القتل عليه<sup>(72)</sup>.

قال السعدي رحمه الله: أي: ليس ببدع من الرسل، بل هو من جنس الرسل الذين قبله، وظيفتهم تبليغ رسالات ربهم وتنفيذ أوامره، ليسوا بمخلدين، وليس بقاؤهم شرطاً في امتثال أوامر الله، بل الواجب على الأمم عبادة ربهم في كل وقت وبكل حال، ولهذا قال: "أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" بترك ما جاءكم من إيمان أو جهاد، أو غير ذلك، قال الله تعالى: "ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً" إنما يضر نفسه، وإلا فالله تعالى غني عنه، وسيقيم دينه، ويعز عباده المؤمنين، فلما وبخ تعالى من انقلب على عقبيه، مدح من ثبت مع رسوله، وامثل أمر ربه، فقال: "وسيجزي الله الشاكرين"، والشكر لا يكون إلا بالقيام بعبودية الله تعالى في كل حال.

وفي هذه الآية الكريمة إرشاد من الله تعالى لعباده أن يكونوا بحالة لا يزعزعهم عن إيمانهم أو عن بعض لوازمه، فقد رُئِيس ولو عظم، وما ذاك إلا بالاستعداد في كل أمر من أمور الدين بعدة أناس من أهل الكفاءة فيه، إذا فقد أحدهم قام به غيره، وأن يكون عموم المؤمنين قصدهم إقامة دين الله، والجهاد عنه بحسب الإمكان، لا يكون لهم قصد في رئيس دون رئيس، فهذه الحال يستتب لهم أمرهم، وتستقيم أمورهم<sup>(73)</sup>.

نقض قريظة للعهد مع رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب، وكيف تعامل النبي مع ذلك: أثناء غزوة الأحزاب وقد بلغ الأمر كما وصف الله في سورة الأحزاب: "إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا" [الأحزاب: 10]، سرت الشائعات بين المسلمين بأن قريظة قد نقضت عهدها معهم، وكان الرسول ﷺ يخشى أن تنقض بنو قريظة العهد الذي بينهم وبينه؛ لأن اليهود قوم لا عهد لهم ولا ذمة، ولذلك انتدب النبي ﷺ الزبير بن العوام؛ ليأتيه من أخبارهم فذهب الزبير، فنظر ثم رجع فقال: يا رسول الله: رأيتهم يصلحون

حصونهم ويدربون طرقهم<sup>(74)</sup>، وقد جمعوا ماشيتهم، وبعد أن كثرت القرائن الدالة على نقض بني قريظة للعهد أرسل سعد بن معاذ وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وخوات بن جبير رضي الله عنهم، وقال لهم: "انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟ فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به للناس"، فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم قد نقضوا العهد، فرجعوا فسلموا على النبي ﷺ وقالوا: عضل والقارة<sup>(75)</sup>، فعرف النبي ﷺ مرادهم<sup>(76)</sup>.

فانظر إلى حكمة النبي ﷺ !! يتثبت مرة بعد مرة من هذا الأمر الذي سيكون له ما بعده، ثم يوجه رسله أنهم إن رأوا الأمر كما أشيع، وأن قريظة قد نقضوا العهد فعلاً، فلا يشيعوا هذا في الناس حتى لا يفت في عضدهم ويضعفهم عن المواجهة، ويتعلق قلب كل منهم بأهله وماله في المدينة، فلما تأكدوا من الأمر، لحنوا الرسول الله ﷺ لحناً فهمه، ولم يؤثر على الآخرين... وهكذا يجب أن يسلك المسلمون، التثبت أولاً، ثم النظر في مصلحة نشر الخبر من عدمه، فيخرجون من الشائعة بأقل الخسائر، ويسلمون من ضررها.

رمي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالإفك<sup>(77)</sup>:

تناولت آيات من سور النور أخطر شائعة مرت بالأمة الإسلامية، وكادت أن تفتك بها لولا فضل الله ورحمته، وهي حادثة الإفك، والسبب شائعة صدرت من منافق، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ" [النور: 11] إلى آخر الآيات... كلها نزلت في شأن عائشة أم المؤمنين - رضي الله عنها - حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين بما قالوه من الكذب البحت، والفرية التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلوات الله وسلامه عليه، فأنزل الله عز وجل براءتها صيانة لعرض الرسول - عليه أفضل الصلاة والسلام - فقال: "إن الذين جاءوا بالإفك عصبة" أي: جماعة منكم، يعني: ما هو واحد ولا اثنان بل جماعة، فكان المقدم في هذه اللعنة عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين، فإنه كان يجمعه ويستوشيه، حتى دخل ذلك في أذهان بعض المسلمين، فتكلموا به، وجوزه آخرون منهم، وبقي الأمر كذلك قريبا من شهر، حتى نزل القرآن، وسياق ذلك في الأحاديث الصحيحة، ثم قال الله تعالى في كل من خاض ولاك لسانه هذه الشائعة ووقع فيها: "لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ

مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ" أي: لكل من تكلم في هذه القضية ورمى أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بشيء من الفاحشة، نصيب عظيم من العذاب بحسب خوضه فيه وتناوله له، ثم يبين الله رحمته فقال: "وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ" أيها الخائضون في شأن عائشة، بأنه قبل توبتكم وإنابتكم إليه في الدنيا، وعفا عنكم لإيمانكم بالنسبة إلى الدار الآخرة "لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ" من قضية الإفك "عذاب عظيم".

ثم يبين الله لنا كيف طارت هذه الشائعة في الناس، وهذا هو أسلوب نشر أي شائعة، فقال تعالى: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ" [النور: 15] أي: يرويه بعضكم عن بعض، يقول هذا: سمعته من فلان، وقال فلان كذا، وذكر بعضهم كذا، "وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ" أي: تقولون ما لا تعلمون، "وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ" أي: تقولون ما تقولون في شأن أم المؤمنين، وتحسبون ذلك يسيراً سهلاً، ولو لم تكن زوجة النبي ﷺ لما كان هيئاً، فكيف وهي زوجة النبي الأمي، خاتم الأنبياء وسيد المرسلين ﷺ.

ولقد أشاع المنافقون الإفك في أم المؤمنين عائشة انتقاماً من رسول الله ﷺ، وتشويهاً لفراس رسول الله ﷺ، وزعزعة لمقام النبوة، واشترك فيها المنافقون واليهود، وخاض بعض الصحابة في ذلك استعجالاً في تصديق ما قيل، وضعفاً في إدراك عاقبة ذلك، ولقد عفا الله عن المؤمنين وتاب عليهم لما تابوا، حتى كشف الله الغمة ورفع الهمم، ونزلت براءة أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - من كل ما نسب إليها، فبرأ الله فراس النبي ﷺ، وانقلب أهل النفاق خائبين مفضوحين، وتعلم المسلمون درسا تربوياً هاماً يبقى منهج حياة للأمة، وذكرى حسنة لمن رُميت بها واتهمت بالباطل.

وشائعة أخرى حدثت في غزوة بني المصطلق: لما كانت غزوة بني المصطلق وخرج فيها المنافقون تحقق فيهم قوله تعالى: "لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ" [التوبة: 47]، فقد وجدوا متنفساً للتنفس بالشر، فأثاروا الارتباك الشديد في صفوف المسلمين، "وأرادوا أن يثيروا النعرات الجاهلية بين المسلمين ليفرقوا صفهم، ومما حصل في تلك الغزوة: أن رسول الله ﷺ بعد الفراغ من الغزوة كان مقيماً على المريسيع، ووردت واردة الناس، ومع عمر بن الخطاب ﷺ أجير يقال له: جَهْجَاهُ الغفاري، فازدحم هو وسنان بن وبرة الجهني على الماء فاقتتلا، فصرخ الجهني: يا معشر الأنصار، وصرخ جهجاه: يا معشر المهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: "أبدعوى



الجاهلية وأنا بين أظهركم؟! دعوها فإنها مُتِنَتَةٌ"، وبلغ ذلك عبد الله بن أبي بن سلول فغضب -وعنده رهط من قومه، فيهم زيد بن أرقم غلام حدث- وقال: أو قد فعلوها، قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا، والله ما نحن وهم إلا، كما قال الأول: سَمَنَّ كَلْبَكَ يَا كَلْبَكَ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، ثم أقبل على من حضره، فقال لهم: هذا ما فعلتم بأنفسكم، أحللتموهم بلادكم، وقاسمتموهم أموالكم، أما والله لو أمسكتهم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر، فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر رضي الله عنه، فقال عمر رضي الله عنه: مُرَّ عِبَادَ بْنَ بَشْرٍ فليقتله، فقال: "كيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ لا، ولكن أذن بالرحيل"، وذلك في ساعة لم يكن يرتحل فيها، فارتحل الناس، فلقية أسيد بن حضير فحياه، وقال: لقد رحت في ساعة منكرة؟ فقال له: "أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟" يريد ابن أبي، فقال: وما قال؟ قال: "زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل"، قال: فأنت يا رسول الله، تخرجه منها إن شئت، هو والله الدليل وأنت العزيز، ثم قال: يا رسول الله، ارفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومه لينظّمون له الحُرَزَ ليتوجوه، فإنه يري أنك استلبته ملكاً، ثم مشي بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مسَّ الأرض فوقعوا نياماً، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث.

أما ابن أبي فلما علم أن زيد بن أرقم بلغ الخبر جاء إلى رسول الله ﷺ وحلف بالله: ما قلت ما قال، ولا تكلمت به، فقال من حضر من الأنصار: يا رسول الله عسى أن يكون الغلام قد أوهم في حديثه، ولم يحفظ ما قال الرجل. فصدقه، قال زيد: فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، فأنزل الله: "إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ" إلى قوله: "هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا" إلى "لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ" [المنافقون: 1 - 8]، فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي، ثم قال: "إن الله قد صدقك" (78).

ما أشيع على الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه حتى انتهى الأمر إلى قتله شهيداً مظلوماً: ومن الشائعات التي كان لها أثرها السيء على الأمة، ولا تزال الأمة تعاني من شرها وضررها إلى يومنا هذا تلك الشائعات التي اصطنعها أهل الفتنة والنفاق في حق الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، وأشاعوها في الناس، وتأثر بها الرعايا والدهماء ومن في نفوسهم شر حتى صار لهم شأن وشوكة،



وأدت في غاية أمرها إلى قتل الخليفة الشهيد بعد حصاره في بيته وقطع الماء عنه، بل إن من آثار هذه الفتنة أن قامت حروب بين الصحابة، كمعركة الجمل وصدفين، فمن كان يتصور أن الشائعة تفعل كل هذا، بل خرجت على إثرها الفتنة، وظهرت البدع، وأطل أهلها برؤوسهم، مع ما صاحبها من القلاقل الكثيرة، التي لا تزال الأمة الإسلامية تعاني من آثارها إلى اليوم<sup>(79)</sup>.

وأصل هذه الفتنة إشاعات السوء الكاذبة والمعرضة، وتضليل ضعفاء الأحلام وسفهاء العقول وهكذا أول ما تكون الفتن بالشائعات وكثرة القيل والقال، وإبراز الأخطاء والترويج لها، وتحوير الحقائق عن وجهها، وكثرة النقد غير البناء، وتضخيم المساوئ، والقليل من شأن الإيجابيات، ويتسع الأمر في الفتنة ليصل إلى احتقار كل من لم يوافق على الشائعة، ويحصل التطاول على العلماء والفضلاء والعقلاء، ويتهمون في دينهم وعقولهم وآرائهم وولائهم، حتى تنسل ثقة الناس بهم، وإذا نزع الثقة من العلماء والعقلاء فإنه يُنتظر الشر العظيم، والبلاء الوخيم، فإذا وجد من ينصح ويأمر بالثبوت ويفند الأمور على وجهها الصحيح اتهم بالجهل أو العمالة أو الجبن والخور، ويقال: أنت تريدنا أن نكون صمًا بكمًا أذلاء، ولا بد من الحرية والتحرر، ونحو ذلك من الكلام، فدعاة الفتن ومروجو الشائعات يحتقرون الناصحين من العلماء والعقلاء، ولا يباليون بجماعة المسلمين، ولا علم لهم ولا فهم لينظروا في عواقب الأمور ومآلاتها، وقد يبلغ الحد ببعض هؤلاء المفتونين أن يقول: لم يبق عالم نشق به، أو يقول: العالم الفلاني لا يفقه الواقع، وربما اتهمه بالعمالة أو طلب الدنيا أو التزلف للسلطان أو نحو ذلك مما سمعنا ونسمع، ومراد هذا المفتون صد الناس عن سماع كلام العلماء، وتصديق ما في رأسه من أفكار وما يردد من كلام وقيل وقال ودعاوى وأكاذيب... بعد نزع الثقة بالعلماء ممن يصدقه ويجتمع معه على الفكرة نفسها... وإلا فيمكن أن نقول: كيف ترمي العلماء بعدم فقه الواقع، وأنت لا تفقه الشرع، ولا تعرف مقاصد الشريعة حتى تنزلها على الواقع، ولا تقدر على تقدير المصالح والمفاسد فيما تقدم عليه أو تحجم عنه... وكأنني بهؤلاء يريدون أن يكونوا معلمين للعلماء، ويزعمون أنهم أعرف من العلماء بالمصالح والمفاسد، وكل ذلك يدعو إلى الحذر، فقد يكون هناك كلمة حق يراد بها باطل، وكم من مريد للخير لا يصيبه، والخير كله في التزام منهج الله في هذه الأمور وغيرها، "وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ" [البقرة: 216، 232]، [آل عمران: 66]، [النور: 19].

وأعداء الإسلام يدخلون السموم على المسلمين من هذا الباب، ويزعمون أن هذا من حرية الفكر وحرية التعبير، وحرية الصحافة، ونضج العقول، ووعي الشعوب، وهم لا يريدون إلا الفتنة بالمسلمين، ومن قرأ التاريخ ونظر إلى الواقع يجد العبر... وأعجبني كلمة للجاحظ يقول فيها: "الحكيم هو الذي يبين أسباب الأمور ويمهد لعواقبها، وإنما يحمد العلماء بحسن التثبت في أوائل الأمور، واستكشافهم ما يجيء به العواقب، ويقدر تفاوتهم في ذلك تستبين فضائلهم، وأما معرفة الأمور عند اكتشافها فذلك أمر يعتدل فيه الفاضل والمفضول، والعالمون والجاهلون"، وقوله قال الحسن البصري رحمه الله: إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كل عالم وإذا أدبرت عرفها كل جاهل<sup>(80)</sup>.

إن من يتولى كِبْر الشائعات وترويج الأكاذيب وقلب الحقائق لا يعرف قدر مسئولية الكلمة، ولا أثرها، فالحرية لا تعني الخوض في الباطل، أو الاستطالة في أعراض الآخرين، أو الكلام بما تكون مفسدته أعظم من مصلحته، فالإنسان مسئول أمام الله عز وجل عما يقول وعما يفعل، قال تعالى: "مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ" [ق: 18]. وقال تعالى: "إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [الإسراء: 36]. ورسول الله ﷺ يقول: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالا يرفعه الله بها درجات وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم"<sup>(81)</sup>.

من أسباب موقعة الجمل بين الصحابة: وفي الليلة الأخيرة قبل نُشوب حرب الجمل توصل أصحاب رسول الله ﷺ من الفريقين إلى التفاهم على ما يُرضي الله عز وجل، من إقامة الحدود الشرعية على مَنْ يثبت عليه أن له يداً في مصرع أمير المؤمنين عثمان، وبات أبناء كل فريق في معسكر الفريق الآخر بأنعم ليلة وأسعدها، وأرضاها الله، فما كان من القتلَة ومَنْ يتبعهم من قبائلهم إلا أن أنشبو القتال في الصّباح الباكر، وأشاعوا في كل معسكر من المعسكرين بأن المعسكر الثاني هو المهاجم له على خلاف ما اتفقوا عليه بالأمس، وبذلك كانت الشائعات بين الطرفين أفتكَّ بهما، وأضر على الإسلام من أسلحة البُغاة الفاتكة<sup>(82)</sup>.

المبحث الخامس: المنهج النبوي في التعامل مع الشائعات والحد من آثارها

لا شك أن اتباع منهج النبي ﷺ في كل أمر هو الواجب، وعلى قدر الاهتمام به تكون الهداية والفلاح، "وإن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا" [النور: 54]، "وَأَنْبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ" [الأعراف: 158]، ومن ذلك

معرفة هديه في التعامل مع الشائعات، وكيفية مواجهتها ومعالجة آثارها، وسنقف هنا مع بعض تلك المعالم لعلها تكون نبراسا لنا وهداية:

أولاً: وجوب الثبوت والتبين: يجب على الإنسان المسلم إذا سمع خبراً ألا يعجل في تصديقه وبناء موقف أو اتخاذ قرار، عملاً بقول الله تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلَيَّ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ" [الحجرات: 6]، ويتأكد الأخذ بهذا المبدأ عند اختلال الأمن؛ وتوقع المخاوف، فلا بد أن يتبين ويتثبت أولاً، فإن لذلك فوائد كثيرة جداً منها: أنه دليل على رجاحة العقل وسلامة التفكير، وأنه سبب في حفظ الأرواح وصيانة الدماء، ويثمر الثقة بالنفس، والتبين يحفظ حقوق الأفراد والجماعات ولا يجعلها عرضة للظن، ويقي المجتمع من مخاطر القرارات السريعة غير المدروسة<sup>(83)</sup>.

وقبل الثبوت ومعه وبعده يكون التأنى والتروي، يقول النبي ﷺ: "التأني من الله، والعجلة من الشيطان"<sup>(84)</sup>، وقال الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته      وقد يكون مع المستعجل الزلُّ

وقد رأينا فيما سبق كيف كان النبي ﷺ يتثبت من كل ما يصل إليه من شائعات.

ولنتأمل هذا الجزء من حديث حادثة الإفك وما فيه من الثبوت والتحري والأناة والصبر وحسن الظن الذي كان عليه نبينا ﷺ في شائعة تنال من عرضه وفراشه وشخصه الشريف: تقول عائشة: فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله، فأما أسامة فأشار عليه بالذي يعلم في نفسه من الود لهم، فقال أسامة: أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيراً، وأما علي بن أبي طالب، فقال: يا رسول الله لم يضيّق الله عليك والنساء سواها كثير، وسل الجارية تصدقك، فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: "يا بريرة هل رأيت شيئاً يريبك؟" فقالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثه السن تنام عن العجين فتأتي الدواجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقال رسول الله ﷺ: "من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي"، فقام سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله، أنا والله أعذرک منه؛ إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج

أمرتنا ففعلنا فيه أمرك، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد بن الحضير، فقال: كذبت لعمر الله، والله لتقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين، فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا ورسول الله ﷺ على المنبر، فنزل فخفضهم حتى سكتوا وسكت، وبكيت يومي لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح عندي أبوي قد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فالتق كبدتي، قالت: فينا هما جالسان عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فينا نحن كذلك إذ دخل رسول الله ﷺ، فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل في ما قيل قبلها، وقد مكث شهراً لا يوحى إليه في شأني شيء، قالت: فتشهد، ثم قال: "يا عائشة، فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيرك الله، وإن كنت ألممت بشيء فاستغفري الله وتوبي إليه؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه".

فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه قطرة، وقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ، قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال، قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن، فقلت: إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما يتحدث به الناس، ووقر في أنفسكم وصدقتم به، ولئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم إني لبريئة - لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم إني بريئة - لتصدقني، والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا أبا يوسف إذ قال: "فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ" [يوسف: 18]، ثم تحولت إلى فراشي وأنا أرجو أن يرثني الله، ولكن والله ما ظننت أن ينزل في شأني وحياً، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري، ولكنني كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يرثني الله.. الحديث (85).

وعندما أشيع أن النبي ﷺ طلق نساءه كما في حديث عمر بن الخطاب المتفق عليه، حين بلغه أن رسول الله ﷺ طلق نساءه، فجاءه من منزله حتى دخل المسجد فوجد الناس يقولون ذلك، فلم يصبر حتى استأذن على رسول الله ﷺ فاستفهمه: أطلقت نساءك؟ قال: "لا"، فقلت: الله أكبر، وذكر الحديث بطوله.

وعند مسلم: فقلت: أطلقتهن؟ فقال: "لا"، فقامت على باب المسجد فنادت بأعلى صوتي: لم يطلق رسول الله ﷺ نساءه، ونزلت هذه الآية: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْحُوفِ أَدَاعُوا بِهِ وَكَوَرَدُوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّكَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ" [النساء: 83]، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر (86).

فعمر - رضي الله عنه - تثبت من الخبر من مصدره، ثم أعلن الحقيقة للناس ليقطع الطريق على هذه الشائعة أن تردد بينهم، وهكذا ينبغي أن نتعامل مع ما يصلنا من أخبار... وهذا يستدعي البعد عن الظنون المتهومة غير المتيقنة؛ والتخريصات الفارغة من الدليل الظاهر، والخبر المظنون هو الذي لا يعتمد على دليل وبرهان، ولا قرائن أحوال صحيحة، وإنما يعتمد على التحليلات المتهومة، والتخييلات الفارغة، والقرائن الضعيفة، التي تأتي من مصادر غير موثوقة ديناً وخلقاً، ولا إسناداً تتوافر فيه شروط صفات القبول، التي في مقدمتها العدالة والضبط، وقد ذمَّ الله عز وجل الذين يعتمدون على هذا المبدأ في اعتماد الخبر بقوله: "إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ" [الأنعام: 116]، "إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ" [الأنعام: 148]، "مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ" [الزخرف: 20].

ثانياً: الكف عن نقل الشائعات ولزوم حسن الظن بالآخرين، وخاصة إذا كانوا معروفين بالخير والصلاح، وبهذا أدب الله المؤمنين عقب حادثة الإفك، فقال: "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ" [النور: 12]، ومعنى الآية: قاسوا ذلك الكلام على أنفسهم، فإن كان لا يليق بهم فأم المؤمنين أولى بالبراءة منه بطريق الأولى والأحرى (87).

فهذا يدل على أنه ينبغي للإنسان أن يكف عن الشائعة، وألا يعتني بنقلها، وأن يقدم حسن الظن بأخيه المسلم، وهو طلب الدليل الباطني الوجداني، وأن ينزل أخيه المسلم بمنزلته، وهذه هي وحدة الصف الداخلي.

وحسن الظن عامل من عوامل التماسك الاجتماعي والترابط بين أفراد المجتمع، يؤدي إلى غرس الثقة بين أبناء المجتمع، فحينما يكون المجتمع متماسكاً مترابطاً على الحق وبالحق وفي الحق فلا مجال حينئذ لتسريب الشائعات بين الناس، بسبب قوة الترابط، وحسن الظن، حمل بعضهم بعضاً على المحمل الحسن.

فالواجب على المسلم أن يكون سليم الصدر لإخوانه المسلمين خصوصاً ولاة أمورهم وعلماؤهم ودعاتهم والأميرين بالمعروف والناهين عن المنكر وأهل الخير والصلاح، بل وجميع عموم المسلمين والمسلمات، فإحسان الظن واجب، وإساءة الظن بالمسلمين محرمة شرعاً، قال تعالى: "يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ" [الحجرات: 12].

وفي الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخوانا، ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك" (88).

ويدخل في حسن الظن التماس العذر، فإذا بلغك عن أحد كلام أو سمعته وتوثقت من صحته، فالواجب عليك أن تحمله على أحسن المحامل، وأن تبحث له عن الأعذار، فربما يكون له عذر أو أمور قد احتفت بها القرائن، فيكون لكلامه أو لتصرفه عذر تعذره به، فلا تظن بأخيك شراً وأنت قادر على أن تحمل كلامه أو فعله على أحد محامل الخير.

ثالثاً: طلب الدليل والبرهان على ما قيل أو يقال: وهذا ما علمنا الله إياه وأمرنا به، فقال: "لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُلْتُ سَاءَ لَكَ مَا أَتَيْتَ بِهِ" [النور: 13].

إن علينا أن نكون يقظين في تلقي هذه الأخبار، ولا يشفع لقبولها ملاقاتها لرغباتنا وأمانينا وأحلامنا، فلنا -نحن المسلمين- منهجية راسخة في الثبوت، وينبغي أن تكون مطردة فيما نحب ونكره، وإذا كان هناك من استجازوا اختلاق هذه الشائعات بأنواع التأويلات فإن علينا أن نرفض جعل أنفسنا رواحلا لنقلها وتسويقها.

قد يكون في اختلاق الشائعات وسرعة تصديقها مهرباً نفسي لبعض الناس أمام واقع لا يرضاه المرء، ولا يستريح إليه، فتجد النفس سلوتها في تكذيب مالا يروق لها، واختلاق الشائعات وترويجها، إلا أنها- في النهاية- ترضخ لسلطان الحقيقة القاهر... ولكن هذه الحيلة النفسية لا تصلح أن تكون مهرباً لأتباع محمد ﷺ الذي علمهم فضيلة الصدق وأمرهم بتحريه فقال: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى

يكتب عند الله كذاباً<sup>(89)</sup>. ثم إن الاعتراف بالحقيقة أولى الخطوات في معالجة الأزمات وتجاوزها، كما أن مغالطتها وسترها أعظم أسباب تكريسها وتجديدها ومعاودتها، يقول سيد قطب رحمه الله: لأن حقيقة أي شيء أقوى من "مظهر" أي شيء، ولو كانت هي حقيقة الكفر، وكان هو مظهر الإيمان!<sup>(90)</sup>.

وعلينا أن نحذر من جهالة المصدر، وليس خبر أهم من أخبار السنة النبوية، ومع ذلك فليس من منهج المسلمين قبولها من المجاهيل، ولذا فلا بد من تلقي الأخبار من مصدر موثوق، فإن لم يكن موثقاً فلا أقل من أن يكون معلوماً، بحيث ينال شرف الصدق، ولا تلحقه معرفة "الكذب" و"زعموا"، وبئس المطية هي، ولا يشفع لهم زعمهم أنها من الكذب في الحرب وهو مباح، ويتجاهلون - ولا يجهلون - أن القدر المباح من الكذب في الحرب هو الذي يضلل الأعداء، وليس الذي يُسوّق الوهم ويُغرر بالمسلمين.

رابعا: وجوب رد الأمر إلى أولي الأمر وهم أهله المختصون به والعارفون بحقيقته: وألا يشيعه بين الناس أبداً، وهذه قاعدة عامة في كل الأخبار المهمة، التي لها أثرها الواقعي، أن لا يتحدث المسلم بما سمعه ولا ينشره، فإن المسلمين لو لم يتكلموا بمثل هذه الشائعات لماتت في مهدها ولم تجد من يجيها إلا من المنافقين: "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" [النور: 16]، فالإعراض عن اللغو بالامتناع عن التخوض في أي حديث لا ثمرة فيه أو مصلحة أو منفعة خاصة أو عامة، كل ذلك نستطيع به التضييق على الشائعة وحصرها في أضيق نطاق، ثم نرد الأمور إلى أهلها ومن لديهم العلم لبيان وجه الحق والصواب فيه، كما قال تعالى: "وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهٖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ..."، فالاسترشاد بذوي الرأي والخبرة والتخصص في حل المعضلات من الأخلاق التي تمثل عناصر مقاومة ووقاية للأمة من آفة الشائعات.

وقال العلامة القاسمي في تفسيره "محاسن التأويل" ذاكراً مفاصد سرعة إذاعة الأخبار من غير

رؤية:

الأول: أن هذه الإرجافات لا تنفك عن الكذب الكثير.

والثاني: أنه إن كان ذلك الخبر في جانب الأمن، زادوا فيه زيادات كثيرة، فإذا لم توجد تلك الزيادات، أورث ذلك شبهة للضعفاء في صدق الرسول ﷺ، لأن المنافقين كانوا يروون تلك الإرجافات عن الرسول ﷺ، وإن كان ذلك في جانب الخوف، تشوش الأمر بسببه على ضعفاء المسلمين، ووقعوا عنده في الحيرة والاضطراب، فكانت تلك الإرجافات سبباً للفتنة من هذا الوجه الثالث: أن الإرجاف سبب لتوفير الدواعي على البحث الشديد والاستقصاء التام، وذلك سبب لظهور الأسرار، وذلك مما لا يوافق مصلحة المدينة.

والرابع: أن العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين والكفار، فكل ما كان أمناً لأحد الفريقين كان خوفاً للفريق الثاني، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر وآلات الحرب لهم، أرجف المنافقون بذلك، فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار، فأخذوا في التحصن من المسلمين، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم، وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك، وزادوا فيه، وألقوا الرعب في قلوب الضعفاء والمساكين، فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان منشئاً للفتن والآفات من كل الوجه، ولما كان الأمر كذلك ذمَّ الله تعالى تلك الإذاعة وذلك التشهير، ومنعهم منه<sup>(91)</sup>.

وهكذا فعل زيد ابن أرقم وعمه في ما أثاره عبد الله ابن أبي، فأخبر زيد بن أرقم عمه بالخبر، فأخبر عمه رسول الله ﷺ وعنده عمر... ليرى رأيه فيما قيل، ويأمر بها فيه صلاح الأمر... وفعلاً حصل ذلك من رسول الله ﷺ.

خامساً: إشغال الناس عن الشائعة بأمر يصرفهم عنها، وعن الخوض فيها، ففي حادثة بني المصطلق التي أثارها ابن أبي، وتوعد الرسول ﷺ وأصحابه بقوله: "ليخرجن الأعز منه الأذل"، وعندما بلغت النبي ﷺ، وأدرك أنه سيكون لها أثر سيئ على الناس.. ماذا فع؟

أمر الناس بالرحيل في ساعة ما كان يرتحل فيها، ومشى بالناس يومهم ذلك حتى أمسى، وليلتهم حتى أصبح، وصدَّر يومهم ذلك حتى أذتهم الشمس، ثم نزل بالناس، فلم يلبثوا أن وجدوا مَسَّ الأرض فوقعوا نياماً، فعل ذلك ليشغل الناس عن الحديث:

ما أحسن الشغل في تدبير منفعة أهل الفراغ ذوو خوض وإرجاف



سادساً: حسن الظن بالله والثقة به وقوة التوكل عليه: فلتأمل معا قوله تعالى: "الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ. فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمَسْسَهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ" [آل عمران: 173، 174].

فهؤلاء قوم مؤمنون حاول أعداؤهم إيهاهم بما يلقون في أسماعهم من أقاويل تهون من عزائمهم، وتهول من قوة أعدائهم ومدى استعدادهم للحرب، وكل ذلك كان من صنع خيال المروجين والمرجفين الذين كان هدفهم تثبيط عزائم المؤمنين وتخذييلهم حتى يخوروا ويجنوا، فلا يتأهبون للقاء عدوهم، ولكن المؤمنين قابلوا ذلك بصدق التوكل على الله والاعتماد عليه والتفويض إليه، فوقاهم الله شر ما مكروا، وانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء.

سابعاً: تكذيب الشائعة، ويفضل أن يكون تكذيب الشائعة من الجهة أو الشخص الذي تتعلق به الشائعة أو من شخصيات معروفة ومقبولة، ولها صدق في أوساط الجماهير، كما كان يفعل رسول الله ﷺ حيث تصدى بنفسه لتكذيب كثير من الشائعات التي روجها المشركون واليهود والمنافقون. وهناك نوع من الشائعات ينبغي أن يُحبط بالحجة لا بمجرد التكذيب، كما فعل رسول الله ﷺ في غزوة أحد عندما أشيع خبر استشهاده، حيث ظهر للناس بشخصه، وبذلك أحبط تلك الشائعة.

ثامناً: التأكيد على الحكم الشرعي لتداول الشائعات ومعاينة من عرف بترويج الشائعات للفتنة بين المسلمين: إن النصوص الشرعية تظهر بأن الشائعة هي كذب وافتراء وقذف ونميمة ورمي، وأخبار غيرت عن وجهها....، فإن الحكم الشرعي هو عدم جواز نشر الشائعة وترويجها بين المسلمين، ووجوب حفظ اللسان؛ لحرمة المسلم على أخيه المسلم، وضررها على وحدة الصف الإسلامي وتماسكه، قال الله جل وعلا: "وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا" [الإسراء: 36]، وقال النبي ﷺ: "مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ"، وهذا علاج ناجع يقطع دابرها، ويُطفئ نارها، ويميت شرها في مكانه، فإذا وصلت إليك أمتها بأن تحفظ لسانك، ولا تتكلم بها، ولا ترضى لأحد أن يتكلم بها.

وعلى ولاة الأمر أن يتصرفوا فيمن يثبت عليهم ذلك؛ وفقاً لحكم الله تعالى حين يقول لنبية: "لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا. مَلْعُونِينَ أَيْمَانًا نَقَفُوا أَخَذُوا وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا" [الأحزاب: 60-61].

إن المنافقين يعملون لغاية واحدة، هي تمزيق الشمل، وتشيتت الجمع، وتفريق الكلمة، وإشاعة الكراهية بين الحاكم والمحكوم، وإلقاء العداوة بين المؤمنين والمأموم، وهم بهذا يعملون للفتنة ومن أجلها، فإذا ما تحققت غايتهم، فإن الفتنة لا تصيبهم وحدهم، ولا تصيب طائفة دون أخرى، وإنما تصيب الأمة بأسرها، وقد حذرنا الله تعالى منهم، ومن فتنتهم، فقال جل شأنه: "وَأَتَقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" [الأنفال: 25]، وأتقاء الفتنة يكون بدفعها وإدحاضها، وإنزال العقوبة الرادعة على كل من يثبت عليه أنه كان سبباً فيها، أو في عنصر من عناصرها.

ومن هنا نرى أنه لا سبيل إلى الهوادة أو المهادنة في إقامة الحد على هذه الجريمة النكراء؛ جريمة إحداث الفتنة بين الصفوف مناصرة لعدو البلاد الأكبر، وهو المستعمر الغاصب.

تاسعاً: اعتزال مصادر الشائعات والإعراض عن مروجيها: يجب على المسلم الإعراض عن المرجفين في الأرض، واعتزال مصادر هذه الأراجيف والشائعات، من قنوات وإذاعات وصحف ونشرات، حتى يسلم من هذ الشر والفساد، ويمكن الاستدلال على هذا بعموم قوله تعالى: "وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" [الأنعام: 68]، وقوله عز وجل: "لَئِن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا" [الأحزاب: 60]. فالمنافقون وأهل الأهواء حريصون كل الحرص على أن تصل شائعاتهم إلى كل أحد، وأن تؤثر أراجيفهم في كل من تصل إليه فيجب الحذر من ذلك.

عاشراً: إدراك عظم خطر الشائعة وضررها: لأن من أدرك عظم الضرر الذي يقع عليه وعلى المسلمين من تلك الشائعات، أدرك خطرها، وحرص ألا تكون وسيلة لنشرها وترويجها، فقد يكون في هذه الشائعة إشاعة للفاحشة بين الناس عن طريق إشهار أماكن الفساد والدعارة، فيتحرك من في قلبه مرض يبتغي الفساد والإفساد، وقد يكون فيها إفساد لذات البين بين طرفين، وربما يؤدي إلى القتل والاعتقال، وربما يكون فيها توهين لعزائم المؤمنين، وإضعاف لهممهم، وقد يكون فيها إدخال للحزن في قلوب فريق من المؤمنين، وقد يكون فيها صد عن سبيل الله أو عن سنة من سنن رسول الله ﷺ أو قد يكون فيها تشجيع للأعداء وتقوية لهم ضد المسلمين أو غير ذلك من المفاسد التي لا حصر

لها، قد يكون فيه غيبة لأحد المسلمين، أو طعنا في عرض مسلم صالح أو عالم ناصح أو داعية موفق، أو غير ذلك.

حتى لو كانت تلك الأخبار التي تنشر من قبيل الصدق فلا يحق لك أن تشيع عن أصحابها وتفضحهم، فالدين النصيحة، وليس الفضيحة، يقول بعض العلماء لمن يأمر بالمعروف ويهني عن المنكر: اجتهد في ستر العصاة، فإن ظهور عوراتهم وهن في الإسلام، وأحق شيء بالستر العورة، والأصل الستر على الناس: يقول ﷺ: "لا يستر عبد عبداً في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة"<sup>(92)</sup>.

وإن من خطورة الشائعة أنها سبب رئيس في إراقة الدماء وتضييع الحدود وانفلات الأمن، بسبب الهرج والمرج، واختلاط الأمور واشتباه الحق بالباطل، وحصول التعصبات البغيضة، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تذهب الدنيا حتى يأتي على الناس زمان لا يدري القاتل فيما قتل، ولا المقتول فيما قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: "الهرج، القاتل والمقتول في النار"<sup>(93)</sup>.

ثم إن الفتنة إذا وقعت عجز العقلاء فيها عن دفع السفهاء، فصار الأكابر عاجزين عن إطفاء الفتنة وكف أهلها، وهذا شأن الفتن، كما قال تعالى: "وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً" [الأنفال: 25]، وإذا وقعت الفتنة لم يسلم من التلوث بها إلا من عصمه الله.

وأخيراً، إذا كنا خسرنا جوانبنا من المعركة، فإن علينا ألا نخسر الصدق الذي هو رأس مالنا في التعامل مع الناس، وسيطول استغراب الناس وعجبهم إذا اكتشفوا أن هذه الأخبار الكاذبة كانت تنقل إليهم عبر وسيط صالح، ومن جرب عليه الكذب، أو نقل الكذب وصدقوه فلن يكون محلاً للثقة بعد، كما سيفجع الطيبون فيرتابون في الراوي الذي كان الصلاح يظهر عليه، لأنه كان يحدثهم بهذه الأخبار ويؤكد لها لهم، وكذلك سيشتت آخرون، لهم موقف من الصالحين ليقولوا: هذه أخبارهم، وهذه مصداقيتهم! وسيجدون فرصة في تعميم هذا الخطأ، ووصف طلائع الدعوة والدعاة

كلهم بهذا السلوك.. ف"تحروا الصدق وإن رأيتم أن فيه الهلكة؛ فإن فيه النجاة واجتنبوا الكذب وإن رأيتم أن فيه النجاة؛ فإن فيه الهلكة"<sup>(94)</sup>.

وكما نتواصى بعدم نقل هذه الأخبار، فإن علينا تبصير من ينقلونها بطيبة وحسن قصد، ومواجهتهم بالحقيقة، وعدم مجاملة المشاعر على حساب العقل والنقل، وانتشالهم من قلق المغالطة، إلى وضوح الحقيقة، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة.

الخاتمة: وبعد هذه الجولة السريعة في جنبات هذا البحث لعله قد تبين لنا: حقيقة الشائعات وخطورها، وآثارها السيئة على الفرد والجماعة. كما أبرز البحث جملة من الأسباب والدواعي والأغراض التي تكون وراء ترويح الشائعات، وجملة مما يساعد على اتساع نطاقها. وظهر لنا أيضا بيان المنهج الصحيح الواجب اتباعه في التعامل مع الشائعات. إذ كان المنهج النبوي هو المنهج الراشد القويم في التعامل مع الشائعات. فنوصي أنفسنا وإخواننا بمطالعة كتب السيرة ومصادر السنة النبوية، وإمعان النظر فيها للاهتمام بهدي سيد المرسلين محمد ﷺ في كل شؤونها ومنها في تعامله مع الشائعات، وكيف كان يخرج منها بأقل الخسائر، فيعود مروجو الشائعات خائبين لم ينالوا خيرا.

ومن المناسب في ختام هذه الوقفة التأكيد على أمرين كبيرين، هما:

الأول: وجوب الثبوت في كل ما يصل إلى السمع، ومعرفة مصدر الخبر، وصحته من خطئه، وصدقه من كذبه، عملا بالأدلة التي توجب الثبوت، وعدم العجلة في تصديق الأخبار أو الاعتقاد على مبدأ "زعموا" فبئس مطية الرجل زعموا.

والثاني: يكون بعد التأكد من صحة الخبر ووثوق مصدره، وهو النظر في المصلحة من نشره أو عدم نشره، فليس كل ما يُعلم يقال، وقد تكون المصلحة في كتمانها وطيه وعدم نشره، والشريعة جاءت لجلب المصالح وتكثيرها، ودرء المفاسد وتقليلها.

والله نسأل التوفيق لنا ولجميع إخواننا المسلمين لما يحب ويرضى، والحمد لله رب العالمين.

#### الهوامش والإحالات:

- (1) جزء من حديث روي عن أبي الدرداء مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم 2236، وعزاه للطبراني [طبع المكتب الإسلامي - بيروت، ط / الثالثة، سنة 1408 هـ - 1988 م]، ولم أجده بهذا اللفظ، وفيه من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من قال: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر

كتب له بكل حرف عشر حسنات، ومن أعان في خصومة باطل لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن بهت مؤمنا أو مؤمنة حبسه الله في ردة الخبال يوم القيامة حتى يخرج مما قال وليس بخارج»، وقال: لم يرو هذا الحديث عن عطاء الخرساني عن حمران إلا القاسم بن أبي بزة ولا رواه عن القاسم بن أبي بزة إلا فطر ولا رواه عن فطر إلا عمار بن رزيق تفرد به أبو الجواب. المعجم الأوسط للطبراني 6 / 309 رقم 6491 [تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد وعبد المحسن بن إبراهيم الحسين، دار الحرمين، القاهرة سنة 1415هـ]، ونحوه في شعب الإبان للبيهقي 5 / 305 رقم 6736، و 6 / 121 رقم 7673. وسيأتي بقية الكلام عليه لاحقا في صفحة 15 إن شاء الله تعالى.

(2) ما بين المعقوفين من النهاية في غريب الحديث لابن الأثير الجزري، مادة (شيع) [طبع دار ابن الجوزي، السعودية، تحت إشراف: علي حسن على عبد الحميد ط / أولى عام 1421هـ].

(3) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (شيع). [تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م].

(4) ينظر: إبراهيم مصطفى وآخرين، الصحاح في اللغة، والمعجم الوسيط مادة (شيع). دار الدعوة، تحقيق / مجمع اللغة العربية.

(5) النهاية في غريب الأثر، مادة (رجف).

(6) ابن كثير، التفسير، 6 / 483، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط / 2، 1420هـ - 1999م.

(7) السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص 671)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000م.

(8) ينظر: الدكتور زيدان عبد الباقي، وسائل وأساليب الاتصال، ص 450، 451، الطبعة الثانية.

(9) ابن منظور، لسان العرب، 8 / 191 مادة (شوع) [إعداد وتصنيف يوسف خياط، دار لسان العرب - بيروت].

(10) وذلك أن زيادة حرف في الكلمة أو حذفه، أو قلبه يعطي معنى مغايرا للكلمة، وقد أفرد العالم اللغوي أبو هلال العسكري كتابا في هذا أسماه: «الفروق اللغوية».

(11) ينظر: القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة (على هامش المصحف) إشراف ومراجعة وتدقيق محمد كريم راجح ص 516.

(12) ينظر: ابن جرير الطبري، التفسير، 22 / 286 - 289 [جامع البيان في تأويل القرآن للطبري، تحقق أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م]، وتفسير ابن كثير 7 / 370، وتفسير السعدي ص 799.

(13) أخرجه البيهقي 9 / 54 رقم 18434 واللفظ له [سنن البيهقي الكبرى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي 384هـ - 458هـ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة المكرمة 1414هـ، 1994م]، وأخرجه أحمد في مسنده 30 / 403 رقم 18459 [، مؤسسة قرطبة، مصر، بدون تاريخ]، والطبراني المعجم الكبير 3 / 274 رقم 3395، من حديث الحارث بن ضرار الخزاعي وسياقها أطول مما عند البيهقي، وقد أخرجه الطبراني مختصرا برقم 4، ورقم 404 [تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ط / الثانية 1404هـ - 1983م]. وقد ذهب إلى ذلك كثير من المفسرين، وهذا القول فيه نظر؛ فإن

الروايات التي ساقَت القصة معلولة، وأحسنها رواية أحمد عن الحارث بن ضرار الخزاعي، وفي إسنادها مجهول، وقد أنكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» (ص 102) هذه القصة قال: وقد اختلف فيه، فقيل: نزلت في ذلك - أي في شأن الوليد، وقيل: في علي والوليد في قصة أخرى - وقيل: إن الوليد سيق يوم الفتح في جملة الصبيان إلى رسول الله ﷺ فمسح رؤوسهم وبرك عليهم إلا هو، فقال: إنه كان على رأسي خلوق، فامتنع ﷺ من مسه، فمن يكون في مثل هذه السنن يرسل مصداقاً؟! وهذا الاختلاف يسقط العلماء الأحاديث القوية، وكيف يفسق رجل هذا الكلام؟ فكيف يرسل من أصحاب محمد ﷺ، وللشيخ عبد الرحمن المعلمي رحمه الله كلام على الوليد بن عقبة في الأنوار الكاشفة (ص 263) أثبت فيه أنه لم يؤثر له رواية عن رسول الله ﷺ، ومن جملة ما نفاه هذا الحديث الذي ذكره ابن العربي. انظر حاشية تفسير ابن كثير 7 / 372. وهناك بحث متين وتحقيق قوي للدكتور طه ياسين الخطيب حول قصة سبب النزول هذه، نشر في العدد الأول لمجلة الباحث الجامعي الصادرة عن جامعة إب 1998م، وخلص فيه الباحث إلى ضعف الروايات الواردة في ذلك سنداً وممتناً، يمكن مراجعته لمن أراد الفائدة.

(14) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (7 / 370)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر، ط / 2، 1420هـ، 1999م.

(15) تفسير السعدي ص 799.

(16) تفسير السعدي ص 194.

(17) الحديث باللفظ المذكور أخرجه أحمد في مسنده 1 / 229 رقم 2023، وفي سنده ضعف، وأصل الحديث في الصحيحين، فقد أخرجه البخاري 4 / 1677 رقم 4315 في كتاب التفسير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: "ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً"، قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: "تبتغون عرض الحياة الدنيا" تلك الغنيمة، قال: قرأ ابن عباس: "السلام"، وينحوه أخرجه مسلم 8 / 243 رقم 7733 في كتاب التفسير.

(18) إضم - بكسر الهمزة وفتح الضاد - اسم جبل، وقيل: موضع. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (أضم)، وهو وادٍ ببجبال تهامة، وهو الوادي الذي فيه المدينة... قال ابن السكيت: إضم وادٍ يشقُّ الحجاز حتى يفرغ في البحر. ينظر معجم البلدان، ياقوت الحموي (ص: 214، 215) [دار الفكر - بيروت].

(19) مُتَّبِعٌ ووَطَّبٌ: المتبع: تصغير متاع، والوطب: الزق الذي يكون فيه السمن واللبن وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه. أوطاب ووطاب النهاية في غريب الحديث والأثر (5 / 203).

(20) أحمد بن حنبل، المسند 6 / 11، 23927، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده محتمل للتحسين، وحسنه الألباني في السلسلة الضعيفة، تحت حديث رقم 4109. [سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، الألباني، ط / أولى، دار المعارف - الرياض - السعودية، 1412 هـ / 1992 م].

(21) أخرجه البزار في مسنده برقم 5127 [مسند البزار (البحر الزخار)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرين، مكتبة العلوم والحكم - المدينة، ط / الأولى 1988 م - 2009 م]، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم 4109 من جهة إسناده، وقال: وفي متنه زيادات لم ترد في الطريق الصحيحة عن ابن

عباس...، وقد أخرجه البخاري في صحيحه معلقاً مختصراً مقتصرًا على الجزء الأخير منه فقط. وانظر: صحيح البخاري 6 / 2518 تحت حديث رقم 6472 في أوائل كتاب الديات. [تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، ط / الثالثة سنة 1407هـ - 1987م].

- (22) سيد قطب، في ظلال القرآن (2 / 737)، دار الشروق - بيروت، ط / السابعة عشر، 1412 هـ.
- (23) تفسير ابن كثير 7 / 377.
- (24) قصة حاطب بن أبي بلتعة أخرجه البخاري في عدة مواضع منها 3 / 1095 رقم 2845 كتاب الجهاد والسير، باب الجاسوس، وقول الله تعالى: " لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء " [المتحنة: 1]، وفي كتاب المغازي، باب فضل من شهد بدرًا 4 / 1462 رقم 3762، وأخرجه مسلم 7 / 167 رقم 6557 في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم. وفيها من الفوائد: أن النبي ﷺ تثبت من خبر تلك المرأة عن طريق أوثق طرق التثبيت، وهو الوحي، ومع ذلك تثبت من الأسباب التي دفعت حاطبًا ﷺ إلى ارتكاب هذا الخطأ، بقوله: " ما حملك على ما صنعت؟ "، فقد يكون له عذر شرعي حمله على ذلك، فينظر فيه، ثم إنه وازن بين حسناته وسابقتها في الإسلام وبين هذا الخطأ الذي ارتكبه لسبب لا يكفي أن يكون مبررا له في خطئه، فقال: " أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: افعلوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة، أو فقد غفرت لكم ".
- (25) أخرجه البخاري 5 / 1976 رقم 4849 كتاب النكاح، باب لا يخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع، وأخرجه مسلم 8 / 10 رقم 6701 في البر والصلة، باب تحريم الظن والتجسس والتنافس..
- (26) تفسير السعدي ص 355.
- (27) الألويسي، روح المعني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، (7 / 399) تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط / أولى 1415 هـ.
- (28) تفسير ابن كثير 2 / 365.
- (29) ينظر: تفسير السعدي ص 190.
- (30) ينظر: تفسير السعدي ص 563.
- (31) تفسير السعدي ص 563.
- (32) وينظر: تفسير الطبري 20 / 327، وتفسير السعدي ص 671.
- (33) تفسير السعدي ص 457.
- (34) جزء من حديث أخرجه البخاري في مواضع من صحيحه ومنها 5 / 2240 رقم 5672 كتاب الأدب، باب: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره"، وأخرجه مسلم 1 / 49 رقم 182 كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، من حديث أبي هريرة ﷺ، وأخرجه البخاري في الموضوع السابق برقم 5673، ومسلم في كتاب اللقطة، باب في الضيافة ونحوها 5 / 137 رقم 4610 من حديث أبي شريح العدوي ﷺ.
- (35) المشيع.. أي المتكثر بأكثر مما عنده يتجمل بذلك، كالذي يرى أنه شعبان، وليس كذلك، ومن فعله فإننا يسخر من نفسه. وهو من أفعال ذوى الزور، بل هو في نفسه زور: أي كذب. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (شيع).



36) أخرجه البخاري 5 / 2001 رقم 4921 كاب النكاح، باب المتشعب بما لم ينل وما ينهى من افتخار الضرة، عن أسماء: أن امرأة قالت: يا رسول الله، أن لي ضرة فهل علي جناح إن تشبعت من زوجي غير الذي يعطيني، فقال رسول الله ﷺ: "المتشعب بما لم يعطي كلابس ثوبي زور"، وأخرجه مسلم 6 / 169 رقم 5706، في كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره والتشعب بما لم يعط، وأخرجه أيضا من حديث عائشة برقم 5705.

37) سبق تخريجه.

38) المطية: هي الناقة التي يركب مطاها: أي ظهرها. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (مطا)، ومعناه أن الرجل إذا أراد المسير إلى بلد والظعن في حاجة ركب مطيته، وسار حتى يقضي أربه، فشبّه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه - من قوله: "زعموا كذا وكذا" بالمطية التي يتوصل بها إلى الحاجة. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (زعم).

39) سيأتي تخريجه قريباً.

40) أفرى الفرى: الفرى: جمع فرية وهي الكذبة، وأفرى: أفعال منه للتفضيل: أي من أكذب الكذبات أن يقول: رأيت في النوم كذا وكذا ولم يكن رأى شيئاً، لأنه كذب على الله، فإنه هو الذي يرسل ملك الرؤيا ليريه المنام. النهاية في غريب الحديث والأثر مادة (فرا).

41) صحيح البخاري 6 / 2582 رقم 6636 كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه من حديث ابن عمر.

42) تفسير ابن كثير 5 / 75. والحديث في صحيح البخاري 6 / 2581 رقم 6635 كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه، عن ابن عباس مرفوعاً، ولفظه: «من تحلم بحلم لم يره كلف أن يعقد بين شعيرتين ولن يفعل، ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرون منه صب في أذنه الآنك يوم القيامة، ومن صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها وليس بنافخ».

43) سنن أبي داود 4 / 449 رقم 4974 [سنن أبي داود، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر - بيروت]، وأخرجه أحمد 5 / 401 رقم 23451 متردداً بين كونه من حديث أبي مسعود أو من حديث حذيفة، وأخرجه أحمد 4 / 119 رقم 17116 من حديث أبي مسعود بدون تردد، والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 866 [سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، مكتبة المعارف - الرياض، 1415 هـ - 1995 م].

44) محمد شمس الحق العظيم آبادي أبو الطيب (13 / 214)، عون المعبود شرح سنن أبي داود، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، 1415 هـ.

45) الإمام البغوي، شرح السنة، (12 / 362)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الطبعة الثانية، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت - 1403 هـ - 1983 م، وستأتي أحاديث تؤكد هذا المعنى.

46) السلسلة الصحيحة تحت حديث رقم 866.

47) الحديث أخرجه مسلم في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، من حديث حفص بن عاصم مرسلًا، ومن حديث أبي هريرة مرفوعاً، باللفظ المذكور، ثم أخرجه عن عمر بن الخطاب وعبد الله بن مسعود موقوفاً عليهما، بلفظ: بحسب امرئ من الكذب أن يحدث بكل ما سمع، وأخرج عن مالك قال: اعلم أنه ليس يسلم



رجل حدث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً أبداً وهو يحدث بكل ما سمع، ونحوه من كلام عبد الرحمن ابن مهدي.

- (48) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم 1 / 75، [المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، ط / الثانية، دار إحياء التراث العربي - بيروت].
- (49) صحيح مسلم 1 / 8 رقم 10، 12. [تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت]
- (50) ينظر: صحيح مسلم 1 / ص 7 رقم 1 المقدمة، أخرجه من حديث سمرة بن جندب والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما بهذا اللفظ، والحديث بلغ مبلغ التواتر بألفاظ أخرى متقاربة مخرجة في كتب السنة.
- (51) ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم 1 / 66.
- (52) ينظر: ابن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (1 / 38 - 40)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، سنة 1387 هـ.
- (53) ينظر: عون المعبود 13 / 215.
- (54) السعدي، الرياض الناضرة والحدائق النيرة الزاهرة ص 234، دار المنهاج - القاهرة، الطبعة الأولى، 1426 هـ - 2005 م.
- (55) جزء من حديث أخرجه البخاري 1 / 465 رقم 1320 كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير 5 / 2262 رقم 5745.
- (56) صحيح مسلم 1 / 72 رقم 309 كتاب الإيمان، باب بيان غلظ تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتفنيق السلعة بالحلف، وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكهم وهم عذاب أليم.
- (57) ينظر: محمد الغزالي، خلق المسلم ص 37، 38 المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة.
- (58) أخرجه مسلم 5 / 130 رقم 4578 باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة والنهي عن منع وهات وهو الامتناع من أداء حق لزمه أو طلب ما لا يستحقه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله يرضى لكم ثلاثاً، ويكره لكم ثلاثاً، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، ويكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال"، وأخرجه في 5 / 130 رقم 4580 عن المغيرة بن شعبة عن رسول الله ﷺ قال: "إن الله عز وجل حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنعا وهات، وكره لكم ثلاثاً: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال".
- (59) أخرجه ابن ماجه 2 / 1315 رقم 3976 [سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت]، والترمذي 4 / 558 رقم 2317 عن أبي هريرة موصولاً مرقوعاً، رقم 2318 عن علي بن حسين مرسلًا، [سنن الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت]، والمرسل أخرجه أيضاً مالك في الموطأ رقم 3352 [بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار إحياء التراث العربي - مصر]، والحديث صححه الألباني.

- 60) الصواب فيه: إن الله "ستير"، وهو ما ورد به الحديث، كما في حديث يعلى أن رسول الله ﷺ رأى رجلا يغتسل بالبراز بلا إزار، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال ﷺ: "إن الله عز وجل حىي ستر يحب الحياء والستر، فإذا اغتسل أحدكم فليستر" الحديث في سنن أبي داود 4 / 70 رقم 4014، وصححه الألباني.
- 61) محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي، دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين (2 / 498).
- 62) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد لعلي بن أبي بكر الهيثمي، دار الريان للتراث، دار الكتاب العربي، القاهرة، وبيروت، سنة النشر: 1407هـ (4 / 363 رقم 7040)، وأورد بعده برقم 7041 عنه بلفظ: «من ذكر امرأ بشيء ليس فيه ليعيبه به حسبه الله في نار جهنم حتى يأتي بنفاذ ما قال فيه»، وقال: رواه كله الطبراني في الكبير، وإسناد الأول فيه من لم أعرفه، ورجال الثاني ثقات. قلت: وقال المناوي: بإسناد فيه مجاهيل. ينظر التيسير بشرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف المناوي (1 / 835)، مكتبة الإمام الشافعي - الرياض - 1408هـ - 1988م، ط 3. قلت: وفي المستدرک 4 / 353 رقم 7893 عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شأن على مسلم كلمة يشينه بها بغير حق أشانه الله بها في النار يوم القيامة»، وصححه، وقال الذهبي: سنده مظلم [المستدرک على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، (321هـ - 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ط / الأولى سنة 1411هـ - 1990م]، وأخرجه البيهقي في 12 / 159 رقم 9211 بلفظ: "من أشاد على مسلم عورة يشينه بها بغير حق شأنه الله بها في الحق يوم القيامة"، قال أبو عبيد: قوله: "أشاد" يعني: رفع ذكره بها، ونوه به، وشهره بالقبیح. قال المناوي في التيسير بشرح الجامع الصغير 2 / 771: بإسناد ضعيف لضعف ابن ميمون القداح، وقول المؤلف: حسن، فيه نظر، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير رقم 5417.
- 63) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، (3 / 188)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، ط / أولى، سنة 1356هـ، والحديث سبق تحريجه.
- 64) تاريخ ابن خلدون 1 / 35، دار احياء التراث العربي، بيروت - لبنان، الطبعة الرابعة.
- 65) تفسير السعدي ص 339.
- 66) درء تعارض العقل والنقل (1 / 283)، دار الكنوز الأدبية - الرياض، 1391، تحقيق: محمد رشاد سالم، والحديث في مسند الشهاب برقم 1080 و 1081 من حديث هلال بن العلاء ثنا أبي ثنا عمر بن حفص العبدي عن حوشب ومطر الوارق عن الحسن عن عمران بن حصين قال: أخذ رسول الله ﷺ بطرف عمامتي فقال: "يا عمران، إن الله تبارك وتعالى يحب الإنفاق ويبغض الإقتار، فأنفق وأطعم ولا تصر صرا فيعسر عليك الطلب، واعلم أن الله يحب البصر النافذ عند مجيء الشهوات، والعقل الكامل عند نزول الشبهات، ويجب السباحة ولو على تمرات، ويجب الشجاعة ولو على قتل حية" [مسند الشهاب، محمد بن سلامة بن جعفر أبو عبد الله القضاعي، توفي سنة 454 هـ، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط / الثانية سنة 1407 هـ، 1986م]، والحديث وضعفه العراقي في المغني عن حمل الأسفار في الأسفار رقم 4299، مكتبة طبرية، الرياض، 1415 هـ - 1995م، تحقيق أشرف عبد المقصود.

- (67) صحيح البخاري 5 / 2357 رقم 6049، كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ وأن لا يعيش إلا عيش الآخرة من حديث ابن عباس.
- (68) البغوي، معالم التنزيل، (4 / 39)، تحقيق محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر، ط / الرابعة، 1417 هـ - 1997 م.
- (69) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص 121 [المكتبة العصرية - بيروت 1421 هـ، 2000 م]. وقصة الطفيل بن عمرو الدوسي في معرفة الصحابة لأبي نعيم الأصبهاني رقم 3500 [تحقيق: عادل بن يوسف العزازي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1998 م]، وسيرة ابن هشام 1 / 382 وما بعدها [السيرة النبوية لابن هشام (ت: 213 أو 218 هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، دار إحياء التراث العربي، بيروت]، وقصة ضماد الأزدي في صحيح مسلم 3 / 11 رقم 2045 في كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.
- (70) الرحيق المختوم (ص 75)، وحديث سجود النبي ﷺ مع المؤمنين والمشركين في صحيح البخاري 4 / 1842 رقم 4581، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس، وقصة الغرائق أخرجها الطبراني في المعجم الكبير 12 / 53 رقم 12450، والبخاري 2 / 193 رقم 5096، وقد ألف الألباني رسالة خاصة لبيان بطلان هذه القصة وجعل عنوانها: نصب المجانيق لنسف قصة الغرائق، نشرها المكتب الإسلامي - بيروت سنة 1417 هـ - 1996 م.
- (71) تفسير الطبري 7 / 255، 256، والرحيق المختوم ص 242، 243.
- (72) تفسير ابن كثير 2 / 128.
- (73) تفسير السعدي ص 150، 151.
- (74) يدربون طرقهم: يسهلون طرقهم من أجل السير إلى المسلمين.
- (75) قبيلتان من هذيل سبق منها الغدر بأصحاب النبي ﷺ في ذات الرجيع.
- (76) الصلابي، السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، (3 / 327)، دار المعرفة - بيروت، ط / السابعة، 1429 هـ - 2008 م]، وينظر الرحيق المختوم، ص 277.
- (77) ينظر: تفصيل حادثة الأفك في صحيح البخاري 4 / 1517 رقم 3910 كتاب المغازي، باب حادثة الإفك، وكتاب التفسير، تفسير سورة النور 4 / 1774 رقم 4473، 4479، وصحيح مسلم 8 / 112 رقم 7196 كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول التوبة.
- (78) الرحيق المختوم ص 289، 290، وأصل القصة في صحيح البخاري 4 / 1859 رقم 4617، 4618، 4619، 4620، 4621، 4622، 4624 كتاب التفسير، باب قوله: " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله " والأبواب التي بعده.
- (79) ينظر: أبو بكر بن العربي المالكي، العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، ص 76، 77 [تحقيق: محب الدين الخطيب - محمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، 1407 هـ - 1987 م]. فقد عدد جملة ما أشاعه أهل الفتنة على عثمان ونقموا عليه، وبين بطلان

- ذلك، وإن منها ما هو كذب محض وافتراء بين، ومنها ما هو حق ولكن ساءت فهمهم فأوا الحق باطلا، ومنها ما هو سائغ واجتهاد منه رضي الله عنه كغيره من المجتهدين، قال ابن العربي: قالوا لمبعض متعلقين برواية كذا بين: جاء عثمان في ولايته بمظالم ومناكير، منها: ضربه لعمار حتى فتق أمعاءه، ولابن مسعود حتى كسر أضلاعه، ومنعه عطاءه، وابتدع في جمع القرآن وتأليفه، وفي حرق المصاحف، وحمل الحمى، وأجل أبا ذر إلى الرذعة، وأخرج من الشام أبا الدرداء، وردَّ الحكم بعد أن نفاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وولَّى معاوية، وعبد الله بن عامر بن كرز، ومروان، وولَّى الوليد بن عقبة، وهو فاسق ليس من أهل الولاية، وأعطى مروان خمس أفريقية، وكان عمر يضرب بالدرة وضرب هو بالعصا، وعلا على درجة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقد انحط عنها أبو بكر وعمر، ولم يحضر بدرًا، وانهم يوم أحد، وغاب عن بيعة الرضوان، ولم يقتل عبيد الله بن عمر بالهرمزان "الذي أعطى السكين إلى أبي لؤلؤة، وحرضه على قتل عمر حتى قتله"، وكتب مع عبده على جهله كتابا إلى ابن أبي سرح في قتل من ذكر فيه... ثم أخذ ابن العربي يفند هذه المزاعم ويرد عليها بأحسن الرد وأوفاه... فجزاها الله خيرا.
- (80) ابن سعد، الطبقات الكبرى، 7 / 166 [دار صادر - بيروت]، وحلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني 9 / 24، [دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، 1405هـ].
- (81) صحيح البخاري 5 / 2377 رقم 6113 كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، وأخرج الترمذي 4 / 559 رقم 2319 من حديث بلال بن الحرث المزني صاحب رسول الله ﷺ يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن أحدكم ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت، فيكتب الله لها بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن أحدكم ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه"، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني.
- (82) وينظر: ابن العربي المالكي، العواصم والقواصم، ص 151 وما بعدها..
- (83) ينظر: نضرة النعيم 3 / 908. [نضرة النعيم إعداد مجموعة من المختصين بإشراف صالح بن عبد الله بن حميد وآخر، دار الوسيلة - جدة طبعة الثالثة 1425 هـ - 2004 م].
- (84) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى 10 / 104 رقم 20057 من حديث أنس، وأخرجه أيضا في شعب الإيمان 6 / 211 رقم 4058، وزاد: "وما شيء أكثر معاذير من الله، وما من شيء أحب إلى الله من الحمد"، وأخرجه الترمذي 4 / 367 رقم 2012 من حديث سهل ابن سعد الساعدي بلفظ: "الأناة من الله، والعجلة من الشيطان"، وقال: هذا حديث غريب، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 1795.
- (85) صحيح البخاري 2 / 942 رقم 2518، وصحيح مسلم 8 / 112 رقم 7196 (الحديث سبق تخريجه).
- (86) الحديث في مواضع من صحيح البخاري منها: 1 / 46 رقم 89 كتاب العلم، باب التناوب في العلم، وهو صحيح مسلم 4 / 192 رقم 3768 كتاب الطلاق، باب الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن.
- (87) ينظر تفسير ابن كثير 6 / 27.
- (88) سبق تخريجه.

- (89) صحيح البخاري 5 / 2261 رقم 5743 كتاب الأدب، باب قول الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين " [التوبة: 119]، وما ينهى عن الكذب، وأخرجه مسلم 8 / 29 رقم 6803 كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق.
- (90) في ظلال القرآن 2 / 267.
- (91) جمال الدين القاسمي، محاسن التأويل، 3 / 235، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت ط / أولى سنة 1418 هـ.
- (92) أخرجه مسلم 8 / 21 رقم 6760 كتاب البر والصلة والآداب، باب بشارة من ستر الله تعالى عيبه في الدنيا بأن يستر عليه في الآخرة.
- (93) صحيح مسلم 8 / 183 رقم 7488 كتاب الفتن وأشرط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.
- (94) قال في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي، 3 / 344: أخرجه هناد عن مجمع بن يحيى مرسلاً أ.هـ. [تحقيق: بكري حياني، وصفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط / الخامسة، 1401 هـ - 1981 م]، والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة رقم 7154، ولكن يغني عنه حديث: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ولا يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ولا يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»، وقد سبق تخريجه.



## دور التسويق الإلكتروني في عملية الشراء في البيئة اليمنية

د.عبدہ نعمان الشریف\*

الملخص:

يهدف هذا البحث لدراسة دور التسويق الإلكتروني في عملية الشراء في البيئة اليمنية بشكل عام سواء الشراء عبر الانترنت أو الشراء المباشر من المتاجر من خلال الوقوف على دور التسويق الإلكتروني في مراحل عملية الشراء ودورة في خلق الدافع واتخاذ قرار الشراء، والشراء، والرضا بالمنتج وإعادة الشراء، وقد اتبع الباحث في كتابة البحث المنهج الوصفي التحليلي .

مستخدماً الاستبيان كأداة لجمع البيانات، ومعالجتها باستخدام حزم تحليل البيانات (spss) وتوصل الباحث إلى نتيجة العامة وهي أن التسويق الإلكتروني يلعب دور في عملية الشراء في البيئة اليمنية بمختلف أشكالها سواء عبر الانترنت أو الشراء المباشر من المتاجر حيث أن التسويق الإلكتروني يخلق الدافع ويدعم اتخاذ قرار الشراء ويحقق الرضا ويدفع لإعادة الشراء، وتم تقديم عدد من التوصيات أهمها : ضرورة الاهتمام بالتسويق الإلكتروني كأداة مهمة من أدوات المزيج الترويجي في البيئة اليمنية .

---

\* رئيس قسم العلوم المالية والإدارية في الأكاديمية اليمنية للدراسات العليا.

## المبحث الأول: الإطار العام للمبحث

### 1-1 المقدمة

تمر عملية الشراء بخطوات وإجراءات تتم قبل وأثناء وبعد عملية الشراء ومن المهام الصعبة التي تواجه منظمات الأعمال بشكل عام وإدارة التسويق بشكل خاص الفهم والسيطرة والتحكم بتلك الخطوات؛ بهدف توجيه عملية الشراء لصالح المنظمة وزيادة مبيعاتها، ويرجع ذلك إلى أن تلك الخطوات ترجع إلى سلوك الفرد وطبيعته، وأنها عبارة عن تفاعلات تحدث داخل الأفراد وترجم إلى سلوكه الاستهلاكي، ويزيد من صعوبة فهمها أنها عبارة عن تفاعلات بين الخصائص الشخصية والوراثية ويزيد عليها تأثير عوامل البيئة المحيطة، وبما أن لكل فرد عوامل داخلية وعوامل خارجية وهي تختلف من فرد إلى آخر، فإن هذا الاختلاف يؤثر بطبيعة الحال على الإجراءات المتبعة في اتخاذ قرار الشراء، مما يجعل الأفراد يختلفون في قراراتهم.

وعملية تلبية رغبات كل فرد وحاجاته تُعد من الأمور الصعبة بالشكل الذي يجعل المنظمات ذات الإنتاج الواسع والمنتجات المتنوعة والمتاجر الكبيرة تواجه مشكلة كبيرة في إمكانية تلبية حاجات ورغبات الأفراد، وإنما تقوم بعملية الإنتاج والبيع استناداً إلى حاجات الأغلبية ورغباتها.

فالمنظمات لا تستطيع تحقيق أهدافها إلا من خلال تحقيق الإشباع، والرضا للمستهلكين ودفعتهم إلى الشراء، وإعادة الشراء؛ لذلك تسعى هذه المنظمات إلى الوصول إلى تلك الغايات من خلال القيام بالحملات الإعلانية، والبحوث والدراسات بهدف التعرف على العوامل المختلفة التي تؤثر في قرار الشراء لدى المستهلك وخلق ولاء لديه؛ ليقوم بإعادة الشراء، ومن تلك الأدوات التسويق الإلكتروني.

### 1-2 مشكلة البحث

المعلوم أن عملية اتخاذ قرار الشراء توجهها مجموعة من المؤثرات، مثل الدعاية والإعلان والسعر وغيرها، ودخل التسويق الإلكتروني بكل مؤثراته وأساليبه باعتباره أحد العوامل المهمة التي أسهمت في سهولة التسويق والدعاية والترويج للمنتجات المختلفة ليس فقط على المستوى المحلي بل على المستوى العالمي، بل إنه غزا الأفراد في العالم كلهم من خلال بريدتهم الإلكتروني وهواتفهم النقالة، ومن هنا سوف يركز الباحث على دراسة تأثير التسويق الإلكتروني في عملية الشراء ودوره من خلال

التأثير على اتجاهات المستهلك في المراحل الثلاث (خلق الدافع - اتخاذ قرار الشراء - الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء) في البيئة اليمنية.

ويمكن صياغة مشكلة البحث في السؤال الآتي: هل يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في عملية الشراء في البيئة اليمنية؟

ولمعالجة الإشكالية بصورة شاملة يرى الباحث تجزئة الإشكالية إلى الأسئلة الفرعية الآتية:

- هل يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في خلق الدوافع لدى المستهلك للشراء؟

- هل يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في اتخاذ قرار الشراء؟

- هل يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء؟

### 1-3 الفرضيات

و للإجابة عن الإشكالية وأسئلتها الفرعية طرح الباحث الفرضيات الآتية:

الفرضية الأولى: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء.

الفرضية الثانية: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في اتخاذ قرار الشراء.

الفرضية الثالثة: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء.

الفرضية الرابعة: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في عملية الشراء

لدى الأفراد التي تُعزى إلى الدخل الشهري و معدل استخدام الإنترنت.

### 1-4 أهمية البحث:

تتلخص أهمية البحث في الآتي:

1- يلقي الضوء على التسويق الإلكتروني يعد وسيلة مهمة من وسائل الترويج للمبيعات عبر الإنترنت.

2- يكشف البحث عن تأثير التسويق الإلكتروني على سلوك المستهلك.

3- التعرف على دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع - واتخاذ قرار الشراء.

4- يوضح للمهتمين كيف يتم اتخاذ قرار الشراء داخل الأفراد من خلال التسويق الإلكتروني.

5- تقديم توصيات قد تساهم في تحسين مستوى التسويق الإلكتروني لدى المنظمات.



## 5-1 أهداف البحث

ويهدف البحث إلى الوصول إلى الأهداف الآتية:

- 1- دراسة تأثير التسويق الإلكتروني على عملية الشراء في اليمن خصوصاً بين الطبقة المتعلمة من مستخدمي الإنترنت.
- 2- الوقوف على دور التسويق الإلكتروني في خلق دافع الشراء لدى المستهلك.
- 3- الوقوف على دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ المستهلك لقرار الشراء.
- 4- الوقوف على دور التسويق الإلكتروني في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء.
- 5- التعرف على مدى تأثير متغيرات (الدخل الشهري - معدل استخدام الإنترنت) التسويق الإلكتروني على عملية الشراء لدى الأفراد.

## 6-1 حدود البحث

الحدود الزمنية: يغطي هذه البحث الفترة التي تم فيها البحث في العامين 2016 و2017م.  
الحدود المكانية: مستعملي الإنترنت في اليمن في إطار العاصمة اليمنية صنعاء لاسيما الطبقة المتعلمة المهتمين بالشراء عبر الإنترنت.

## 7-1 منهج البحث

1-7-1 نوع البحث: اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة ودراستها كما هي في الواقع، وشرح العلاقة بين المتغيرات للوقوف على العلاقات السببية والنتيجة، وكذا دراسة الاتجاهات الكامنة في البيانات بهدف الوصول إلى تعميمات للتنبؤ بالاتجاهات المستقبلية للظاهرة.

2-7-1 مجتمع البحث وعينة البحث : يتمثل مجتمع البحث بمستعملي الإنترنت المهتمين بالشراء عبر الإنترنت من طلاب الجامعة والأساتذة، وكانت العينة عشوائية (100) فرد من مستعملي الإنترنت تم استرجاع (98) استمارة بنسبة (98%) من مجتمع العينة.

## 3-7-1 مصادر جمع البيانات

- المصادر الثانوية: بعد الاطلاع على ما نشر في الكتب والدوريات العلمية المتخصصة والدراسات السابقة عن الموضوع.

- المصادر الأولية: تم الحصول على البيانات مباشرة من مجتمع البحث وعينته.

1-7-4 أداة البحث: تم جمع بيانات البحث عن طريق الاستبيان والملاحظة من المصادر الأولية.

- الاستبيان: ولغرض الإجابة عن سؤال البحث، وكذا اختبار الفرضيات استعمل الباحث

الاستبيان، وقد تم إعداده في قائمتين الأولى تحوي المعلومات العامة والثانية تحتوي مجموعة

من الأسئلة المتعلقة بالبحث الميداني والتي بلغ عددها (15) سؤالاً. إذ طلب من أفراد عينة

البحث أن يحددوا استجاباتهم عن السؤال وفق مقياس ليكرت الخماسي المتدرج الذي

يتكون من خمسة مستويات (موافق تماماً - موافق - غير متأكد - غير موافق - لا أوافق نهائياً)،

- ترميز البيانات: اعتمد الباحث في إعداد قائمة الاستبانة على الأسئلة المغلقة لتسهيل عملية

الترميز والتحليل. كما استخدم مقياس (Likert) الخماسي. لقياس متغيرات البحث، إذ

أعطيت درجة لكل إجابة تتفق حسب أهميتها، وتم تحويل بيانات البحث من الصيغة

الوصفية إلى الصيغة الكمية حتى يمكن إخضاعها للتحليل الإحصائي. ويوضح الجدول

رقم (1) الآتي الصيغة الكمية والنسب المئوية المقابلة لها المستعملة في تحويل الإجابات

الوصفية إلى صيغة رقمية، على النحو الآتي:

جدول رقم (1) الصيغة الكمية والنسب المئوية المقابلة لها المستعملة في تحويل الاجابات الوصفية إلى

صيغة رقمية.

النسبة المئوية	الصيغة الكمية	الصيغة الوصفية
81-100%	5	موافق بشدة
61-80%	4	موافق
41-60%	3	محايد
21-40%	2	غير موافق
0-20%	1	غير موافق بشدة

بعيثة إن مقياس الوسط الحسابي النظري بهذه الطريقة  $3=5 / 1+2+3+4+5$  الذي يمثل مقياس

ليكرت الخماسي ولمعرفة نسبة ثبات أداة جمع البيانات ومصداقية إجابة العينة عن فقرات الاستبيان تم

استعمال الفاكرون باخ إذ إن قيمة معامل ألفا كرون باخ تأخذ قيماً تتراوح بين الصفر والواحد الصحيح

وتعكس مدى الارتباط بين أسئلة الاستبيان، فإذا كانت قيمة ألفا صفرًا فإن ذلك يشير إلى حالة عدم ارتباط مطلق بين الأسئلة، أما إذا كانت قيمة الواحد الصحيح فإن ذلك يشير إلى أن الأسئلة مرتبطة تمامًا وتُعد القيمة المقبولة إحصائياً لمعامل ألفا هي (0.6) فأكثر أما إذا كانت القيمة أقل من ذلك فإنها تُعد ضعيفة.

وبوضوح الجدول (2) نتائج اختبار ألفا كرن باخ لجميع فقرات الاستبيان

م	المحور	عدد الفقرات	درجة الثبات	درجة المصدقية
1	دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع	5	0.98	0.93
2	دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرار الشراء	5	0.98	0.97
3	مستوى الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء.	5	0.98	0.95
	الإجمالي	15	0.98	0.95

- الملاحظة

الباحث أحد المهتمين والمتخصصين في هذا المجال استعمال هذه الأداة لجمع البيانات والمعلومات من واقع اهتمامه وفق منهجية علمية من خلال متابعة مبيعات السيارات عبر الإنترنت وغيرها من السلع.

- طريقة ترميز البيانات: رمزت البيانات وتم تحليلها باستعمال برنامج الحزم الإحصائية (spss) واستعمال مستوى الدلالة النظرية (0.05) في اختبار دلالة الفرضية، وتم استعمال الأدوات الإحصائية الوصفية، النسب المئوية، والتكرارات، والوسط الحسابي، والانحراف المعياري وغيرها، كما تم استعمال أدائي الإحصاء الاستدلالية: معامل ألفا كرنباخ واختبار الدلالة (T-test) للعينة الواحدة.

1-8 هيكل البحث

تضمن البحث أربعة مباحث تناول المبحث الأول الإطار العام للبحث، والمبحث الثاني الإطار النظري والدراسات السابقة، وتناول المبحث الثالث العوامل المختلفة المؤثرة في اتخاذ قرار الشراء، من حيث مراحل اتخاذ قرار الشراء، والعوامل المؤثرة على إجراءات قرار الشراء، وكذلك الأدوار التي يلعبها الأفراد في قرار الشراء، ودور التسويق الإلكتروني في قرار الشراء، وجاء المبحث الرابع للدراسة

الميدانية، وفيه تم شرح منهج البحث والدراسة الميدانية وتحليل البيانات، وعرض نتائج البحث واختبار الفرضيات وعرض النتائج والتوصيات التي اقترحها الباحث، وآخر ما احتوه البحث الخاتمة.

## المبحث الثاني: الإطار النظري والدراسات السابقة

### 2-1 تمهيد

لقد أصبحت دراسة سلوك المستهلك، وكيفية اتخاذ القرار الشرائي عملية مهمة بالنسبة إلى المنظمات للتعرف على حاجات ورغبات المستهلك وتوفيرها له، ومعرفة العوامل المؤثرة في اتخاذ القرار الشرائي ومن ثم العمل على توجيه هذا القرار إلى منتجاتها، ومن أجل هذا سوف نتعرف من خلال هذا المبحث على مفهوم اتخاذ قرار الشراء، أهميته، دوافع قرار الشراء وأنواع قرارات الشراء، ثم التطرق إلى الدراسات السابقة.

### 2-2 مفهوم اتخاذ القرار الشرائي

قبل التعرف على مفهوم اتخاذ قرار الشراء لابد من فهم سلوك المستهلك وما يدور في ذهنه وتصرفاته؛ لأن سلوك المستهلك عبارة عن خطوات متتالية، بل هو عبارة عن قرار يتكون ويتجزأ إلى ثلاثة أجزاء، وهي على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: قرار ما قبل الشراء .

المرحلة الثانية: قرار الشراء .

المرحلة الثالثة: قرار ما بعد الشراء .

وبالنظر إلى هذه المراحل نجد أن المرحلة الأولى هي عبارة عن تفكير ومقارنة وتقييم لما هو معروض علينا وعملية مشاوره، في حين أن المرحلة الثانية: هي مرحلة القيام الفعلي بالشراء التي يتم زيادة أماكن الشراء للقيام بعملية الشراء، في حين أن المرحلة الثالثة: هي ما بعد الاقتناء وهي مرحلة تكون فيها السلعة أو الخدمة قد استعملت فعليا ويتم تقسيمها لمعرفة ما إذا كان قرار الشراء صائبا أم غير صائب<sup>(1)</sup>.

كما يعرف سلوك المستهلك باعتباره جانب من جوانب السلوك الإنساني: بأنه عبارة عن التصرفات التي تنتج عن شخص ما نتيجة تعرضه إلى منبه داخلي أو خارجي حيال ما هو معروض عليه من أجل

إشباع حاجاته ورغباته بحسب عبيدات، كما يعرف على انه: " ذلك السلوك الذي يبرزه المستهلك في البحث والشراء واستعمال السلع أو الخدمات أو الأفكار التي يتوقع أنها ستشبع رغباته أو حاجاته حسب الإمكانيات الشرائية المتاحة"<sup>(2)</sup>.

كما يعرف سلوك المستهلك بأنه عبارة عن تلك التصرفات التي تنتج عن شخص ما نتيجة تعرضه إلى منبه داخلي أو خارجي حيال ما هو معروض عليه من أجل إشباع رغباته وسد حاجاته<sup>(3)</sup>.

وعرف Angle سلوك المستهلك على أنه الأفعال والتصرفات المباشرة للأفراد من أجل الحصول على المنتج أو الخدمة، ويتضمن إجراءات اتخاذ قرار الشراء<sup>(4)</sup>.

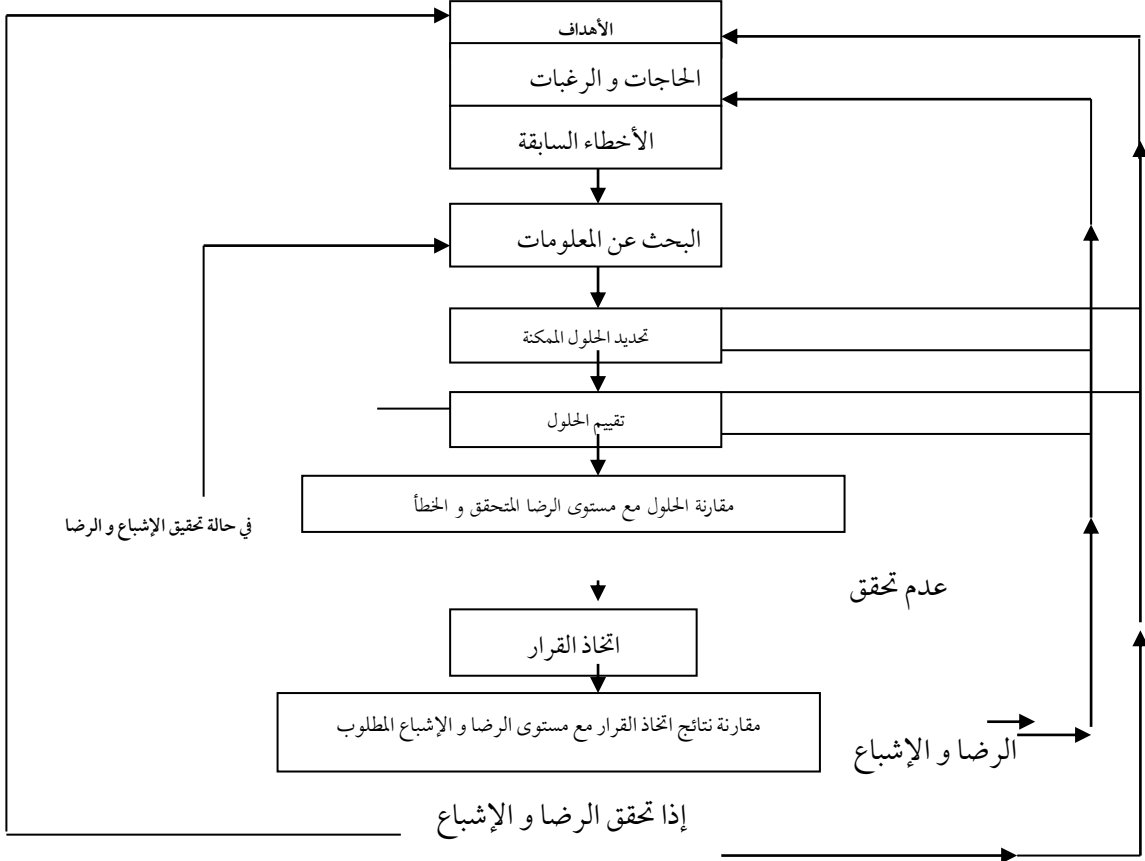
"وبالنسبة إلى ougust فإنه يرى بأن سلوك الشراء يمثل مجموعة من الإجراءات ولا نستطيع مشاهدته باستمرار وأن يكون التعبير عنه فقط عند اتخاذ قرار الشراء". لذلك تكون الإجراءات التي تسبق السلوك الظاهري والنهائي للفرد كثيرة ومتفاعلة ومتداخلة وقد تكون طويلة، بينما السلوك الظاهري يكون لفترة قصيرة، ومن ثم ينتهي ويختفي، أي أن عملية اتخاذ قرار الشراء التي تدفع الفرد إلى البحث عن منتج، ومن ثم يجد نفسه أمام بدائل عديدة عليه أن يختار من بينها"<sup>(5)</sup>.

ويشير سلوك المستهلك إلى تصرفات الفرد التي تجعله يظهر بمظهر الباحث عن الشراء أو استعمال السلع والخدمات ومحاولة الوصول إلى التقييم المناسب لكل منهما مما يسهل عملية إشباع حاجاته.

لذلك فإن سلوك المستهلك يمثل الطريقة التي يتصرف بها الفرد خلال عملية تبادل السلع والخدمات والأفكار، ويتضمن دراسة سلوك المستهلك للتعرف على كيفية اتخاذ القرار وتحديد كيفية إنفاق موارده من نقود ومجهود<sup>(6)</sup>.

مفهوم إجراءات اتخاذ قرار الشراء: يمر قرار الشراء بإجراءات عديدة ومعقدة نتيجة للعوامل الكثيرة والمختلفة التي تؤثر على الأفراد مما جعل عملية تحديد هذه الإجراءات بشكل دقيق وجازم يُعد من المهام الصعبة جداً، ولكن بشكل عام عرف اتخاذ قرار الشراء على أنها: الخطوات أو المراحل التي يمر بها المشتري في حالة القيام بالاختيارات حول أي من المنتجات التي يفضل شرائها<sup>(7)</sup>. ويمكن أن يمثل ذلك بشكل واضح كالآتي:

شكل رقم (1) يوضح مراحل عملية الشراء .



المصدر: بحسب جاسم (8).

من خلال التعريفات السابقة نستنتج أن عملية اتخاذ قرار الشراء تعبر عن سلوك المستهلك وهي جزء منه، وهو عبارة عن مجموعة من التصرفات التي يقوم بها الأفراد بغرض شراء أو استعمال السلع أو الخدمات التي يعتقد أنها ستشبع رغباتهم في إطار القدرة الشرائية المتاحة، فهو يرتبط بالكيفية التي يقوم بها الفرد باتخاذ قراراته المتعلقة بتوزيع والإنفاق للموارد المتاحة لديه (المال، الوقت، الجهد) على سلع وخدمات مرغوبة ومقبولة لديه، وتمر عملية اتخاذ القرار بعدة إجراءات تبدأ من تحديد الأهداف وتنتهي بتحقيق الرضا و الإشباع والولاء أو عدم تحقيقه.

## 2-3 أهمية دراسة عملية اتخاذ قرار الشراء

تكمن أهمية دراسة اتخاذ قرار الشراء في دراسة سلوك المستهلك الذي يعبر عن هذه العملية، بهدف التعرف على كيفية حدوث السلوك الفعلي فضلاً عن تحليل العوامل التي أثرت على السلوك قبل حدوثه وبعد حدوثه فعلاً<sup>(9)</sup>، ومن المهم التعرف على مضمون المؤثرات الداخلية والخارجية التي تدفع المستهلك الفرد أو المستهلك الصناعي إلى التصرف بهذه الطريقة أو بتلك، وتشمل أهمية دراسة سلوك المستهلكين كافة أطراف العملية التبادلية بدء من المستهلك الفرد إلى الأسرة كونها وحدة استهلاكية إلى المنظمات الصناعية والتجارية، فدراسة المستهلك يمكن أن تحقق له مستويات أفضل من الإشباع وتوفر أمامه مجموعة من البدائل السلعية، ونتركه يختار ما يناسبه، كما توفر له المعلومات التي تساعد في عملية المفاضلة بين السلع والخدمات، أما في المنظمات الصناعية والتجارية فتبرز الأهمية الكبيرة لتبني إدارة تلك المنظمات لنتائج دراسات سلوك المستهلك عند تخطيط ما يجب إنتاجه كما ونوعاً، وبما يرضي حاجات المستهلكين الحاليين وورغباتهم بحسب إمكانياتهم وأذواقهم، فضلاً عن ذلك تبني مفهوم الدراسات السلوكية الاستهلاكية من قبل تلك المنظمات، والذي يساعدها في تحديد عناصر مزيجها التسويقي الأكثر ملاءمة.

وتبرز الأهمية الخاصة لدراسة قرار الشراء في أن رجال التسويق يحاولون التأثير في المستهلك لاتخاذ قرار الشراء في هذه المرحلة من خلال تكرار الإعلان، وبرامج تنشيط المبيعات، وتدريب رجال البيع في المتاجر على الحديث بشكل إيجابي عن المنتج.

فالنشاط الترويجي يهدف إلى معرفة خصائص المستهلكين المستقبليين للرسائل الترويجية وإثارة دوافعهم ومحاولة استمالة سلوكهم عن طريق تصميم فعال لحملات إعلانية وترويجية تستهدف فئة معينة تحمل الخصائص والظروف نفسها<sup>(10)</sup>، معنى هذا أن المستهلك بسلوكه وتصرفاته أصبح يحدد المدخلات الأساسية لمنظمات الأعمال ومن ثم مخرجاتها المختلفة المتمثلة في تقديم منتجات مرضية لحاجاته و ملبية لرغباته.

## 2-4 دوافع قرار الشراء وأنواع تلك القرارات

### 2-4-1 دوافع قرار الشراء

تعرف الدوافع على أنها قوة كامنة داخل الفرد تدفعه إلى اتخاذ سلوك معين في اتجاه معين لتحقيق هدف معين، أو هي القوى أو الطاقة الداخلية التي توجه وتنسق تصرفات الفرد وسلوكه في أثناء استجابته للمواقف والمؤثرات البيئية المحيطة به<sup>(11)</sup>.

و طالما أن وراء كل عملية شراء يقوم بها المستهلك دافع أو أكثر، فعليه أصبح التعرف على دوافع الشراء لدى المستهلك أمراً جوهرياً لتفهم النشاط التسويقي لمنشآت العصر الحالي.

إن اهتمام مدراء التسويق يجب أن لا يقتصر فقط على مجرد التعرف على هذه الدوافع والوقوف على أنواعها، ولكن يجب أن يمتد اهتمامهم إلى كيفية استثارة هذه الدوافع و توجيهها الوجهة التي ترغب بها المنشأة وتسعى إليها. لهذا كان لابد للمشتغلين في التسويق من الإلمام بدوافع شراء السلع والخدمات التي يتعاملون بها لما في ذلك من أهمية ودور في نجاح منشآتهم في تسويق المنتجات التي تتعامل بها ومن ثم تتهياً لهذه المنشآت فرص البقاء والاستمرار في دنيا الأعمال.

## 2-4-2 أنواع دوافع الشراء

2-4-2-1 حسب طبيعتها: تنقسم إلى دوافع فطرية و دوافع مكتسبة<sup>(12)</sup>.

1 - الدوافع الفطرية: وتصف بأنها ليست على مدى واحد من القوة والضعف عند جميع الأفراد، إذ إن مجال الفروق الفردية فيها قوي وشديد، بمعنى أن الأفراد يختلفون في مدى قوة الدوافع الفطرية، وذلك بلا شك يؤثر على أنماط سلوكهم و تصرفاتهم اليومية.

2 - الدوافع المكتسبة: وهي الدوافع التي يكتسبها الفرد نتيجة اختلاطه بالبيئة المحيطة به وخبراته اليومية والتي يسميها بعضهم بالدوافع الثانوية أو الدوافع الاجتماعية، فهي إذن تلك الدوافع التي تركز على تلبية حاجات الفرد ومتطلباته غير الفسيولوجية مثل الحاجة إلى النجاح وحب الظهور وعمل الصداقات، وعليه فالدوافع المكتسبة هي نماذج من السلوك المكتسب والتي إذا ما وصلت إلى درجة قوية من التكرار أصبحت عادة، والعادة تلعب دوراً أساسياً باعتباره دافعاً من دوافع السلوك ومن أمثلتها التعود على شراء أنواع معينة من السلعة أو الشراء من متاجر معينة و بكميات معينة.

2-4-2-2 من حيث الشعور بها: تنقسم إلى دوافع شعورية، و دوافع لا شعورية، ومن الدوافع ما هو شعوري، أي يفظن الفرد وجوده كالرغبة في السفر والميل إلى سماع الموسيقى، ومنها ما هو لا شعوري أي لا يفظن الفرد إلى وجوده كالدافع الذي يحمل الإنسان على تفضيل الصدق على الكذب، أو عدم معرفة الشخص الدوافع الحقيقية لقيامه بأعمال و تصرفات معينة.

2-4-2-3 من حيث الاتجاه: تنقسم إلى دوافع إيجابية و دوافع سلبية.



الدوافع الإيجابية: هي تلك الدوافع التي نشعرنا بقوة دافعة نحو شيء معين أو حالة معينة في حين الدوافع السلبية: هي تلك القوى التي تدفع الفرد إلى الامتناع عن القيام بسلوكيات وتصرفات معينة إما بسبب الخوف من النتائج (الخوف من ركوب الطائرة) أو العقاب (امتناع التلميذ من الكتابة على حائط المدرسة خوفاً من عقاب معلمته).

2-4-2-4 حسب مراحل تصرف المستهلك: وتنقسم إلى دوافع شراء أولية و انتقائية.

1- دوافع شرائية أولية: حيث إن حاجات المشتري ورغباته الكثيرة قد لا تقع تحت حصر من جانب في حين أن دخله من جانب آخر محدود عليه ومن أجل إعادة التوازن فيما بين هذين المتغيرين (الحاجات والدخل) نجد أن المستهلك يقوم بتحديد أنواع السلع والخدمات التي يعطيها أسبقية وأولية في الشراء (وهي أول خطوة من خطوات تصرفاته الشرائية) وذلك في حدود ميزانيته و كمية دخله المتاح للتصرف. بكلمة أخرى المستهلك يعمل سلم تفصيل يرتب عليه السلع والخدمات المختلفة حسب شعوره بأهميتها في إشباع حاجاته عن غيرها وأسبقيتها من المنتجات الأخرى، وفي حدود ما لديه من مقدرة شرائية، وهو ما يطلق عليه دوافع الشراء الأولية وهي الدوافع التي تدفع المستهلك الأخير إلى شراء سلعة أو خدمة معينة، وبغض النظر عن العلامات التجارية أو الأماكن التي تباع فيها، فهي تتضمن الشعور بالحاجة أو الميل نحو سلعة أو خدمة معينة كما في حالة رغبة المستهلك بالشراء مثل (الصابون لتنظيف جسمه، الثلاجة للمحافظة على المأكولات والمشروبات).

لظالما كان قرار شراء هذه السلع لا يشمل على علامة تجارية معينة، فالدافع إذن وراء ذلك هو دافع شراء أولي، وهذا يعني أن المستهلك لا يمكنه الانتقال إلى مرحلة المفاضلة بين العلامات المختلفة للسلع والخدمات إلا بعد أن يكون لديه شعور أولي بأهمية شراء السلعة أو طلب خدمة.

2- دوافع شراء انتقائية: أما الخطوة الثانية من خطوات التصرف الشرائي (التي تأتي بعد اختيار المستهلك للسلعة أو الخدمة التي سيقوم بشرائها) هي أن يقرر المستهلك أي علامة من علامات الصابون يشتري وأي ماركة من ماركات الثلاجات يفضل، أي أنه يدخل في مرحلة انتقاء علامة معينة من السلعة التي قرر شرائها وفي هذه المرحلة تتنافس علامات السلعة أو خدمة معينة مع السلعة التي قرر شرائها لكي تحوز على رضا المستهلك وقبوله وهذا أمر يفترض أن هناك ماركات وعلامات مختلفة للسلعة أو الخدمة الواحدة.

2-4-2-5 حسب سلوك المستهلك: تنقسم إلى دوافع شراء عقلانية و أخرى عاطفية.

1 - دوافع شراء عقلانية: وتكون دوافع شراء عقلانية إذا بينى قرار الشراء على أساس من التحليل والبحث لجميع العوامل المرتبطة بقرار شراء السلعة أو علامة معينة منها مثل: الاقتصاد في الشراء، المثانة والجودة، خدمات الصيانة، سهولة الاستعمال.. إلخ أي إن قرار الشراء لم يأت إلا بعد دراسة حقيقية للأمور المتعلقة بالشراء وأسبابه النفعية.

و بكلمة أخرى تكون الدوافع عقلانية عندما لا يتم شراء السلعة وطلب الخدمة إلا بعد تفكير المستهلك تفكيراً منطقياً وتديره للأمور تديراً جيداً، من خلال مقارنة بين البدائل المختلفة و دراسته للعوامل المؤثرة في قرار الشراء.

2- دوافع شراء عاطفية: أما إذا قرر المشتري شراء سلعة دون تفكير معقول أو تدير منطقي للأمور بل لمجرد المحاكاة والتقليد وحب الظهور والمباهاة، فإن قراره الشرائي في هذه الحالة يكون قرار عاطفي.

فمثلاً إذا قام المستهلك satellite بعد دراسة لدخله و احتياجات أسرته و أولوية السلع المختلفة وجميع العوامل التي تجذب الشراء و المنافع التي تستفيد منها الأسرة نتيجة لثراء هذه السلعة فإننا نعدّ دوافع الشراء في هذه الحالة هي دوافع شراء أولية عقلانية.

وإذا قام المستهلك بشراء ال-satellite لمجرد المحاكاة وحب الظهور والتباهي والتقليد و من دون تقدير منه لظروف دخله و إمكانياته و احتياجاته الأخرى، فإن دافع الشراء تكون في هذه الحالة أولية عاطفية.

ويمكن تطبيق الأسس السابقة نفسها على الدوافع الانتقائية للشراء، فمثلاً لو تم شراء ماركة معينة من الثلاجات المعروضة في السوق بعد دراسة شاملة لمزاياها و عيوبها فإن دوافع الشراء في هذه الحالة تكون دوافع شراء انتقائية عقلانية، بعكس فيما لو كان الاختيار هو لمجرد المحاكاة أو التقليد أو حب الظهور حيث تكون دوافع الشراء في هذه الحالة دوافع شراء انتقائية عاطفية.

2-4-2-6 أنواع قرارات الشراء أخرى

هناك أنواع مختلفة من قرارات الشراء، و هذه الاختلافات تتنوع باختلاف المنتجات و الماركات و باختلاف أهمية قرار الشراء و آثاره المستقبلية مما يجعل الدور الذي يلعبه الأفراد يختلف باختلاف هذا القرار و بشكل عام يمكن تحديد هذا الدور بما يأتي:

## 1 - قرار الشراء المركب والمعقد<sup>(13)</sup>:

يواجه الأفراد اتخاذ قرار شراء معقد، عندما يواجهون مشكلة اختيار منتج لا تتوفر لديهم المعلومات الكافية عنه من ناحية وأهمية القرار المتخذ من ناحية أخرى، وقد يكون ذلك عائد إلى ارتفاع سعر المنتج وأهميته للفرد.

إن عملية اتخاذ القرار تعدُّ مجازفة خاصة في حالة عدم اتخاذ القرار الصائب ولذا فإن نتائجه سوف تكون مؤثرة بشكل سلبي على متخذيها في حالة عدم استناد هذا القرار على معلومات موثوق بها إذ إن عدم معرفة الأفراد للمنتج ستجعلهم يواجهون مشكلة في اتخاذ القرار المناسب والصحيح لانعدام التجربة والخبرة في الشراء واستعمال هذا المنتج. لذلك نجد الأفراد أنفسهم أمام حالة أخذ الآراء والتشاور مع أفراد الأسرة والأصدقاء وغيرهم بهدف التوصل إلى اتخاذ قرار مستند إلى رأي المجموع وليس بشكل فردي، إن هذا النوع من القرارات يتخذ في الغالب في حالة شراء السلع المعمرة؛ لأن عملية الشراء تكون غير متكررة وأسعارها مرتفعة لذلك فإن على المختصين في مجال التسويق أن يتمكنوا من خلال بحوث التسويق من التعرف على متخذ القرار المؤثرين فيه، وما هي الأسس التي يعتمدونها كل واحد منهم في اتخاذ مثل هذا القرار لكي يستطيعوا اختيار الوسيلة الإعلانية وتصميم محتوى الرسائل الإعلانية بالشكل الذي يلعب الدور الفاعل على متخذي قرار الشراء المركب.

## 2 - قرار الشراء لتقليل التنافر: إن السلوك الشرائي المقلل للتنافر يحدث عندما يكون الأفراد مشتركين بدرجة كبيرة بعملية شراء منتج غالي الثمن وغير متكرر وينطوي على مجازفة كبيرة ولكنهم يجدون بأن الاختلاف بين العلامات التجارية قليلاً، إذ إن الأفراد الذين يتخذون قرار شراء مكيف قد يواجهون قراراً ذا اشتراك كبير ويكون المكيف غالية الثمن ومعمر، إن الأفراد لا يدركون الاختلافات بين خصائص العلامات، ويقومون بجولة بهدف التعرف على ما هو موجود ولكن قرار شرائهم يكون سريع نسبياً، إذ أنهم قد يستجيبون بشكل أولي إلى السعر المناسب أو إلى عدم بذل جهد كبير في عملية الشراء، لكن بعد اتخاذ قرار الشراء قد يحصل ما بين الأفراد حالة انعدام الانسجام أو التنافر الذي يعقب الشراء، عندما يلاحظون أو يكتشفون بعض العيوب والنقاط السلبية في المنتج المختار الذي تم شراؤه، أو عندما يسمعون المزايا الجيدة التي لم يقع عليها اختيارهم.

3- قرار الشراء (الروتينية): إن قرار الشراء يحصل عادة في حالة شراء منتجات وخدمات ذات أسعار منخفضة ومناسبة ولا يتطلب اختيارها بذل جهد كبير، وإن العادات الشرائية تلعب دوراً كبيراً في النوع، وقد لا يكون بسبب الإخلاص لعلامة تجارية معينة؛ لأن هذا القرار لا يتطلب من متخذ القرار أن يبحث و يقارن و يقوم بسلسلة من الإجراءات المعقدة وإنما قد يقع قرار الشراء لمجرد وقوع النظر عليها عند دخوله إلى المتجر وعند الشعور بالحاجة إليها.

4- قرار شراء الباحث عن التنويع و التغيير: وهذا التنويع والتغيير يعود الآتي:

- إدراك المستهلكين وجود اختلافات واضحة ما بين العلامات التجارية المعروضة في السوق لذلك فإنهم يميلون إلى التحول والانتقال إلى علامات تجارية أخرى.
- قد يتم التغيير بسبب الضجر والملل من المعلومات المألوفة له و يقوم بعملية التغيير بهدف تجربة شيء جديد وأن هذا التحول ليس بسبب عدم الرضا وإنما من أجل التنويع فقط.
- إن التنويع والتغيير قد يعود إلى سعي المستهلك إلى تقليد المجموعة التي ينتمي إليها أو إي من المجموعات المرجعية التي ينتمي إليها.
- قد يضطر المستهلك إلى التحول إلى علامات تجارية أخرى لعدم توفر العلامات المعتادة.
- قد يأتي التغيير والتنويع للأسباب تتعلق بأسلوب العرض في المتجر أو اختلاف الأسعار أو يتأثر من رجال البيع وغيرها من العوامل الأخرى.

5- قرار شراء المنتجات الجديدة: إن المنتجات الجديدة بالنسبة إلى الأفراد هي المنتجات التي لم يسبق لهم أن قاموا بشرائها ولا توجد لديهم معلومات عنها، وفي بعض الأحيان قد تكون لديهم معلومات عن منتجات مقاربة أو بديلة، وبما أن المنتجات الجديدة هي منتجات تقدم لأول مرة إلى السوق، لذلك على المختصين في مجال التسويق أن يقوموا بتكثيف الأنشطة التسويقية (ترويج، توزيع، سعر، رجال البيع... إلخ).

إن دراسة عملية اتخاذ قرار الشراء تهدف إلى التعرف على ما يرغب فيه المستهلك وتحديد كيفية تصرفه ومن ثم كشف الأسباب والدوافع السلوكية والتصرفات، فاتخاذ قرار الشراء يعبر عن سلوك المستهلك نحو السلع والخدمات وله أهمية بالغة للتعرف على كيفية حدوث السلوك الفعلي سواء بالنسبة إلى المستهلك الفرد أو المستهلك الصناعي أو الأسرة؛ لتحقيق مستويات أفضل من الإشباع،

وتحقيق المنظمة لأهدافها عن طريق تحديد مدخلاتها ومخرجاتها، كما أن دوافع الشراء متعددة تختلف من فرد إلى آخر وتمثل الطاقة والدافع لتصرفات المستهلكين، كما تتعدد أيضا أنواع قرارات الشراء وتختلف باختلاف المنتجات وباختلاف أهمية القرار وآثاره المستقبلية.

## 2-6 الدراسات السابقة:

نظراً إلى أهمية الدراسات السابقة في تحديد مسار البحث وتوجيهه نحو تحقيق الأهداف التي وضعها الباحث وتحقيق التكامل بين الجهود العلمية بين الباحثين، يتم عرض الدراسات السابقة والبحوث القريبة من موضوع البحث وهي كالآتي.

1- دراسة، ردينه عثمان رشيد، 2009م، التي تناولت: قياس أثر التسويق الفيروسي على قرار الشراء. هدفت هذه الدراسة إلى الوقوف على معرفة مدى إدراك عينة الدراسة لمفهوم التسويق الفيروسي، ومدى تأثير ما تقدمه المنظمات من معلومات عبر مواقع الإنترنت والوقوف على واقع اثر التسويق الفيروسي على قرار شراء عند هؤلاء المستهلكين. وتوصلت إلى النتائج الآتية: أن هناك تأثيراً وعلاقة للتسويق الفيروسي على قرار شراء المستهلك عليها ومن ثم تكوين صورة إيجابية عن المنظمة المرسله، هناك علاقة بين مفهوم التسويق الفيروسي وانتشار الرسائل الإعلانية عبر المواقع، وهذه الدراسة تطرح فكرة التأثير الإجباري للرسائل الفيروسية بينما دراسة الباحث هذه تطرح تأثير التسويق الإلكتروني غير الإجباري وغير الفيروسي (14).

2- دراسة، نضال عبد الله تايه، 2007م، تناولت تأثير إعلانات الإنترنت على مراحل اتخاذ قرار الشراء عند الشباب الجامعي الفلسطيني في قطاع غزة.

هدفت الدراسة إلى الوقوف على تأثير الإنترنت باعتبارها قناة إعلانية تجارية على مراحل اتخاذ قرار الشراء بالنسبة إلى الشباب الجامعي، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان أهمها: إن إعلانات الإنترنت تؤثر بشكل كبير على معظم مراحل اتخاذ قرار الشراء بالنسبة إلى المستخدم إلا أنه بالرغم من ذلك فإن عدداً قليلاً جداً أو نادراً من المستخدمين للإنترنت يقوم بالشراء عبر الشبكة. كما توصلت إلى أن تعرض الشباب الجامعي للإعلانات عبر الإنترنت يؤثر إيجاباً على مراحل اتخاذ قرار الشراء، وكانت هذه الدراسة مقتصرة على عينة محدودة، تم تعريضهم إلى بعض الإعلانات لدراسة الإنترنت باعتبارها قناة إعلانية تجارية وأهملت ترسيخ الرضا وإعادة الشراء (15).

3- دراسة سوزي صلاح مصلح الشليل، 2012م، تطبيقات إدارة علاقات الزبائن في مراحل الشراء

الإلكتروني وأثرها في بناء القيمة للزبون دراسة على عينة من المتسوقين عبر البوابة الإلكترونية. ركزت الدراسة على دور إدارة علاقات الزبائن الإلكترونية في مراحل الشراء الإلكتروني وأثرها (مرحلة ما قبل الشراء، مرحلة الشراء، مرحلة ما بعد الشراء) (على قيمة الزبون من حيث) القيمة النقدية، القيمة العاطفية، القيمة الاجتماعية وخرجت الدراسة بالتائج الآتية: ضرورة اهتمام الموقع الإلكتروني بإظهار سياساته في حماية أمن الموقع الإلكتروني وحماية الخصوصية للزبائن لتعزيز الثقة بموقع المنظمة، فضلاً عن عدم الاعتماد الكلي على استعمال بطاقة الائتمان لإتمام عملية الشراء والتنوع في أساليب الدفع المطروحة على الموقع الإلكتروني لما له من أثر إيجابي على قيمة الزبون النقدية، وابتعد البحث عن كثير من الأهداف المطروحة في الدراسة<sup>(16)</sup>.

4- دراسة، (Smith & Rupp) 2003 هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي تؤثر على قرار الشراء عبر الإنترنت، وتوصلت الدراسة إلا أن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على قرار الشراء عبر الإنترنت وقسمتها إلى مجموعات هي:

الجهود التسويقية، المؤثرات الثقافية والاجتماعية، العوامل النفسية، سلوك ما بعد الشراء وكانت هذه الدراسة قريبة من البحث إلى أنها ركزت على سلوك المستهلك من وما يؤثر فيه وابتعدت عن التسويق الإلكتروني والشراء غير المباشر<sup>(17)</sup>.

5- دراسة، (Eastlick & Lotz) 1999، وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على المتبنين وغير المتبنين للشراء الإلكتروني التفاعلي عبر الإنترنت وقد أجريت الدراسة لتحديد الصفات الشخصية والأنماط التسويقية والسلوك الذي يمارس من قبل المتكرين "أو المكتشفون الأوائل" وغير المكتشفين للشراء الإلكتروني التفاعلي عبر الإنترنت ومعرفة الاختلافات بين النوعين من المستخدمين للإنترنت وقد توصلت الدراسة إلى:

- أن إمكانية تصنيف المتكرين للشراء عبر الإنترنت وغير المتكرين إلى مجموعات محددة أو إمكانية البحث بينهما تعتمد على خصائص الشراء عبر الإنترنت وكذلك ما يمكن وصفه بميزات لطرق التسوق أو الشراء الأخرى حيث تكون هذه السمات أو المميزات سبباً رئيسياً في تفضيل هؤلاء أو أولئك لطريقة التسوق المناسبة لهم.

-لا يمكن إغفال دور خبرة المستهلكين في التعامل مع وسائل التسوق والشراء بدون الذهاب إلى المتاجر وما يمكن أن يشكل من دافعية للتعامل مع وسائل الشراء الإلكتروني عبر الإنترنت، أيضاً وجدت الدراسة أن الأنواع المعروفة من المتبنين للشراء عبر الإنترنت (المبتكرون، المتبنون الأوائل، المتأخرون) بينها صفات مشتركة لا تختلف إلا في نسبة وجود هذه الصفات<sup>(18)</sup>.

7- دراسة (Monsuwe , etc. al) 2004، وهدفت الدراسة إلى التعرف على اتجاهات المستهلكين نحو الشراء عبر الإنترنت، والنية للشراء عبر الإنترنت.

وبينت الدراسة أن كلاً من اتجاهات ونية المستهلكين نحو الشراء عبر الإنترنت لا تتأثر فقط بسهولة استعمال الإنترنت والفائدة والمتعة التي يحصل عليها المستخدم من الإنترنت، بل تتأثر بعوامل أخرى مثل صفات المستهلك، خصائص المنتج، الخبرة السابقة للمستهلك، توافر الثقة بالشراء عبر الإنترنت<sup>(19)</sup>.

8- دراسة (Jayawardhena ,et. Al) 2003، وتقدم هذه الدراسة شرحاً للدور الذي يمكن أن تلعبه التكنولوجيا في مراحل عملية اتخاذ قرار الشراء وترى هذه الدراسة أن مراحل عملية اتخاذ قرار الشراء، عبر الإنترنت هي نفسها المراحل التي يمر بها المستهلك أثناء اتخاذ قرار الشراء عبر الوسائل التقليدية، إلا أن عملية الشراء عبر الإنترنت تكون أسرع، ومصادر المعلومات التي يعتمدها المستهلك مختلفة عن التي يعتمدها في الوسائل التقليدية<sup>(20)</sup>.

9- دراسة (Smith, Alan D. and Rupp, William T) 2003 وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي تؤثر على قرار الشراء عبر الإنترنت وتوصلت الدراسة إلى أن هناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على قرار الشراء عبر الإنترنت وقسمتها إلى مجموعات هي:

الجهود التسويقية، المؤثرات الثقافية والاجتماعية، العوامل النفسية، سلوك ما بعد الشراء، والخبرة<sup>(21)</sup>.

10- دراسة (Brown , et. al.) 2003 وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على أثر توجهات المستهلكين نحو الشراء نوع المنتج، الخبرة، والنوع على نية الشراء عبر الإنترنت، وقد توصلت الدراسة إلى:

أن توجهات المستهلكين نحو الشراء ليس لها اثر معنوي على ميل المستهلكين لشراء المنتجات عبر الإنترنت، بينما بينت أن كل من نوع المنتج، وعمليات الشراء السابقة التي قام بها المستهلك والنوع يؤثر على نية الشراء عبر الإنترنت<sup>(22)</sup>.

11- دراسة (Phau & Poon) 2000، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على العوامل التي تؤثر على المنتجات والخدمات التي تشتري عبر الإنترنت.

وتقدم هذا الدراسة نتائج الاختبار الذي تم إجراؤه بالنسبة إلى الشراء عبر الإنترنت في سنغافورة، وهو يركز على سلوك الشراء عبر الإنترنت ويقارن بين المشتريين عبر شبكة الإنترنت وغير المشتريين من المستخدمين للشبكة باستمرار وتوصل الدراسة إلى النتائج الآتية:

أن الصفات لمختلف المنتجات والخدمات ستؤثر على نحو أكيد في خيار المشتري أو المستهلك بخصوص الاختيار بين الشراء عبر المتاجر أو من خلال الإنترنت وأظهرت الدراسة بعض المنتجات والخدمات التي يمكن شراؤها من خلال الشبكة<sup>(23)</sup>.

12- دراسة (Eastlick & Lotz) 1999، وتهدف هذه الدراسة إلى التعرف على المتبنين وغير المتبنين للشراء الإلكتروني التفاعلي عبر الإنترنت وقد أجريت الدراسة لتحديد الصفات الشخصية والأنماط التسويقية والسلوك الذي يمارس من قبل المتكرين" أو المكتشفين الأوائل" وغير المكتشفين للشراء الإلكتروني التفاعلي عبر الإنترنت ومعرفة الاختلافات بين النوعين من المستخدمين للإنترنت وقد توصلت الدراسة إلى:

- أن إمكانية تصنيف المتكرين للشراء عبر الإنترنت وغير المتكرين إلى مجموعات محددة أو إمكانية المبحث بينهما تعتمد على خصائص الشراء عبر الإنترنت وكذلك ما يمكن وصفه بمميزات لطرق التسوق أو الشراء الأخرى حيث تكون هذه السمات أو المميزات سبباً رئيسياً في تفضيل هؤلاء أو أولئك لطريقة التسوق المناسبة لهم.

- لا يمكن إغفال دور خبرة المستهلكين في التعامل مع وسائل التسوق والشراء دون الذهاب إلى المتاجر وما يمكن أن يشكل ذلك من دافعية للتعامل مع وسائل الشراء الإلكتروني عبر الإنترنت، أيضاً وجد البحث أن الأنواع المعروفة من المتبنين للشراء عبر الإنترنت المتكرون، المتبنون الأوائل، المتأخرون) بينها صفات مشتركة لا تختلف إلا في نسبة وجود هذه الصفات<sup>(24)</sup>.



## المبحث الثالث: العوامل المؤثرة في اتخاذ قرار الشراء و الأدوار التي يلعبها الأفراد في اتخاذه

3-1 تمهيد

عملية اتخاذ القرار تمر بعدة مراحل قبل وأثناء وبعد اتخاذ القرار الشرائي؛ لأنها تبدأ في فكر المشتري عبر كافة الحوافز التي تدفع إلى عملية الشراء وتنتهي بفعل الشراء وخلال تلك العملية تتأثر كل مرحلة من مراحل عملية الشراء بعدد من المؤثرات سواء الداخلية أو الخارجية بمختلف أشكالها التي قد تدفع بالقرار إلى رفض اتخاذه قرار الشراء، حتى أن العوامل الخارجية قد يكون لها تأثير أكبر من العوامل ويرجع للحوافز أو لعدد الأفراد المشتركين في اتخاذ قرار الشراء، وسوف يتمحور تركيز الباحث في هذا المبحث على مراحل الشراء والوسائل المؤثرة في عملية الشراء وأهم وسيلة في العصر الحاضر وهي التسويق الإلكتروني.

3-2 مراحل اتخاذ قرار الشراء

عملية الشراء هي إحدى العمليات داخل المنظمة وهي تخضع لكثير من المتغيرات والعوامل، تمر بعدد من المراحل بحسب تلك العوامل التي تؤثر فيها، وبشكل عام يمكن إيجاز إجراءات اتخاذ قرار الشراء بالآتي:

3-2-1 الأهداف (25)

يسعى الأفراد بشكل مستمر إلى تحقيق أهداف عديدة ومتنوعة، وفقاً لما يشعرون به من حاجات مختلفة، حيث إن تلك الحاجات تتأثر بعوامل عديدة منها عوامل خاصة بالفرد نفسه، وعوامل البيئة الخارجية التي تحيط به إذ إن هدف المسلم على سبيل المثال حج البيت الحرام لأنه في حاجة إلى تحقيق نوع من الاستقرار النفسي والروحي استناداً إلى تأثير عامل الديانة، وأن هدف المرأة في المجتمعات العربية هو الظهور بمظهر لائق من أجل كسب ثقة واحترام المجتمع الذي تنتمي إليه، وهناك من يبدع في مجال عمله من أجل تحقيق أماله وطموحه وهكذا، ويمكن أن تصنف هذه الأهداف بشكل عام إلى نوعين، النوع الأول هو القيام بفعل ما (شراء منتج، توجيه دعوة، زيارة أصدقاء) وهذا ما يطلق عليه تحقيق أهداف إيجابية، والنوع الثاني هو الامتناع عن القيام بفعل ما (الامتناع عن شراء منتج، الامتناع عن السعر...) وهذا ما يطلق عليه تكوين وتحقيق أهداف سلبية اتجاه الأشياء.

لكن وبشكل عام تلعب الأهداف التي يسعى الأفراد إلى تحقيقها دور أساسيا ومهما في فهم سلوك الأفراد، والخطوات التي سوف يتبعونها من أجل تحقيق هذه الأهداف التي يجب أن تتناسب مع الهدف، والأهداف تحدد من قبل الأفراد استنادا إلى المعلومات المتوفرة لديهم، وإلى التجارب السابقة التي مروا بها، وللعوامل التي يخضعون لتأثيرها، ومن خلال هذه الأهداف تتمكن المنظمات من التعرف على طبيعة الأفراد وإلى ما يسعون إليه؛ لذلك تقوم هذه المنظمات في الوقت الحاضر بإجراء المسوحات الميدانية والدراسات والبحوث بهدف التعرف على ما يهدف إليه المستهلكين، والتعرف على العوامل التي تؤثر على تحديد هذه الأهداف، وذلك لكي تتمكن من وضع واختيار السياسات الإنتاجية والتسويقية الناجحة لتمكن من تحقيق الأهداف التي يسعون إلى بلوغها، وفي الوقت نفسه تتمكن هذه المنظمات من تحقيق أهدافها والصمود في وجه المنافسة وتحقيق حصة سوقية جيدة.

3-2-2 الشعور بالحاجة: يمثل الاحتياج أحد العوامل النفسية الداخلية التي تلعب دورا كبيرا في تحديد السلوك، ويتولد الاحتياج نتيجة للحرمان الذي يولد عدم الاستقرار لدى الأفراد، لذلك يسعى هؤلاء الأفراد إلى إشباعه وتحقيق الاستقرار والتوازن المطلوب.

إن هذه الحاجات قد تكون حاجات فطرية توجد لدى الفرد منذ الولادة مثل الحاجة إلى الطعام والملبس، وقد تكون مكتسبة ناتجة من خلال اختلاطه بالأسرة، المجموعة التي ينتمي إليها في إطار عوامل البيئة المحيطة.

إن الحاجة إلى الطعام فطرية لكن الحاجة إلى أصناف معينة من الطعام على سبيل المثال قد تكون لإشباع حاجات مكتسبة، لذلك نجد بأن الأفراد جميعاً في حاجة إلى الطعام ولكن حاجاتهم هذه تختلف باختلاف الأفراد، والبيئة التي يعيشون فيها، وبحسب الدول، والفئة العمرية... إلخ.

ووجود هدف يسعى إلى تحقيقه من أجل إشباع هذه الحاجة مهما كان مستوى النقص والحرمان الذي يشعر به الفرد هو الدافع، وهو الذي يولد السلوك، لكن يجب أن تكون الأهداف كافية وبالشكل الذي يدفعه إلى اتخاذ قرار الشراء، فعندما يبدأ بالشعور بهذه الحاجة سوف تبدأ عملية التفكير باتخاذ قرار الشراء عندما يكون منشأ الدوافع معتمداً على وجود حاجات، فإن المنظمة تسعى جاهدة إلى التعرف على هذه الحاجات ومحاولة إشباعها وسد ذلك النقص الذي يشعر به المستهلك من خلال تقديم منتجات تمتلك الخصائص المطلوبة، واستخدام الأنشطة التسويقية الناجحة بهدف

الوصول إلى المستهلكين، والتمكن من تلبية هذه الحاجات، وإشباع النقص والاضطراب النفسي وعدم التوازن لديه.

وقد قام ماسلو بترتيب الحاجات على شكل سلم سمي باسمه وتم توزيع الحاجات فيه بحسب

أهميتها:

أ - حاجات فيزيولوجية: تمثل الحاجات الأساسية الفطرية كالحاجة للطعام، الشراب، الدواء، النوم.

ب - الحاجة إلى الأمان: يسعى جميع الأفراد إلى العيش بسلام وإلى الحماية من الحوادث و تجنب الأضرار.

ج - الحاجة إلى الحب والالتناء: من خلال الالتناء إلى الأسرة والأصدقاء والجماعات...

د - الحاجة إلى الاحترام والتقدير: إيجاد مكانة طيبة ضمن هذه الجماعات وأن يحظى باحترامهم وتقديرهم.

و - الحاجة إلى تحقيق الذات: الوصول إلى الموقع الذي يتفق وقدراته وكفاءته وميوله واستعداده.

3-2-3 مؤثر التجارب السابقة: إن تقييم المستهلك لمستوى الإشباع والرضا الذي حققه ينطلق من قرار الشراء السابق.

الأثر الكبير على سلوكه المستقبلي وأن الأفراد يسعون إلى تجنب القرارات غير الصائبة التي اتخذوها التي لم تحقق الإشباع المطلوب مما جعلهم يضعون هذه القرارات من ضمن الأخطاء التي وقعوا فيها مما يدفعهم إلى إعادة النظر في هذه القرارات وإلى البحث عن معلومات أخرى.

3-2-4 البحث عن المعلومات: وذلك في حالة كون قرار الشراء السابق لم يكن صائباً ولم يحقق الرضا والإشباع المطلوب، وكانت المعلومات التي لدى الأفراد ناقصة ولا يستطيع الاعتماد عليها، ويرجع ذلك إلى عدم ثقة الفرد بالمنتجات والمعلومات التي يمتلكها، وقد يكون في حالة شراء منتج جديد ولأول مرة ولا توجد لديه معلومات سابقة عنه، كما أن البحث عن معلومات إضافية يستفاد منها في اتخاذ قرار الشراء.

3-2-5 مرحلة تقييم المعلومات: يقوم المستهلك هنا بتقييم كافة المعلومات المتوفرة لديه، وهنا يلعب مستوى الإدراك الدور الأساسي في عملية التقييم، حيث يشير كل من keteltr & Armstrong إلى أن الإدراك هي العملية التي يقوم من خلالها الفرد بانتقاء مدخلات هذه المعلومات وتنظيمها وتغييرها ومن ثم خلق صورة شاملة عن البدائل المتوفرة، وعلى ضوء ذلك يقوم المستهلك بالخطوات الآتية:

- أ- ترتيب المعلومات التي جمعها.
- ب- وضع معايير الاختيار.
- ج- تحديد البدائل المختلفة.
- د- المقارنة بين البدائل.

3-2-6 تقييم الحلول: بعد أن يقوم الفرد بتحديد البدائل الممكنة فإنه يقوم بتقييم هذه الحلول استناداً إلى خبراته والمعلومات التي حصل عليها، بهدف التخلص من التردد وحالة الشك التي تلازمه، وأن يصل إلى مستوى من القناعة والثقة بصواب القرار الذي سوف يتخذه أو تتولد لديه شكوك معينة وعدم ثقة بالحلول.

3-2-7 مقارنة الحلول مع مستوى الرضا: يهدف الأفراد من خلال اتخاذ قرار الشراء إلى التخلص من حالة القلق والتوصل إلى التوازن المطلوب الذي افتقده في مرحلة ما قبل اتخاذ الشراء، لكن الأفراد يقومون بمقارنة الحلول المتاحة مع مستوى الإشباع والرضا الذي يتوقعون أن يحصلوا عليه من خلال ذلك، واحتمال الخطأ الذي قد يحدث في حالة اتخاذ قرار الشراء، ففي حالة شعور الأفراد بأنهم سوف يحصلون على الإشباع والرضا الذين يطمحون إلى الوصول إليه فإنهم سوف يقومون باتخاذ قرار الشراء، أما في حالة شعور الأفراد بالقلق وعدم إمكانية تحقيق مستوى الرضا والإشباع المطلوب فإنهم سوف يعودون إلى البحث عن المعلومات من جديد.

3-2-9 اتخاذ قرار الشراء: بعد أن يصل الفرد إلى مستوى من الثقة بالحلول المطروحة فإنه يقوم باتخاذ قرار الشراء واختيار البديل المناسب وفق ما يعتقده.

3-2-10 ما بعد قرار الشراء: يقوم الفرد بمقارنة نتائج اتخاذ قرار الشراء مع مستوى الرضا والإشباع المطلوب، ففي حالة عدم تحقيق الرضا والإشباع المطلوب فإن ذلك سوف يعود إلى عدم إشباع

الحاجات وإلى عدم تخلص الفرد من القلق وحالة عدم التوازن التي يمر بها نتيجة للنقص والحرمان لذلك سوف يمتنع عن تكرار شراء هذا المنتج وبذلك فإنه سوف يعود إلى البحث عن المعلومات وجمعها بهدف تحديد الحلول الممكنة واختيار بديل مناسب، ولكن في حالة تحقيق الرضا والإشباع للحاجات وتحقيق التوازن المطلوب فإن الفرد سوف يكتسب معلومات وخبرة ملائمة وتتكون لديه قناعة إيجابية تجاه البديل مما يجعل احتمالية تكرار الحصول عليه ممكنة جداً، ويخلق ولاء للعلامة التجارية وهو ميل بعض المستهلكين إلى الشراء بطريقة منتظمة العلامة نفسها<sup>(26)</sup>، و يصنف الولاء إلى:

- الولاء القوي للعلامة التجارية: ويمثل الهدف المثالي الذي تسعى إليه المؤسسة من خلال أنشطتها الترويجية لذلك تحاول دائماً تحديد أسبابه لاختيار المثيرات التي تشجع على ذلك.

- الولاء المتوسط: يختار المستهلك في هذه الحالة الشراء بين علامتين أو أكثر لعدة أسباب منها:  
\* نفاذ العلامة المفضلة لديه.

\* الإعلانات المتكررة تشكل ضغطاً، مما يؤدي إلى الاستجابة بتغيير العلامة.

\* ظهور علامة جديدة تشبع حاجاته ورغباته.

\* تكلفة التحول إلى علامة جديدة تناسب مع عائد المستهلك.

\* الميل الطبيعي للتغيير.

- رفع الكميات المشتراة: كاستجابة آنية للأنشطة الترويجية المتعلقة بتنشيط المبيعات.

3-3 العوامل المؤثرة في اتخاذ قرار الشراء

كما هو معلوم أن التصرفات التي يقوم بها الأفراد هي ليست تصرفات متماثلة ومتشابهة بل مختلفة ومتباينة، فما يقوم به المستهلك من تصرف وسلوك تجاه سلعة معينة قد يختلف عن سلوكه وتصرفاته حيال سلعة أخرى، والأمر ذاته نراه ونلاحظه عندما تختلف الفترات الزمنية أو المناطق الجغرافية التي يعيش فيها المستهلك وهذا كله يعود إلى وجود عوامل كثيرة أصبحت ذات تأثير على سلوك المستهلكين وعاداته الشرائية، والتي قسمها الباحثون إلى مجموعتين رئيسيتين هما: العوامل الشخصية والعوامل البيئية.

3-3-1 العوامل الشخصية: وهي العوامل التي يتكون منها الفرد، وتؤثر على سلوكه وتصرفاته، فهي إذن تلك المكونات المادية (الملموسة)، وغير المادية (غير ملموسة) المتواجدة داخل الإنسان، التي أصبح لها تأثير على السلوكيات والتصرفات التي يأتيها الفرد خلال مراحل حياته المختلفة. وهذه المجموعة بدورها تنقسم إلى أقسام متعددة التي هي (27):

أولاً: المكونات المادية (الفسولوجية): وهي المكونات التي يولد بها الإنسان مثل الطول والشكل والوزن... وبطبيعة الحال لا يستطيع أن ننكر ما لهذه العوامل من آثار على الأفعال والتصرفات التي يقوم بها المشتري في المراحل المختلفة من حياته.

ثانياً: المكونات العقلية و النفسية: وهي المكونات غير الملموسة التي يولد بها الإنسان، أو التي يكتسبها خلال مراحل حياته المختلفة تتمثل بالذكاء والإدراك والمزاج والثقة بالنفس. و معلوم أن المكونات المادية وغير المادية تكون شخصية الفرد التي أصبحت تؤدي دوراً فعالاً في فهم السلوك الإنساني، ويمكن إرجاعه إلى المكونات العقلية و النفسية بالآتي:

- الإدراك: حيث يمثل الإدراك العملية التي تتشكل فيها الانطباعات الذهنية للفرد عندما يتلقى وينظم ويفسر مؤثرات معينة، فالإدراك يؤدي إلى التفكير والتفكير يؤدي إلى إحداث التصرف (28).

- التعلم: تعد عملية التعلم عنصراً أساسياً في عملية الاستهلاك، فنحن نكتسب معظم الاتجاهات والقيم والتفضيلات والمعاني من خلال التعلم، فلا شك أن الثقافة والطبقة الاجتماعية والديانة فضلاً عن إلى الأسرة والأصدقاء، فكل هذه المصادر توفر خبرات تؤثر على اختيارات المستهلك (29).

3-3-2 العوامل البيئية: وهي العوامل والمتغيرات التي تقع خارج حدود الإنسان وتؤثر في سلوكه وتصرفاته بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد قسم العلماء العوامل البيئية إلى الأقسام الآتية:

أولاً: البيئة الطبيعية: وتتمثل فيما يحيط بالفرد من ظواهر مثل التضاريس والمناخ والمعادن والغابات والوديان والصحاري والسكان... فنقص السكان في بلد ما (على سبيل المثال) يعد عاملاً مؤثراً في قلة الأيدي العاملة، الأمر الذي يجعل من استعمال عمالة وافدة حاجة ماسة، ومن ثم ذات تأثير إيجابي أو سلبي في التفاعل السلوكي بين جميع هؤلاء الأفراد.

ثانيا: البيئة الاجتماعية: وهي عبارة عن جميع محتويات النظام الاجتماعي السائد في البلد التي أصبح لها تأثير على سلوكيات الأفراد وتمثل وسائل ضغط على الأفراد. وتشمل ما يأتي:

- درجة التقدم الاجتماعي.
- التكوين والتنظيم الاجتماعي السائد (عشائري، أسري، قبلي).
- القيم والعادات والتقاليد.

ثالثا: البيئة الثقافية: وهي مجموعة المعارف والقيم والمبادئ والأفكار التي تسود المجتمع وأصبحت تؤدي دورا بارزا في التأثير على سلوك الفرد و تصرفاته.

رابعا: البيئة الاقتصادية: يتطلب هذا من المسؤولين عن النشاط التسويقي الإلمام بالعناصر الأساسية لهذه البيئة (الدخل، الإئتمان، التضخم، أسعار الفائدة، الدورة التجارية.. إلخ).

و خصائص كل منها تمهيدا لمعرفة آثارها على المستهلكين ومن ثم التصرفات والأفعال التي يأتونها وهم بصدد إشباع حاجاتهم وتلبية رغباتهم من السلع والخدمات.

خامسا: البيئة القانونية: تعد القوانين والتشريعات التي تصدرها الدولة من الوسائل ذات التأثير الكبير على السلوكيات التي يأتونها الأفراد وهم يقومون بإشباع حاجاتهم ورغباتهم من السلع والخدمات.

سادسا: البيئة التكنولوجية: لا أحد يستطيع أن ينكر ما للقوى التكنولوجية (التي يقصد بها فن تطبيق أو استعمال العلم والمعرفة بهدف زيادة قدرات الإنسان على تحقيق أهدافه من تأثير على الأفراد ومن ثم التصرفات والأفعال التي يقومون بها) ومنها التجارة الإلكترونية، وذراعها الرئيسي التسويق الإلكتروني، التي هي محور هذا البحث لدراسة تأثيرها على متخذ قرار الشراء وخصص الباحث المطلب الرابع له.

3-4 الأدوار التي يلعبها الأفراد في اتخاذ قرار الشراء<sup>(30)</sup>:

لكي يتمكن المختصون في مجال التسويق من صياغة البرامج التسويقية الناجحة التي من خلالها يتمكنون من تحقيق الأهداف المرسومة، عليهم أن يفهموا ويتعرفوا على الكيفية التي يتخذ بها قرار الشراء وما هي الأدوار التي تلعب، ومن هم أصحاب القرار وبشكل عام يمكن أن توجز هذه الأدوار بما يأتي:

1- المقترح: وهو الفرد الذي يقترح فكرة شراء منتج أو ماركة ما، ولكن ليس بالضرورة أن يكون متخذ قرار الشراء المشتري أو يكون مستهلك للسلعة ولكنه يقوم باقتراح هذا المنتج لأهله، أو أصدقائه... أو قد يطرح الفكرة بهدف أخذ آراء الآخرين في شراء ماركة ما، وما هو تقييمهم لها لكي يستفاد من المعلومات المتوفرة لديهم.

2- المؤثر: يتميز هذا النوع من الأفراد بقدرتهم على التأثير لاملاكهم المعلومات والحجة والقدرة على الإقناع وعلى إبداء أو طرح وجهة نظر يجدها الآخرين صائبة تؤثر عليهم وتدفعهم إلى اتخاذ قرار الشراء.

3- المشتري: إن المشتري الاعتيادي يمثل مفهوم أعم وأشمل من المستهلك؛ لأنه يمتلك صفة المشتري والمستهلك معاً، فعندما يقوم بشراء ثلاجة على سبيل المثال فإن استعمال هذه الثلاجة سوف يكون من قبل جميع أفراد الأسرة وهو من ضمنهم وهنا يمثل صفة مشتري ومستهلك في الوقت نفسه، لكن هناك قرارات شراء عديدة يتخذها الفرد ويقوم بعملية الشراء و في واقع الحال لا يستعمل المنتج، وإنما عليه الشراء فقط، فعلى سبيل المثال إذا قام رب الأسرة بشراء حليب لطفل رضيع فإنه يمثل المشتري والطفل يمثل المستهلك، كذلك هناك المشتري الصناعي الذي هو الفرد الذي يقوم بشراء المنتجات (مواد أولية، قطع غيار، آلات ومعادن...) بهدف إنتاج منتج أو أكثر و طرحه في الأسواق إذ إن هدف الشراء هنا إنتاج منتجات أخرى بغرض تشغيل المنظمة التي ينتمي إليها.

4- المستهلك: هو ذلك الفرد الذي ليس لديه القدرة على اتخاذ قرار الشراء في حالات معينة وتحت ظروف محددة و خاصة، إذ إن ما يتصف به هو استهلاك المنتج فقط (الأطفال الرضع) وليس له أي رد فعل أو أي رأي في الشراء، ولكن بشكل عام من يقوم باستهلاك المنتج واستعماله يكون له رأي في الاختيار وفي توجيه الطلب نحو المنتج حيث إنهم يشكلون عامل ضغط قوي في توجيه قرار قادر على تلبية حاجات ورغبات المستهلكين والمستفيدين.

### 3-5 التسويق الإلكتروني ودور في قرار الشراء

سلوك المستهلك لا يختلف بين التسويق الإلكتروني والتسويق التقليدي فالمدخلات (الجهود التسويقية والعوامل المؤثرة الأخرى) هي نفسها، وكذلك المعالجة (تحديد الحاجة والسعر المناسب) هي



نفسها، والمخرجات (قرار الشراء) هي المخرجات نفسها، وما بعد قرار الشراء ينطبق عليه العمليات نفسها، فمكونات نموذج الشراء لا تختلف بين التسويق التقليدي والتسويق الإلكتروني. وينظر إلى التسويق الإلكتروني بأنه علاقة المستهلك المتجول عبر الإنترنت والمؤسسة العارضة لمنتجاتها عبر الإنترنت حيث تستطيع التعريف أكثر بمنتجاتها فهو تحديد حاجة الزبائن وإرضاء هذه الحاجات بشكل يدر على الشركة أرباحا ويضمن بقاءها، لكن باستعمال تقنية الاتصالات الحديثة المتمثلة في الإنترنت (31) .

فهو العلاقة التي يكونها الإنترنت بين المستهلك في تلبية حاجاته ورغباته، والمؤسسة في تحقيق أرباح عن طريق بيع منتجاتها، والتسويق الإلكتروني يعد من أهم الأساليب التي تعتمد عليها المؤسسات إلى التعريف بنشاطها وبيع منتجاتها وتقديم الخدمات لزبائنها عبر الشبكة، بحيث تسمح شبكة الإنترنت لتجارة التجزئة بالوصول إلى العملاء والموردين، وتوفر وسيلة أخرى لتوسع تجار التجزئة دوليا وبتكلفة منخفضة نسبيا، وتسمح التكنولوجيا المتطورة للمنشآت بتقديم قيمة أعلى وراحة ملائمة لعملائها في كل مرة.

وبالنسبة إلى هذا المفهوم نستنتج أنه يركز على أن التسويق الإلكتروني يعد من أهم الأساليب إلى التعريف بالمؤسسة عبر الشبكة، كما أنه وسيلة لتوسع تجار التجزئة بالوصول إلى كافة العملاء والموردين والزبائن في العالم.

ويعرف التسويق الإلكتروني بأنه استعمال الإنترنت في أداء الأنشطة التسويقية التي تركز على معاملات البيع والشراء. التي تعد جزءا من التجارة الإلكترونية، كما يركز هذا التعريف على أن التسويق الإلكتروني يمثل مجموعة من الأنشطة التسويقية العادية التي تستعمل الإنترنت للبيع والشراء أي التجارة الإلكترونية (32).

كما يركز هذا التعريف على أن التسويق الإلكتروني يمثل مجموعة من الأنشطة التسويقية العادية التي تستعمل الإنترنت للبيع والشراء أي التجارة الإلكترونية.

3-6 أهداف التسويق الإلكتروني (33):

تتمثل أهداف التسويق الإلكتروني فيما يأتي:

1- جلب الزائرين للموقع والمهتمين بالعمل على تطوير ولاءهم للموقع.

- 2- بناء علاقة ثقة بين المنظمة والزبائن.
  - 3- العمل على إعادة زيارة الموقع مرات عدة.
  - 4- القيام بعدة أعمال وأهداف من خلال الموقع (كالعقد، القراءة، البيع).
  - 5- تلبية حاجيات الزبائن.
  - 6- تحسين جودة منتجات المنظمة وتشخيص المنتجات، من خلال آراء الزبائن.
  - 7- دعم المستهلكين في كل مرحلة من مراحل عملية الشراء.
  - 8- ويزيد الفعالية عند استعمال لدعم الأهداف الاتصالية كآآتي<sup>(34)</sup>:
- خلق الوعي إلى الحاجة أو المنتج: ويتم تحقيقه من خلال استعمال وسائل الاتصال واسعة الانتشار، إلا أن شبكة الإنترنت لا تعد وسيلة فعالة في هذه المرحلة، إذ إن لديها كثير من المعوقات إلى الوصول إلى الجمهور مقارنة بوسائل الاتصال الأخرى مثل التلفاز والمذياع والوسائل المطبوعة، وهذا ما دفع بعض الشركات إلى زيادة الوعي بباركتها من خلال وسائل الاتصال الأخرى، ومن تلك الشركات (في مجال الكومبيوتر Dell، و في مجال الكتب Amazon في مجال السيارات Autobytel، في مجال التسجيلات Now ، وقد طورت الوعي بباركاتها التجارية.
  - تحديد الخصائص والفوائد للماركة: عندما يدرك المستهلك حاجته إلى منتج معين، وما هي الفوائد التي ينتظر الحصول عليها من استعمال المنتج، يبدأ البحث في المواقع الإلكترونية لمعرفة ما هي العروض المقدمة، وما هي الماركات التي تحقق هذه الفوائد.
  - توجيه المستهلك نحو المنتج: تعد شبكة الإنترنت وسيلة فعالة في مساعدة المستهلك عندما يريد البحث عن منتج معين، كما أنها تقدم فرصة جيدة للشركات لوصف منتجاتهم عبر مواقعهم الإلكترونية، لذا على الشركات أن تأخذ في الحسبان الطرق التي يعتمد عليها المستهلكون للبحث عن المعلومات والتأكد من عرض المنتج بطريقة جذابة.
  - المساعدة في اتخاذ قرار الشراء: فمن أهم خصائص المواقع الإلكترونية قدرتها على احتواء كمية كبيرة من المعلومات وبتكلفة منخفضة وهذا ما يساعد المستهلك على المقارنة بين الماركات.

- تسهيل عملية الشراء: على الشركات أن تحاول ألا تخسر المستهلك عندما يصل إلى مرحلة اتخاذ قرار الشراء، فالمواقع الإلكترونية يجب أن تكون مزودة بألية تسمح بالدفع عن طريق بطاقات الإئتمان مع وضع خيار إما عن طريق التليفون أو البريد الإلكتروني (35).
- دعم استعمال المنتجات والحفاظ على الأعمال: حيث تساعد شبكة الإنترنت أيضا في الحفاظ على الزبائن من حيث تشجيع المستخدم على إعادة الزيارة للموقع، والتعليق على المنتج وتقديم معلومات تساعد الشركات على تحسين منتجاتها، وجعل المستهلك على اتصال دائم مع الشركة من خلال البريد الإلكتروني، وتقديم كل ما هو جديد للمستهلك بهدف إعادة الشراء، ومعرفة ما تقدمه الشركة من جديد، مما يشجع على إعادة زيارة الموقع.
- فمحتوى الموقع هو الذي يهدف إلى تقديم الدعم والمساعدة في عملية اتخاذ قرار الشراء وعملية الشراء (36) فالاستجابة الشرائية هي الخطوة الأخيرة التي يهدف التسويق الإلكتروني إلى دفع المستهلكين إلى اتخاذها باعتبارها الهدف النهائي للإعلان، ويعد فهم عملية الاستجابة التي يقوم بها المستهلك إلى الوصول إلى قرار الشراء، إلى جانب معرفة كيف يؤثر الإعلان على استجابة المستهلك أمراً ضرورياً لتقديم التسويق الإلكتروني.
- وظهرت كثير من النماذج لانتقال المعلومة وتأثير الإعلان عبر الإنترنت على المستهلك، فمثلاً نموذج مراحل انتقال المعلومات إلى المستهلك عبر الإنترنت **Online Information Processing** عند **Honaker** يشير إلى أن هذا النموذج ينقل المستهلك من مرحلة التعرض للإعلان إلى الانتباه ثم الفهم والإدراك ثم القبول ثم الاحتفاظ بالمعلومات وتذكرها. **Gordon C. & Bruner Web**، **Anand, (2000), Kumar**، فالإنترنت احتل حيز لا بأس به في التجارة الإلكترونية، إذ تشير إحدى الدراسات أو الدراسة بأن الإنترنت يمثل 80% من قرارات الشراء عبر الإنترنت في العالم في عام 2014م، كما أوضحت دراسة حديثة صادرة عن مؤسسة نيلسون للأبحاث أن 81% من عينة البحث حول العالم إذ إنهم أكدوا أن للإنترنت تأثيراً قوياً في قرار شرائهم لمنتجات إلكترونية جديدة، وتلتها التطبيقات بنسبة 77%، ثم الكتب بنسبة 70%، والموسيقى 69% وامتد التأثير نفسه بنسب أقل بقليل إلى السلع الاستهلاكية مثل الأطعمة والمشروبات، ومنتجات العناية الصحية والعناية بالشعر (37) (38) كما بلغت حجم التجارة الإلكترونية عالمياً من بداية العام 2015م ما يساوي 1.4 ترليون دولار (39).

ولم يسبق أن تمت دراسة تأثير التسويق الإلكتروني على عملية الشراء في اليمن، وخصوصاً بين الطبقة المتعلمة من مستعملي الإنترنت، وهو ما يهدف إليه البحث .  
ويجب الإشارة إلى ميزة مهمة للتسويق والشراء عبر الإنترنت وهي حرية الشراء والاختيار، فالإنترنت يكفل حرية تامة للمشتري في اتخاذ قرار الشراء دون التعرض لأي ضغوط من جانب البائعين في المتاجر للشراء.

خلاصة القول إن عملية اتخاذ القرار الشرائي تتم من خلال خطوات تبدأ بتحديد الأهداف المراد تحقيقها وانتهاء بها بعد اتخاذ القرار الشرائي وتحقيق الرضا أو عدم تحقيقه، هذا القرار تؤثر عليه عدة عوامل تختلف بحسب الأفراد، وتنقسم إلى عوامل شخصية، وأخرى بيئية تؤدي إلى اختيار سلعة أو خدمة معينة أو عدم اختيارها، وأيضاً تعدد أصحاب القرار الذين قد يكونون سبباً في اتخاذ أو عدم اتخاذ القرار حسب كل حالة وكل فرد وهم المقترح، المؤثر، المشتري، والمستهلك، وكل هذه النقاط يجب على رجال التسويق معرفتها لصياغة الإستراتيجية وتخطط واختيار المزيج الترويجي المناسب.

#### المبحث الرابع: الدراسة الميدانية

4-1 تمهيد:

تناول هذا المبحث تحليل البيانات وتحليل النتائج من خلال المعالجة الإحصائية لبيانات المحاور في الاستبيان التي تم بموجبها تحليل بيانات البحث واستخراج نتائجها، واختبار فرضياتها، كما يشمل المبحث على النتائج المتوصل إليها والتوصيات الخاصة بالبحث وذلك للإجابة عن السؤال الرئيس وهو " هل يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في عملية الشراء في البيئة اليمنية؟".

4-2: تحليل البيانات:

وسوف يتناول هذا الجزء نتائج البحث الميدانية من خلال تحليل آراء عينة البحث وفيما يأتي عرض وتحليل البيانات:

4-2-1 الفرضية الأولى: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء.

لمعرفة مدى تحقق هذا الفرضية فقد تم تقسيمها إلى (5) عبارات تقيس دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء، ويظهر الجدول رقم (3) نتائج تحليل آراء أفراد عينة البحث للأسئلة المتعلقة بهذه الفرضية وذلك كما يأتي:

الجدول رقم (3) نتائج تحليل الآراء حول دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء

م	الفقرة	N التكرارات	Mean الوسط الحسابي	Std. Deviation الانحراف المعياري
1	يلفت التسويق الإلكتروني لتباهي للمنتج المعلن عنها	98	4.39	1.257
2	التسويق الإلكتروني يثير الحاجة لمنتجات لم يسبق استعمالها من قبل	98	3.78	1.080
3	أقوم بزيارة مواقع الشركات بهدف التعرف على منتجاتها	98	4.34	1.339
4	أقوم بفتح الرسائل الإعلانية التي تصل إلى بريد الإلكتروني.	98	3.65	1.507
5	استعمل محركات البحث بهدف جمع المعلومات عن المنتجات.	98	2.34	1.492
	المتوسط	98	3.6980	1.18904

يتضح من نتائج البحث الميداني في الجدول رقم (3) أن جميع أفراد عينة البحث مدركين دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء إذ بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.6980) وبانحراف معياري (1.18904)، أي إن أفراد عينة البحث يتفوقون على جميع أسئلة الجدول السابق وبدون استثناء، إذ يتبين من الجدول رقم (3) أن الأوساط الحسابية تتراوح ما بين (2.34 - 4.39) وأن قيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، عدى السؤال الخامس استعمل محركات البحث بهدف جمع المعلومات عن المنتجات الذي حصل على (2.34) أقل من 3، وهذا يدل على أن المستهلكين لا يبذلون جهداً كبيراً في البحث على المنتجات عبر محركات البحث، بينما أجمع أفراد عينة البحث على أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء بمتوسط حسابي (4.3592).

4-2-2 الفرضية الثانية: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في اتخاذ قرار الشراء.

لمعرفة مدى تحقق هذا الفرضية تم تقسيمها إلى (5) فقرات تقيس هذه دور التسويق الإلكتروني دوراً في اتخاذ قرار الشراء و يظهر الجدول رقم (4) نتائج تحليل آراء افراد عينة البحث للأسئلة المتعلقة بهذه الفرضية وذلك كما يأتي:

جدول رقم (4) نتائج تحليل الآراء حول دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرار الشراء

م	الفقرة	N	Mean	Std. Deviation
		التكرارات	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري
1	الاطلاع على الإنترنت يساعدني في تقييم أفضل للمنتجات.	98	4.39	1.257
2	يعزز التسويق الإلكتروني رأيي في منتج دون غيره.	98	3.78	1.080
3	يساعدني التسويق الإلكتروني على اختيار الماركة الأفضل.	98	4.34	1.339
4	دفعني التسويق الإلكتروني إلى الشراء من المحلات.	98	3.65	1.507
5	دفعني التسويق الإلكتروني إلى الشراء عن طريق الشبكة.	98	2.34	1.492
	المتوسط	98	3.6980	1.18904

يتضح من نتائج البحث الميدانية في الجدول رقم (4) أن جميع أفراد عينة البحث مدركين دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرار الشراء إذ بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.6980) وانحراف معياري (1.18904) أي أن أفراد عينة البحث يتفقون على جميع أسئلة الجدول السابق وبدون استثناء، إذ يتبين من جدول رقم (4) أن الأوساط الحسابية تتراوح ما بين (2.34 - 4.39) وأن قيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، عدى السؤال العاشر دفعني التسويق الإلكتروني إلى الشراء عن طريق الشبكة الذي حصل على (2.34) اقل من 3 وهذا يدل على أن الشراء عبر الشبكة أقل بكثير من الشراء عبر المحلات وهذا يعني أن أفراد عينة البحث أجمعوا على أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء بمتوسط حسابي (3.6980).

4-2-3 الفرضية الثالثة: يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء. لمعرفة مدى تحقق هذا الفرضية تم تقسيمها إلى (5) عبارات تقيس دور التسويق الإلكتروني في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء. ويظهر الجدول رقم (5) نتائج تحليل آراء افراد عينة البحث للأسئلة المتعلقة بهذه الفرضية وذلك كما يأتي:

الجدول رقم (5) نتائج تحليل الآراء حول دور التسويق الإلكتروني في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء

م	الفقرة	N	Mean الوسط الحسابي	Std. Deviation الانحراف المعياري
1	المنتج الذي اشتريته يتوافق مع الإعلان الذي رأيته من حيث الشكل.	98	3.92	1.511
2	المنتج الذي اشتريته بناء على التسويق الإلكتروني يقوم بنفس الوظائف المعلن عنها.	98	3.63	1.743
3	جودة المنتج المشتري بمساعدة التسويق الإلكتروني كان بنفس الجودة المعلن عنها.	98	4.02	1.492
4	حققت المنتج التوقعات التي كانت في ذهني عندما قمت بالشراء بعد رؤيتي لإعلانات التسويق الإلكتروني.	98	3.99	1.523
5	سأقوم بنقل وجهة نظري عن المنتجات إلى الشركة المعلنه والآخرين وأني مقتنع بإعادة الشراء.	98	4.12	1.169
	المتوسط	98	3.9367	1.43379

يتضح من نتائج البحث الميداني في الجدول رقم (5) أن جميع أفراد عينة البحث مدركين دور التسويق الإلكتروني في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء، إذ بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.9367) وانحراف معياري (1.43379) أي أن أفراد عينة البحث يتفقون على جميع أسئلة الجدول السابق وبدون استثناء، إذ يتبين من الجدول إن الأوساط الحسابية تتراوح ما بين (3.63 - 4.12) وأن قيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، وهذا يعني أن أفراد عينة البحث يعد كون أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء بمتوسط حسابي (3.9367).

4-2-4 الفرضية الرابعة: الفرضية العدمية أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (الدخل الشهري - معدل استخدام الإنترنت).

لمعرفة مدى تحقق هذا الفرضية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (الدخل الشهري - معدل استخدام الإنترنت).

و يظهر الجدول رقم (6) نتائج تحليل آراء افراد عينة البحث للأسئلة المتعلقة بهذه الفرضية وذلك كما يلي:

جدول رقم (6) يوضح نتائج تحليل آراء أفراد عينة البحث حول الدلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (الدخل الشهري - معدل استخدام الإنترنت).

م	الفقرة	N التكرارات	Mean الوسط الحسابي	Std. Deviation الانحراف المعياري
1	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء (الدخل)	98	3.9980	1.15369
2	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء (مستوى استخدام الإنترنت)	98	3.9980	1.15369
	المتوسط	98	3.9980	1.15369

يتضح من نتائج البحث الميداني في الجدول رقم (6) أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند مختلف مستويات الدخل حيث بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.9980) وانحراف معياري (1.15369) وقيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، وهذا يعني أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند أي مستوى من مستويات الدخل بمتوسط حسابي (3.9980).

كما يتضح من نتائج البحث الميداني في الجدول رقم (6) أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند أي معدل من معدلات استعمال الإنترنت حيث بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.9980) وانحراف معياري (1.15369) وقيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، وهذا يعني أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند أي مستوى من مستويات الدخل بمتوسط حسابي (3.9980).

#### 3-4 اختبار الفرضيات

للإجابة عن تساؤلات البحث واختبار فرضياتها سيتم حساب المتوسط الحسابي لكل سؤال من أسئلة الاستبيان التي تبين آراء عينة البحث المكونة من المهتمين بالتسويق الإلكتروني والشراء عبر الإنترنت، والتحقق من أن هذا المتوسط الحسابي الذي أبداه أفراد العينة أكبر بدرجة معنوية من متوسط أداة القياس المعتمد في هذه البحث الذي قيمته (3) درجة، ولهذا الغرض وحسب متطلبات التحليل الإحصائي هو تحويل المتغيرات الاسمية إلى متغيرات كمية، إذ تم استخدام اختبار (t) للعينة الواحدة (One Sample T- test)، ويهدف اختبار (t) إلى فحص ما إذا كانت الزيادة دالة إحصائياً، ومن ثم يتم قبول الفرضية، أما إذا كانت غير دالة إحصائياً فيتم رفض الفرضية، وعليه ستكون قاعدة القرار وفقاً لما يأتي:



أ- رفض الفرضية العدمية إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أكبر من قيمة أداة القياس البالغة (3) وذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعتمد لهذه البحث ( $0.05 \geq \alpha$ )، وقبول الفرضية البديلة.

ب- قبول الفرضية العدمية إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أكبر من قيمة أداة القياس البالغة (3) وليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعتمد لهذه البحث ( $\alpha = 0.05$ ) ورفض الفرضية البديلة.

ج- قبول الفرضية العدمية إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أقل من قيمة أداة القياس البالغة (3) وذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعتمد لهذه البحث ( $0.05 \geq \alpha$ ) ورفض الفرضية البديلة.

د- قبول الفرضية العدمية إذا كانت قيمة المتوسط الحسابي أقل من قيمة أداة القياس البالغة (3)، وليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة المعتمد لهذه البحث ( $0.05 \geq \alpha$ )، ورفض الفرضية البديلة.

هـ- بالنسبة إلى باقي الفرضيات فيتم رفض الفرضية العدمية إذا كانت ( $\alpha \leq 0.05$ ) وذات دلالة إحصائية

4-3-1 اختبار الفرضية الأولى: نصت الفرضية الأولى على الآتي "يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء" وهدفت هذه الفرضية إلى قياس دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء، وللتحقق من هذه الفرضية تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لآراء العينة وإجراء اختبار (t) للعينة الواحدة لمدى دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء.

وكما هي موضحة في جدول المقارنة بين مجموعتين مختلفتين رقم (7).

One-Sample Statistics					
Std. Error Mean	Std. Deviation الانحراف المعياري	N التكرار	Mean المتوسط		
.11654	1.15369	98	3.9980	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء	Pair 1
.09247	.91537	98	4.3592	خلق الدافع	

وتشير نتائج الجدول (7) إلى دور التسويق الإلكتروني في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء، إذ تشير النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني وخلق الدافع لدى المستهلك للشراء، وذلك من خلال اختبار الفرضية وبروز نتائجها التي تشير إلى أن المتوسط الحسابي البالغ (4.3592) وهي خلق الدافع لدى المستهلك وهي نسبة متقاربة مع (3.998) دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء، وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرضية الأولى.

One-Sample Test									
Sig. (2-tailed)	Df	T	Test Value = 3				Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean
			95% Confidence Interval of the Difference						
			Upper	Lower					
.000	97	-9.636-	-.28682-	-.43563-	.03749	.37111	-.36122-	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء - خلق الدافع	Pair 1

ويوضح الجدول رقم (8) أن الانحراف المعياري (0.37111)، وقيمة (t) المحسوبة بلغت (-9.636-) وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية، وأن مستوى دلالة الاختبار كانت أقل من مستوى الثقة (0.05) حيث بلغت (0.00) تؤكد وجود العلاقة وهذا مما يؤكد صحة الفرضية وبذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني وخلق الدافع لدى المستهلك للشراء و قبول الفرضية .

4-3-2 اختبار الفرضية الثانية: نصت الفرضية الثانية على الآتي: "يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في قرار الشراء".

وتهدف هذه الفرضية إلى قياس دور التسويق الإلكتروني في قرار الشراء ولتحقق من هذه الفرضية تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لآراء العينة وإجراء اختبار (t) للعينة الواحدة لدى دور التسويق الإلكتروني في قرار الشراء.

وكما هي موضحة في جدول رقم (9).

One-Sample Statistics				
Std. Error Mean	Std. Deviation	N	Mean	
	الانحراف المعياري	التكرار	المتوسط	
.11654	1.15369	98	3.9980	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء
.12011	1.18904	98	3.6980	اتخاذ قرار الشراء

تشير نتائج الجدول (9) إلى دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك، إذ تشير النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني واتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك، من خلال اختبار الفرضية وبروز نتائجها التي تشير إلى أن المتوسط الحسابي البالغ (3.6980) وهي اتخاذ قرار الشراء لدى المستهلك وهي نسبة متقاربة مع (3.998) دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء، وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرضية الثانية.

One-Sample Test								
Sig. (2-tailed)	df	t	Test Value = 3				Mean	Pair r 1
			95% Confidence Interval of the Difference		Std. Error Mean	Std. Deviation		
			Upper	Lower				
.000	97	14.261	.34175	.25825	.02104	.20825	.30000	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء - اتخاذ قرار الشراء

ويوضح الجدول رقم (10) أن الانحراف المعياري (.20825)، وقيمة (t) المحسوبة بلغت (14.261) وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية، وأن مستوى دلالة الاختبار كانت أقل من مستوى الثقة (0.05) إذ بلغت (0.00) تؤكد وجود العلاقة وهذا مما يؤكد صحة الفرضية وبذلك توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني واتخاذ قرارات الشراء قبول الفرضية.

3-3-4 اختبار الفرضية الثالثة: نصت الفرضية الثانية على الآتي: "يلعب التسويق الإلكتروني دوراً في الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء، وتهدف هذه الفرضية إلى قياس دور التسويق الإلكتروني في الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء وللتحقق من هذه الفرضية تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لآراء العينة وإجراء اختبار (t) للعينة الواحدة لمدى دور التسويق الإلكتروني في الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء

وكما هي موضحة في جدول رقم (11).

One-Sample Statistics					
Std. Error Mean	Std. Deviation الانحراف المعياري	N التكرار	Mean المتوسط		Pair r 1
.11654	1.15369	98	3.9980	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء	1
.14483	1.43379	98	3.9367	الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء	

وتشير نتائج الجدول (11) إلى دور التسويق الإلكتروني في الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء، إذ تشير النتائج إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني و الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء لدى المستهلك، وذلك من خلال اختبار الفرضية وبروز نتائجها التي تشير إلى أن المتوسط الحسابي البالغ (3.9367) وهي الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء وهي نسبة متقاربة مع (3.9980) دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء، وهذه النتيجة تؤكد صحة الفرضية.

One-Sample Test										
Sig. (2-tailed)	Df	t	Test Value = 3				Mean	Std. Deviation	Std. Error Mean	95% Confidence Interval of the Difference
			95% Confidence Interval of the Difference							
			Upper	Lower						
0.00	97	11.659	.13445	-.01200	-.03689	.36523	.06122	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء - الرضا بالمنتجات		Pair 1

ويوضح الجدول رقم (12) أن الانحراف معياري (.36523)، وقيمة (t) المحسوبة بلغت (11.659) وهي قيمة أكبر من القيمة الجدولية، وأن مستوى دلالة الاختبار كانت أقل من مستوى الثقة (0.05) إذ بلغت (0.00) التي تؤكد وجود العلاقة وهذا مما يؤكد صحة الفرضية، والتي تشير إلى: وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني وزيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء وقبول الفرضية.

4-3-4 الفرضية الرابعة: نصت الفرضية العدمية أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (الدخل الشهري - معدل استخدام الإنترنت).

لمعرفة مدى تحقق هذا الفرضية فقد تم تقسيم دراسة تأثير الدخل عند مستوياته على قرار الشراء، وتأثير استعمال الإنترنت على قرارات الشراء عند كل مستويات الاستعمال المدروسة ويظهر الجدول رقم (13) نتائج تحليل آراء افراد عينة البحث للأسئلة المتعلقة بهذه الفرضية في جزء الدخل وذلك كما يأتي:

جدول رقم (13) الفروق حسب متغير الدخل الشهري

Maximum	Mean	N		
4.60	3.4611	36	من 50 إلى أقل من 100 ألف ريال	خلق الدوافع
4.60	4.6000	7	من 100 ألف ريال إلى أقل من 150 ألف ريال	
4.80	4.7667	12	من 150 ألف ريال إلى 200 ألف ريال	
5.00	4.9581	43	أكثر من 200 ألف ريال	
5.00	4.3592	98	<b>Total</b>	
3.80	2.5056	36	من 50 إلى أقل من 100 ألف ريال	اتخاذ قرار الشراء
3.80	3.8000	7	من 100 ألف ريال إلى أقل من 150 ألف ريال	
4.00	3.9667	12	من 150 ألف ريال إلى 200 ألف ريال	
5.00	4.6047	43	أكثر من 200 ألف ريال	
5.00	3.6980	98	<b>Total</b>	
4.00	2.3556	36	من 50 إلى أقل من 100 ألف ريال	الرضاب المنتجات
4.40	4.1143	7	من 100 ألف ريال إلى أقل من 150 ألف ريال	
5.00	4.7667	12	من 150 ألف ريال إلى 200 ألف ريال	
5.00	5.0000	43	أكثر من 200 ألف ريال	
5.00	3.9367	98	<b>Total</b>	
4.13	2.7741	36	من 50 إلى أقل من 100 ألف ريال	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء
4.27	4.1714	7	من 100 ألف ريال إلى أقل من 150 ألف ريال	
4.60	4.5000	12	من 150 ألف ريال إلى 200 ألف ريال	
5.00	4.8543	43	أكثر من 200 ألف ريال	
5.00	3.9980	98	<b>Total</b>	

يتضح من نتائج البحث الميدانية في الجدول رقم (13) أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند مختلف مستويات الدخل إذ بلغ إجمالي الوسط الحسابي لإجابات عينة البحث (3.9980) وبانحراف معياري (1.15369) وقيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، وهذا يعني أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند أي مستوى من مستويات الدخل بمتوسط حسابي (3.9980) وحسب الجدول رقم (14)

ANOVA						
Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		
.000	42.662	15.620	3	46.860	Between Groups	خلق الدافع
		.366	94	34.417	Within Groups	
			97	81.277	Total	
.000	55.188	29.158	3	87.475	Between Groups	اتخاذ قرار الشراء
		.528	94	49.665	Within Groups	
			97	137.140	Total	
.000	88.124	49.035	3	147.104	Between Groups	الرضا بالمنتجات
		.556	94	52.304	Within Groups	
			97	199.408	Total	
.000	68.757	29.563	3	88.689	Between Groups	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء
		.430	94	40.417	Within Groups	
			97	129.106	Total	

وبالرجوع إلى معامل (f-test) لدور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء عند أي مستويات الدخل وعند مختلف المتغيرات كان مستوى دلالة الاختبار كانت أقل من مستوى الثقة (0.05) حيث بلغت (0.00) تؤكد وجود العلاقة إذ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء ومختلف مستويات الدخل مما يؤكد عدم صحة الفرضية، التي تشير إلى: أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (الدخل الشهري) العدمية، إذ ثبت وجود علاقة قوية.

حسب الجدول رقم (15) الفروق حسب متغير معدل استعمال الإنترنت.

Maximum	Minimum	Mean	N		
5.00	1.00	4.0765	68	يومية	خلق الدافع
5.00	5.00	5.0000	20	أكثر من مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	4	مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	6	مرة في الشهر	
5.00	1.00	4.3592	98	<b>Total</b>	
4.40	1.00	3.2265	68	يومية	اتخاذ قرار الشراء
5.00	4.40	4.6500	20	أكثر من مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	4	مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	6	مرة في الشهر	
5.00	1.00	3.6980	98	<b>Total</b>	
5.00	1.00	3.4676	68	يومية	الرضا بالمنتجات
5.00	5.00	5.0000	20	أكثر من مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	4	مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	6	مرة في الشهر	
5.00	1.00	3.9367	98	<b>Total</b>	
4.80	1.00	3.5902	68	يومية	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء
5.00	4.80	4.8833	20	أكثر من مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	4	مرة في الأسبوع	
5.00	5.00	5.0000	6	مرة في الشهر	
5.00	1.00	3.9980	98	<b>Total</b>	

كما يتضح من نتائج البحث الميدانية في الجدول رقم (15) أن التسويق الإلكتروني يلعب دورا في قرارات الشراء عند أي معدل من معدلات استعمال الإنترنت إذ بلغ إجمالي الوسط الحسابي

لإجابات عينة البحث (3.9980) وبانحراف معياري (1.15369) وقيم المتوسط الحسابي لجميع أسئلة الجدول أكبر من الدرجة (3) المعتمدة في هذه البحث، وهذا يعني أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في قرارات الشراء عند أي مستوى من مستويات الدخل بمتوسط حسابي (3.9980).

حسب الجدول رقم (16) لدور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء عند المستويات المختلفة لاستخدام الإنترنت

Sig.	F	Mean Square	Df	Sum of Squares		
.000	8.758	5.918	3	17.754	Between Groups	خلق الدافع
		.676	94	63.522	Within Groups	
			97	81.277	Total	
.000	18.091	16.732	3	50.197	Between Groups	اتخاذ قرار الشراء
		.925	94	86.942	Within Groups	
			97	137.140	Total	
.000	10.174	16.293	3	48.879	Between Groups	الرضى بالمنتجات
		1.601	94	150.529	Within Groups	
			97	199.408	Total	
.000	12.599	12.342	3	37.025	Between Groups	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء
		.980	94	92.081	Within Groups	
			97	129.106	Total	

وبالرجوع إلى معامل (f-test) لدور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء عند المستويات المختلفة لاستعمال الإنترنت وعند مختلف المتغيرات كان مستوى دلالة الاختبار أقل من مستوى الثقة (0.05) إذ بلغت (0.00) تؤكد وجود العلاقة، إذ توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء ومختلف مستويات استعمال الإنترنت مما يؤكد عدم صحة الفرضية، والتي تشير إلى أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (معدل استعمال الإنترنت) العدمية، حيث ثبت وجود علاقة قوية



وكلا التيجتين تأكد وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدور التسويق الإلكتروني في اتخاذ قرارات الشراء لدى الأفراد التي تعزو إلى (معدل استعمال الإنترنت) وهي إثبات خطأ الفرضية السلبية. ومن ما تقدم يتضح وجود علاقة ارتباطيه بين مستوى استعمال الإنترنت، ومعدل الدخل حيث يلعب دوراً في التسويق الإلكتروني واتخاذ قرارات الشراء.

جدول رقم (17) الوصف الإحصائي دور التسويق الإلكتروني في خلق الدوافع لدى المستهلك للشراء

Descriptive Statistics			
Std. Deviation	Mean	N	
.91537	4.3592	98	خلق الدافع
1.18904	3.6980	98	اتخاذ قرار الشراء
1.43379	3.9367	98	الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء
1.15369	3.9980	98	دور التسويق الإلكتروني في قرارات الشراء (الدخل - واستعمال الإنترنت)
	793.99	98	Valid N (listwise)

وتشير نتائج الجدول رقم (17) إلى دور التسويق الإلكتروني في خلق الدوافع لدى المستهلك للشراء، إذ أكدت نتائج الجدول على وجود علاقة بين التسويق الإلكتروني وخلق الدافع عند نسبة (4.3592) وهي تعد أكبر نسبة من المتوسطات الحسابية للجدول المذكور، فيما تقاربت نتيجة دور التسويق الإلكتروني في اتخاذ القرار ودوره في الرضا بالمنتجات وهذا يحقق ما تم التطرق إليه في الفرضية الأولى: أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في خلق الدوافع وله علاقة بالفرضية الثانية: التي تنص على يلعب التسويق الإلكتروني دور في اتخاذ قرار الشراء، وله علاقة بدور التسويق الإلكتروني في الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء وبذلك يصل البحث إلى النتيجة العامة أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في عملية الشراء البيئية اليمينية من حيث قدرته على (خلق الدافع لدى المستهلك للشراء - اتخاذ قرار الشراء - زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء).

#### 4-4 النتائج

ركز البحث على دراسة التسويق الإلكتروني ودوره في عملية الشراء في البيئة اليمنية كونها أداة جديدة من أدوات التجارة الحديثة تساهم في توجيه سلوك المستهلك، وكيف يمكن للمنظمات أن تفهم هذا السلوك وتوجهه عند استعمال هذه الأداة الجديدة، بهدف تطوير أداء المنظمات بشكل عام وتحسينها، وإمكانية الاستفادة من هذا المفهوم في تحسين كفاءة أداء التسويق لديها لزيادة حصتها السوقية ومن خلال تحليل بيانات البحث الميدانية واختبار الفرضيات فقد توصل الباحث للنتائج الآتية:

- 1- أكدت النتائج بأن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً قوياً في خلق الدافع لدى المستهلك للشراء.
- 2- أكدت النتائج بأن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في اتخاذ قرار الشراء.
- 3- أكدت النتائج بأن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في زيادة الرضا بالمنتجات المشتراة مما يدفع إلى إعادة الشراء.
- 4- أكدت النتائج وجود علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني وعملية الشراء في البيئة اليمنية من حيث قدرة التسويق الإلكتروني على (خلق الدافع لدى المستهلك للشراء - اتخاذ قرار الشراء - زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء) وتعزى لمتغيرات (الدخل الشهري - معدل استعمال الإنترنت).
- 5- وبذلك أكدت الدراسة وجود علاقة معنوية ذات دلالة إحصائية بين التسويق الإلكتروني وعملية الشراء من حيث قدرته على (خلق الدافع لدى المستهلك للشراء - اتخاذ قرار الشراء - زيادة الرضا بالمنتجات وإعادة الشراء) وهذا يؤكد صحة الفرضية الرئيسية ويجب عن السؤال الرئيسي للدراسة بأن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً في عملية الشراء في البيئة اليمنية.

وبذا أكد البحث النتيجة الرئيسية "أن التسويق الإلكتروني يلعب دوراً مهماً ومؤثراً في عملية الشراء في البيئة اليمنية وان الإنترنت ساهم بشكل كبير في خلق الوعي لدى المستهلكين ما يخلق لديهم الدافع

لتخاذ قرار الشراء ومن ثم الشراء وأن اغلب المبحوثين أكدوا أنهم راضين عن الإنترنت كوسيلة متميزة للوصول للمنتجات الجيدة ما حفزهم على إعادة التسوق عبر الإنترنت وإعادة الشراء"

#### 4-5 التوصيات

بناء على النتائج التي تم التوصل إليها البحث، يقترح الباحث عدداً من التوصيات وذلك على

النحو الآتي:

- 1- ضرورة الاهتمام بالتسويق الإلكتروني باعتباره أداة مهمة من أدوات المزيج الترويجي.
- 2- ضرورة تطوير عمليات الدفع الإلكترونية وتعميمها وتحفيز الأفراد الذين يدفعون مشترياتهم بها.
- 3- العمل على دراسة سلوك المستهلك وتأثير التسويق الإلكتروني عليه والاستفادة من تلك النتائج.

#### 4-6 الخاتمة

من خلال هذه البحث يمكن القول أن دراسة سلوك المستهلك وإجراءات عملية الشراء التي تتأثر بالتسويق الإلكتروني من المهام الصعبة والمعقدة والتي تواجه إدارة منظمات الأعمال بشكل عام وإدارة التسويق بشكل خاص، لأن المستهلك ووفقاً للمفهوم الحديث للتسويق يشكل المحور الأساسي للأنشطة التسويقية الإلكترونية المختلفة، وهذه الأنشطة لا يمكن أن يكتب لها النجاح وتحقيق أهدافها ما لم تكن مستندة في تصميمها وإعدادها على فلسفة على فهم المستهلك وفهم اتخاذ القرار الشرائي عن طريق معرفة حاجاته و رغباته ومحاولة توفيرها في الوقت، المكان والجودة المناسبة ومعرفة تأثير أدوات التسويق الإلكتروني على توجهه.

ومن هنا نستطيع الإجابة عن إشكالية الموضوع والقول بأن عملية اتخاذ قرار الشرائي تمر بعدة مراحل متداخلة تبدأ بتحديد الهدف من شراء السلعة أو الخدمة وتنتهي باتخاذ القرار وتحقيق الرضا والإشباع أو عدم تحقيقها، كما تؤثر عليه عدة عوامل ومتغيرات داخلية (نفسية) وخارجية (بيئية) مما يجعل التنبؤ بسلوك المستهلك وكيفية اتخاذ قرار شرائه لمختلف السلع والخدمات من المسائل البالغة التعقيد بسبب التداخل والتشابك بين هذه العوامل والمتغيرات، وبسبب التطور المستمر لأدوات وأساليب التسويق الإلكتروني ومن ثم دراسة عملية اتخاذ قرار الشراء لم تعد خياراً للمنظمات يمكن العودة إليه في أوقات معينة وإنما ضرورة حتمية أفرزتها معطيات البيئة الخارجية ولعل أهمها ازدياد حجم المنافسة وتعددتها التي فرضت ضرورة التفكير للبقاء في السوق فالفهم العميق والكامل لأبعاد

اتخاذ قرار الشراء والعوامل التي تعمل على صناعة سلوك المستهلك بشكل معين مهم جدا للمنظمات، يحقق لها أهدافها الطويلة والقصيرة المدى، ويساعد كثيرا رجال التسويق في تصميم وإعداد وتنفيذ استراتيجياتهم التسويقية و الترويجية، وهذا من خلال توفر المعلومات الفعلية والمؤدية بالفعل لاتخاذ مواقف وأنماط سلوكية واستهلاكية مختلفة ومعينة، خصوصا وأن البيئة اليمنية بيئة تقليدية وتسعى إلى مواكبة كل جديد وتقليده.

### الهوامش والإحالات:

- 1) أحمد الغدير، رشاد الساعد، سلوك المستهلك مدخل تكميلي، دار زهران للنشر، عمان، الأردن، 2003، ص 6.
- 2) عبيدات ذوقان، وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 1996، ص 3.
- 3) الشيخ الداوي، التسويق الإلكتروني، الدار الجامعة، الجزائر، 2017، ص 22.
- 4) كمال مولوج، تأثير الترويج على سلوك المستهلك، مذكرة ماجستير، كلية علوم الاقتصاد والتسيير، البلدة، الجزائر، 2015، ص 79.
- 5) عائشة مصطفى المياوي، سلوك المستهلك، مكتبة عين الشمس، القاهرة، 1998، ص 105.
- 6) سامر نور، التجارة الإلكترونية كيف - متى - أين، مصر، الدار الحديثة، القاهرة، 1998، ص 120.
- 7) محمد إبراهيم عبيدان، سلوك المستهلك، دار المستقبل للنشر والتوزيع، الأردن، 1995، ص 122.
- 8) مولوج، مرجع سابق، ص 79.
- 9) زاهر بشير العبدو، التسويق الإلكتروني، دار المسيرة الأردن، 2014، ص 58.
- 10) محمد صالح، سلوك المستهلك، مكتبة دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 149.
- 11) أحمد السيد كردي، سلوك المستهلك، دار البازوري، القاهرة. 2017، ص 35
- 12) محمود جاسم الصميدي، سلوك المستهلك، دار المناهج، عمان، الأردن، 2001، ص 117.
- 13) ردينه عثمان رشيد، قياس أثر التسويق الفيروسي على قرار الشراء، كلية الاقتصاد، جامعة الزرقاء الأردن، 2001.
- 14) نضال عبدالله تايه، تأثير إعلانات الإنترنت على مراحل اتخاذ قرار الشراء عند الشباب الجامعي الفلسطيني، رسالة ماجستير، جامعة غزة، فلسطين، 2007م.
- 15) صلاح مصلح الشيبيل سوزي، رسالة ماجستير، جامعة الشرق، كلية إدارة الأعمال، 2012م.

- 16)Smith, Alan D. and Rupp, William T. Strategic Online Customer Decision Making. Online Information Review,USA: mcbUniversity press, 2003, V.27, no.6.
- 17)Eastlick , M. A. &Lotz , Sh. Profiling Potential Adopting of an Interactive Electronic Shopping Medium. International Journal Of Retail and Distribution Management ,1999 (vol.27,no.6).
- 18)Monsuwe , TonitaPerea Y., et. al. What Drives Consumers toShop Online. International Journal of services Industry Management.2004 (MCB university press, vol.15,no.1).
- 19)Jayawardhena , Chanaka. Personal Values Influences on EShopping.2004. Attitude and Behavior. Internet Research, MCB university press, vol. 14. no. 2.
- 20)Smith , PR. & Taylor, Jonathan.. Marketing Communications. (3ed Edition; London:Kogan Page Limited.2003, V.27, no.6
- 21)Bruner. Gordon C. & Kumar.Anand, , Web Commercial and Advertising Hierarchy of effects. Journal of Advertising Research, 2014 (v.40, nos.1&2, Jan/Apr.2008.
- 22)Phau , Ian & Poon, Sui M. Factors Influencing the Types of Products and services Purchased Over The Internet. Internet Research and Colon: Electronic Networking Applications and Policy ,2000 (vol.10,no.2).
- 23)Eastlick , M. A. &Lotz , Sh. Profiling Potential Adopting of an Interactive Electronic Shopping Medium International Journal Of Retail and Distribution Management,1999 (vol.27,no.6).
- 24) محمود جاسم الصميدي، مرجع سابق، ص 106.
- 25) عيسى عنابي، سلوك المستهلك، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 141.
- 26) عائشة مصطفى المؤذن، مرجع سابق، ص 4.
- 27) محمد قاسم المنيأوي، مرجع سابق، ص 67.
- 28) المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- 29) محمود جاسم الصميدي، مرجع سابق، ص 115.
- 30) زيتوني ياسين، التسويق الإلكتروني للمنتجات المالية، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 2013، ص 26.
- 31) ثابت عبد الرحمن إدريس، جمال الدين محمد مرسي، التسويق المعاصر، الإسكندرية، 2005، ص 35.
- 32) عبده نعمان الشريف، الحكومة الإلكترونية كإستراتيجية لإعادة صياغة دور الدولة ووظائفها، حالة دول مجلس التعاون الخليجي، رسالة دكتوراه، جامعة الجزائر، 2010، ص 285.

33) Brown , Mark, et.,al. Buying or browsing: An exploration of shopping orientations and online purchase intention. European journal of Marketing , MCB university Press, 2003.Vol. 37, no. 11-12.

34) موسوعة التجارة، البنوك التجارية، المجلد الرابع، دار مدبولي، القاهرة، 2015، ص 88.

35) Chaffey، Dave, Internet marketing: strategy implementation and practice. England: Pearson Education Limited. P283 .

36) <http://www.startimes.com/f.aspx?t=33642118> م 2017/3/7 يوم الخميس الساعة 10 مساءً،

37) <http://walhaseb.com/archives/7740> الساعة 11 مساءً، يوم الأربعاء، 2017 مجلة نادي الحاسوب

38) <http://www.alyaum.com/article/4008755>،.، 2017، الساعة 10 مساءً، يوم الأحد،

39) <http://www.startimes.com/f.aspx?t=33642118> م 2017/3/7 يوم الخميس، الساعة 10 مساءً،



## نقش قُتْبَانِي جَدِيدٍ مِنْ هَدِيمِ قُطْنَانَ (مَدِينَةٍ هَدَوِ قَدِيمًا)

### (البارد - الحد 1)

د. فيصل محمد إسماعيل البارد\*

الملخص:

يتناول هذا البحث بالتحليل والدراسة نقشاً قُتْبَانِيًّا جَدِيدًا، تم استخراجُه مؤخرًا من خربة هديم قُطْنَانَ (الحد - يافع) (أنظر الخريطة 1، 2)، وهو المكان الذي قامت عليه مدينة هدو قديماً، ويحمل النقش مضامين معمارية وزراعية، إذ يتحدث في مجمله عن إنجازات قَيْلِ قبيلة ردمان وخولان بن دوس يكهل من بني معاهر وقبيلة خولان، المتمثلة في أعمال معمارية سكنية ومائية وإنجازات زراعية، وتأتي أهمية النقش في كونه لم يسبق أن نُشِرَ من قبل، ويتضمن معلومات جديدة، فضلاً عن أنه يذكر مدينتين من مدن اليمن القديم، ومنها مدينة (تبريم)، التي لم تُعرف -على حد علمنا- في النقوش المسندية المنشورة من قبل، ويذكر كذلك هذا القَيْلِ المعاهري الخولاني لأول مرة في النقوش، ويبرز الأعمال المعمارية والإنجازات الزراعية التي قام بها قديماً في منطقة قبيلة ردمان وخولان، وأهتم البحث بدراسة جميع أسماء الأعلام والأماكن الواردة في النقش واشتقاقاتها المعجمية لتوضيح دلالتها اللغوية، سواء المعروفة منها أو الواردة لأول مرة.

رمز النقش: البارد - الحد 1<sup>(1)</sup>.

مصدر النقش: خربة هديم قُطْنَانَ، مديرية الحد (محافظة لحج).

\* أستاذ آثار ما قبل الإسلام المساعد، قسم الآثار والمتاحف / كلية الآداب - جامعة ذمار.





النقش بالحرف العربي:

1. [.....] / بن / دوسم / يكهـل / بن / معهر / وذخولن / قـيـل / ردمـن /  
وخو[لن][.....]
2. [.....]رم / حدث / بعـلـو / ذت / أبيتـن / ومظلـلـن / ذب / قدم / هـ  
رن / وظورن / وذ[.....]
3. [.....] / وبرأ / بأرس / عتدم / بوسط / هجرن / هـدو / س3ن / خل  
فن / ذأنبي / وب[و][.....]
4. [.....]س قح / ظيتس / فرعن / بهجرن / تبريـم / وجدر / ويـن  
س / أغنت / و[.....]
5. [.....](ن) / وبرأ / وعلي / بيتس / هرمن / بصنع / وسعشـق  
مرو / وبأر / [.....]
6. [.....]وعم / ذشقر / وأنبي / شيميـن / وذت / [ظهرن / و]... / وب /  
أخيـل / و[.....]

النقش بالحرف اللاتيني:

- 1 - [.....]/ bn / Dws'm / Ykhl / bn / M<sup>c</sup>hr / wdḤwln / qyl / Rdmn /  
wḤw[ln][.....]
- 2 - [.....]rm / ḥdt / b<sup>c</sup>lw / dt / <sup>o</sup>bytn / wmzlln / ḍb / qdm / hrn / wḥwrn /  
wd[.....]
- 3 - [.....]/ wbr<sup>o</sup> / b<sup>o</sup>rs<sup>l</sup> / <sup>c</sup>tdm / bws<sup>t</sup> / hgrn / Hdw / s<sup>3</sup>n / ḥlfn / ḍ<sup>n</sup>nby /  
wb[w] [.....]
- 4 - [.....]s<sup>l</sup>qh / zyts<sup>l</sup> / fir<sup>c</sup>n / bhgrn / Tbrym / wgdr / w<sup>o</sup>yns<sup>l</sup> / <sup>o</sup>gnt / w[.....]
- 5 - [.....](n) / wbr<sup>o</sup> / w<sup>c</sup>ly / byts<sup>l</sup> / hrnm / Bḥn<sup>c</sup> / ws<sup>l</sup>c<sup>s</sup>q / mrw / wb<sup>o</sup>r / [.....]
- 6 - [.....]w<sup>c</sup>m / ḍs<sup>2</sup>qr / w<sup>o</sup>nby / s<sup>2</sup>ymn / wd<sup>t</sup> / [zḥrn / w]... / wb<sup>o</sup>ḥyl / w[.....]

محتوى النقش باللغة العربية:

- 1 - [.....] بن دوسم يكهـل من بني معاهر وذو خولان، قَيْل (قبيلتي) ردمان وخولان [.....]
- 2 - [.....] جدّد في أعلى هذه البيوت، والمظلة التي في أمام (القصر المسمّى) هران، ودعامة  
البناء [.....]

3 - [.....] وأنشأ بئرَه (المُسَمَّى) عَتَدَ، في وَسْطِ مدينة هَدُو، في اتجاه الباب الذي (في معبد الإله)

أنباي[.....]

4 - [.....] أنجز ظِيَّتَهُ (منشأة تجمع الماء)(المُسَمَّاة) فارعن في مدينة تَبْرِي، وَسَيَّجَ مزرعة أَعْنابِه

(المُسَمَّاة) أَعْنَت[.....]

5 - [.....] وأنشأ وَعَلَى (بناء) بيته (المُسَمَّى) هرمان (الكائن) في صنع، وحفر ساقية وبئر[.....]

6 - [.....] (وبعون معبوداتهم)... وعم ذو شقر وأنباي الحامي وذات ظهران وذات...،

وبقوة[.....]

دراسة المفردات:

السطر الأول:

ب ن / د و س م: بن اسم مفرد يدل على نسبة صاحب النقش<sup>(2)</sup> إلى والده، ودوسم، أي دوس: اسم

والد صاحب النقش، وهو علم مفرد مذكر، وحرف الميم الزائد في آخره للدلالة على تميم الكسر لأنه

مضاف إليه، ويقابل التنوين في اللغة العربية الفصحى<sup>(3)</sup>، وهو من الجذر (د و س)، بمعنى "داس

السيف: صقله"، "والدَّوسُ: الصَّقْلَةُ"<sup>(4)</sup>، ودوسم من أسماء الأعلام في النقوش المسندية (قتبانية،

سبئية، حضرمية)، مثل: (BaBa al-Hadd 4/1; RES 3856=Q 73/1 CIH 287/7;

RES 3100/1; RES 3111/1; Ja757 /3; Ja 558/1,3; Ja 815/4-7; RES

(BaBa al-2687/2,3)، ويأتي الاسم دوسم ضمن أسماء أقيال قبيلة سمر في نقشين قتبانيين، وهما-

Hadd 6=Robin-Bron Masjid an-Nūr 1/1; Lahj n° 61/1) ويُلاحظ أنه يرد في

نقوش (سبئية، حضرمية) كاسم عائلة (أو عشيرة)، مثل: (al-Jawf 04.14/2; Ir 8/1,3,4; Ja

647/14; KR 6=Ja 2878/1).

ي ك ه ل: صفة الاسم دوس (لقب)، جاء على صيغة الفعل المضارع (يفعل)، جذره اللغوي (ك ه

ل)، جاء في لسان العرب "الْكُهْلُ: الرجل إذا وخطه الشيب ورأيت له بجاله، وقيل: أراد بالكُهْل

الحليم العاقل، وقيل له كُهْلٌ حينئذ لانتهاه شبابه وكمال قوته، والجمع كهلون وكهول وكهال

وكهلان"<sup>(5)</sup>، ويرد في المعجم السبئي بمعنى: "نجاح، فلاح، فوز، غلبة"<sup>(6)</sup>، واللفظ يكهل نادر

الورود في النقوش؛ إذ يرد فقط في نقش قتباني آخر، وهو النقش الموسوم بـ (Q 245/2)، في صيغة العبارة "هوفعم / يكهل / وبنسم / أملك / قتبان"؛ أي: هوف عم يكهل وابنه م ملك قتبان.

ب ن / م ع هـ ر: بن اسم مفرد، بمعنى بن عائلة (أو قبيلة) معاهر، ومعهر اسم علم مفرد، ويُقرأ معاهر، وهو اسم العائلة (أو القبيلة) الحاكمة التي يُنسب إليها القَيْلُ بن دوس يكهل، واللفظ معهر من الجذر (ع هـ ر)، جاء في لسان العرب "ذو مُعَاهِرٍ: قيل من أقبال حمير"<sup>(7)</sup>، ويرد اللفظ معهر اسماً في المعجم السبئي بمعنى "سادة ~ أشرف"<sup>(8)</sup>، وفي المعجم القتباني بالمعنى نفسه<sup>(9)</sup>.

و ذ خ و ل ن: الواو حرف عطف، وذخولن؛ صيغة تتألف من الاسم الموصل ذي للمفرد المذكور، الدال هنا على النسبة إلى قبيلة، وخولن اسم مفرد، وتُقرأ خولان: اسم القبيلة التي ينتسب إليها صاحب النقش، جاء في لسان العرب "خَوْلَان: قبيلة من اليمن"<sup>(10)</sup>، وخولان هذه ليست خولان الشام ولا صرواح، وإنما هي خولان الثالثة التي دعاها الهمداني قديماً بخولان رداً<sup>(11)</sup>. وبنو معاهر وذو خولان اتحاد قبلي<sup>(12)</sup>، ويأتي ذكرهم في كثير من النقوش المسندية، والمتنسبون إليها ممن تولوا حكم قبيلتي ردمان وخولان (انظر الجدول المرفق).

ق ي ل: اسم مفرد مذكر، جاء في لسان العرب "القَيْلُ: الملك من ملوك حمير، وجمعه أقبالٌ وقُيُولٌ"<sup>(13)</sup>، والقَيْلُ مصطلح عُرف في اليمن القديم، ويطلق على من يقوم بتولي إدارة شؤون الإقليم أو المخلاف أو المقاطعة باسم الملك في العاصمة المركزية، وكان الأقبال يستقلون بالحكم في حالة ضعف الدولة المركزية<sup>(14)</sup>.

ر د م ن / و خ و ل ن: ردمن اسم مفرد، وتُقرأ ردمان، جاء في لسان العرب "رَدْمَان: قبيلة من العرب باليمن"<sup>(15)</sup>، وقلب ردمان هو المنطقة التي تعرف اليوم بالمعسال، وهو سهل تحيط به المرتفعات من كل الأنحاء وفي جنوبه ينتصب جبل شحرار، وهو جبل يطلق على مدينة وعلان القديمة، حاضرة بني معاهر وذو خولان، أقبال قبيلة ردمان وخولان<sup>(16)</sup>، ولا تزال تعرف ردمان حتى اليوم بالاسم نفسه في النقوش، وتقع شمال شرق مدينة رداً (محافظة البيضاء)، وترتبط بناحية السوادية وأعمال رداً وعلان<sup>(17)</sup>. وردمان وخولان هنا اسم شعب (أو قبيلة واحدة) من اتحاد قبيلتين. ومبلغ العلم إنَّ اسم صاحب النقش (المُسَمَّى)... بن دوس يكهل من آل معاهر وقبيلة خولان قَيْل (قبيلتي) ردمان وخولان، يرد ذكره لأول مرة في النقوش المسندية.

## السطر الثاني:

ح د ث: فعل ماضٍ مجرّد على وزن (فَعَلَ)، وقد يُقرأ حَدَّثَ بتشديد وسطه، جاء في لسان العرب "الحديثُ: نقيض القديم، والحديثُ: الجديد من الأشياء، والحديثُ: كَوْنُ شَيْءٍ لم يَكُنْ" (18)، والفعل حدث مصطلح بناء، شائع في النقوش اليمنية القديمة، يرد في المعجم السبئي بمعنى "أحدث، بنى، أسس، أقام" (19)، وعند بيلا بمعنى «renew, repair ; or make newly» (20)؛ أي: جَدَّد، رَمَم أو عمل جديداً، ويأتي أيضاً في المعجم القتباني بمعنى «to newly construct, make new, inaugurate, to renew, restore» (21)؛ أي: بَنَى من جديد، عَمِلَ جديداً، أفتتح، يجدد، يرمم، ويفسرها الأغبري بمعنى "أحدث، حدّث، جدّد" (22).

ب ع ل و: حرف جر مركب من حرفي الجر الباء، وعلو بمعنى: على (23)، جاء في لسان العرب "عَلُوُّ كل شيء وِعْلُوهُ وَعِلْوُهُ وَعِلَاوَتُهُ وعاليه وعاليته: أَرْفَعُهُ، والعُلُو: ارتفاع أصل البناء" (24)، ويأتي الاسم علو في المعجم السبئي، بمعنى "جزء علوي، علو، ارتفاع" (25).

ذ ت / أ ب ي ت ن: ذت اسم إشارة للقريب المفرد المؤنث في اللهجة القتبانية (26)، بمعنى: هذه، وأبيتن جمع تكسير على وزن (أفعالن) وحرف النون الزائدة في آخره للدلالة على التعريف، أي: هذه البيوت، والمفرد منه بيت، وفي لسان العرب "بَيْت الرجل داره، وبيته قصره" (27)، واللفظ بيت من الألفاظ الشائعة في النقوش اليمنية القديمة، بمعنى "مسكن، بيت؛ ضيعة؛ معبد؛ عشيرة، عائلة، أسرة" (28).

و م ظ ل ن: الواو حرف عطف، ومظللن اسم مفرد مزيد بحرف النون للدلالة على التعريف، جذره اللغوي (ظ ل ن)، جاء في لسان العرب "الظُّلُّ: الفَيْءُ الحاصل من الحاجز بينك وبين الشمس، أي شيء كان، والظُّلَّةُ والمِظْلَةُ سِوَاءٌ، وهو ما يستظل به من الشمس، والظُّلَّةُ: الشيء - يستتر به من الحر والبرد، ويقال للبيت العظيم مِظْلَةٌ" (29)، ويرد اللفظ مظلل في المعجم السبئي، بمعنى "مظلة، بناء مظلل" (30)، وعند بيلا «roofed tomb or chamber, roof, roofed passage» (31)، أي: قبر أو غرفة مسقوفة، ممر مسقوف، سقف، ويفسرها يوسف محمد عبد الله بمعنى "قبة أو ما يظلل المدخل الرئيس للقصر" (32)، وناقش الأغبري اللفظة وأعطاهها معنى "شرفة ~ ظلة ~ سقيفة ~ باب كِنَّة" (33).

ذ ب / ق د م: صيغة مكونة من اسم الموصول ذي، بمعنى الذي أو التي، وحرف الجر الباء، بمعنى: في، وظرف المكان قدم بمعنى: أمام، جاء في لسان العرب "قَدَامٌ: نقيض وراء، وقِيدُوْمٌ كل شيء: مقدمه وصدرة، وقِيدُوْمٌ كل شيء: ما تقدم منه، وقَادِمُ الإنسان: رأسه"<sup>(34)</sup>، ويرد اللفظ قدم في النقوش وجمعها أقدم، بمعنى: "مقدمة، واجهة أمامية"<sup>(35)</sup>.

هرن: اسم مفرد، ويُقرأ هران: اسم القصر الذي جُدِّدت مظلته من قِبَل القَيْل بن دوسم يكهل، وقد أطلق اللفظ هران باعتباره اسماً للقصور في اليمن القديم، وخاصة قصور أقيال القبائل، فيرد اللفظ هرن اسم قصر - لأقيال قبيلة سمعي الثلث ذي حاشد في النقوش الموسومين بـ (GI 1320 A 295/3; RES 4187/2-3)، واسم قصر لأقيال قبيلة حاشد وغيمان في النقوش الموسوم بـ (Ja 716/2-3)، ونجد أيضاً أن اللفظ هرن قد ورد اسم قصر لأقيال ردمان وخولان من بني معاهر وذي خولان في النقوش الموسومة بـ (Ja 2867/1-3,9-10; MAFRAY-Mahliq 1=YMN 5/7; YMN 6/7; RES 3958/12-13) والذي قام بن دوسم يكهل بأعمال معمارية وترميمات فيه؛ تمثلت في دعامة البناء والمظلة التي في مقدمته.

ظ و ر ن: الواو حرف عطف، وظورن اسم مزيد بالنون في آخره للتعريف، جاء في لسان العرب "يقال للركن من أركان القصر: ظُئْرٌ، والدعامة تبنى إلى جنب حائط ليدعم عليها: ظُئْرَةٌ"<sup>(36)</sup>، ويرد اللفظ في المعجم السبئي بمعنى "صخر، صفا؛ أساس؟"<sup>(37)</sup>، وعند بيلا «? pillars»<sup>(38)</sup>، أي: أعمدة، ويناقش الأغبري هذه اللفظة ويفسرها "دعامة بناء"<sup>(39)</sup>.

#### السطر الثالث:

وب ر أ: الواو حرف عطف، وبرأ فعل ماضٍ بمعنى: أنشأ، شاد، جاء في تاج العروس "البرء أخص من الخلق مثل برأ الله آدم من الطين"<sup>(40)</sup>، والفعل برأ مصطلح بناء يرد كثيرا في النقوش اليمنية القديمة، بمعنى: "بنى، شاد"<sup>(41)</sup>.

ب أ ر س: صيغة مكونة من المضاف بأر والمضاف إليه الضمير المتصل للمفرد الغائب سُ؛ كما هو شائع في اللهجة القتبانية، بمعنى: بئر، وتقابلها في السبئية بئر هو، جاء في لسان العرب "البئر: القليب، والجمع أَبَارٌ، ومن العرب من يقلب الهمزة فيقول: أَبَارٌ، فإذا كثرت فهي البئار، وهي في القلة

أَبُوْرٌ، وحافِرُها بَأْرٌ؛ ويقال: أَبَاْرٌ؛ وقد بَأَرْتُ بِئْرًا وبَأَرُها يَبْأَرُها وإبْتَأَرُها: حفرها" (42)، ويرد في المعجم السبئي بأر بمعنى "بئر" (43)، وفي المعجم القتباني وردت اللفظة بالمعنى نفسه «Well, cistern» (44)، والمفهوم العام للبئر هو الحفرة التي يُؤخذ منها الماء.

ع ت د م: اسم مفرد مذكر من الجذر (ع ت د)، وحرف الميم الزائدة في آخره للدلالة على تمييز النصب، لأنه (بدل)، ويقابل التنوين في اللغة العربية الفصحى، وهو اسم البئر الذي أنشأه القيل بن يكهل، والعَدَّة لفظ شائعة الاستعمال في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم، بمعنى: الماء الدائم الذي لا ينقطع جريانه (45)، أما في النقوش فقد ورد اللفظ عتدم في النقش السبئي الموسوم (az-Zubayrī-Bishār 4/4)، للدلالة على الوفرة والغزارة.

ب و س ط: صيغة مكونه من الباء حرف جر، ووسط: ظرف مكان مجرور، بمعنى: داخل أو وسط، جاء في لسان العرب "وَسَطُ الشيء: ما بين طرفيه، والتَّوَسِيطُ: أن تجعل الشيء في الوَسَطِ" (46)، ويرد اللفظ وسط اسماً في المعجم السبئي بمعنى "وسط، في داخل" (47)، وعند بيلا بالمعنى نفسه «midst, middle, interior» (48)، ويأتي اللفظ هنا للدلالة المكانية لموقع البئر؛ والذي يُحدد وسط مدينة هدو.

ه ج ر ن: اسم مفرد مزيد بحرف النون في آخره للدلالة على التعريف، أي: الهجر، بمعنى: المدينة، وهي لفظ شائعة في النقوش اليمنية القديمة بمعنى "مدينة، قرية" (49)، وفي اليمن استعمل مصطلح هجر للدلالة على المدينة المسورة (50)، ويوضح يوسف محمد عبد الله بأن الهجر وفق دلالاتها القديمة كانت تمثل أنماطاً متعددة من المستوطنات، ويصنف المدينة اليمنية إلى سبعة أنواع، هي المدينة عاصمة الدولة، المدينة عاصمة الأقاليم، المدينة الدينية، المدينة الثقافية، المدينة السوق، المدينة الميناء، المدينة الصناعية، وذلك حسب الدور الذي لعبته، والأهمية التي تمتعت بها، ووفق اعتبارات أخرى (51).

ه د و: اسم المدينة القتبانية التي تعرف اليوم باسم هديم (قطنان)، ورد ذكرها اسماً لمدينة في النقش القتباني الموسوم بـ (BaBa al-Hadd 11/3)، كما جاء ذكرها في النقش القتباني الموسوم بـ (BaBa al-Hadd 4/3)، في صيغة العبارة (بعل / شعرت / هدو)؛ أي: رب (معبد) شعرت هدو، ويحدد باطابع موقع هذه المدينة في منطقة الحد، إحدى مديريات يافع (محافظة لحج)، على بعد 18 كم تقريباً شمال شرقي مدينة بني بكر، وعلى بعد كيلومترين شرق قرية قطنان، ويذكر أنها

مستوطنة محصنة بسور حجري له بوابة في جهة الجنوب، وتتكون من تل رئيس وسط وادي قطنان، وحواليها تقع عدة خرائب صغيرة أخرى<sup>(52)</sup>.

س 3 ن: ظرف مكان، من الجذر (س ن ن)، جاء في لسان العرب "سَنَّ الطريق وسَنَّه وسَنَّه، أي جَهَّته"<sup>(53)</sup>، وورد اللفظ سنن في المعجم السبئي بمعنى، "إلى، حتى، نحو، في اتجاه، قبالة، بجانب"<sup>(54)</sup>، وسنا في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم بمعنى: نحو، اتجاه، ويأتي اللفظ س 3 ن هنا للدلالة على الاتجاه؛ بدليل ما ورد بعده، وهو اللفظ (خلفن).

خ ل ف ن: اسم مزيد بحرف النون في آخره للدلالة على التعريف، بمعنى: الباب، وجاء في لسان العرب "في حديث عائشة رضی الله عنها في بناء الكعبة: قال لها: لولا حدثان قومك بالكفر لبنيتها على أساس إبراهيم، وجعلت لها خَلْفَيْن...، كأنه أراد أن يجعل لها باين"<sup>(55)</sup>، ويرد اللفظ خلف في المعجم السبئي بمعنى، "باب (مدينة)، ظاهر، خارج (شيء)"<sup>(56)</sup>، وفي المعجم القتباني وردت اللفظة بالمعنى «Gate»<sup>(57)</sup>؛ أي: بوابة.

ذ أن ب ي: صيغة مؤلفة من الاسم الموصول ذي للمفرد المذكور؛ بمعنى الذي؛ الدال على النسبة إلى مكان، وأنبي: أنبي أو أنباي اسم مذكر لأحد المعبودات في قتبان، ومعناه المتكلم - المنبئ؛ أي: الذي يبلغ أو ينبي بالوحي الإلهي<sup>(58)</sup>، ويرد ذكر (الإله القتباني) أنباي في عدد كبير من النقوش القتبانية، مثل: (al-Ādī 1/3; AM 60.1284/3-4; ATM 868/6 -7; BM 141537/3; BynM 421/2,5; RES 3965/4; Doe 6/4; FB-Hawkam 4/6; Ghul-YU 90/2; Ja 119/4; MQ-HK 4/3,4,6)

السطر الرابع:

س ق ح: فعل ماضٍ مزيد بسين التعدية، التي تقابل هقح في اللهجة السبئية، وقد يُقرأ سقاح أي: مد الفتح في وسطه، من الجذر (ق و ح) و(ق ي ح)، وهو مصطلح بناء في النقوش اليمنية القديمة، وجاء الفعل في المعجم السبئي بمعنى "أتم، أنجز، أكمل، سوى، طلى بجص أو طين"<sup>(59)</sup>، ويرد في المعجم القتباني بمعنى «to prepare, set in order afield or a house which is being constructed»<sup>(60)</sup>؛ أي: يجهز، ترتيب الحقل أو البيت الذي يبنى حالياً، ويفسرها الأغبري بمعنى "ملط، أنجز"<sup>(61)</sup>.

ظ ي ت س: صيغة مكونه من الاسم المفرد المؤنث ظيت، والتاء للتأنيث، والضمير المتصل للمفرد الغائب السين، وتقابل في العربية ظيته، وهي منشأة مائية تستوعب مياه الأمطار والينابيع، ويصعب تحديد معنى اللفظة في اللغة العربية والنقوش؛ لوجود تناقضات في دلالاتها اللغوية في اللغة العربية، وأيضاً في النقوش المسندية المنشورة، فمن الجذر (ظ ي أ)، جاء في لسان العرب "الظَيَّانُ: نبت باليمن يدبغ بورقة، وقيل: هو ياسمين البر، واحدته ظيائنة، وأديم مُظَيًّا: مدبوغ بالظيان، وأرض مَظِيَّةٌ: كثيرة الظيان"<sup>(62)</sup>، وفي تاج العروس "يقال: ظِيًّا تَظْيِيئاً إذا غمه وخنقه"، أما في النقوش المسندية ترد اللفظة ظيت في نقش مصدره من ظفار، وهو النقش الموسوم بـ (Gr 28 = Gar AY 8/2)، وقد فسرت في المعجم السبئي بمعنى مجهول<sup>(63)</sup>، ربما لعدم وضوح السياق؛ بسبب النقص في النقش، وتأني اللفظة ظيت صفة في النقش الموسوم بـ (CIH 504 /6)، وفسرت في المعجم السبئي بمعنى "نظيف، طاهر (للعادة)"، وورد اللفظ أظيتم اسم جمع في النقش الموسوم بـ (Ja 2109/ 12)، في سياق العبارة (مرضم / ونحتم / وأظيتم، وبأستم)؛ أي: مرض وهزيمة واختناق(؟) وأذى، وورت أيضاً في النقش الموسوم بـ (Ja 650 /33) في سياق العبارة (أظيتم / وميقظ)؛ أي: اختناق(؟) وبلاء، ومن خلال النقشين فسرت هذه اللفظة في معجم بيلا بـ «? Strangulation»<sup>(64)</sup>، أي: اختناق (الخنق)، وفيه شك، أما ما هو شائع في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم هو أن مَظِيَّة تطلق على التجمع المائي المتخلق من سقوط الأمطار ومياه العيون والينابيع في المناطق المنخفضة من الوديان وفي الأغلب في القيعان، وتتميز بأن المياه فيها تكون دائمة على مدار العام، قد يرتفع منسوبها أو ينخفض حسب غزارة الأمطار، وتكون عادةً بالقرب من المستوطنات البشرية، ويستفيد الساكنة من ماءها في الاستخدامات الآدمية وحتى في الشرب، ويرد أيضاً في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم اللفظة ظِيَّة وتطلق على مساحة الأرض الزراعية التي يحرثها الجمل أو الضمد (الثورين المقرونين معاً للحرث) في اليوم الواحد، فيقال ظِيَّة الضمد أو ظِيَّة الجمل.

وفي المغرب العربي تطلق تسمية الضاية على التجمع المائي بصرف النظر عن حجمه أو موقعه، ولا يراعى في التسمية مساحة التجمع المائي، إذ تطلق على تجمعات مائية صغيرة، كما لا يراعى فيها نوعية المياه، إذ تطلق على مياه عذبة كمياه البحيرات الجبلية والمستنقعات والبرك المتخلقة عن سقوط الأمطار وغيرها، ويستغل القرويون ماءها في الاستهلاك المنزلي والتنظيف، ويحيط الغموض بأصل الكلمة



هل هي عربية أم أمازيغية أم لها مصدر آخر يعود إلى ما قبل الإسلام<sup>(65)</sup>، ونتيجةً للتشابه في النطق بين حرفي الضاد والطاء وتطابق اللفظ ضاوية مع اللفظ ظية أو ظاية في هذا النقش القتباني، فربما تكون هي اللفظة المعنية، وبذلك قد يكون أصلها عربية جنوبية.

ومن خلال السياق في النقش -موضوع الدراسة- يتضح أن ظيت التي تعود ملكيتها لقبيل قبيلة ردمان وخولان (صاحب النقش) قد تكون إما منشأة مائة أو أرضاً زراعية، ملحقة بمدينة سكنية. لأن الحديث عن إنجاز الظيت الملحقة بمدينة تبريم في سياق النص النقشي -المدرّوس يتبعه ذكر عمل زراعي، وهو تسييج مزرعة للعنب، وأما ما يُرجحه الباحث فهو أن اللفظة ظيت ربما تكون هي مَظِيَّة المذكورة آنفاً، وبذلك تكون منشأة مائة (تَجْمَع مائي).

ف ر ع ن: اسم علم مفرد، أي: فارعن، من الجذر (ف ر ع)، وهو اسم الظيت التي أنجزها القيل بن دوس يكهل، وفي لسان العرب "فَرَعُ كل شيءٍ: أعلاه، والجمع فروع"<sup>(66)</sup>.

ب ه ج ر ن / ت ب ر ي م: صيغة مكونة من الباء حرف جر، والاسم المجرور هجرن الذي لحقه حرف النون الزائدة في آخره للدلالة على التعريف، أي: الهجر، بمعنى: المدينة، وتبريم اسم المدينة، والميم الزائدة في آخره للدلالة على تمييز الكسر، ويقابله التنوين في اللغة العربية الفصحى، وقد تقرأ: تبري أو تبرا، ومبلغ علم الباحث أن اسم هذه المدينة يرد لأول مرة في النقوش اليمنية القديمة، وأيضاً لم يعد له ذكر عند ساكنة المنطقة (مصدر النقش)، أما معنى اسمها: فمن الجذر (ب ر ي) جاء في تاج العروس "بَرِي: نَقَه، من النَّقَاهة وهي الصحة الخفيفة التي تكون عقيب مرض"<sup>(67)</sup>، وفي لسان العرب "الْبُرَايَةُ: القوة"<sup>(68)</sup>، وفي النقوش المسندية ورد اللفظ بري اسماً، فُسر في المعجم السبئي بمعنى "برء، صحة، رخاء، رغد عيش، (مكان) نَزِه"<sup>(69)</sup>، ويأتي اللفظ بر يتم اسماً عند بيلا بمعنى «health, strength»<sup>(70)</sup>؛ أي صحة، قوة، وربما تكون دلالته اللغوية المكان النَّزِه؛ الذي يتمتع ساكنوه بالصحة والقوة.

و ج د ر: الواو حرف عطف، وجدر فعل ماضٍ مجرّد على وزن (فعل)، بمعنى: سَيَّجَ (بنى جداراً حول)، جاء في لسان العرب "الجُدْرُ: الحواجز التي بين الديار المسكة للساء، والجُدَيْرُ: المكان بينى حوله جدار"<sup>(71)</sup>، وفي النقوش المسندية يرد الاسم جدر؛ بمعنى جِدَار في النقش الموسوم بـ (CSAI I, 206/10)، في سياق العبارة (وخطبهو / وجدر)؛ أي: وغرفه، السفلية وجدار، ويرد الفعل جدر،

بمعنى سَيْجٍ أو جَدَّرٍ في النقش الموسوم بـ (MAFRAY-Hāṣī 5/3-4) في سياق العبارة (برأو / وجدرو / سرهمو)؛ أي: بنو وسَيْجٍ واديه.

وي ن س: وينس اسم مفرد، والسين ضمير متصل، وتقابل في اللهجة السبئية وبينهو؛ أي: مزرعة أعنابه، جاء في لسان العرب "الْوَيْنُ العنب الأبيض، الْوَيْنُ العنب الأسود"<sup>(72)</sup>، ويرد اللفظ وين (اسم)، أيون (جمع) في المعجم السبئي بمعنى "كرم عنب"<sup>(73)</sup>، وعند بيلاب- «GRAPES, VINEYARD»<sup>(74)</sup>؛ أي: عنب، كرم، وبالمعنى نفسه وردت أيضاً في المعجم القتباني<sup>(75)</sup>، وما يتضح من منطوق اللفظ ودلالته هو الكرم (العنب)، ولكن من خلال سياق النص يتضح أن المقصود هو: الأرض المغروسة بالعنب؛ كما في النقش الموسوم بـ (BynM 4/2) في سياق العبارة (بقلو / وهدين / وبرأ / وحظر / وينهمو)؛ أي: غرسوا وشيدوا وبنى وحظّر (حقل) أعنابهم، وهو أيضاً ما يوحي به سياق النص النقشي المدرس هنا.

أغ ن ت: اسم جمع مؤنث سالم، أي: غَنَاوات أو عُنَّ، ومفردها غَنَاء، جذرها اللغوي (غ ن ن)، وأغنت هنا اسم مزرعة عنب، ومبلغ العلم أن هذه اللفظة ترد في النقوش المسندية لأول مرة، وجاء في لسان العرب "أَغَنَّتِ الأَرْضُ: أكتهل عشبها، وروضة غَنَاءً: تمر الريح فيها غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه؛ وطير أَعَنَّ، ووَادٍ أَعَنَّ كذلك، أي كثير العشب، ويقال للقرية الكثيرة الأهل: غَنَاءً، وقرية غَنَاءً: جَمَّةُ الأهل والبنيان والعشب"<sup>(76)</sup>، ومن الشائع في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم أن اللفظة غَنَاءً تطلق صفةً للمزارع أو المدن؛ فيقال مثلاً: مزرعته الغَنَاءُ، مدينة عدن الغَنَاءُ أو تريم الغَنَاءُ.

#### السطر الخامس:

وع ل ي: الواو حرف عطف، وَعَلَى فعل ماضٍ معتل الآخر بالياء<sup>(77)</sup>، مصطلح بناء يرد في المعجم السبئي بمعنى "رفع"<sup>(78)</sup>، وفي المعجم القتباني بمعنى «to raise high, elevate»؛ أي: على، رفع (بناء)<sup>(79)</sup>. وفي المعجم القتباني بالمعنى نفسه<sup>(80)</sup>، ويفسرها الأغبري بمعنى "على، رفع (بناء)"<sup>(81)</sup>.

ب ي ت س / ه ر م ن: بيتس: صيغة مكونة من المضاف بيت، والضمير المتصل للمفرد الغائب سُ؛ أي: بيته (أو قصره)، وتُقابل في السبئية بيتهو، وهرمن: وتُقرأ هرمان، اسم البيت (أو القصر) الذي

أنشأه القَيْلُ بن دوس يكهل، وحسب علم الباحث فإن اللفظ هرمن يرد اسماً لقصر - في النقوش المسندية لأول مرة؛ بينما نجد اللفظ هرم اسماً لأثنى في النقش الموسوم بـ ( CIAS T 62/p 8/54.10 E69/1)، واسماً لرجل في النقش الموسوم بـ (Ghul-YU 51/1)، واسماً لعائلة (أو عشيرة) في النقش الموسوم بـ (CIH 332/7)، واسماً لقبيلة في النقوش الموسومة بـ (Haram 2/4; Haram 20 = RES 2749; M 14/7-8; Haram 7/6; RES 3945/18) واسماً لمدينة في النقش الموسوم بـ (Haram 49= CIH 518/2).

ب ص ن ع: الباء حرف جر يفيد الظرفية المكانية في، وصنع أو صناع اسم المكان أو المدينة التي بني فيها المسكن (أو القصر) المُسمَّى هرمان، وجاء في لسان العرب "المَصْنَعَةُ والمَصَانِعُ: الحصون"<sup>(82)</sup>، ويرد اللفظ صنع اسماً لمدينة في ثلاثة نقوش مسندية (قتباني، سبئي، حضر-مي)، وهي النقوش الموسومة بـ (RES 3858 /8,10; DAI Jabal al-'Awd 3/4; KR 11/2)، وجاء اللفظ مصنعت في المعجم السبئي بمعنى: حصن، قلعة، مصنعة<sup>(83)</sup>، ويفسرها الصلوي "قلعة، مدينة محصنة"<sup>(84)</sup>، ويعطيها الأغبري معنى "قلعة جبلية"<sup>(85)</sup>، ويناقد يوسف محمد عبد الله اللفظ صنع ويذكر أن منه يشتق صَنَّع وتَصَنَّع، ومنه أسماء الأمكنة: صنعاء ومصنعة، وجمعها مصانع والتصغير مصينة، وهي كثيرة باليمن، وكل ذلك للتدليل على المنعة والقوة<sup>(86)</sup>، ويبين الإرياني أن المَصْنَعَةَ والمَصَانِعَ تطلق في لهجات بعض مناطق اليمن اليوم على المكان الواسع المدور إذا كان حصيناً في رؤوس الجبال، ويطلق على القلاع والحصون الواسعة، وأيضاً على القرى والبلدان<sup>(87)</sup>، وربما تكون صنع الوارد ذكرها هنا في النقش هي صناعات التي تقع في منطقة الحد، شمال غرب خربة هديم قطنان (أنظر الخريطة 1، 3).

و س ع ش ق: الواو حرف عطف، وسعشق فعل ماضٍ مزيد بحرف السين في أوله، على وزن (سفعل) التي تقابل هعشق في السبئية، من الجذر (ع ش ق)، ويرد الفعل عَشَّقَ في المعجم السبئي بمعنى "حفر (بئراً)؛ شَقَّ (طريقاً)"<sup>(88)</sup>، وفسرها الأغبري بمعنى "أعمال، (إعداد، تجهيز، بناء)، شق"<sup>(89)</sup>، ويرد اللفظ سعشق في النقش - موضوع البحث - مصطلحاً دالاً على عمل إنشائي تم في ساقية وبئر.

م ر و: وتقرأ مرووي، اسم مكان بمعنى: ساقية، وهو من الجذر (ر و ي)، جاء في لسان العرب "رَوَى من الماء، الرَّوِيُّ السَّاقِي، وماءٌ رَوِيٌّ ورَوَى ورَوَاءُ: كثيرٌ مُرْوٍ"<sup>(90)</sup>، ورد مرو اسم في المعجم السبئي بمعنى "نظام ري، نظام سقاية"<sup>(91)</sup>، وفي المعجم القتباني بمعنى «irrigation»<sup>(92)</sup>؛ أي: الري، وعند إرفين بـ «flood - fields»<sup>(93)</sup>؛ أي: "حقول - تغمر" (بالماء)، وفسرها الأغريري، بمعنى "ساقية مروى"<sup>(94)</sup>، وجاء اللفظ مرو في النقش الموسوم بـ (YMN 9 / 2) وفسره يوسف محمد عبد الله بمعنى "ساقية"<sup>(95)</sup>؛ اعتماداً على مشاهدته لساقية لا زالت آثارها المعمارية قائمة في إعلان (شمال شرق قاع المعسال)، مصدر النقش الذي يذكرها.

#### السطر السادس:

وع م: الواو حرف عطف، وعم: اسم الإله الرئيس في مملكة قتبان<sup>(96)</sup>، وهذا الاسم يدخل في تركيب الأعلام عند القتبانيين خاصة، وكان ملوك قتبان لا يقدمون على أي عمل ولا يسنون القوانين والتشريعات أو يقيمون المنشآت إلا باسمه وبعونه، ويقربون له القرابين، ويقيمون له المعابد، ويوقفون له الأراضي الزراعية، ويتضرعون له بالدعاء لحمايتهم وممتلكاتهم<sup>(97)</sup>.

ذ ش ق ر: صيغة مؤلفة من الاسم الموصول ذي، بمعنى: الذي ويفيد النسبة إلى مكان، وشقر اسم الجبل الذي فيه معبد الإله عم، أما دلالة اللفظ شقر اللغوية، فجاء في لسان العرب "الشُّقْرَةُ لون الأشقر، وهو في الإنسان حمرة صافية وبشرته مائلة إلى البياض"<sup>(98)</sup>، ويرد اللفظ شقر في المعجم السبئي كاسم بمعنى "قمة، رَفَع إلى النهاية العليا، جزءٌ أعلى"<sup>(99)</sup>، وفي المعجم القتباني بمعنى «brightness»<sup>(100)</sup>؛ أي سطوع، وفي النقوش المسندية يأتي اسماً لقصر ملكي في مدينة شبوه، حاضرة مملكة حضرموت في النقوش المسندية، مثل (Ir 13= ZI 10/21-29؛ Ja 949/2)، ويرد اسم الإله (عم / ذشقر) في صيغ الأديعية في النقوش الموسومة بـ (ATM 879/4؛ HZ-M 2/6؛ Ja 2366 /7؛ RES 3552/6؛ RES 4328/6-7؛ RES 4330/3-4؛ BaBa al-Hadd 4/3)، وناقش الحسنسي هذه الصيغة، ويطرح أن اللفظ شقر الذي جاء مضافاً إلى الإله عم نسبة إلى جبل شقر والمعبد الموجود فيه، ويمدده بالقرب من هجر حنو الزرير في وادي حريب؛ والتي جاءت منها أغلب النقوش التي تذكر الإله عم ذي شقر، وأصبح بعد ذلك لقباً له، إذ انتقلت عبادته إلى أراضي ذي خولان<sup>(101)</sup>.

وَأَنْبِي / ش ي م ن: الواو حرف عطف، وأنباي اسم مذكر لأحد الآلهة في قتبان، وهو معبود ببحان، وشيمن اسم صفة للإله أنباي، لحقه حرف النون الزائدة في آخره للدلالة على التعريف، أي: الإله أنباي الشايم (الحامي أو الراعي)، ويرد اللفظ شيمن في المعجم السبئي كاسم بمعنى "الإله الحامي (لشعب)"<sup>(102)</sup>، وفي المعجم القتباني بمعنى «patron (deity)»<sup>(103)</sup>؛ أي الإله الراعي، وجاءت صيغة (أنبي / شيمن) في النقوش المسندية الموسومة بـ (Q 66/ 9; Q 67/2; Q 68/2; Q 69/1; Q 173/2; Q 244/16-17; Q 246/16-17; Q 487/1-2; Q 489/1; Q 495/2; Q 493/2-3; Q 494/2-3; Q 496/2; Q 497/2; Q 498/2; Q 514/1; Q 11/5; Q 247/2; Q 700/8; Q 771/2; Q 806/1-2; HI 22/2; TT1 1/3; TC 1001/1; TC 1015/1; MQ-HK 11/5-6; VL 2/1-2; YMN 11/4).

وَذت / ظ ه ر ن: الواو حرف عطف، ذت اسم موصول للمفردة المؤنث، يفيد النسبة واسم مكان، وظهرن هي إحدى آلهة قتبان الكبرى<sup>(104)</sup>، أما دلالة اللفظ اللغوية، فجاء في لسان العرب "الظَاهِرُ من أساء الله، هو الذي ظهر فوق كل شيء وعلا عليه، والظَّهيرةُ: هو اسم منتصف النهار، سُمِّي به من ظَهيرة الشمس، وهو شدة حرها"<sup>(105)</sup>، وقد يكون معناها الإلهة الظاهرة أو ذات الظهر (من الشمس وحرارتها منتصف النهار)، ويرد الاسم ذت ظهرن في صيغ الأدعية في النقوش المسندية، مثل: (HZ-M 2/7; RES 3552/7; RES 4328/8; Q 806/5; MQ-HK 11/6; VL 32/6; YMN 11/4).

وَب / أ خ ي ل: الواو حرف عطف، وب / أخيل: الباء حرف جر، وأخيل اسم جمع مجرور على وزن (أفعل)، والمفرد منها خيل، ترد في المعجم السبئي بمعنى "حول، قوة"<sup>(106)</sup>، وفي المعجم القتباني بمعنى «resources, aid»<sup>(107)</sup>؛ أي: موارد، عون، وعليه فإن صيغة وب / أخيل، بمعنى: وبقوة.

التعليق:

تُعد مقولة ردمان وخولان، في ظل أقيالها من بني معاهر وذو خولان أنموذجاً من التحالف القبلي في اليمن القديم، ويضم قبيلتي ردمان وخولان، التي كونت شعباً أو قبيلة واحدة، وهو ما يتضح في النقوش، ومنها النقش (YMN 13= al-Mi'sāl 18/1)<sup>(108)</sup>، في صيغة العبارة (وشعبهمو / ردمن / وخولن)، أي: وشعبهم (أو قبيلتهم) ردمان وخولان، وأما أراضي هذه القبيلة فتشمل كلا من: أراضي قبيلة ردمان، التي لا يزال الاسم يطلق على جزء منها، في المناطق المحيطة بمدينة رداع

ويجر ورعنن، وأما أراضي قبيلة خولان التي تعرف اليوم باسم الحد، في الطرف الشمالي من يافع العليا في محافظة لحج، التي تقع إلى الجنوب من قتبان، شمالها أرض ردمان، وإلى الشمال الغربي منها تقع مدينة ظفار، وتضم عدداً من القرى والمواقع، ومنها (خربة العادية، قرية صناع آل زين، وبني بكر، وكساد، ومستوطنة هدو (هديم قطنان حالياً)<sup>(109)</sup> (ينظر الخريطة 3)، ولذلك فإن موقعها يتوسط كل من سبأ وحيمر وحضرموت بعد سيطرتها على قتبان، وهو ما جعلها ساحة صراع بين جميع ممالك اليمن القديم<sup>(110)</sup>، وهو ما ناقشه كثير من العلماء<sup>(111)</sup> مستعرضين بداية ظهورها في كيان واحد ودورها على مسرح الأحداث؛ اعتماداً على النقوش المسندية التي درسوها.

ونجد أن النقوش التي سطرها أقبال هذه المقولة من بني معاهر وذو خولان رفدتنا بأخبارهم وإنجازاتهم ونشاطهم الاقتصادي، وأسماء مدنهم ووديانهم، وعقائدهم، وما إلى ذلك من معلومات يضيق المجال للتحديث عنها، وما تطرقه الدراسة في هذه الجزئية، من خلال أربعة وعشرين نقشاً مسندياً منشوراً، تم حصرها - ومنها النقش موضوع الدراسة - هو حصر (أسماء الأقبال المذكورة في هذه النقوش، ومصادرها، ولغتها، والفترة الزمنية التي كتبت فيها)، وإيضاحها في معلومات مجدولة مقرونة بالرموز الموسومة لهذه النقوش (أنظر الجدول المرفق)، الذي منه يتضح أن الفترة الزمنية لأقبال مقولة ردمان وخولان من بني معاهر وذو خولان - وهي الفترة التي نشطت فيها كتاباتهم - امتدت من القرن الأول وحتى القرن الثالث الميلادي، وانحصرت لهجات هذه النقوش في القتبانية والسبئية، ومن خلال مصادرها الكائنة في (قانية، المعسال، وادي بيحان، الحد، وما حولها)، يتبين أن تمركز أقبال هذه المقولة كان في إطار أراضيهم في ردمان وذو خولان.

وأما ما أمكن حصره من عدد الأقبال الذين تولوا حكم هذه المقولة، هو ثلاثة عشر قبلاً من آل معاهر وذو خولان، وما يُستقرأ من هذه النصوص النقشية، هو أن حكم هذه القبيلة كان نظاماً وراثياً، ينحصر في عائلة بعينها، وينتقل من الأب إلى الأبناء، وربما كان يحكم هذه المقولة عدة أقبال يصل إلى أربعة أقبال؛ حسب ما ورد من أسماء الأقبال في النقش (MAFRAY-dī-Hadīd 2/1-2)، أو ثلاثة أقبال أيضاً كما جاء في النقوش (MAFRAY-Mahliq 1 A+B= YMN 5; YMN 6/6-7, MAFRAY-al-Mi'sāl 9=Ja 2861/1-3, MAFRAY-al-Mi'sāl 7= Ja 2862/1-3)، وكما نجد اشتراك شخصين اثنين في زعامة هذه القبيلة، وهم: (وترم يرتع وأخوه مخطران أسأر، ووهب إيل عمدان ومعه هوف عم يزل، ووترم يرتع ومعه لحي عت برين)، ونجد في أغلب هذه النقوش اسماً لشخص واحد يحمل منصب القَيْل من بني معاهر وذو خولان، وهو ما يطرح ربما انفراده في حكم هذه المقولة، ومن الأقبال الذين ذكرتهم النقوش بصفة القَيْل الواحد، هم:

(بن دوس يكهـل، مـخـطـران أسـار، مـعد كـرب أسـار، و تـرم يـرتـع، و هـب إـيل يـجـز، لـحـي عـثـت يـرـخـم، نـاصـر يـهـمـد، لـحـي عـت أوـكن، حـظـين أوـكن)؛ و هـذا رـبـمـا أـيـضـاً يـطـرح نـظـام التـدرـج فـي الحـكـم مـن الجـمـع إـلى الفـرد الوـاحـد.

أهمية النقش:

يتحدث صاحب النقش (المسمى) بن دوس يكهـل المعاهري الخولاني قـيـل قبـيـلة ردمان وخولان، عن الأعمال والإنجازات المعمارية السكنية والمائية والفلاحية التي قام بها، التي تتمثل في الآتي:

- ترميم البيوت والقصر هران (القصر الرئيس لأقبال بني معاهر وخولان)؛ واقتصرت الترميمات التي في القصر على دعامة البناء والمظلة التي في مقدمته
- حفر بئر، ليستفيد منه ساكنة مدينة هـدو قديماً، وربما أيضاً للاستعمال في الطقوس التعبدية (الطهارة)؛ لأن موقع هذه البئر كان وسط المدينة، وأيضاً قبالة معبد المدينة المخصص للإله أنباي، ولذلك فإن هذا البئر كان ذا أهمية بالغة لساكنة المدينة ومرتادي المعبد
- إنجاز ظيئة (منشأة تستوعب مياه الأمطار والينابيع) في مدينة تـبـري، وأيضاً تـسـيـح مـزـرعة أعناب.

- تشييد بـنـيـان قـصـره الخـاص (المسمى) هرمان، الكائن في (مدينة) صنع.
- حفر منشآت سقوية تتمثل في ساقية وبئر أخرى.

وما يتضح في السطر الأخير من النقش، هو أنه يذكر أن هذه الأعمال والمنجزات تمت بعون الآلهة ورعايتها، ومنها (المعبود) عم ذي شقر (المعبود) أنباي الحامي و(المعبودة) ذات ظهران.

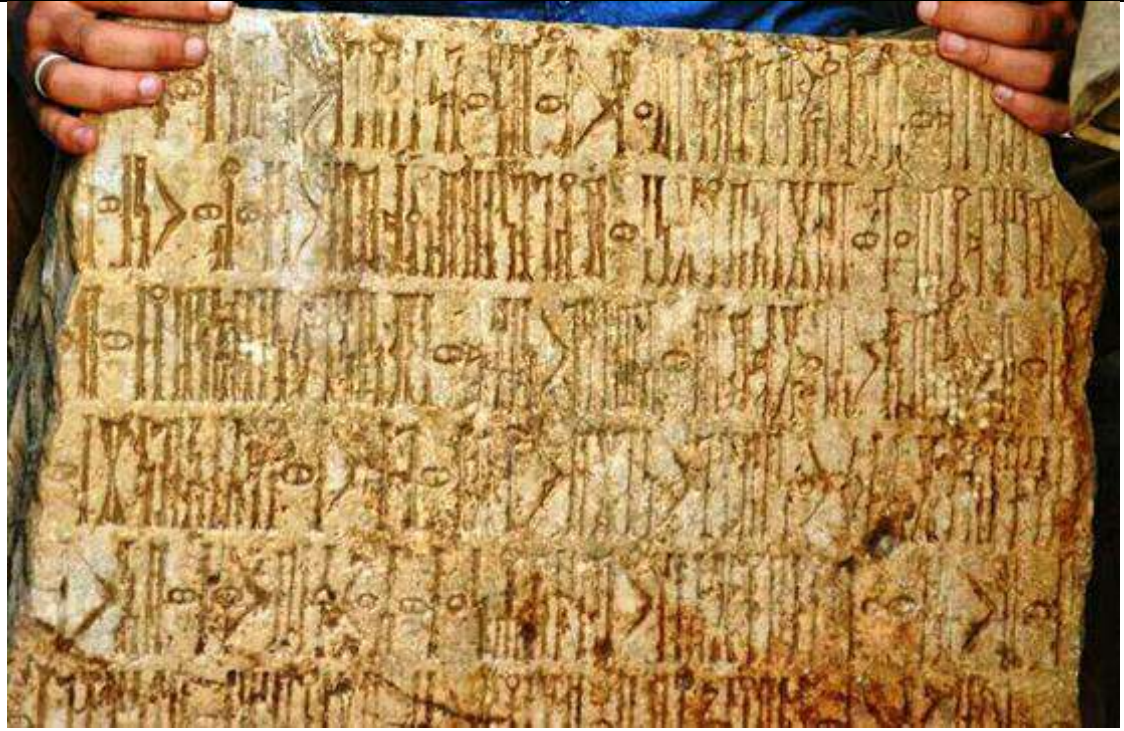
وأما أهم الإضافات في هذا النقش، التي يمكن عرضها في الآتي:

- ورود ذكر بن دوس يكهـل قـيـل مـقـولة ردمان وخولان من بني معاهر وذي خولان
- الحديث عن اسم مدينة يمنية قديمة، وهي مدينة تـبـري القـتـبـانية التي كانت عامرة قديماً، وتقع ضمن مقولة ردمان وخولان.
- يُدلل النقش على وجود معبد وسط مدينة هـدو (هديم قطنان حالياً)، وهو مخصص للإله أنباي.
- انفرد النقش بألفاظ جديدة مثل (ظيئة، أغنت،...).
- الحديث عن اسم قصر، وهو القصر هرمان الخاص بالقبيل بن دوس يكهـل.

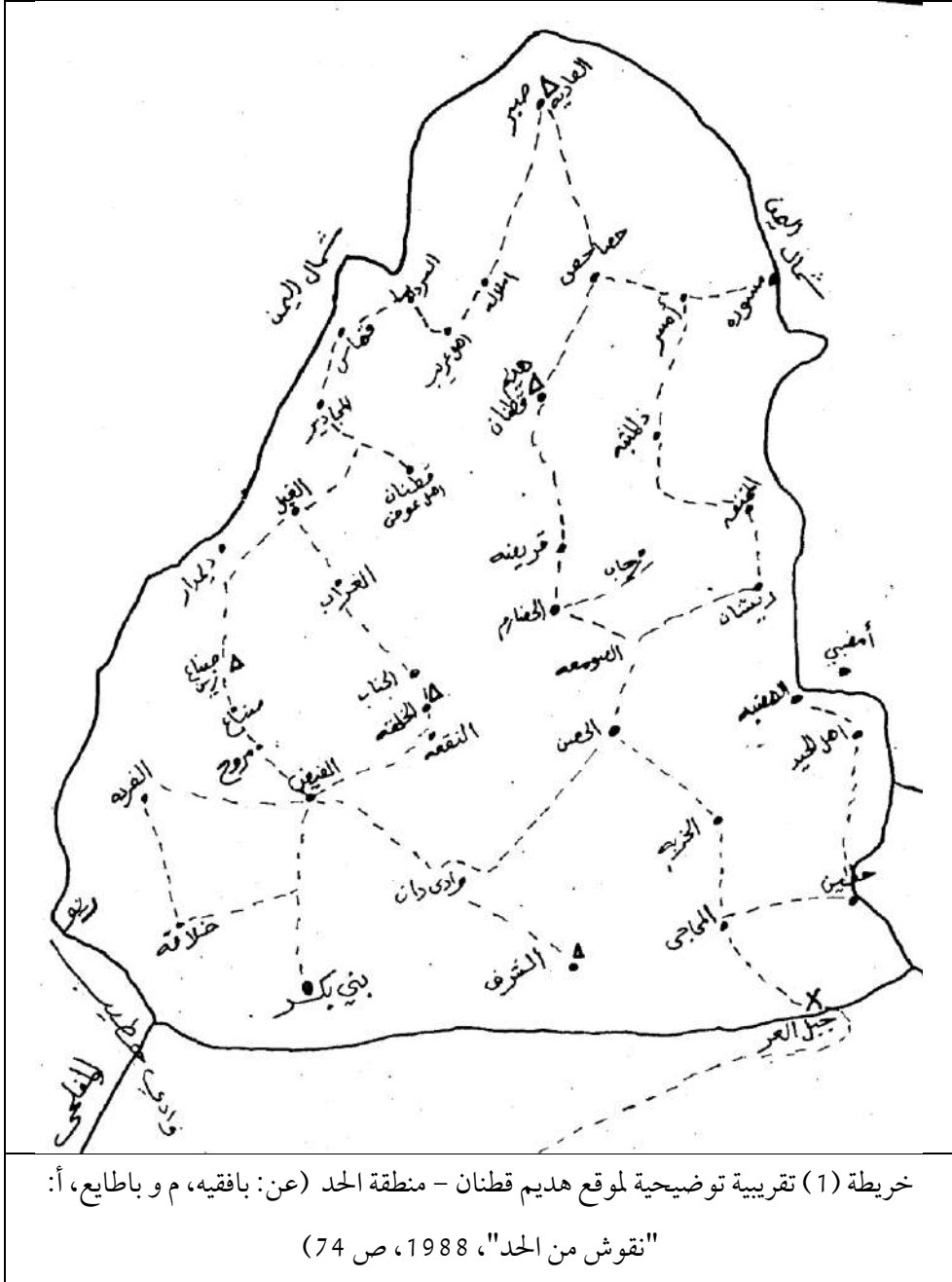
جدول يوضح أسماء أقبال قبيلة ردمان وخولان في ترتيب تنازلي من الأقدم إلى الأحدث، مرفقاً بالرموز الموسومة للنقوش التي ذكرتهم، ومصادرها، واللغة التي دونت بها، والفترة الزمنية				
لغة النقش	المرحلة الزمنية	مصدر النقش	الرمز الموسوم للنقش	أقبال قبيلة ردمان وخولان من بني معاهر وذوي خولان
قتبانية	حوالي القرن الأول ق.م - الأول م	الحد	البارد - الحد 1	... بن دوس يكهل بن معاهر وذوي خولان قَيْل ردمان وخولان
قتبانية	74 - 85 م	الحد	BaBa al-Hadd 2	مخطران أسار بن معاهر وذوي خولان قَيْل ردمان وخولان
سبئية	74 - 85 م	قانية	MAFRAY-dī- Hadīd 1	مخطران أسار ذي بدع إيل بن معاهر وذوي خولان بن معد كرب يهمجد قَيْل ردمان وخولان
	القرن الأول م	قانية	YMN 14	وترم يرتع بن معاهر وذوي خولان بن معد كرب يهمجد ومخطران أسار قبلي ردمان وخولان
	القرن الأول م (في عهد كرب إيل ملك سبأ وذوي ريدان)	قانية	MAFRAY-dī- Hadīd 2	وترم يرتع بن معاهر وذوي خولان بن معد كرب يهمجد ومخطران أسار قبلي ردمان وخولان. وهب إيل عمدان وهوف عم يزل قبلي ردمان وخولان.
	القرن الأول م	المعسال	MAFRAY-al- Mi 'sāl 7 = Ja 2862	سيد أرسل بن معاهر وذوي خولان بن وهب إيل عمدان ووترم يرتع ولحي عت برين أقبال ردمان وخولان
	القرن الأول م	المعسال	MAFRAY-al- Mi 'sāl 9 = Ja 2861	معد كرب أسار بن وهب إيل عمدان ووترم يرتع ولحي عت برين أقبال ردمان وخولان (وجميعهم من) بني معاهر وذوي خولان
	القرن الأول م	غير معروف	CIH 658	معد كرب أسار بن معاهر وذوي خولان قَيْل ردمان وخولان



100 - 120 م (في عهد عمدان يهقبض ملك سبأ وذي ريدان)	قانية	MAFRA-Maḥliq 1 A+B=YMN 5; YMN 6	الأبيال هوف عم ووترم ولحي عت وأولادهم بني معاهر وذي خولان
100 - 120 م (في عهد عمدان بين يهقبض ملك سبأ وذي ريدان)	المعسال	MAFRAY-al- Maktūba 1	وترم يرتع ولحي عت برين بني معاهر وذي خولان قبيل ردمان وخولان
100 - 120 م (في عهد عمدان يهقبض ملك سبأ وذي ريدان)	الطفه	Wādī Ḥarīr 1	وترم يرتع بن معاهر وذي خولان قبيل ردمان وخولان
مؤرخ 72 بالتقويم الردماني = 142 م	وادي سارغ	MAFRAY-Sāri' 6	وهب إيل يمز بن معاهر قبيل ردمان وخولان
القرن 2 م	قانية	YMN 7	لحي عنت یرخم بن وهب إيل
القرن 2 م	المعسال	al-Ma'sāl 11	يمز بن معاهر وذي خولان
القرن 2 م	المعسال	al-Ma'sāl 9; al- Mi'sāl 1	قبيل ردمان وخولان
القرن 2 م	المعسال	YMN 3	
القرن 2 م	المعسال	YMN 4	
مؤرخ 140 بالتقويم الردماني = 210 م	الطفه	حاج-الطفة 1	ناصر يهمحمد بن معاهر وذي خولان قبيل ردمان وخولان
مؤرخ 144 بالتقويم الردماني = 214 م (في عهد إيل عزيلط ملك حضر موت بن عم ذخر)	قانية	YMN 10	
مؤرخ 144 بالتقويم الردماني = 214 م	وادي بيحان	RES 3958	
مؤرخ عام 144 بالتقويم الردماني = 214 م (في عهد إيل عزيلط ملك حضر موت بن عم ذخر)		YMN 9= al- Mi'sāl 16	
مؤرخ عام 148 بالتقويم الردماني = 218 م (في عهد إيل عزيلط ملك حضر موت بن عم ذخر)	المعسال	MAFRAY-al- Mi'sāl 4	
التقش <sup>(112)</sup> مؤرخ عام 179 بالتقويم الردماني = 363 بالتقويم الحميري = 248 م (في عهد كرب إيل أيفع ملك سبأ)	المعسال	MAFRAY-al- Mi'sāl 2	لحي عت أوكن بن معاهر وذي خولان قبيل ردمان وخولان
مؤرخ عام 198 بالتقويم الردماني = 268 م (في عهد ياسر يهنعم ملك سبأ)	المعسال	MAFRAY-al- Mi'sāl 5	حظين أوكن بن معاهر وذي خولان قبيل ردمان وخولان

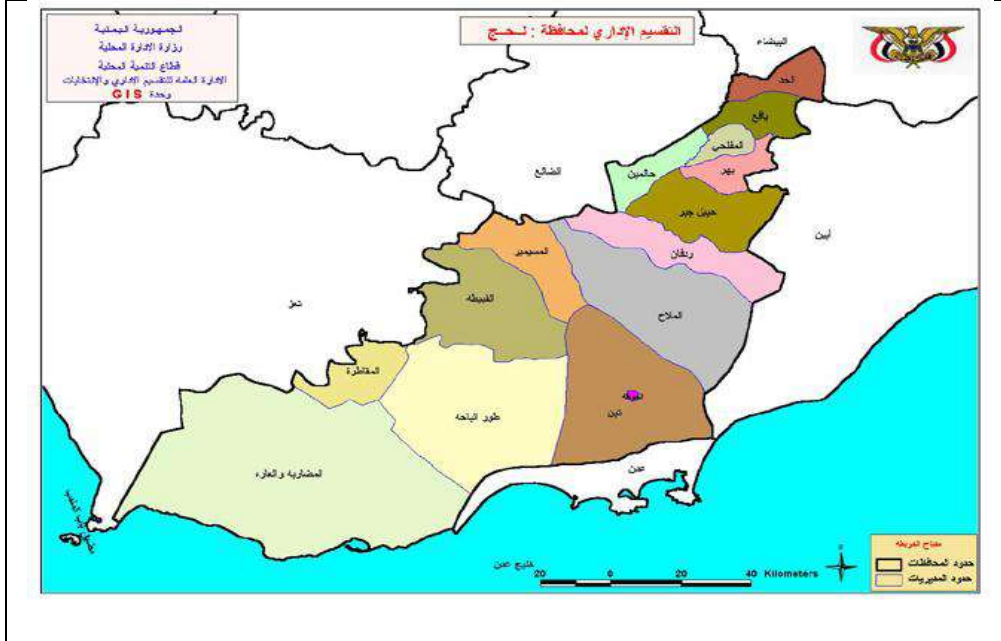


اللوحة (1): البارد - الحد 1

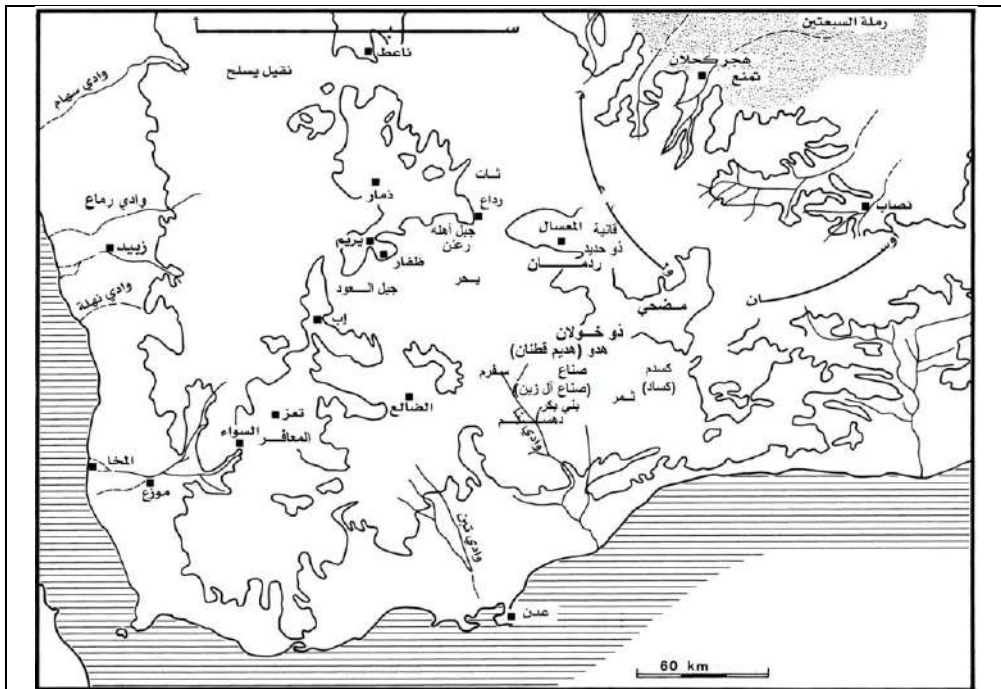


خريطة (1) تقريبية توضيحية لموقع هديم قطنان - منطقة الحد (عن: بافقيه، م و باطابع، أ:

"نقوش من الحد"، 1988، ص 74)



خريطة (2) لتوضيح موقع مديرية الحد (محافظة لحج) (عن: المركز الوطني للمعلومات،  
<http://www.yemen-nic.info>)



خريطة (3) تبين مقولة ردمان و حولان (عن: محمد بافقيه، معالجة: الحسن، جمال، 2012)

قائمة الرموز والمختصرات:

د.ت	بدون تاريخ.
سم	سنتيمتر.
س3	حرف السين الثالثة (*) في الخط اليمني القديم (المسند).
ص	صفحة.
ع	عدد.
ق.م	قبل الميلاد.
كم	كيلومتر
م	ميلادي.
م	متر.
[.....]	كلمات مفقودة غير معروف عدد حروفها.
...	طمس أو عدم وضوح الحروف في النقش.
؟	مشكوك فيها.
[]	تكملة افتراضية في النقش.
~	معنيين متعارضين.
في الرموز الموسومة للنقوش ما بعد الخط المائل (/) هو رقم السطر الذي جاءت فيه العبارة أو اللفظ المعني بالدراسة.	

حاج, al- 'Ādī	مجموعة نقوش نشرها محمد الحاج
AL – JAWF	مجموعة القطع الأثرية من مواقع الجوف في المتحف الوطني بصنعاء
AM = NAM	مجموعة نقوش المتحف الوطني في عدن National Aden Museum =
ATM	مجموعة نقوش متحف عتق = ¥Ataq Museum
Av	مجموعة نقوش نشرتها أفانزيني = Avanzini, Inscriptions
az-Zubayrī-Bishār	نقوش نشرها منير عربش من الحذاء (ذمار)



Ba Ba	مجموعة نقوش نشرها بافقيه - باطابع = Bafaqih – Baʿayī
BM	مجموعة نقوش المتحف البريطاني، لندن = The British Museum, London
BynM	مجموعة نقوش متحف بينون = Baynun, Museum
CIAS	Corpus des Inscription et Antiquites Sud- Arabes = كياس: مدونة النقوش الجنوبية العربية القديمة
CIH	Corpus Inscriptionum Smiticarum ab Academia Inscriptionum et Litterarum Humaniorum conditum atque digestum, Inscriptiones Âimyriticis et Sabaeas continens.
DAI Jabal al- ʿAwd	نقوش جبل العود، المعهد الألماني للآثار
Doe	مجموعة نقوش بريان = Inscriptions Collected by B. Doe = دو
F B – ʿAawkam	Qatabanian Inscriptions edited by Bron, 2009
Gar	مجموعة النقوش التي نشرها جاربيني
Ghul- YU	مجموعة النقوش التي نشرها محمود الغول
GL	مجموعة نقوش نشرها إدوارد جلازر = Inscriptions from Glaser Collection =
HI	Inscriptions of the first expedition at Hujar bin ʿAumayd.
Haram	مجموعة النقوش التي عثر عليها في مدينة هرم في الجوف
HZ-M 2	نقوش نشرها مرقطن من حنو الزرير (وادي حريب)
Ir	مجموعة نقوش نشرها مطهر الإرياني = Iryani
Ja	مجموعة نقوش نشرها إلبرت جام = Jamme
K R	Hadramitic Inscriptions from Khor Rori
Lahj	نقوش نشرها كريستيان روبان من لحج
M	مدونة النقوش المعينية
MAFRAY = MAFYS	Mission archeologique francaise au Republique Arabe du Yemen = مجموعة نقوش نشرتها البعثة الفرنسية =
MaMB	مجموعة نقوش معبد أوام (محرم بلقيس) = Mahram Bilgis
MQ – HK	Inscriptions of Hajar Kālan Mission Qataban
P	صفحة = page
Q	Corpus Of South Arabian Inscription I-III Qatabanic, Marginal Qatabanic, Awsanite Inscriptions.
RES	ربرتوار: مدونة النقوش السامية، نشرت بواسطة الأكاديمية الفرنسية للنقوش والفنون = Répertoire d' Epigraphie Sémitique =

Robin	مجموعة نقوش نشرها كريستيان روبان Inscriptions published by Robin, Ch =
TC	Inscriptions of the Timna Cemetery
TT1	Inscriptions of the Timna Temple 1
VL	Inscriptions of the Van Lessen Collection
YMN	مجموعة نقوش يوسف محمد عبد الله = مدونة النقوش اليمنية القديمة
ZI	مجموعة نقوش نشرها زيد عنان

### الهوامش والإحالات:

- 1) الرمز الذي وسمه الباحث للنقش المدروس، ويضم: اسم الباحث - اسم المديرية التي منها مصدر النقش، متبوعاً برقم تسلسلي.
- 2) لم يتضح اسم صاحب النقش بسبب الكسر في النقش.
- 3) ألفرد بيستون، قواعد النقوش العربية الجنوبية "كتابات المسند"، ترجمة رفعت هزيم، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، أريد، الأردن، 1990، ص 53.
- 4) جمال الدين محمد بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د.ت، (مادة دوس).
- 5) جمال الدين بن منظور، د.ت، (مادة كهل).
- 6) ألفرد بيستون وجاك ريكمانز ومحمود الغول والتر مولر، المعجم السبئي (إنجليزي - فرنسي - عربي)، منشورات جامعة صنعاء، دار نشر يات بيترز لوفان الجديدة، مكتبة لبنان، بيروت، 1982، ص 77.
- 7) جمال الدين بن منظور، د.ت، (مادة عهر).
- 8) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 14.
- 9) Stephen Ricks, Lexicon of Inscriptional Qatabanian, Roma, 1989, p 117.
- 10) جمال الدين بن منظور، د.ت، (مادة خول).
- 11) يوسف محمد عبد الله، "مدونة النقوش اليمنية القديمة"، مجلة دراسات يمنية، ع 3، مركز الدراسات والبحوث اليمنية، صنعاء، 1979، ص 54.
- 12) يوسف محمد عبد الله، "مدونة النقوش اليمنية القديمة"، مجلة الإكليل، ع 2، إصدار وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء، 1988، ص 150.
- 13) جمال الدين بن منظور، د.ت، (مادة قيل).
- 14) إبراهيم الصلوي، "القول"، الموسوعة اليمنية، المجلد 3، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، 2003، ص 2429 - 2430.
- 15) جمال الدين بن منظور، د.ت، (مادة ردم).

- 16) محمد بافقيه، توحيد اليمن القديم، الصراع بين سبأ وحمير وحضرموت من القرن الأول إلى القرن الثالث الميلادي، إصدار المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية، صنعاء، 2007، ص 155.
- 17) محمد الحاج، "نقش سبئي جديد من مديرية الطفلة محافظة البيضاء مؤرخ بعهد إل عزيلط بن عم ذخر ملك حضرموت (حاج - الطفلة 1)"، مجلة السياحة والآثار، دار جامعة الملك سعود، ع 2، 2016، ص 104.
- 18) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (حدث).
- 19) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 65.
- 20) Joan Biella , Dictionary of old South Arabic, Sabaeen Dialect, Harvard Semitic Studies, 25, 1982, p 167.
- 21) Stephen Ricks, 1989, P. 61.
- 22) فهمي الأغبري، معجم الألفاظ المعيارية في نقوش المسند، إصدارات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية، 2010، ص 49.
- 23) ألفرد بيستون، 1990، ص 101.
- 24) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (علا).
- 25) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 16.
- 26) ألفرد بيستون، 1990، ص 118.
- 27) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (بيت).
- 28) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 25؛ 34 Stephen Ricks, 1989, P.
- 29) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (ظلل).
- 30) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 77.
- 31) Joan Biella , 1982, p 225 – 226.
- 32) يوسف محمد عبد الله، ع 3، 1979، ص 40.
- 33) فهمي الأغبري، 2010، ص 128.
- 34) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (قدم).
- 35) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 104.
- 36) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (ظأر).
- 37) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 173.
- 38) Joan Biella , 1982, p 224.
- 39) فهمي الأغبري، 2010، ص 129 – 130.
- 40) محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الستار فراج، سلسلة التراث 16، إصدار وزارة الإعلام بالكويت، 1965، (مادة برأ).
- 41) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 30؛ 54 Joan Biella , 1982, p 33 ؛ Stephen Ricks, 1989, P.
- 42) جمال الدين بن منظور، دت، مادة (بأر).
- 43) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 25.
- 44) Stephen Ricks, 1989, P. 22.



- 45) مطهر الإيراني، المعجم اليمني (أ) في اللغة والتراث حول مفردات خاصة من اللهجات اليمنية، ط 1، المطبعة العلمية، دمشق، 1996، ص 605.
- 46) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (وسط).
- 47) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 163.
- 48) Joan Biella , 1982, p 132.
- 49) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 56.
- 50) فهمي الأغبري، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير في الآثار القديمة، كلية الآداب، بغداد، غير منشورة، 1994، ص 11.
- 51) يوسف محمد عبد الله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1990، ص 338-341.
- 52) أحمد باطايح، "أهمية موقع هديم قطنان (هدو) في الحد من خلال المعطيات الأثرية والنقشية"، مجلة جامعة عدن للعلوم الاجتماعية والإنسانية، ع 5، 2002، ص 266-265.
- 53) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (وسط).
- 54) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 127، 139.
- 55) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (خلف).
- 56) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 60.
- 57) Stephen Ricks, 1989, P. 153.
- 58) جمال الحسيني، الإله عم وآله قتيان (700 ق.م - 170 م)، رسالة مقدمة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، كلية الآداب، جامعة طنطا، غير منشوره، 2012، ص 28.
- 59) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 110-111.
- 60) Stephen Ricks, 1989, P. 143.
- 61) فهمي الأغبري، 2010، ص 165.
- 62) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (ظيا).
- 63) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 173.
- 64) Joan Biella , 1982, p 225.
- 65) أحمد هوزلي، "ضاية"، معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1989، المجلد 17، ص 5652.
- 66) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (فرع).
- 67) محمد مرتضى الزبيدي، 1965، مادة (برأ).
- 68) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (بري).
- 69) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 32.
- 70) Biella, Joan , 1982, p 57.
- 71) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (جدر).

- 72) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (وين).  
73) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 166.
- 74) Joan Biella , 1982, P. 127.  
75) Stephen Ricks, 1989, P. 51.
- 76) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (غنن).  
77) يأتي اللفظ علو اسم في السطر الثاني بمعنى: أَعْلَى أو جزء علوي.  
78) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 15.
- 79) Stephen Ricks, 1989, P. 118.  
80) Stephen Ricks, 1989, P. 119.
- 81) فهمي الأغبري، 2010، ص 148.  
82) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (فرع).  
83) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 143.
- 84) Ibrahim Al-Selwi , Jemenitische Wörter in den Werken von al-Hamdani und NaSwan und ihre parallelen in den semitischen sprachen, Berlin, 1987, p 135.  
85) فهمي الأغبري، 2010، ص 118.  
86) يوسف محمد عبد الله، 1979، ص 50.  
87) مطهر الإيراني، 1996، ص 565 - 566.  
88) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 21.  
89) فهمي الأغبري، 2010، ص 141.  
90) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (روى).  
91) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 120.
- 92) Stephen Ricks, 1989, P. 22.  
93) Arthur Irvine, A Survey of Old South Arabian Lexical materials connected with Irrigation Techniques. Ph.D. Thesis, Oxford, University, 1962,P 382.  
94) فهمي الأغبري، 2010، ص 86.  
95) يوسف محمد عبد الله، 1979، ع 3، ص 32.  
96) جمال الحسيني، 2012، ص 90.  
97) إبراهيم الصلوي، أعلام يمنية قديمة مركبة دراسة: في الدلالة اللغوية والدينية، مجلة الإكليل، ع 2، إصدارات وزارة الأعلام والثقافة، صنعاء، 1989، ص 160.  
98) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (شقر).  
99) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 133.
- 100) Stephen Ricks, 1989, P. 171.  
101) جمال الحسيني، 2012، ص 127.  
102) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 136.
- 103) Stephen Ricks, 1989, P. 166- 167.

- 104) جمال الحسني، 2012، ص 45.
- 105) جمال الدين بن منظور، د.ت، مادة (ظهر).
- 106) ألفرد بيستون وآخرون، 1982، ص 64.
- 107) Stephen Ricks, 1989, P. 72.
- 108) نقش مؤرخ يعود للقرن الثالث م، لمدونه معد كرب يهجد من بني معاهر وذو خولان، في عهد شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان وحضر موت ويمنة.
- 109) جمال الحسني، 2012، ص 112 - 115.
- 110) جمال الحسني، 2012، ص 112 - 115.
- 111) ينظر: Christian Robin and Muḥammad Bāfaḳīh, Deux nouvelles inscriptions de Radmān : chrétienne, *Raydān*, 4, 1981, p 67- 87. datant du IIe siècle de l'ère ع 2 - 3، ص 47 - 75، ص 29 - 64، و فهمي الأغبري، نقش مسندي من منطقة الطفة - وادي حرير، مجلة الإكليل، ع 35، ص 63، ص 96 - 106، و محمد الحاج، 2016، ص 99 - 121.
- 112) في هذا النقش المؤرخ بالتقويمين: الردماي (المسمى) أب علي، والحميري (المسمى) مبحض بن أبحض؛ ومنه يستدل الباحثين أن التقويم الردماي بدأ في العام (69 - 70 م).



## اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة

### في مدارس مدينة ذمار في الجمهورية اليمنية

د. لطف محمد يحيى حريش\*  
عباس صالح مسعد العزب\*\*

الملخص :

هدف البحث: يسعى هذا البحث إلى التحقق من الهدفين الآتيين:  
التعرف على مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار.  
التعرف على دلالة الفروق في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار وفقاً لتغير الجنس (ذكور- إناث).  
عينة البحث: تكونت العينة من (400) طالب وطالبة من طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار، بواقع (220) ذكراً مقابل (180) أنثى.  
أداة البحث: استخدم الباحثان مقياس اضطرابات النوم، وهو من إعدادهما.  
الوسائل الإحصائية: استخدم الباحثان مجموعة من الوسائل الإحصائية، التي تتناسب مع أهداف البحث المشار إليها في الجزء الخاص بإجراءات البحث.

---

\* أستاذ علم النفس الجنائي المساعد، قسم علم النفس، كلية الآداب-جامعة ذمار

\*\* مدرس علم النفس الإكلينيكي، قسم علم النفس، كلية الآداب-جامعة تعز

نتائج البحث: بعد تحليل البيانات إحصائياً باستخدام البرنامج الإحصائي (SPSS) تمّ

التوصل إلى النتائج الآتية:

اتضح أن طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار يعانون من اضطرابات النوم بمستوى متوسط بشكل عام.

وجود فروق إحصائية ذات دلالة معنوية في مستوى اضطرابات النوم بين طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار وفقاً لمتغير الجنس ولصالح الذكور.

المقدمة:

يعد النوم من الموضوعات الهامة المتعلقة بحياة الإنسان وصحته البدنية والنفسية، ورغم ذلك لم يكن النوم حتى عهد قريب موضوعاً للدراسة والاهتمام، إذ أن الناس لا يفكرون في دراسة موضوع النوم وكيفيته وأهميته إلا إذا تعرضوا إلى المشكلة واضطراب في النوم، وكثيراً ما يكون هذا الاضطراب الذي نصادفه حين نأوي إلى الفراش طلباً للنوم هو ما يدفع أي واحد منا إلى البحث عن مصدر للمعلومات يتضمن إجابة عن ما يدور في ذهنه من تساؤلات حول النوم، وعلاقته بالصحة الجسدية والنفسية بعد أن كان النوم مجرد مسألة تلقائية لا تمثل موضوعاً للتفكير والتأمل<sup>(1)</sup>.

وما زالت ظاهرة النوم معقدة ومستعصية على الفهم الكامل، لذلك اهتم العلماء بدراسة الحرمان من النوم بغية إلقاء الضوء على تلك الظاهرة المعقدة، ولا شك أن كلاً منا قد مر بخبرة الحرمان من النوم، ومن الملاحظ أن الإنسان تحت الظروف العادية ينام لمدة 8 ساعات ويستيقظ لمدة 16 ساعة خلال اليوم، ولكن هناك كثيراً من العوامل والظروف التي تحول دون التمتع بهذا القسط من النوم، كالسفر أو العمل في دوريات معينة، أو التعرض للقلق أو الأرق<sup>(2)</sup>.

وتعد اضطرابات النوم مصدر إزعاج خطير يتداخل في أنماط السلوك السوي، ويتعارض مع الأداء المهني أو الاجتماعي للشخص، الأمر الذي يسبب له الأسى النفسي<sup>(3)</sup>.

وفي هذا الإطار، تشير نتائج عديد من الدراسات إلى أن اضطرابات النوم تؤثر سلباً على الجانب النفسي للفرد، إذ أنها -اضطرابات النوم- تؤدي على المدى القصير إلى انخفاض قوة الانتباه وانخفاض النشاط العام ككل، كما أنها تزيد من إمكانية حدوث الارتباك، وتقلل القدرة على الأداء

خاصة أداء المهام التي تتطلب أكثر من (10 - 15) دقيقة من الانتباه، والنقص في دقة وزمن أداء المهام اليومية، وزيادة ومعدل الأخطاء أثناء القيام بأداء تلك المهام<sup>(4)</sup>.

ويفيد التراث السيكولوجي أن عدم القدرة على النوم أو الفشل في المحافظة عليه أمراً قليل الشيوع في الطفولة، فيما ينتشر حصوله لدى المراهقين غالباً بسبب خصائص مرحلتهم العمرية الحرجة، وأهمية مرحلتهم الدراسية لا سيما أفراد مرحلة المراهقة المتأخرة (طلبة الثانوية)<sup>(5)</sup>.

واستناداً إلى ما أشارت إليه الأدبيات والدراسات السابقة في أن اضطرابات النوم يترتب عليها كثير من السلبيات في أداء الفرد وبشكل خاص بالنسبة الطلبة، لذلك يمكن القول إن طلبة الثانوية العامة بحكم كونهم في مرحلة دراسية حساسة، فإن ذلك يتطلب حاجتهم إلى قدر كاف من النوم، وهذه الحاجة مرتبطة بحاجة الطالب إلى الانتباه والذاكرة والصحة الجيدة لغرض تحقيق التعلم المناسب، لا سيما وأن مرحلتهم الدراسية تكاد تكون أصعب المراحل كونها آخر مراحل التعليم ما قبل الجامعي، فضلاً عما تتميز بها مرحلتهم العمرية من خصائص نفسية وعقلية واجتماعية وجسدية.

ومن هنا كان من الأهمية بمكان القيام بدراسة موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في مدارس مدينة ذمار، التي تعد موضوع البحث الحالي.

### مشكلة البحث:

إن تقدم الأمم والشعوب لا يقاس بما توصلت إليه من تقنيات في مجال الصناعة أو البناء فحسب، بل يقاس أيضاً بنوعية الحياة التي يعيشها أفراد ذلك المجتمع، التي تأتي من مصادر متنوعة منها التنشئة الصحيحة، والقدر الكافي من التعلم والثقافة، وطبيعة العلاقات بين أفرادها، وما يوفره المجتمع من حماية واشباع لحاجات الأفراد الأساسية، بحيث يغدو الفرد أكثر مناعة وأفضل قدرة على مواجهة ظروف الحياة، والقدرة على التطور والنمو بشكل سليم<sup>(6)</sup>.

إن تطور المجتمعات في القرون الأخيرة وسرعة وقوع الأحداث الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والنفسية في حياة الإنسان، جعلته يقع تحت وطأة الضغوط النفسية والمهنية والاجتماعية لترفع من احتمالات تعرضه لشتى أنواع الاضطرابات النفسية أو الجسمية التي اتخذت أشكالاً وصوراً مختلفة<sup>(7)</sup>.

فقد أصبحت الاضطرابات النفسية والعقلية شائعة في الوقت الحاضر ولها تبعات خطيرة، إذ تشير الإحصائيات إلى وجود أكثر من (500) مليون شخص يعاني من أحد أنواع الاضطرابات النفسية بمختلف أنواعها<sup>(8)</sup>.

وتعد اضطرابات النوم من أكثر الاضطرابات النفسية التي تزداد معدلاتها باستمرار في الوقت الحاضر مسببة العديد من الآثار السلبية على أداء الفرد وعلى علاقاته بالآخرين، بل وتلحق كثير من الآثار السلبية على الصحة النفسية والجسمية للفرد.

وتختلف حاجة الأشخاص إلى النوم باختلاف العمر، والجنس، ووقت النوم، ومدته، والحالة الجسمية، والحالة الصحية، وغير ذلك من العوامل، إذ لا يمكن القول بأن هناك قدراً مناسباً من النوم لكل البشر، فبينما يجد بعضهم أن أربع ساعات من النوم في الليلة كافية للشعور بالراحة واليقظة، نجد آخرون يحتاجون إلى (12) ساعة من النوم في الليلة الواحدة ليتولد عندهم الشعور ذاته. فالحرمان من النوم له نتائج سلبية على الناحيتين الجسدية والنفسية كالتعب أو الإرهاق، ونقص الانتباه، والتدهور في القدرات الإدراكية، والمعرفية، والحركية، والسلوك النكوصي أو المرتد، والتفكير غير الموجه<sup>(9)</sup>.

وقد بدأت تجارب الحرمان من النوم عام (1986) في جامعة ايوا، ويعد كل من (باترك) و(جيلبرت) من أوائل الذين درسوا الحرمان من النوم، وقد توصلت دراساتهم في هذا المجال إلى أن الآثار الناجمة عن الحرمان من النوم تتفاوت بصورة عامة تبعاً لعوامل عدة: ومنها عمر الفرد، ونمط شخصيته ونمط نومه، ومدى حاجته الطبيعية للنوم، فضلاً عن طبيعة العمل الذي يقوم به وأهميته، الذي قد يكون السبب في حرمانه من النوم. كذلك تختلف ردود فعل الحرمان من النوم بصورة تتناسب مع طول أمده، كما أنها تعتمد إلى حد بعيد على نوعية الحرمان وفيما إذا كان كاملاً أو جزئياً، وإذا كان في الجزء الأول أو الأخير من النوم<sup>(10)</sup>.

وفي هذا الإطار، أشارت عديد من الدراسات إلى وجود علاقة بين مدة النوم وبين معدلات الوفيات، ففي دراسة مسحية قام بها طبيب الأمراض العقلية (دان كراييل) لأكثر من مليون شخص من الراشدين، اتضح أن أقل معدل للوفيات ينتشر بين الأفراد الذين تقع فترة نومهم بين (7 - 8) ساعات كل ليلة، ويرتفع هذا المعدل عندما تزيد أو تنقص ساعات نومهم عن ذلك، فقد ازداد معدل

الوفيات بمعدل أكبر بقدر مرتين ونصف عند من ينامون أقل من (4) ساعات، ويزداد معدله بمقدار مرة ونصف أو مرتين عند من ينامون أكثر من (10 ساعات)<sup>(11)</sup>.

وفي دراسة أخرى أوضحت النتائج أن الحرمان من النوم لدى بعض الأفراد يؤدي إلى ظهور أعراض تناذر ذهاني، واختلال الإحساس بالواقع، وزيادة في حدة الهلوسة، بل قد تصل الهلوسة في حدتها إلى شعور الفرد وكأنها واقع، كما يختل لديه الشعور بالوقت والمكان، يختل لديه الشعور بنفسه كفرد، كما تشيع لديه الأفكار الخاصة بشعور العظمة، التي تكون في النهار أشبه بحالة الهذيان، بينما تكون في الليل أشبه بفصام العظمة<sup>(12)</sup>.

وفي السياق نفسه، أفادت الملاحظات التي سُجلت عن أسرى الحرب الكورية أن الذين تعرضوا منهم لعمليات متواصلة من اليقظة والاستجواب، انهارت مقاومتهم، وفي ملاحظات أخرى سجلت عن مرضى جراحة القلب، أفادت بظهور أعراض من الهذيان والهلوس والأوهام، واضطراب في التوجه، وظهور الأفكار الاضطهادية، فإذا حرم الفرد من النوم لمدة خمسة أيام فإن القلب والجهاز التنفسي يؤديان وظائفهما بتكاسل، وتظهر لديه رعشة خفيفة باليدين، وصعوبة التركيز بالعين، وتهدل الجفون، والحساسية الزائدة للألم<sup>(13)</sup>.

وبالمثل، يؤكد (يورجن تسولي) الخبير في "مركز أبحاث النوم" في مدينة رينجنبرج الألمانية، أن قلة النوم أو الحرمان منه يؤثر سلباً على الذاكرة كما أشارت إلى ذلك التجارب التي أجريت على بعض الأفراد التي أثبتت أن النوم القليل مرتبط بالنسيان السريع، كما يؤثر سلباً في القدرة على تخزين المعلومات واسترجاعها، وانخفاض القدرة على التفكير الإبداعي، وانخفاض أداء الطالب لمهامه بشكل عام<sup>(14)</sup>.

ووفقاً لذلك، يمكن القول إن اضطرابات النوم واحدة من بين أكثر الاضطرابات النفسية التي بدأت تنتشر في العصر الحالي كغيرها من الاضطرابات النفسية التي ازدادت انتشاراً، وارتبط انتشارها بتعدد الحضارة، وكثرة الأعمال وأعباء الحياة وما يترتب عليها من اجهاد وضغوط نفسية متعددة، وتباين هذه الاضطرابات في مدى تأثيرها السلبي على الأفراد، ويمكن أن يكون ذلك أكثر سلبية على الطلبة بشكل خاص<sup>(15)</sup>.



وفي هذا الإطار، تشير الإحصائيات إلى أن الأرق باعتباره أحد اضطرابات النوم يصيب ما بين (10 - 20٪) من المراهقين وقد يكون السبب الاكتئاب أو متلازمة طور النوم المتأخر التي تتجلى الصعوبة فيها في الغرق بالنوم أكثر مما تتركز في اليقظة حالما يكون النوم قد بدأ، فالمرهقون معرضون بصورة خاصة لهذه المتلازمة بسبب التغير الذي يعترى الطالب الاجتماعية، التي تؤدي إلى تأخر أوقات الذهاب إلى الفراش، والتأثير على نمط الإفراز الغدي الصمي المتغيرة التي تميز البلوغ وتؤثر على العلاقات التي تربط بحالة النوم<sup>(16)</sup>.

ومن المعروف أن طلبة الثانوية العامة يقعون ضمن مرحلة المراهقة المتأخرة التي تتسم بعدد من الخصائص النفسية والعقلية والاجتماعية والجسدية، كما أنهم في أصعب مرحلة دراسية كونها آخر مراحل التعليم ما قبل الجامعي، الأمر الذي يعني زيادة حاجة الطالب إلى قدر كاف من النوم. وفي حالة تعرض الطالب لاضطرابات النوم فإن ذلك سيؤثر سلباً على أدائه لمهامه في الحياة بشكل عام، وعلى أدائه الدراسي على وجه الخصوص، فضلاً عن تأثيره على صحته الجسدية والنفسية وعلى شخصيته بشكل عام.

واستناداً إلى ذلك، ارتأى الباحثان القيام بهذا البحث الذي يتناول موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار، والذي يمكن صياغة مشكلته في التساولين الآتين:

هل يعاني طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار من اضطرابات النوم؟  
هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لمتغير الجنس؟

#### أهمية البحث:

يمكن إجمال أهمية البحث الحالي في مجموعة من النقاط على النحو الآتي:  
يعد النوم ذا قيمة حيوية في حياة الإنسان، لأنه يعد صمام الأمان للصحة الجسدية والصحة النفسية في آن معاً، وتزداد قيمة النوم ليس فقط من أجل قيام أجهزة الجسم المختلفة بوظائفها، وإنما لتحقيق التوازن النفسي للفرد أيضاً.

إن البحث الحالي يدرس أحد موضوعات علم النفس السريري والطب النفسي المهمة، وهي اضطرابات النوم التي قد يكون كثيرا منها عرضاً مرضياً لاضطراب نفسي آخر، كأن يكون اضطراب

السير أثناء النوم أحد أعراض اضطرابات ردود الأفعال التحولية (الهستريا التحولية)، وكذلك قد يكون الأرق عرض لواحد من أكثر أعراض الاضطرابات العصابية انتشاراً وهو القلق، الأمر الذي يدل على أهمية موضوع اضطرابات النوم.

ما أكدته نتائج البحوث والدراسات والأطر النظرية، وما تقرره الإحصائيات الرسمية المعتمدة من تزايد اضطرابات النوم لدى الشباب بشكل عام والمراهقين بشكل خاص. أهمية مرحلة الثانوية العامة التي تعد آخر مراحل التعليم قبل الجامعي مما يعني زيادة حاجة الطلبة فيها للنوم، لأن الطالب في هذه المرحلة يتعرض إلى الضغوط الأسرية والمدرسية والعاطفية. ما توصلت إليه عديد من الدراسات من أن كثيراً من اضطرابات النوم عادة ما تبدأ في مرحلة المراهقة المتوسطة (المرحلة الإعدادية) والمتأخرة (مرحلة الثانوية).

ما تؤكدته نتائج عديد من الدراسات حول الأثر السلبي لاضطرابات النوم على مدى قدرة الطالب على التعلم وبالتالي على ما يقدمه من إنتاج (أداء) في التحصيل الدراسي. يعد البحث الحالي أول بحث يتناول موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في المجتمع اليمني، إذ إنه وحسب علم الباحثان لا توجد دراسات سابقة في مجتمعنا اليمني عن هذا الموضوع. عدم وجود مقياس محلي لقياس اضطرابات النوم، وافتقار المكتبة المحلية للدراسات ذات العلاقة، مما يعكس الحاجة لإثراء هذا الموضوع بالبحث، الأمر الذي يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع. ستوفر نتائج البحث الحالي قاعدة للبيانات المتعلقة باضطرابات النوم، كما ستمثل رفقاً معرفياً للمكتبة اليمنية، وتفتح المجال أمام الدارسين والباحثين للقيام بعديد من الأبحاث ذات العلاقة.

#### أهداف البحث:

يسعى البحث الحالي إلى التحقق من الهدفين الآتيين:

التعرف على مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار.

التعرف على الفروق في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لمتغير الجنس.

#### حدود البحث:

الحدود الموضوعية: يتحدد البحث الحالي في دراسة موضوع اضطرابات النوم وبالمقياس المعد.

الحدود البشرية: يقتصر البحث على طلبة الثانوية العامة من الذكور والإناث.

الحدود المكانية: تقتصر على مدارس الثانوية بمدينة ذمار.

الحدود الزمانية: تتمثل في العام الدراسي (2016 - 2017م).

مصطلحات البحث:

اضطراب النوم:

يعرف ريبير وريبير (2008) اضطرابات النوم بأنها: مصطلح عام يشمل أي حالة غير طبيعية تتصف بها دورة النوم واليقظة بسبب عوامل عصبية فسيولوجية أو عوامل نفسية المنشأ<sup>(17)</sup>.

يعرفها فولينك (Fwlink, 2009) بأنها: مجموعة من التناذرات التي تتميز بوجود خلل أو اضطراب في عدد ساعات النوم التي يحتاجها المريض أو نوعية النوم أو خلل في الظروف الفسيولوجية المرتبطة بالنوم أو الناتجة عن الضغوط الانفعالية<sup>(18)</sup>.

التعريف النظري:

يعرف الباحثان اضطرابات النوم نظرياً بأنها: حالة عدم الانتظام التي ترافق النوم من حيث مدته ووقته ونوعه، التي تأتي بدرجات مختلفة، أشدها امتناع النوم بكامله أو الاستفاقة المبكرة وتعذر النوم بعدها، وما يرافقها من سلوكيات وأنشطة تدل على عدم تحقق النوم بالشكل المطلوب.

التعريف الاجرائي:

يعرف الباحثان اضطرابات النوم إجرائياً بأنها: الدرجة الكلية التي يحصل عليها الفرد من خلال استجابته إلى فقرات المقياس المستخدم في البحث الحالي.

الإطار النظري والدراسات السابقة:

أولاً: الإطار النظري:

مفهوم النوم:

يعد النوم أحد أنواع الأنشطة الحيوية الضرورية المرافقة للكائنات الحية التي توجد بوجود الكائن الحي وتنتهي بموته، فالنباتات والحيوانات بمختلف أنواعها، وكذلك الإنسان يمر بفترة دورية من اليقظة والنوم. وقد سميت هذه الدورة الزمنية بالسرقادية، وأصلها باللاتينية (circa dies) وتعني النوم. وطول هذه الدورة (24) ساعة. ولأهمية هذه الظاهرة في حياة الكائن

الحي بشكل عام و حياة الإنسان بشكل خاص حظيت باهتمام عدد كبير جداً من علماء وباحثين وفلاسفة وأطباء وعلماء الأثنروبولوجيا وعلماء النفس والاجتماع، وقد اختلفت تفسيراتهم لهذه الظاهرة باختلاف مذاهبهم واختصاصاتهم منذ أن وجد الإنسان على سطح الأرض وحتى الوقت الحاضر، ولا زال حتى هذه اللحظة باب البحث مفتوحاً على مصراعيه للوصول إلى المزيد من المعلومات التي من شأنها سبر أغوار هذه الظاهرة.

ووفقاً لذلك فقد وُجد عديد من التعريفات للنوم، إذ يعرف علماء الفسيولوجيا النوم بأنه "حالة دورية مؤقتة من انعدام الفاعلية وتوقف التفاعل الحسي الحركي مع المؤثرات الخارجية، ويكون النوم مصحوباً بفقدان الوعي المؤقت، وحدوث بطء في عملية الأيض والتنفس، إضافة إلى حدوث انخفاض في بعض عمليات الجسم الحيوية مثل: درجة الحرارة، وضغط الدم، ونبض القلب، وتختلف مدة النوم من شخص إلى آخر وفقاً لعدد من المتغيرات"<sup>(19)</sup>.

ويعرف الشربيني (2000) النوم بأنه "حالة متكررة من انعدام الفعالية أو السبات، تقترن بفقدان الوعي المؤقت، وانخفاض مستوى الشعور بالمؤثرات المحيطة، وهو حالة استقرار وسكون"<sup>(20)</sup>.

كما يعرفه الحفني (2003) بأنه "غشية ثقيلة تهجم على البدن فتبطل عمل الحواس"<sup>(21)</sup>. ويعرفه الدسوقي (2006) بأنه "حالة طبيعية متكررة، يتوقف فيها الكائن الحي عن اليقظة وتصبح حواسه معزولة نسبياً عما يحيط به من أحداث"<sup>(22)</sup>.

ويعرفه بطرس (2008) بأنه "حالة من الهدوء تشمل الجهاز العصبي والعضلات وضربات القلب يقل معدلها بحوالي (5-10) نبضات أقل من المعدل المعتاد (60-70) في الدقيقة وتصبح أكثر انتظاماً في مراحل النوم العميق"<sup>(23)</sup>.

كما يعرفه عبد الله (2007) بأنه "وظيفة حيوية تحدث لدى الكائن الحي كحل للقضاء على الإرهاق والتعب"<sup>(24)</sup>.

أنواع اضطرابات النوم:

هناك عدد من التصنيفات لاضطرابات النوم، ولكن أهمها يتمثل في تصنيف الجمعية الأمريكية (DSM-IV) الذي يصنف اضطرابات النوم في أربعة أقسام وفقاً لأسبابها وكما يأتي:

اضطرابات النوم الأولية: وهي لا تنشأ عن اضطراب عقلي أو سبب طبي ولا عن مادة (كيميائية) معينة، ولا يحتمل أنها ناشئة عن اختلال داخلي المنشأ في آليات توليد أو توقيت النوم - اليقظة (الساعة البيولوجية)، والتي غالباً ما تتعقد بفعل العوامل الاشرطية، وتنقسم هذه الاضطرابات إلى:

أ. شلل النوم: ويكون فيها مقدار النوم أو نوعيته أو توقيته غير طبيعي.

ب. الاضطرابات المرافقة للنوم: وتظهر فيها أحداث سلوكية أو فسلجية غير طبيعية يكون حدوثها مصاحباً للنوم أو لمرحلة معينة منه، أو التحولات بين نوبات النوم - اليقظة.

اضطرابات النوم المرتبطة باضطراب عقلي آخر: وهذا النوع من الاضطرابات ناجمة عن اضطراب المزاج أو اضطرابات القلق.

اضطرابات النوم الناجمة عن ظرف طبي.

اضطرابات النوم الناجمة عن المواد مثل تناول أدوية معينة تسبب اضطراب النوم أو تظهر في أحيان معينة بسبب الانقطاع عن تناول أدوية اعتاد الفرد على تناولها.

وهناك تصنيف آخر لاضطرابات النوم إذ يصنف تلك الاضطرابات إلى صنفين، ويندرج تحت كل صنف مجموعة من الإضرابات، وفيما يأتي عرضاً لذلك:

أولاً: الاضطرابات الأساسية في عملية النوم - اليقظة

الأرق: وهو امتناع النوم الكافي على الراغب في النوم في مواعيده المألوفة أو الحفاظ على النوم، ويأتي بدرجات مختلفة، أشدها امتناع النوم بكامله، غير أنه أكثر ما يأتي على شكل عوق في وقوع النوم (الأرق المبكر) أو الاستفاقة المبكرة وتعذر النوم بعدها (الأرق المتأخر)، وهو أكثر اضطرابات النوم شيوعاً، ويحدث لدى النساء أكثر من الرجال<sup>(25)</sup>.

النوم المفرط: وهو نقيض الأرق وفيه تطول ساعات النوم إلى ما فوق الحد الأعلى الطبيعي، إي إلى حوالي (10) ساعات ونصف أو يزيد فيه زمن النوم إلى ما يتعدى المعدل الطبيعي الذي استقر عليه نوم الفرد عادة. ومن أهم مظاهره: الميل إلى النوم المبكر عن مواعيده المعتادة، وصعوبة الاستفاقة من النوم، والشعور بالتعب، ومن أسبابه الاضطرابات الوجدانية مثل الكآبة، أو الحزن، أو بسبب السمنة، والزيادة المفرطة بالشهية<sup>(26)</sup>.

نوبات النوم: وهي حالة الدخول في النوم بطريقة غير طبيعية وبدون مقدمات، ولهذا تسمى في بعض الأحيان بغفوات النوم المفاجئ، التي يصبح فيها الفرد ليس لديه القدرة على السيطرة على الدخول في حالة النوم، ويمكن أن تحدث أثناء المشي في الشارع أو أثناء قيادة السيارة، أو عندما يتناول وجبة غذائية، ويمكن أن تكون تلك الحالات على شكل فترات متقطعة، فقد لا تتجاوز الغفوة مدة ربع ساعة، ولكنها يمكن أن تتكرر عدة مرات في اليوم الواحد. وعادة ما يبدأ هذا الاضطراب في مرحلة المراهقة، وهي ناتجة عن عدم قدرة الدماغ على تنظيم دائرة النوم - اليقظة بشكل طبيعي<sup>(27)</sup>.

النعاس: ويقصد به الشعور بالنعاس أثناء اليقظة مع الاستعداد للوقوع بسرعة في النوم إذا ما تهيأت له الإمكانيات التي تساعد على النوم. والفرد الذي يعاني من هذا الاضطراب يجد من الصعب عليه البقاء مستيقظاً فهو ينام ويستيقظ ثم يعود للنوم ثانية وهكذا، وتكثر هذه الحالات لدى الأفراد الذين تتسم حياتهم بالفراغ والملل وفقدان الحوافز<sup>(28)</sup>.

ثانياً: اضطرابات النوم التي تصاحبها أعراض سلوكية:

النومشة أو المشي أثناء النوم: وهي أشكال من السلوك الآلي أو الأوتوماتيكي التي تحدث خلال ظروف معقدة، وعادة يكون الفرد غير واع لتلك الظروف أو الفعاليات<sup>(29)</sup>.

وتبدأ الحالة بنهوض الفرد من نومه وقيامه بأعمال تلقائية كنزع ثيابه أو لبسها والمشي والكلام، وحتى الخروج من البيت، والمشي لمسافات طويلة، وتكون عيناه مفتوحتين ويستطيع تفادي العوارض والأخطاء في تجواله، وتنتهي الحالة إما بالاستفاقة التلقائية مع ظهور حالة من الإرباك الفكري، أو يعود الفرد إلى حالة النوم الطبيعي. وعند انتهاء النوم والاستيقاظ لا يتذكر الفرد شيئاً مما حدث له أثناء النوم، ومن أهم أسبابه المشكلات الانفعالية<sup>(30)</sup>.

التكلم أثناء النوم: تحدث هذه الحالة بنسبة أقل من حالات المشي أثناء النوم، وتحدث أيضاً خلال درجات النوم العميق أثناء فترة النوم غير الحاملة في الثلث الأول من النوم، وعادة ما يكون الكلام الذي يتكلم به النائم يفتقد إلى الوضوح والترابط، وهو أشبه ما يكون بالتمتمة غير المفهومة<sup>(31)</sup>.

الرعب أو الفرع الليلي: ويحدث هذا الاضطراب خلال فترة النوم غير الحاملة ويكثر لدى الأطفال، وفيها يستيقظ الطفل من النوم ويبدأ بالصراخ، ويكون في حالة من القلق والخوف، ولا يستجيب إلى تطمينات الأم والأب، ولكنه في الصباح لا يتذكر ما حدث له أثناء النوم، وفي حالات معينة بسبب

الخوف قد يتبول أثناء هذه الحالة. ومن مفارقات الفزع الليلي أو الرعب بأنه يوجد لدى الأطفال إلا أنه يختفي بعد البلوغ، وأغلب حالات الرعب الليلي عند الأطفال قد تكون ناتجة عن تغير كبير في طباع الوالدين، أو قسوة أحدهما وعنفه، ويعرف الاضطراب باسم آخر وهو (رعب الليل) وذلك في حالة حدث الاضطراب ليلاً، أو (رعب النهار) فيما إذا حدث الاضطراب في النهار<sup>(32)</sup>.

أحلام الكوابيس: وتشبه حالة الرعب أثناء النوم فكلاهما تشيران إلى حالة الفزع، إلا أن الفرق بينهما هو أن أحلام الكوابيس تحدث أثناء فترات النوم الحالم بينما رعب الليل يحدث أثناء فترات النوم غير الحالم. وتحدث حالة أحلام الكوابيس بين الرابعة والسادسة صباحاً، وفيها يستيقظ الطفل بشكل كامل ويصرخ ويشعر بالخوف والهلع وعدم الشعور بالأمان مما يجعله يترك فراشه هرباً إلى فراش والديه بحثاً عن الشعور بالأمان<sup>(33)</sup>.

صك الأسنان: يعاني بعض الأفراد أثناء نومهم من نوبات متكررة من حالة صك الأسنان التي تنجم عن الحركة الانقباضية المتوالية لعضلات الفك، والنائم عادة لا يحس بها، ويتابع نومه بدون استيقاظ، وتحدث للذين يعانون من حالات القلق المقترن بالغضب، والأفراد الذين يتناولون المواد الكحولية، وهذه الحالة أكثر حدوثاً في نوم الدرجة الثانية من مراحل النوم ويقدر نسبة انتشارها بما يقارب (5-10%)<sup>(34)</sup>.

شلل النوم: وهي حالة من الشعور بعدم القدرة على تحريك الأطراف إرادياً أو النهوض، وتحدث قبيل الوقوع بالنوم مباشرة، لكن أكثر ما تحدث أثناء النوم الحالم، إذ يستيقظ الفرد من نومه خلال الليل أو عند الاستيقاظ مباشرة<sup>(35)</sup>.

اضطرابات النوم السلوكية الخطيرة: اكتشفت هذه الاضطرابات حديثاً، وجرى تشخيص أول حالة من هذه الاضطرابات عام (1986)، والآلية الحركية في هذه الاضطرابات تعمل على العكس تماماً من اضطراب شلل النوم. فارتخاء العضلات يضمن بقاء الفرد في سريه وعند الحلم حتى النائم معه لا يعلم إنه كان يحلم، أي وكأن آلية ارتخاء العضلات تمنع الفرد في حالة الحلم من القيام بأي حركة سلوكية تصدر من جسمه. ولكن في بعض الحالات لا تعمل آلية ارتخاء العضلات بالصورة المطلوبة ولهذا السبب يقوم الفرد بالحركات الجسدية (الفعل) التي يتطلبها الحلم، فيقوم النائم مثلاً بالركل أو الضرب أو القفز المفاجئ من السرير، أو الحديث والصرخ، مما يسبب بحدوث إصابة خطيرة للنائم

أو لمن يشاركه السرير. وهذه الاضطرابات تصيب الرجال أكثر مما تصيب النساء، ويمكن أن تحدث هذه الاضطرابات بعد الإصابة بجلطات الدماغ، أو إصابات الرأس الشديدة، كما قد تظهر لدى المدمنين عند توقفهم المفاجئ عن تناول الكحول<sup>(36)</sup>.

**حالات الصداع النصفي:** قد تحدث اضطرابات النوم بسبب حالات الصداع النصفي وهي عادة شديدة الألم أثناء النوم، ومعظم هذه النوبات تحدث أثناء فترات النوم الحالم، وهي بسبب آلامها تضطر الفرد إلى الاستيقاظ<sup>(37)</sup>.

**الشخير:** يقع الشخير عادة في مرحلة النوم العميق ويتناقص أو يتوقف في مرحلة النوم الحالم، وينشأ الشخير لأن التوتر العضلي ينخفض بعد أن يستسلم الفرد للنعاس، واللسان والفك الأسفل ينزلقان قليلاً إلى الوراء إذا كان الفرد ينام على ظهره مما يؤدي إلى صعوبة مرور الهواء من تجويف الأنف مما يجعله يتنفس من فمه، ومن ثم دخول الهواء السريع يؤدي إلى تذبذب المجرى الهوائي العلوي (سقف الحلق الرخو) مما يؤدي إلى صدور صوت الشخير، وقد يكون الشخير علامة على اضطراب مرضي آخر وهو اضطراب فقدان التنفس في النوم. ويتضح من العرض السابق أن الشخير يمكن أن يسبب صعوبة في النوم للفرد النائم قرب الذي يصدر الشخير وعادة الزوج أو الزوجة، وأيضاً يمكن أن يكون سبباً لاضطراب النوم لدى الفرد نفسه، إذ في بعض الأحيان صوت الشخير يجعل الفرد نفسه يستيقظ من حالة النوم<sup>(38)</sup>.

**اختناق النوم:** وهو اضطراب شائع، ويمكن أن يكون خطيراً جداً ومهدداً لحياة الفرد، وسبب ذلك أن التنفس يتوقف أو يصبح سطحي جداً أثناء النوم، وتكون وقفة التنفس لمدة (10 - 20) ثانية أو أكثر وهذه الوقفة يمكن أن تحدث (20 - 30) مرة أو أكثر في الساعة الواحدة، وفي هذه الأثناء يستيقظ النائم للتنفس مرة ثانية ليعوض نقص الأوكسجين<sup>(39)</sup>.

#### النظريات المفسرة للنوم:

تناول عدد من المهتمين ظاهرة النوم بالدراسة والتحليل، وقد نتج عن ذلك عدد من النظريات التي تحاول أن تضع تفسيراً للنوم، وقد اعتمدت أغلب هذه النظريات على الأساس الفسيولوجي في تفسير سبب النوم. وتعدد النظريات يعطي مؤشراً على عدم الاتفاق على رأي علمي أو نظرية واحدة ثابتة تفسر النوم. وفيما يأتي يعرض الباحثان أهم تلك النظريات على النحو الآتي:



### نظرية فقر الدم الدماغي:

ترى هذه النظرية أن التغذية الدموية للدماغ فسرت ومنذ زمن بعيد باعتبارها أحد العوامل المؤدية إلى النوم، إذ إن الضغط على الشريان السباتي وفقر الدم الدماغي الناتج عنه يؤدي إلى النوم حسبما اعتقد عدد من الباحثين. ولقد دعمت هذه النظرية تجريبياً عن طريق الدراسات الخاصة بالتخطيط لجريان الدم التي قام بها موسو (Mosso)، إذ وجد هذا العالم زيادة أو توسع في الأطراف وهذا يعني زيادة كمية الدم الموجودة فيها أثناء النوم بينما كان حجم الدم في الدماغ في هبوط مستمر، وقد اعتمد (موسو) على هذا التشخيص ليضع نظريته التي تعزي النوم إلى تناقص كمية الدم الواصلة إلى الدماغ التي سهاها بفقر الدم الدماغي<sup>(40)</sup>.

### النظرية السمية الكيميائية:

تسمى هذه النظرية في مصادر أخرى (نظرية النفايات)، وقد سادت هذه النظرية في بداية القرن العشرين، وتفيد بأن النوم يحدث بسبب وجود نفايات أو استقلاب لمواد كيميائية أثناء فترة اليقظة التي تتجمع تدريجياً وحتى الوصول إلى المستوى الذي يخدر الجسم وخاصة الدماغ، وبأن النوم يستمر إلى ذلك الزمن الذي يسمح بالتخلص من هذه النفايات المتجمعة والمخدرة، وهذا يعني أن قيام الكائن الحي بنشاطه اليومي أثناء فترة اليقظة ينتج عنه عدد من النواتج الايضية التي تطرح في جسم الإنسان ومن هذه المواد حامض اللاكتيك Lactic acid والمستوى العاليي للاستيل كولين في الدم. ومن هنا اقترح العالم بيرون (Pieron) عام (1913) وجود مواد سامة سهاها (هيبتوكيس) تزامن مع حالة الدخول في النوم أو الإغفاء، ولإثبات ذلك قام (بيرون) بحقن سائل نخاعي لقطط أبقيت يقظة لفترة طويلة في سحايا حيوانات يقظة اعتيادياً ولاحظ عليها بدء حالات النعاس التي تسبق النوم، كما تعززت هذه النتائج بنتائج دراسات العالم (ايفي) أيضاً<sup>(41)</sup>.

### نظرية الإعياء:

ويطلق على هذه النظرية اسم (نظرية الأعصاب) التي ترى بأن انكماش أو انقباض محور الأعصاب يؤدي إلى تمزقها ولو جزئياً وهذا ما يؤدي إلى خمولها ومن ثم النوم. لكن بتقدم البحث في هذا المجال والتعرف أكثر على النمط النسيجي لميكانيكية الأعصاب فإن هذه الآراء أصبحت في عداد الأفكار الخيالية غير المنطقية، ومن هنا التفت العالم كليتمان Kleitman لهذا الجانب وقام بتحويل

النظرية مقترحة أن تعب الميكانيكية العضلية - العصبية هو المسئول عن حصول حالة النوم؛ لأنه المحافظ أو القائم بصيانة التردد العضلي (النشاط العضلي)، وقد دعم (كليتمان) هذا الرأي لكونه النمط العام للتخلص من التعب الذي يصيب العضلات بعد الجهد. ووفقاً لذلك فإن هذه النظرية تفترض بأن الخلية العصبية الواحدة تتقلب بين حالتين متواليتين من النشاط والخمول وبأن نشاطها يقيم حالة اليقظة، وخمولها يقيم حالة النوم، إلا أن الفحوص المختبرية أثبتت أن فعالية الخلايا الدماغية تظل قائمة أثناء النوم، وبأنها تكون أكثر اقتراباً من فعاليتها أثناء اليقظة<sup>(42)</sup>.

#### النظريات المتعلقة بمراكز النوم ومراكز اليقظة:

في بداية القرن الماضي كان جراحو الأعصاب يجرون عملياتهم الجراحية بدون تخدير وأثناء وجود المريض في حالة اليقظة، وخلال تلك العمليات لاحظوا أن المريض يستسلم للنوم فجأة في حالات معينة حينما تمس أدوات الجراحة بعض مناطق الدماغ العميقة داخل المخ، وقد دفعتهم هذه الملاحظات إلى افتراض وجود مركز للنوم يسيطر على حالة النوم، وهذا الافتراض ليس مستغرباً فالنوم عملية فسيولوجية ذات شأن في حياة الإنسان ولا تقل أهمية عن الظواهر الفسيولوجية المهمة الأخرى مثل التنفس وضربات القلب والإحساس بالعطش... الخ<sup>(43)</sup>.

إن كل هذه العمليات التي تحدث داخل جسم الإنسان لها مراكز عصبية موجودة في الدماغ تسيطر على نشاطها، مما يعني أن النوم كغيره من العمليات يوجد لديه مركز في الدماغ يوجهه ويشرف عليه، ويكون مسؤولاً عن حدوثة ويتحكم فيه، وما يؤيد هذه النظرية، هو عندما يكون الإنسان نائماً فإن النشاط الكهربائي الذاتي لقشرة المخ يتكون من موجات واسعة بطيئة، في حين نلاحظ في قشرة المخ عند الإنسان اليقظة موجات سريعة واطئة، ولقد أوضح ماكون (Magoun) أنه حتى في حالة الحيوان المخدر فإن تسجيلات الـ (EEG) يمكن أن تتغير من حالة النوم إلى حالة الاستيقاظ لمجرد تحفيز التكوين الشبكي لساق الدماغ.

كما أوضح بريمر (Bremer) قبل هذا أن عزل الدماغ الأمامي من الجزء السفلي يؤدي إلى ظهور النمط الخاص بإيقاع النوم، وعند ربط هذه المنطقة بالمراكز السفلى تكون النتيجة تتابع حالات النوم والاستيقاظ. وبهذا يؤكد (ماكون) على وجود جهاز في ساق الدماغ يؤدي تحفيزه المباشر إلى

حدوث تغير في النشاطات الكهربائية لقشرة الدماغ مشابه لتلك التغيرات الحاصلة في حالة الاستيقاظ<sup>(44)</sup>.

نظرية بافلوف:

إن مناقشة نظريات النوم لا يمكن أن تكتمل دون التطرق إلى نظرية (بافلوف)، التي تعد من النظريات المهمة، إذ عمل هذا العالم في مجال ردود الأفعال الشرطية على الكلاب وحقق نجاحاً في جعل الإفراز اللعابي يتم ليس فقط عن طريق تقديم الطعام بل عن طريق الإشارات الضوئية أو الصوتية، وقد وصلت كلاب التجربة إلى حالة خاصة وهي عدم قدرتها على التمييز بين ردود الفعل المفيدة وغير المفيدة وهذا ما أسماه (بافلوف) بالتثبيط الداخلي، فالكلب إذا ما شوش بعملية التثبيط الداخلي فإنه يلجأ إلى احتمالين فقط: فإما أن يغط في نوم عميق أو يكون في حالة مشابهة للاضطراب العصبي الحاد، الأمر الذي أدى إلى الاعتقاد بأن النوم هو حالة دخول قشرة الدماغ إلى ما يشبه حالة التثبيط الداخلي بعد أن أصبحت عرضة لتأثير ثابت ومستمر من قبل عدد من الإشارات الحسية<sup>(45)</sup>.

ومن الجدير بالذكر أن هذه النتيجة التي توصل إليها (بافلوف) بشأن النوم كانت مدعاة لاعتراضه على النتائج الخاصة بنظرية مركز النوم، إذ إن يعترض على افتراض (السويسري (Economo) والنمساوي (Hess) وينكر وجود مركز للنوم. فمن خلال التجربة وجد أن حالة النوم المرضي الطويل الأمد التي تعترى المصابين بالتهاب الدماغ لا تعود إلى وجود مراكز للنوم وإنما يعود سببها إلى تلك الأضرار الحادثة في منطقة الدماغ القريبة من قاعدته مما يؤدي إلى أعاقه أو صد أو حجب إيصال أو نقل الرسائل العصبية الآتية من جميع أرجاء الجسم إلى الدماغ وخاصة لحائه. إن هذه الرسائل العصبية أو الإشارات أو التنبيهات البيئية لها أهمية كبيرة في استمرار حالة اليقظة وفي ابتدائها، وعندما ينقطع إيصالها لا يمكن استمرار حالة اليقظة فيحدث النوم نتيجة لعدم تنبيه اللحاء، وليس نتيجة لوجود مركز النوم وتنبيهه أو تخريبه. ففي إحدى التجارب قطع أحد طلبة (بافلوف) الأعصاب التي تصل المخ بأعضاء الشم والسمع والبصر عند أحد الكلاب فوجد أن الكلب استغرق في النوم، وفسر (بافلوف) هذا النوم على أنه حدث نتيجة لقلة وصول الرسائل العصبية والإشارات والتنبيهات من العالم الخارجي للكلب إلى مخه، حيث لم يحدث في هذه التجربة أي إثارة وتخريب لمركز النوم

المزعوم ومع ذلك حدث النوم، مما يعني أن حدوث النوم في هذه الحالة يكون ناتجاً عن حجب إيصال الرسائل العصبية الآتية من جميع أجزاء الجسم أو نقلها<sup>(46)</sup>.

ثانياً: دراسات سابقة

دراسة رينولدز وزملاؤه (1986): عن الاضطرابات السيكاترية لدى ذوي اضطرابات اختناق النوم على عينة بلغت (25) فرداً، وتراوحت أعمارهم ما بين (26- 74) عاماً، وتم تطبيق مقياس التقدير الذاتي، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن (40٪) من ذوي الاضطرابات الوجدانية ومدمني الكحول ومن يعانون الاكتئاب تكون اضطراباتهم عرضاً أو مهمة لعرض اختناق النوم<sup>(47)</sup>.  
دراسة روبين وزملاؤه (1988): حول الاكتئاب وعلاقته باضطرابات النوم على عينة من كبار السن تبلغ (196) فرداً تراوحت أعمارهم ما بين (62- 90) عاماً، واستعمل الباحثون مقياساً من إعدادهم، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن الاستيقاظ المبكر من النوم مرتبط بالمزاج الاكتئابي، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مشكلات النوم الأخرى<sup>(48)</sup>.

دراسة إبراهيم والنيال (1993): حول مشكلات النوم وعلاقتها ببعض الاضطرابات الانفعالية لدى طالبات جامعة قطر، على عينة من (220) طالبة، واستعمل الباحثان مقياس الاضطرابات الانفعالية ومقياس النوم من إعدادهما، وتوصلت الدراسة إلى أن الطالبات اللاتي يعانين اضطرابات النوم يعانين أيضاً من بعض الاضطرابات مثل: الاكتئاب، والهلوسة، والقلق، والوساوس<sup>(49)</sup>.

دراسة غانم (2006): حول العلاقة بين اضطرابات النوم وكل من مشاكل القلق الصريح والاكتئاب، وتكونت عينة الدراسة من (100) من الذكور و(100) من الإناث، واستعمل الباحث مقياس اضطرابات النوم من إعدادهم، ومقياس كل من القلق والاكتئاب. وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة بين اضطرابات النوم وكل من القلق والاكتئاب، وأن عينة الإناث يعانين من الاكتئاب والقلق واضطرابات النوم أكثر من عينة الذكور<sup>(50)</sup>.

دراسة كاظم (2014): حول قياس اضطرابات النوم لدى طلبة المرحلة الإعدادية، بهدف معرفة انتشار اضطرابات النوم لدى طلبة المرحلة الإعدادية في محافظة بابل، ومعرفة فيما إذا كانت توجد فروق ذات دلالة إحصائية في نسبة انتشار اضطرابات النوم وفقاً لمتغير الجنس (ذكور-إناث)، على عينة بلغت (568) طالبا وطالبة لمرحلة الدراسة الإعدادية، واستعمل الباحث مقياس مكون من

(32) فقرة من إعداده. وقد توصلت الدراسة إلى أن حوالي (2.14%) من الطلبة يعانون اضطرابات النوم، كما اتضح وجود فروق ذات دلالة إحصائية في نسبة انتشار اضطرابات النوم بين الذكور والإناث ولصالح الإناث<sup>(51)</sup>.

الطريقة والإجراءات:

أولاً: منهج البحث:

إن الرؤية تجاه أي مشكلة يعانيتها أي مجتمع تنطلق من واقع المنهج العلمي القائم على الدراسة والتحليل لجميع المتغيرات المرتبطة بالمشكلة من حيث واقعها وأسبابها والعوامل المحددة لها، ولا يجب إطلاق أحكام، أو افتراضات أو تخمينات ذاتية حول المشكلة أو المشكلات التي يواجهها المجتمع دون الاستناد إلى الوقائع العلمية، وبهذا الخصوص يؤكد الباحثون على أهمية منهجية البحث من حيث إن قيمة البحث ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمنهج الذي يتبعه الباحث<sup>(52)</sup>.

وقد استعمل الباحثان المنهج الوصفي لملاءمته لموضوع البحث، فالمنهج الوصفي يهتم بما هو كائن ويقوم باعتباره وتغييره، وهو من أكثر المناهج استعمالاً في الدراسات الإنسانية؛ لكونه يركز على تصنيف المعلومات وتنظيمها والتعبير عنها كما وكيفاً.

ثانياً: مجتمع البحث:

يشير مجتمع البحث إلى المجموعة الكلية من العناصر التي يسعى الباحث إلى أن يعمم عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة<sup>(53)</sup>. وبمعنى آخر فإن مجتمع البحث يقصد به جميع الأفراد أو الأشياء أو العناصر التي لها خصائص واحدة يمكن ملاحظتها، ويسعى الباحث بدراستها إلى الوصول إلى حل للمشكلة المدروسة<sup>(54)</sup>. ويتألف مجتمع البحث الحالي من طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة دمار.

ثالثاً: عينة البحث

تتميز المجتمعات الأصلية بكونها متفاوتة من حيث حجمها ومكان إقامتها وزمانها، الأمر الذي يجعل من الصعوبة تناول المجتمع كاملاً بالبحث والدراسة، وبالتالي يقوم الباحث باختيار عينة

ممثلة للمجتمع الأصلي، وتعني عينة البحث مجموعة جزئية من المجتمع تكون لها خصائص المجتمع نفسها<sup>(55)</sup>.

وقد تكونت عينة البحث من طلبة الثانوية العامة وتبلغ (400) فرداً، بواقع (220) طالباً مقابل (180) طالبة، تم اختيارهم بطريقة عشوائية بسيطة.

رابعاً: أداة البحث:

قام الباحثان ببناء مقياس لاضطرابات النوم بالاعتماد على المصادر الآتية: توجيه أسئلة استطلاعية إلى عينة مكونة من (100) طالباً وطالبة من طلبة الثانوية العامة، ومن خارج العينة الأساسية. الإطار النظري والتراث السيكلوجي والدراسات السابقة المتعلقة بموضوع اضطرابات النوم.

التعريفات النظرية والإجرائية لموضوع اضطرابات النوم المشار إليها سابقاً ضمن تحديد المصطلحات.

المقاييس ذات العلاقة بموضوع اضطرابات النوم.

وبعد اطلاع الباحثان على تلك المصادر، تم التوصل إلى صياغة (21) فقرة لتشكيل الصورة الأولية لمقياس اضطرابات النوم. (ملحق-1)

خامساً: صدق المقياس

يقصد بالصدق مدى قدرة المقياس على قياس السمة التي أعد لقياسها أي أن تقيس الأداة فعلاً ما أعدت لقياسه<sup>(56)</sup>. ولذا يعد الصدق من أهم الشروط التي يجب توافرها في بناء المقاييس والاختبارات النفسية التي ينبغي على الباحث التأكد منها باعتبارها أحد المؤشرات المهمة التي تدل على المصدقية والاختبار الجيد هو الذي يقيس السمة التي يهدف إلى قياسها<sup>(57)</sup>.

ولغرض التعرف على صدق فقرات مقياس اضطرابات النوم قام الباحثان بإجراء نوعين من الصدق هما:

(1) صدق التمييز

يعد صدق التمييز من أهم المؤشرات على صدق بناء المقياس يستعمل مثل هذا النوع من الصدق في التحقق من قدرة المقياس بمجالاته وفقراته على التمييز بين الأفراد الذين حصلوا على أعلى الدرجات والأفراد الذين حصلوا على أقل الدرجات في الصفة المقاسة<sup>(58)</sup>.

وبالتالي تستعمل الدرجة الكلية للاختبار كمحك له، وعلى أساسها يصنف أفراد العينة إلى مجموعتين هما: المجموعة العليا والمجموعة الدنيا ثم يقارن أداء كل من المجموعتين على كل فقرة فإذا فشلت الفقرة في التمييز بين المجموعتين دل ذلك على ضعفها ومن ثم وجب حذف الفقرة أو تعديلها<sup>(59)</sup>.  
ويعد تحليل الفقرات بأسلوب المجموعتين المتطرفتين "العليا والدنيا" أنسب الأساليب التي تستعمل لأغراض التمييز<sup>(60)</sup>. وفي هذا الصدد، يرى كيلي (Kelley, 1969) أن على الباحث ترتيب درجات الأفراد ثم أخذ نسبة (27٪) من الاستمارات التي حصلت على أقل الدرجات وبعد ذلك يتم حساب الفروق بين المجموعتين بواسطة اختبار (T-test) لعينتين متطرفتين<sup>(61)</sup>.

ولأجل التحقق من صدق تمييز فقرات مقياس اضطرابات النوم قام الباحثان بتنظيم فقرات المقياس البالغة (21) فقرة في استبيان، ووضع ثلاثة بدائل للاستجابة هي (نعم - أحياناً - لا)، (ملحق - 2)، وتم تطبيقه على عينة عشوائية من طلبة الثانوية العامة تبلغ (200) طالب وطالبة من خارج العينة الأساسية، وبعد الانتهاء - من التطبيق - قام الباحثان بتحليل استجابات أفراد العينة، ورتبت الدرجات التي حصل عليها المستجيبون في المقياس تنازلياً من الأعلى إلى الأدنى، وأخذت ما نسبته (27٪) من الدرجات العليا، ومثلها (27٪) من الدرجات الدنيا كمجموعتين متطرفتين، بحيث أصبح عدد الاستمارات الخاضعة للتحليل (108) وذلك بواقع (54) استمارة كمجموعة عليا، و(54) استمارة كمجموعة دنيا. ثم استعمل الاختبار التائي لعينتين مستقلتين عند مستوى دلالة (0.05)\* والجدول (1) يوضح ذلك.

جدول رقم (1) يوضح القوى التمييزية لفقرات مقياس اضطرابات النوم

م	الفقرات	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		قيمة (ت) المستخرجة
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
	عندما يتغير موعد نمومي احتاج إلى وقت طويل لكي أنام.	2.24	0.82	1.35	0.52	6.34
	لا أحب النوم خوفاً من الكوابيس التي أحلم بها كل يوم.	1.54	0.79	1.04	0.19	4.49
	لا أستطيع النوم في الأماكن غير المعتادة لنومي.	1.67	0.85	1.13	0.34	4.33
	لا أستيقظ من النوم إلا بواسطة منبه أو بمساعدة أحد أفراد أسرتي.	1.41	0.71	1.02	0.14	3.93
	أشعر بالتعب الشديد أثناء استيقاظي من النوم.	2.08	0.24	2.10	0.26	0.45**
	أشعر أنني بحاجة ماسة للنوم.	1.81	0.85	1.22	0.50	4.42
	نومي خفيف استيقظ منه بسرعة ولأبسط المنبهات.	1.85	0.36	1.11	0.32	7.96

م	الفقرات	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		قيمة (ت) المستخرجة
		المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف	
	حدث أن مشيت في الليل أثناء النوم.	1.81	0.40	1.37	0.49	3.65
	أقوم بحركات عنيفة أثناء النوم.	1.81	0.40	1.44	0.51	2.99
	أعاني من صعوبة كبيرة أثناء الدخول في النوم.	1.93	0.27	1.52	0.51	3.68
	أنا من النوع الذي يميل إلى النوم المبكر قبل مواعيد المعتادة.	1.63	0.49	1.33	0.48	2.23
	تتأبني لحظات أكون فيها في حالة نعاس مستمرة.	2.00	0.31	1.52	0.51	4.91
	أنا من النوع الذي يعاني من صعوبة الاستفاقة من النوم.	2.00	0.44	1.85	0.36	2.12
	لا أستطيع النوم مع شخص آخر في المكان نفسه.	2.34	0.42	2.36	0.41	**0.13
	أعاني من حالة صك الأسنان أثناء النوم.	2.00	0.30	1.81	0.40	2.43
	يحدث عندي صداع شديد أثناء النوم.	1.93	0.27	1.60	0.50	3.05
	أشعر أن نومي مضطرب وغير منتظم.	1.85	0.36	1.59	0.50	2.18
	يصعب عليّ النوم بشكل مستمر لفترة طويلة.	2.00	0.34	1.78	0.42	2.72
	أشعر بالاختناق أثناء النوم مما يجعلني استيقظ وأنا في حالة خوف.	1.67	0.48	1.33	0.48	2.55
	عندما أستيقظ من النوم أشعر وكأن حركتي مشلولة.	2.00	0.23	1.78	0.42	2.72
	أشعر بالإرهاق أثناء استيقاظي من النوم.	2.12	0.31	2.11	0.39	**0.37

\* القيمة التائية الجدولية عند درجة حرية (106) ومستوى دلالة (0.05) = (1.97) تقريباً.

\*\* غير دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن هناك (3) فقرات غير مميزة عند مستوى دلالة (0.05) وتلك الفقرات هي ذات الأرقام (5، 14، 21) إذ كانت قيمها التائية المسحوبة أقل من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.97) عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (106). وهذا يعني ضرورة حذف تلك الفقرات من المقياس.

(2) صدق البناء:

الهدف من هذه الخطوة هو استخراج اتساق الفقرات من خلال معرفة العلاقة الارتباطية بين درجة كل فقرة وبين الدرجة الكلية للمقياس، أي أن كل فقرة تقيس المفهوم نفسه الذي يقيسه المقياس كله<sup>(62)</sup>.



ويشير هذا النوع من الصدق إلى مدى تمثيل المقياس أو الاختبار للظاهرة المقاسة ومدى ارتباط كل فقرة من الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس؛ لأن ذلك يعد مؤشراً على تجانس الفقرات (63). وبذلك تشير انستازي (Anastasi, 1976) إلى أن ارتباط الفقرات بالدرجة الكلية للمقياس تعد مؤشراً على تجانس الفقرات في قياس ما وضعت من أجل قياسه، لذا فإن الفقرة التي ترتبط مع الدرجة الكلية للمقياس ارتباطاً ضعيفاً يجب استبعادها (64). وللتحقق من صدق بناء فقرات مقياس اضطرابات النوم اعتمد الباحثان على عينة صدق التمييز، وتم حساب معامل ارتباط "بيرسون" بين درجة كل فقرة وبين الدرجة الكلية للمقياس عند مستوى دلالة معنوية (0.05)\* والجدول (2) يوضح ذلك.

جدول (2) يوضح معاملات الارتباط بين كل فقرة مع الدرجة الكلية للمقياس

رقم الفقرة	درجة الارتباط	رقم الفقرة	درجة الارتباط
	0.75		0.52
	0.63		0.56
	**0.18		0.72
	0.72		0.49
	0.67		0.57
	0.82		0.65
	0.84		**0.09
	0.81		0.66
	0.59		0.86
	0.73		0.86
	**0.11	...	....

\*القيمة الجدولية لمعامل الارتباط بدرجة حرية (106) عند مستوى دلالة (0.05) = (0.21) تقريباً.

\*\* غير دالة إحصائياً عند مستوى (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن هناك (3) فقرات غير متجانسة عند مستوى دلالة (0.05)

وتلك الفقرات هي ذات الأرقام (5، 14، 21) حيث كانت معاملات ارتباطها بالدرجة الكلية

للمقياس أقل من قيمة (بيرسون) الجدولية البالغة (0.21) عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (106)، وهي نفس الفقرات التي سبق واتضح أنها غير مميزة، وبالتالي تم حذفها، ليستقر المقياس بصورته النهائية بعدد (18) فقرة مميزة ومتجانسة وبثلاث بدائل. (ملحق-3).

#### سادساً: ثبات المقياس

يعد مفهوم الثبات من المفاهيم الجوهرية في القياس، كما يعد من الشروط التي يجب توافرها في المقاييس والاختبارات المستعملة في لقياس ما وضع من أجل قياسه لأنه يزود الباحث بمعلومات أساسية للحكم على نوعية تكتيك الاختبار ومدى صلاحيته ودقته واتساقه<sup>(65)</sup>. ويقصد بالثبات مدى الاستقرار في درجات مجموعة من الأفراد عند تكرار تطبيق الاختبار عليهم بمعنى الحصول على النتائج نفسها تقريباً التي حققها المقياس إذا ما أعيد تطبيقه بعد فترة زمنية معينة على العينة نفسها، وباستعمال التعليقات والشروط نفسها<sup>(66)</sup>.

وهذا يعني أن درجات المقياس تكون ثابتة عندما يمتلك القدرة على قياس سمة معينة قياساً متسقاً في الظروف المتباينة أي بمعنى الاتساق في القياس<sup>(67)</sup>. والاتساق يكون على نوعين هما: الاتساق الخارجي الذي يتحقق حينما يستمر المقياس بإعطاء نتائج ثابتة بتكرار تطبيقه عبر الزمن والاتساق الداخلي الذي يتحقق من خلال كون فقرات المقياس تقيس المفهوم نفسه<sup>(68)</sup>.

وقد تم استخراج الثبات في البحث الحالي بطريقة التجزئة النصفية بتطبيق المقياس على عينة الثبات البالغ حجمها (50) طالباً وطالبة، وقد بلغ الثبات بهذه الطريقة (0.88)، إذ إنه يعد ثباتاً جزئياً فقط، إذ تم تصحيحه بوساطة معادلة سبيرمان براون من أجل الحصول على الثبات الكلي الذي بلغ (0.936) وهو معدل ثبات عال جداً.

#### سابعاً: تصحيح المقياس

تضمن المقياس بصورته النهائية (18) فقرة، وثلاثة بدائل للإجابة على كل فقرة هي: (نعم- أحياناً- لا)، كما أعطى كل بديل درجة، حيث يعطى البديل نعم (3) درجات، والبديل أحياناً (2) درجتين، والبديل لا الدرجة (1)، وتبلغ أعلى درجة للمقياس (54) درجة وأقل درجة للمقياس (18) درجة، كما يبلغ الوسط الفرضي للمقياس (36) درجة، وبذلك أصبح المقياس جاهزاً للتطبيق.

### ثامناً: الوسائل الإحصائية

استعمل الباحثان مجموعة من الوسائل الإحصائية التي تحقق أهداف بحثهما وهذه الوسائل هي:  
التكرارات والنسب المئوية. لحساب نسبة اضطرابات النوم.  
المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، لاستخراج متوسط درجات الأفراد في اضطرابات النوم ومدى انحراف تلك الدرجات عن المتوسط الحسابي.  
اختبار (T. Test) لعينة واحدة. لاستخراج مستوى اضطرابات النوم بشكل عام.  
اختبار (T. Test) لعينتين مستقلتين. لاستخراج القوى التمييزية لفقرات مقياس اضطرابات النوم بطريقة المجموعتين المتطرفتين.  
معامل الارتباط بيرسون. لاستخراج صدق البناء علاقة الارتباط بين الفقرة والدرجة الكلية.  
وكذلك لاستخراج الثبات بطريقة التجزئة النصفية.  
معادلة سيرمان براون. لتعديل الثبات المستخرج بطريقة التجزئة النصفية والحصول على ثبات كلي للمقياس.

عرض النتائج ومناقشتها:

### أولاً: عرض النتائج

الهدف الأول: (التعرف على مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار).

من أجل تحقيق هذا الهدف قام الباحثان باستخراج المتوسط الحسابي، والانحراف المعياري، لدرجات أفراد العينة، ومقارنته بالمتوسط النظري للمقياس، ولمعرفة دلالة الفرق بين المتوسطين استعمل الباحثان اختبار (ت) لعينة واحدة عند مستوى دلالة (0.05)\* والجدول (3) يوضح ذلك. جدول (3) يوضح نتائج اختبار (T.test) لعينة واحدة لمعرفة دلالة الفروق بين المتوسط الحسابي لدرجات العينة والمتوسط النظري لمقياس اضطرابات النوم

العينه	العدد	المتوسط الحسابي		الانحراف المعياري	قيمة (ت) المستخرجة
		النظري	المحسوب		
طلبة الثانوية العامة	400	36	53.114	12.18	9.457**

\* قيمة (ت) الجدولية عند درجة حرية (399) ومستوى دلالة (0.05) = (1.96) تقريباً.

\*\* دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (ت) المستخرجة تبلغ (9.457) وهي أكبر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.96) درجة عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (399) درجة، وهذا يعني وجود فروق إحصائية ذات دلالة معنوية بين المتوسط النظري لمقياس إضرابات النوم وبين المتوسط الحسابي لدرجات أفراد العينة، وحيث إن المتوسط الحسابي لدرجات الأفراد أكبر من المتوسط النظري للمقياس، فهذا يعني أن الفروق لصالح متوسط العينة بمعنى أن طلبة الثانوية العامة يعانون من اضطرابات النوم.

ولمعرفة مستوى اضطرابات النوم قام الباحثان بتقسيم درجات أفراد العينة إلى ثلاثة مستويات كما يأتي:  
المستوى المنخفض: ويمثل الطلبة الذين تتراوح درجاتهم بين (18 - 29) درجة.  
المستوى المتوسط: ويمثل الطلبة الذين تتراوح درجاتهم بين (30 - 41) درجة.  
المستوى العالي: ويمثل الطلبة الذين تتراوح درجاتهم بين (42 - 54) درجة، والجدول (4) يوضح ذلك.

جدول (4) يوضح التكرارات والنسب المئوية لدرجات أفراد العينة على مقياس اضطرابات النوم

فئات الدرجات	المستوى	العدد	النسب المئوية
29 - 18	المنخفض	89	22.3%
41 - 30	المتوسط	198	49.5%
54 - 42	العالي	113	28.2%
الإجمالي		400	100%

نلاحظ من الجدول السابق أن أغلبية أفراد العينة يعانون من اضطرابات النوم بمستوى متوسط، إذ يشكلون نسبة (49.5%)، يليهم الذين يعانون من اضطرابات النوم بمستوى عالي بنسبة (28.2%)، وفي الأخير الذين يعانون من اضطرابات النوم بمستوى منخفض بنسبة (22.3%)، وحيث إن الغالبية العظمى من أفراد العينة لديهم مستوى متوسط، فإن هذا يعني أن طلبة الثانوية العامة بمدينة ذمار يعانون من اضطرابات النوم بمستوى متوسط بشكل عام.  
الهدف الثاني: (التعرف على الفروق في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لتغير الجنس).

من أجل تحقيق هذا الهدف قام الباحثان باستخراج المتوسطات الحسابية، والانحرافات المعيارية، لدرجات كل من الذكور والإناث، ثم استخراج الفروق بينهما باستخدام اختبار (T.test) لعينتين مستقلتين عند مستوى دلالة (0.05)\*، والجدول (5) يوضح ذلك. جدول (5) يوضح نتائج اختبار (T.test) لعينتين مستقلتين لمعرفة دلالة الفروق في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لمتغير الجنس.

عينة البحث	الذكور (220)		الإناث (180)		قيمة (ت)	مستوى دلالة
	المتوسط	الانحراف	المتوسط	الانحراف		
طلبة الثانوية العامة	42.03	12.23	40.83	14.37	2.92**	0.004

\* قيمة (ت) الجدولية عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (398) = (1.96) تقريباً.

\*\* دالة عند مستوى دلالة (0.05).

نلاحظ من الجدول السابق أن قيمة (ت) المستخرجة تبلغ (2.92) وهي أكبر من قيمة (ت) الجدولية البالغة (1.96) درجة عند مستوى دلالة (0.05) وبدرجة حرية (398) درجة، وهذا يعني وجود فروق إحصائية ذات دلالة معنوية في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لمتغير الجنس. وبالنظر إلى المتوسطات الحسابية نجد أن المتوسط الحسابي للذكور أكبر من المتوسط الحسابي للإناث مما يعني أن الفروق لصالح الذكور، أي أن الذكور يعانون من اضطرابات النوم بمستوى أكبر من الإناث.

#### ثانياً: مناقشة النتائج

بالنسبة إلى نتيجة الهدف الأول، اتضح أن طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار يعانون من اضطرابات النوم بمستوى متوسط بشكل عام.

وهذه النتيجة قد تشابهت مع نتائج دراسات كل من إبراهيم والنيال (1993)، وغانم (2006)، وكاظم (2014)، التي توصلت جميعها إلى وجود اضطرابات النوم لدى عيناتها.

ويرى الباحثان أن هذه النتيجة منطقية وفقاً لما يشهده عالم اليوم من ثورة علمية، وتكنولوجية انعكست آثارها على المجتمع بأكمله، فأصبح الإنسان يواجه عدد من التحديات، والتغيرات السريعة، والمتلاحقة في جميع مجالات الحياة<sup>(69)</sup>. كارتفاع تكاليف المعيشة، وأزمات السكن، وكثرة المغريات،

والمطلبات المادية، وتعدد الاتجاهات السياسية والفكرية، والتغير في القيم الاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها من الأزمات والتغيرات التي تُلقى بأعبائها النفسية على الفرد، وتشعره بالعجز<sup>(70)</sup>.

ومن المعروف أن طبيعة المجتمع اليمني يتسم بناؤها الديموغرافي بالطابع الشبابي؛ إذ يحوي على أغلبية من الأطفال والشباب، إذ أوضحت الإحصائيات السكانية للعام (2008) أن نسبة الذين تتراوح أعمارهم بين (15 - 24) سنة تصل إلى (22.2٪) من إجمالي سكان الجمهورية اليمنية<sup>(71)</sup>.

ولما كان طلبة الثانوية العامة إحدى الشرائح التي تقع ضمن المرحلة (15 - 24) سنة، فإنهم بذلك يقعون في مرحلة حساسة، وبالتالي يعانون من عدد من المشكلات، والأزمات المتعلقة بطبيعة مرحلتهم العمرية، وطبيعة النظام الدراسي، الأمر الذي يؤدي إلى أن تكون هذه الفئة أرضية خصبة لنشوء المشكلات وانتشارها والاضطرابات النفسية، إذ يواجهون عدداً من الضغوط، والمشكلات، والتغيرات بحكم مرحلتهم العمرية وما تنطوي عليه من خصائص وتغيرات عمرية، ونفسية، واقتصادية، واجتماعية، وسياسية، وتعليمية، وأخلاقية<sup>(72)</sup>.

وهذا يعني أن طلبة الثانوية العامة يواجهون عدداً من المشكلات الانفعالية مثل قلق الامتحان والغضب والخوف والاكتئاب والقلق والحجل والشعور بالوحدة، واضطرابات النوم<sup>(73)</sup>.

وتأسيساً على ما سبق، يرى الباحثان أن طلبة الثانوية العامة في مجتمعنا اليمني يعانون عدداً من الضغوط المتعلقة بطبيعة مرحلتهم الحرجة، إذ تعد هذه المرحلة نقلة نوعية في حياة الطالب، يبدأ فيها بالتخطيط للمستقبل والإعداد للاستقرار المهني والأسري، الأمر الذي يحتمل الطالب العبء الثقيل ويشعره بالضغط الشديد. فضلاً عما يعانيه المجتمع اليمني من أوضاع معيشية صعبة التي يحتوي الطالب بآثارها الجسمية والنفسية، إذ يعيش الطالب حالة صراع وضغط شديدين فهو بين نارين، الأول سعيه ومحاولته لتحقيق ما يرمي إليه، والأخرى عدم قدرته على تحقيق ذلك بسبب البطالة والفقر الشديدين في مجتمعنا، فضلاً عن أن عدداً من الطلبة يأتون من خارج المدن، ولذا يتحملون كثيراً من الأعباء والضغوط لعدم قدرتهم على التوافق والتكيف السريع مع متطلبات المدينة وما فيها من تغيرات وتعقيدات في شتى المجالات، وفي ظل استمرار تعرض الطالب لمثل تلك الضغوط والمشكلات، فإن ذلك قد يؤدي إلى تعرض الطالب لعدد من الاضطرابات بما فيها اضطرابات النوم. بالنسبة إلى نتيجة الهدف الثاني، اتضح وجود فروق إحصائية ذات دلالة معنوية في مستوى اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة بمدارس مدينة ذمار وفقاً لتغير الجنس لصالح الذكور.

وهذه النتيجة قد اختلفت مع نتائج دراستي غانم (2006)، وكاظم (2014)، التي توصلنا إلى وجود فروق في مستوى اضطرابات النوم لصالح الإناث.

ويرى الباحثان أن تلك الفروق قد تعود إلى عدد من الأمور من قبيل: طبيعة الفروق في الخصائص الشخصية بينها، كما أن الأثني أقل احتكاكاً بالمحيط الخارجي مقارنة بالذكر، وبالتالي يتعرض هذا الأخير للعديد من ضغوط الحياة، فضلاً عن طبيعة المجتمع الذي يفرض على الذكر أدواراً تقليدية تتمثل في ضرورة النجاح والحصول على الوظيفة والزواج وتكوين أسرة، فضلاً عن أن دوره يفرض عليه إعطاء اهتماماً كبيراً للمسائل الاجتماعية والسياسية، وهذا يسبب له كثيراً من الضغوط بعكس الفتاة التي يدور كل اهتمامها في المسائل الشخصية كالزواج، وتكوين الأسرة، الأمر الذي يجعلها أقل تعرضاً للضغوط من الذكور<sup>(74)</sup>.

ووفقاً لذلك، يعزو الباحثان الفروق إلى أن المجتمع اليمني مجتمع ذكوري يحمل الذكر المسؤولية في سن مبكرة، فالغالبية العظمى من الطلبة تقع على عاتقهم إعالة أنفسهم أثناء الدراسة، وتوفير مصاريف الدراسة وأحياناً إعالة أسرة بأكملها، فيتحمل الطالب أعباء كثيرة التي فضلاً عما يعانيه من عدم وجود الوقت، والغياب المتكرر لأجل العمل، والفشل في بعض المقررات، وهذا كله لا تعانيه الفتاة بحكم أن هناك من يعولها اقتصادياً، وبالتالي لا يُلقى على عاتق الفتاة الهموم نفسها التي تلقى على عاتق الذكر بحكم دوره الجنسي الذي يحمله الأعباء الكثيرة ويجعله يواجه ضغوطاً نفسية تفوق الإناث.

فضلاً عن، انتشار تعاطي القات في مجتمعنا اليمني بما يسببه من آثار نفسية سلبية على متعاطيه، إذ تشير نتائج الدراسات إلى وجود علاقة بين تعاطي القات وبين عدد من الاضطرابات الجسدية التي من بينها الاضطرابات الهضمية، وفقدان الشهية، وارتفاع درجة الحرارة، وزيادة خفقان القلب وغيرها، كما يؤدي تعاطي القات إلى بروز العديد من المشكلات والاضطرابات النفسية والسلوكية لدى المتعاطي ومن أهمها اضطرابات النوم التي تتصدرها مشكلة الأرق<sup>(75)</sup>.

واستناداً إلى ذلك، يرى الباحثان أن معدلات تعاطي القات في مجتمعنا اليمني تزداد يوماً بعد يوم في صفوف طلبة الثانوية والجامعة، إذ يتم تعاطيه بحجة المساعدة على الاستذكار، وحيث إن تعاطي القات يعد سبباً رئيسياً للإصابة بالأرق وغيره من اضطرابات النوم، ولأن الطلبة الذكور هم أكثر المتعاطين للقات فإنهم -الذكور- يتعرضون لاضطرابات النوم التي يسببها القات أكثر مما تعانيه الطالبات.

### التوصيات والمقترحات:

بناءً على ما تم التوصل إليه من نتائج قام الباحثان بوضع مجموعة من التوصيات والمقترحات كالتالي:

#### أولاً: التوصيات

الإفادة من مقياس اضطرابات النوم الذي تم إعداده في هذا البحث، وتقنيه على عدد من العينات في المجتمع اليمني.

نشر ثقافة الموضوعات المتعلقة باضطرابات النوم في أوساط الطلبة والمعلمين، وبيان الآثار الجسدية والنفسية والمعرفية والاجتماعية التي تحدثها اضطرابات النوم.

تصميم برامج إرشادية وتدريبية تساعد الطلبة في الإلمام بطرق الاسترخاء التدريجي الذي يؤدي إلى التخلص من التوتر والدخول في النوم.

ضرورة اهتمام الوالدين بتعليم أبنائهم سلوكيات وعادات إيجابية بها فيها عادات النوم.

إقامة ندوات وحلقات نقاش لطلبة الثانوية العامة تتمحور حول اكتسابهم للمهارات والعادات السوية المتعلقة بالنوم مثل تجنب الأنشطة المثيرة قبل النوم، وعدم الإكثار من شرب الشاي والقهوة والكولا والسجائر، وتجنب النوم نهاراً، وتحديد مواعيد ثابتة للنوم.

ضرورة قيام وسائل الإعلام المختلفة المقروءة، والمسموعة، والمرئية بتكثيف البرامج التي تساهم في نشر موضوعات الثقافة النفسية، التي من ضمنها موضوع اضطرابات النوم وآثارها السلبية.

#### ثانياً: المقترحات

إجراء بحوث تتناول موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة في العديد من المدن والمحافظات اليمنية الأخرى.

إجراء بحوث تتناول موضوع اضطرابات النوم لدى فئات وعينات أخرى كطلبة الإعدادية، والمعلمين، وأعضاء هيئة التدريس... إلخ.

إجراء بحوث تتناول موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة وعلاقتها بمتغيرات أخرى كالمستوى الاقتصادي، والتعليمي، ومكان الإقامة.

إجراء بحوث مقارنة تتناول موضوع اضطرابات النوم لدى طلبة الثانوية العامة الذين يتعاطون القات وغير المتعاطين للقات.



مقياس اضطرابات النوم بصورته الأولية

م	الفقرة
	عندما يتغير موعد نمومي احتاج إلى وقت طويل لكي أنام.
	لا أحب النوم خوفا من الكوابيس التي أحلم بها كل يوم.
	لا أستطيع النوم في الأماكن غير المعتادة لنومومي.
	لا أستيقظ من النوم إلا بواسطة منبه أو بمساعدة أحد أفراد أسرتي.
	أشعر بالتعب الشديد أثناء استيقاظي من النوم.
	أشعر أنني بحاجة ماسة إلى النوم.
	نومومي خفيف استيقظ منه بسرعة ولأبسط المنبهات.
	حدث أن مشيت في الليل أثناء النوم.
	أقوم بحركات عنيفة أثناء النوم.
	أعاني من صعوبة كبيرة أثناء الدخول في النوم.
	أنا من النوع الذي يميل إلى النوم المبكر قبل مواعيده المعتادة.
	تتناوبني لحظات أكون فيها في حالة نعاس مستمرة.
	أنا من النوع الذي يعاني من صعوبة الاستفاقة من النوم.
	لا أستطيع النوم مع شخص آخر في المكان نفسه.
	أعاني من حالة صك الأسنان أثناء النوم.
	يحدث لي صداع شديد أثناء النوم.
	أشعر أن نمومي مضطرب وغير منتظم.
	يصعب عليّ النوم بشكل مستمر لفترة طويلة.
	أشعر بالاختناق أثناء النوم مما يجعلني استيقظ وأنا في حالة خوف.
	عندما أستيقظ من النوم أشعر وكأن حركتي مشلولة.
	أشعر بالإرهاق أثناء استيقاظي من النوم.

ملحق (2)

مقياس اضطرابات النوم الخاضع للتحليل الإحصائي

عزيزي الطالب.....

عزيزتي الطالبة.....

بعد التحية؛

بين يديك مجموعة من الفقرات حول بعض من جوانب حياتك، والمطلوب منك قراءتها بدقة،  
والإجابة عنها بموضوعية، علماً بأنه ليس هناك إجابة خاطئة وأخرى صحيحة، كما أن إجابتك  
لن يطلع عليها أحد، ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكرين حسن تعاونكم؛

نرجو منك تدوين البيانات الآتية:

الجنس:  ذكر  أنثى

الباحثان

د. لطف حريش

عباس العزب

فقرات المقياس

م	الفقرة	نعم	أحياناً	لا
	عندما يتغير موعد نومي احتاج إلى وقت طويل لكي أنام.			
	لا أحب النوم خوفاً من الكوابيس التي أحلم بها كل يوم.			
	لا أستطيع النوم في الأماكن غير المعتادة لنومي.			
	لا أستفيق من النوم إلا بواسطة منبه أو بمساعدة أحد أفراد أسرتي.			
	أشعر بالتعب الشديد أثناء استيقاظي من النوم.			
	أشعر أنني بحاجة ماسة للنوم.			
	نومي خفيف استفيق منه بسرعة ولأبسط المنبهات.			
	حدث أن مشيت في الليل أثناء النوم.			
	أقوم بحركات عنيفة أثناء النوم.			
	أعاني من صعوبة كبيرة في الدخول في النوم.			
	أنا من النوع الذي يميل للنوم المبكر قبل مواعيده المعتادة.			
	تتتابني لحظات أكون فيها في حالة نعاس مستمرة.			
	أنا من النوع الذي يعاني من صعوبة الاستفاقة من النوم.			
	لا أستطيع النوم مع شخص آخر في نفس المكان.			
	أعاني من حالة صك الأسنان أثناء النوم.			
	يحدث لي صداع شديد أثناء النوم.			
	أشعر أن نومي مضطرب وغير منتظم.			
	يصعب عليّ النوم بشكل مستمر لفترة طويلة.			
	أشعر بالاختناق أثناء النوم مما يجعلني استفيق وأنا في حالة خوف.			
	عندما أستفيق من النوم أشعر وكأن حركتي مشلولة.			
	أشعر بالإرهاق أثناء استيقاظي من النوم.			

ملحق (3)

مقياس اضطرابات النوم بصورته النهائية

عزيزي الطالب.....

عزيزتي الطالبة.....

بعد التحية؛

بين يديك مجموعة من الفقرات حول بعض جوانب حياتك، والمطلوب منك قراءتها بدقة،  
والإجابة عنها بموضوعية، علماً بأنه ليس هناك إجابة خاطئة وأخرى صحيحة، كما أن إجابتك  
لن يطلع عليها أحد، ولن تستخدم إلا لأغراض البحث العلمي فقط.

شاكرين حسن تعاونكم؛

نرجو منك تدوين البيانات الآتية:

الجنس:  ذكر  أنثى

الباحثان

د. لطف حريش

عباس العزب

فقرات المقياس

م	الفقرة	نعم	أحياناً	لا
	عندما يتغير موعد نمومي احتاج إلى وقت طويل لكي أنام.			
	لا أحب النوم خوفاً من الكوابيس التي أحلم بها كل يوم.			
	لا أستطيع النوم في الأماكن غير المعتادة لنومي.			
	لا أستيقظ من النوم إلا بواسطة منبه أو بمساعدة أحد أفراد أسرتي.			
	أشعر أنني بحاجة ماسة للنوم.			
	نومي خفيف استيقظ منه بسرعة ولأبسط المنبهات.			
	حدث أن مشيت في الليل أثناء النوم.			
	أقوم بحركات عنيفة أثناء النوم.			
	أعاني من صعوبة كبيرة في الدخول في النوم.			
	أنا من النوع الذي يميل للنوم المبكر قبل مواعيده المعتادة.			
	تتناوبني لحظات أكون فيها في حالة نعاس مستمرة.			
	أنا من النوع الذي يعاني من صعوبة الاستفاقة من النوم.			
	أعاني من حالة صك الأسنان أثناء النوم.			
	يحدث لي صداع شديد أثناء النوم.			
	أشعر أن نومي مضطرب وغير منتظم.			
	يصعب عليّ النوم بشكل مستمر لفترة طويلة.			
	أشعر بالاختناق أثناء النوم مما يجعلني استيقظ وأنا في حالة خوف.			
	عندما أستيقظ من النوم أشعر وكأن حركتي مشلولة.			

الهوامش والإحالات:

- 1) حافظ بطرس بطرس، المشكلات النفسية وعلاجها، دار المسيرة، عمان، 2008، ص 464.
- 2) عبدالرحمن العيسوي، مشكلات الطفولة والمراهقة (أسسها الفسيولوجية والنفسية)، دار العلوم العربية، بيروت، 1990، ص 169.
- 3) حسين علي فايد، الاضطرابات السلوكية (تشخيصها - أسبابها - علاجها)، جامعة حلوان، مصر، 2003، ص 293.

- 4) Rss, Linford. Anew Short Tex Book of Psychiatry, 1998, p: 61.
- 5) سوسن شاكر مجيد، مشكلات الأطفال النفسية وأساليب المساعدة فيها، دار رسلان، دمشق، 2008، ص 77.
- 6) عمر شاهين، ويحيى الرخاوي، مبادئ الأمراض النفسية، مكتبة النصر الحديثة، القاهرة، 1965، ص 37.
- 7) عباس حسين العكيلي، برنامج علاجي سلوكي لتخفيف الوزن للمصابين بالبدانة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1999، ص 6.
- 8) رشدي علي الجاف، اضطراب الشخصية النرجسية وعلاقته بأساليب المعاملة الودية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، بغداد، 1998، ص 2.
- 9) مجدي محمد الدسوقي، اضطرابات النوم (الأسباب - التشخيص - الوقاية والعلاج)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006، ص 23.
- 10) ألكسندر بوربلي، أسرار النوم، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، سلسلة عالم المعرفة، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990، ص 179.
- 11) المرجع نفسه، ص 59-61.
- 12) Rss, Linford: Ibid, p: 62.
- 13) مجدي محمد الدسوقي، مرجع سابق، ص 25.
- 14) Rss, Linford: Ibid, p: 62.
- 15) علي كمال، النفس انفعالاتها - أمراضها - علاجها، دار واسط للطباعة والنشر، عمان، 1990، ص 122.
- 16) حافظ بطرس بطرس، مرجع سابق، ص 56.
- 17) آرثر أس روبر، وإيملي وريبر، المعجم النفسي الطبي، ترجمة عبد العلي الجسmani وعمار الجسmani، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2008، ص 615.
- 18) (Fwlink, 2009) www.go.microsoft.com
- 19) محمد حسين غانم، دراسات في الشخصية والصحة النفسية، دار غريب، القاهرة، 2006، ص 312.
- 20) زكريا الشرييني، المشكلات النفسية عند الأطفال، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 117.
- 21) عبدالمعزم الحفني، الموسوعة النفسية علم النفس والطب النفسي في حياتنا اليومية، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003، ص 20.
- 22) مجدي محمد الدسوقي، مرجع سابق، ص 16.
- 23) حافظ بطرس بطرس، مرجع سابق، ص 464 - 466.
- 24) محمد قاسم عبدالله، مدخل إلى الصحة النفسية، دار الفكر، عمان، 2007، ص 390.
- 25) علي كمال، مرجع سابق، ص 195 - 196.

- 26) Bannister, S. R. Clinical Neurology. Sixth edition, University Press, Macmillan, New York, 1987, p: 183.
- 27) Ress, Linford: Ibid, p: 60.
- (28) علي كمال، مرجع سابق، ص 198.
- 29) Bannister, S. R: Ibid, p: 185.
- (30) علي كمال، مرجع سابق، ص 199.
- 31) Goldenson, Robert M. Disability and Rehabilitation Handbook. McGraw-Hill Book Company, 1987, p: 613.
- (32) آرثر أس ريبير، وإيملي ريبير، مرجع سابق، ص 616.
- 33) Bannister, S. R: Ibid, p: 185.
- (34) علي كمال، مرجع سابق، ص 201.
- (35) آرثر أس ريبير، وإيملي ريبير، مرجع سابق، ص 616.
- 36) Bannister, S. R: Ibid, p: 183.
- 37) Ress, Linford: Ibid, p: 60.
- 38) Goldenson, Robert: Ibid, p: 613- 614.
- 39) Ress, Linford: Ibid, p: 60.
- (40) ألكسندر بوريلي، مرجع سابق، ص 64- 67.
- (41) كمال، علي: مرجع سابق، ص 77.
- (42) علي كمال، مرجع سابق، ص 76.
- 43) Bannister, S. R: Ibid, p: 183.
- (44) آرثر أس ريبير، وإيملي ريبير، مرجع سابق، ص 616.
- 45) Goldenson, Robert: Ibid, p: 613.
- 46) Ress, Linford: Ibid, p: 60.
- 47) Reynolds, C.F. et al. Depressive psychopathology in male sleep-apneics, journal of clinical psychiatry, 45, 1984, p: 28-290.
- 48) Robin, j. et al. A longitudinal study of depressed and mood and sleep disturbances in elderly adult, journal of gerontology, 43, 1988, p: 45-53.
- 49) إبراهيم علي إبراهيم، ومايسة أحمد النبال، مشكلات النوم وعلاقتها ببعض الاضطرابات الانفعالية لدى طالبات جامعة قطر، مجلة مركز البحوث التربوية بجامعة قطر، العدد4، 1993، ص 77- 106.
- (50) محمد حسين غانم، مرجع سابق، ص 312.
- (51) علي محمود كاظم، قياس اضطرابات النوم لدى طلبة المرحلة الإعدادية، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد 15، جامعة بابل، العراق، 2014، ص 272-305.
- (52) سامي محمد ملحم، القياس والتقويم في التربية وعلم النفس، ط1، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، 2002، ص 246.

- (53) أحمد عودة، وفتحي ملكاوي، أساسيات البحث العلمي في التربية والعلوم الإنسانية، مكتبة المنار للنشر والتوزيع، الزرقاء، 1987، ص 127.
- (54) رجاء محمود أبوعلام، مناهج البحث في العلوم النفسية والتربوية، ط6، دار النشر للجامعات، القاهرة، 2007، ص 127.
- (55) رجاء محمود أبوعلام، مرجع سابق، ص 162.
- (56) سامي عريفج وآخرون، في مناهج البحث العلمي وأساليبه، ط2، دار مجدلاوي للنشر، عمان، 1999، ص 92.
- (57) عبد الهادي السيد عبده، وفاروق السيد عثمان، القياس والاختبارات النفسية، ط1، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 2002، ص 45.
- (58) إخلاص عبدالحفيظ، ومصطفى حسين باهي، طرق البحث العلمي والتحليل الإحصائي، المكتبة الجامعية الحديثة، الإسكندرية، 2000، ص 177.
- (59) عبد الرحمن محمد العيسوي، القياس والتجريب في علم النفس والتربية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1991، ص 50.
- (60) عبد الجليل الزوبعي وآخرون، الاختبارات والمقاييس النفسية، ط1، مطبعة وزارة التعليم والبحث العلمي، الموصل، 1988، ص 79.
- (61) جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيرى كاظم، مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ط2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1978، ص 282-283.
- (62) فؤاد أبو حطب وآخرون، التقويم النفسي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1976، ص 207.
- (63) سعد عبد الرحمن، القياس النفسي بين النظرية والتطبيق، ط3، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998، ص 184.
- (64) محمد عبد السلام أحمد، القياس النفسي والتربوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1981، ص 293.
- (65) سوسن شاكر الجلبي، أساسيات بناء الاختبارات والمقاييس النفسية والتربوية، مؤسسة علاء الدين للطباعة والتوزيع، دمشق، 2005، ص 111.
- (66) جابر عبد الحميد جابر، وأحمد خيرى كاظم، مرجع سابق، ص 286.
- (67) صلاح الدين محمود علام، القياس والتقويم التربوي والنفسي "أساسياته وتطبيقاته وتوجهاته المعاصرة"، ط1، دار الفكر العربي، القاهرة، 2000، ص 131.
- (68) عبده فرحان الحميري، تعاطي القات وعلاقته بالأرق والاعتراب لدى الطلاب الجامعيين اليمنيين، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2000، ص 148.



- 69) عبد الحميد الشاذلي، الصحة النفسية وسيكولوجية الشخصية، ط2، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، 2001، ص87.
- 70) عبد اللطيف محمد خليفة، دراسات في علم النفس الاجتماعي، المجلد(4)، ط1، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص109-110.
- 71) كتاب الإحصاء السنوي الصادر عن وزارة التخطيط والتعاون الدولي، الجهاز المركزي للإحصاء، صنعاء، 2009، ص77.
- 72) علي القائمى، تربية الشباب بين المعرفة والتوجيه، ط1، مكتبة فنراوي، البحرين، 1996، ص18.
- 73) محمد محروس الشناوي، المشكلات الشخصية والحاجات للطلاب الجامعي دراسة على عينة من طلاب كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية، اللقاء السنوي الرابع، السعودية، 1992، ص7.
- 74) خضر زكريا، دراسات في المجتمع العربي المعاصر، ط1، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1999، ص246.
- 75) عباس فاضل السعدي، القات ملاحظات حول تأثيراته الجسمية والنفسية في المجتمع، مجلة دراسات يمنية، العدد (12) يوليو، صنعاء، 1983، ص94.



## الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة

### ”دراسة أثرية معمارية“

د. مبروك محمد يحيى الذماری\*

الملخص:

يعد الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة أحد أهم المعالم الأثرية البارزة، الذي لم ينل حقه من الدراسة، إذ إنه كان يشكل عنصراً رئيساً في النسيج العمراني ومظهراً أساساً من المظاهر الحضارية للمدينة، وانطلاقاً من هذه الأهمية سعى البحث إلى دراسة هذا الحمام من ناحية أثرية معمارية. إذ قدم معلومات جديدة حول منشئ الحمام وتاريخ الإنشاء، ثم اهتم بالوصف المعماري لجميع قاعات الاستحمام ومنطقة الخدمة، بهدف توثيقه قبل أن يتعرض لتعديلات معمارية تفقده قيمته التراثية. وإضافة إلى ذلك بين البحث دور الأحكام والشروط الفقهية الإسلامية في أسلوب بناء الحمام وتوزيع مرافقه، فضلاً عن محاولة مقارنة وحداته المعمارية وتسمياتها مع نظيراتها في الحمامات الإسلامية، في سبيل الوصول إلى السمات المعمارية التي يتميز بها.

المقدمة:

تعد الحمامات<sup>(1)</sup> إحدى المنشآت المدنية الصحية التي يقصدها الناس للاستحمام والعلاج، وهي من المباني المكتملة لمكونات المدينة الإسلامية، إذ قال عنها الفقهاء بأنها من شروط المصر السبعة

\* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد - قسم الآثار والمتاحف - كلية الآداب - جامعة ذمار.

(الوالي، والقاضي، والطبيب، والسوق، والجامع، والنهر، والحمام)<sup>(2)</sup>. وظاهرة تشييد الحمامات انتشرت في العالم الإسلامي لارتباط الصلاة بالطهارة والنظافة، من ثم ارتبطت مواقع الحمامات بمواقع المساجد في كثير من المدن الإسلامية<sup>(3)</sup> وإلى جانب ذلك فإن الحمام يعد منشأة ريعية، واجتماعية أيضاً؛ لارتباطه بالعادات والتقاليد، وله دور اقتصادي لأنه يوفر العمل، والحمامات ليست من ابتكار المسلمين فقد وجدت قبل ذلك في حضارات ما قبل الإسلام، ونظراً إلى أهميتها فقد تم تطويرها بما يتوافق مع طبيعة المناخ في البلدان الإسلامية، وتعاليم الدين الإسلامي<sup>(4)</sup> وخضعت الحمامات لإشراف المحتسب الذي كان يتفقدتها مراراً في اليوم ويأمر أصحابها بإصلاحها وكسبها وغسلها بالماء الطاهر<sup>(5)</sup>، وقد عرف اليمينيون أيضاً الحمامات قبل الإسلام، وإن كانت المعلومات قليلة جداً عنها، أما العصر الإسلامي فلم يخل عدد من المدن اليمينية من وجود حمام، غير أن المدن الباردة والمرتفعة في المنطقة الوسطى وشمال اليمن كانت الأكثر حظاً وحاجة للحمام، ولعل أقدم ما ذكر عنها تاريخياً هو وصف المؤرخ الرازي الصنعاني (ت: 460هـ) وحصره لعدد حمامات مدينة صنعاء عام (381هـ/ 911م) اثنا عشر حماماً<sup>(6)</sup>.

وتعد مدينة ذمار القديمة<sup>(7)</sup> أيضاً إحدى مدن إقليم المرتفعات الغربية الوسطى<sup>(8)</sup>، وتضم حمامين بخارين بحي الجراجيش<sup>(9)</sup>، ما زالوا يستعملان حتى الوقت الراهن، فضلاً عن حمام ثالث بحي القاع (قاع اليهود سابقاً)، لكنه تعرض للتهدم، وأنشئ فوق أساساته مبنى سكني. وأقدم إشارة تاريخية - حسب اطلاع الباحث - عن وجود حمام في مدينة ذمار التي ذكرها المؤرخ عبد الوهاب البريبي (ت: 904هـ) عند ترجمته للهادي بن إبراهيم بن علي المرتضى، بقوله: "توفي هذا الشريف بمدينة ذمار بحمام السعيد سنة اثنين وعشرين وثمانمائة من دخان الحمام"<sup>(10)</sup>، واستطراداً في ترجمة السعيد المذكور يذكر البريبي أيضاً في تاريخه المطول أن حمام السعيد نسبة إلى شهاب الدين أحمد بن محمد السعيد (ت: 840هـ)، الذي وفد إلى مدينة ذمار، فبنى داراً عظيمة جعل فيها حماماً<sup>(11)</sup>.

أهمية الموضوع وسبب اختياره: يعد الحمام البخاري الكبير بمدينة ذمار القديمة أحد أهم المعالم الأثرية البارزة في محافظة ذمار، إذ إنه كان يشكل عنصراً رئيساً في النسيج العمراني ومظهراً أساساً من المظاهر الحضارية للمدينة، إذ لم يسبق دراسته بسبب غموض الفترة التاريخية التي يرجع إليها، ولذا سعى البحث إلى كشف هذا الغموض ودراسة هذا الحمام من ناحية أثرية معمارية.

## أهداف البحث:

- توثيق الحمام البخاري قبل أن يتعرض لتعدلات معيارية تفقده قيمته التراثية.
- معرفة دور الأحكام والشروط الفقهية الإسلامية في أسلوب بناء الحمام وتوزيع مرافقه.
- محاولة مقارنة الوحدات المعمارية للحمام وتسمياتها مع نظيراتها في الحمامات الإسلامية، في سبيل الوصول إلى السمات المعمارية التي يتميز بها.

**منهج البحث:** فرَضْتُ طبيعة البحث استعمال منهجين: الأول المنهج التاريخي، الذي استعمل في إغناء الجانب التاريخي للموضوع، أما المنهج الثاني هو الأثري الذي يعتمد الوصف والتحليل المعماري للمنشئة، ثم عملية مقارنة تخطيط الحمام وعناصره المعمارية بحمامات أخرى داخل اليمن وخارجه. ومن المعروف أن العمل في موضوعات تتعلق بالتراث المعماري لا بد أن تعتمد العمل الميداني وفيه تمت الاستعانة بعدد من الأدوات والوسائل لعل أبرزها أدوات الرفع الهندسي، والكاميرا، وخلال مرحلة الكتابة تمَّت الاستعانة ببعض البرامج الحاسوبية، ومنها برنامج التصميم الهندسي (Autocad)، وبرنامج التقاط الصور الجوية (google earth).

**خطة البحث:** بدئ البحث بمقدمة تاريخية تليها أهمية الموضوع وسبب اختياره وأهدافه، والمنهج المتبع في دراسته، ثم قسم البحث إلى محورين رئيسيين: الأول يتناول عدداً من النقاط هي الموقع والمنشئ وتاريخ الإنشاء والغرض الإنشائي الرئيس للحمام، أما المحور الثاني فيتناول دراسة معمارية وصفية وتحليلية للحمام، وانتهى البحث بالنتائج وهي تمثل خاتمة للموضوع.

**الموقع:** (صورة جوية: 1) يقع الحمام الكبير بالقرب من ساحة ميدان الحكومة، في الطرف الجنوبي من الجهة الشرقية لحي الجراجيش بمدينة ذمار القديمة (خريطة: 1)، ويعرف لدى السكان بالحمام الكبير نظراً إلى مساحته الكبيرة مقارنةً بالحمام الصغير الذي يلتصق به من جهة الشرق<sup>(12)</sup>، (شكل: 1)، وتقع إحداثيات موقع الحمام بين دائرتي عرض (14°33'32" شمالاً) وخطي طول (44°24'5.69" شرقاً، ويحده من الجهة الشمالية شارع ضيق، ومن الجهة الجنوبية أرض زراعية (مقشامة)<sup>(13)</sup>، ومسجد يعرف حالياً باسم عبيلة، ويلاصقه - في جزء منه - من الجهة الغربية أحد المنازل السكنية (لوحة: 1).

كانت المنطقة التي تقع مما يلي الحمامين (الكبير والصغير) من الجهة الجنوبية الشرقية خالية من المنشآت والسكان، ويبدو أن إحكام فقه العمران قد تم مراعاتها أثناء تحديد هذا الموقع، لاسيما تلك المتعلقة بضرر الدخان والرائحة الكريهة الناتجة من حرق المواد المستخدمة في تسخين الحمامين، التي قد تتسبب في أذى الناس<sup>(14)</sup>، ويتضح أن هناك معرفة مسبقة لدى المعمار باتجاه حركة الرياح العامة بمدينة دمار<sup>(15)</sup>. وإضافة إلى ذلك فقد أنشئ الحمام على أرضية منخفضة قليلاً عن سطح الأرض، لكي تتحمل الحرارة والرطوبة، وهذه السمة الغالبة في كثير من حمامات مدينة صنعاء<sup>(16)</sup>.

#### المنشئ - تاريخ الإنشاء - الغرض الإنشائي الرئيسي للحمام

يخلو الحمام من وجود نص تأسيسي يمكن من خلاله معرفة المنشئ وسنة الإنشاء، كما أن المصادر التاريخية - حسب اطلاع الباحث - لم تذكر لنا أي معلومات عن هذا الحمام، وبعد البحث في وثائق الوقفيات المحفوظة بمكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة دمار، التي تعد وثائق تاريخية مهمة، تم العثور على وقفية الحمام، وقد أمكن من خلال هذه الوقفية التعرف على المنشئ وفترة الإنشاء. إذ تذكر أن الحمام الكبير بمدينة دمار أنشأه الوالي<sup>(17)</sup> العثماني بهرام باشا بن مصطفى باشا قره شاهين<sup>(18)</sup> (977-983هـ/1569-1575م)<sup>(19)</sup>، في الفترة الأولى من حكم العثمانيين لليمن<sup>(20)</sup>، وقد حددت وقفية (وثيقة) الحمام المؤرخة بسنة (983هـ/1575م) ترتيب عملية صرف ريع الحمام، أي المال المحصل منه، وكذا إحدى الأراضي الزراعية المملوكة للوالي بهرام. إذ يبدأ الصرف بتعمير الحمام نفسه، ثم يصرف على جامع مدينة ملحظ القريبة من مدينة دمار<sup>(21)</sup>، فيما يحتاج إليه الجامع من فرش وسقاية وشمع للإضاءة، ومن بعد ذلك تصرف مبالغ محددة لناظر الوقف المذكور<sup>(22)</sup>، وإمام الجامع، والخطيب، والمؤذن<sup>(23)</sup>. وعلى الرغم من عدم ذكر المصادر التاريخية لأي تجديدات تمت بالحمام، إلا أنه من الطبيعي أن يتعرض لعمليات الإصلاح والتجديد لضمان استمراره، وقد دون تاريخ إحدى أعمال التجديد على السطح الخارجي لقبة قاعة الاستقبال (الدورقاعة)<sup>(24)</sup> بسنة (1357هـ/1938م).

احتل الحمام مكانة هامة في المجتمع الحضري للمدينة الإسلامية، وذلك من خلال الأدوار التي كان يؤديها (صحياً، واجتماعياً، واقتصادياً)، ولعل الدور الأخير المذكور هو ما جعل السلاطين والأمراء يتسابقون على إنشاء الحمامات ووقفها على المنشآت الدينية، للاستفادة بما تدره من أرباح في الانفاق على هذه المنشآت، مثل إجراء أعمال الإصلاح والتجديد والفرش والإنارة، ودفع رواتب القائمين عليها<sup>(25)</sup>. ومثل ما كان الغرض الرئيس من إنشاء الحمام الكبير بمدينة ذمار وقفه على خدمة الجامع الكبير بمدينة ملحظ القرية من ذمار آنذاك<sup>(26)</sup>، نجد في مدينة صنعاء أيضاً كثيراً ما جاور الحمام المسجد وارتبط به وأوقف عليه، وسمي باسمه مثل حمام الطواشي، وحمام الحميدي، وحمام الأهر، وهناك حمامات لم تقترن عمارتها بعمارة مسجد ما، فقد خدمت مسجداً أو مسجدين ضمن حدود منطقتها مثل حمام شكر يخدم مسجد قبة المهدي ومسجد النهرين، وحمام سبأ للجامع الكبير<sup>(27)</sup>، وكذلك بمدينة تعز أنشئ حمام المظفر<sup>(28)</sup> لخدمة جامع المظفر الذي يجاوره من جهة الغرب<sup>(29)</sup>.

الدراسة الوصفية والتحليلية: أولاً: الوصف المعماري العام (شكل: 1، 2):

اتخذ تصميم الحمام شكلاً طويلاً غير منتظم، ويشاهد ذلك في مخططه الهندسي، إذ يتألف من منطقتين رئيسيتين: الأولى وهي منطقة الاستحمام، وتتكون من ثلاث وحدات هي: المنطقة الباردة (المخلع)، تليها المنطقة المعتدلة (الأوسط)، ثم المنطقة الساخنة (الصدر والخزانة)، أما المنطقة الرئيسة الثانية فهي الخدمية، وهي مشتركة مع الحمام الصغير، وتقع في الجهة الشرقية من موقع الحمام، وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء، هي: الفناء (المضحى)<sup>(30)</sup>، وخزانات الماء، وبأسفلها بيت النار أو المستوقد (الملة)<sup>(31)</sup>.

سار تخطيط الحمام في العصر الإسلامي على النظام المعماري نفسه الذي كان عليه الحمام في العصر الروماني، مع استحداث بعض العناصر المعمارية التي كانت من نتاج الفكر المعماري الإسلامي، وقد روعي في تخطيط الحمام كل القواعد الصحية حتى لا يتعرض المستحم لأي ضرر

صحي<sup>(32)</sup>، وتحدث عن ذلك عديد من الفقهاء، خاصة الأمور التي تتصل اتصالاً مباشراً بالعمارة والبنيان، سواءً من حيث الهيئة والشكل أو الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها الحمام<sup>(33)</sup>.

إن التخطيط العام الذي يتألف منه الحمام الكبير بمدينة دمار لا يختلف في تصميمه العام بمكوناتهم المعمارية العامة عن الحمامات الإسلامية من حيث فكرة التدرج في الحرارة، واشتغالهم على ثلاث مناطق للاستحمام، فضلاً عن قاعة الاستراحة (الاستقبال)، وهذا التخطيط يتماشى مع ما ذكره المناوي (ت: 1053هـ) الذي حدد أن يشتمل الحمام على ثلاثة بيوت غير المسلخ مختلفة الحرارة، بيت أول معتدل، ثم بيت آخر أقوى حرارة من الأول، ثم بيت ثالث حرارته فوق الثاني كثير الحياض والمغاطس<sup>(34)</sup>. وقد اتبعت الحمامات في شرق العالم الإسلامي التخطيط المتعامد الذي ظهر بوضوح في حمام قصير عمرا في الأردن (86-96هـ)، ونرى ذلك أيضاً في الحمامات المصرية، التي اقتصرت بيوت الاستحمام فيها على بيتين فقط، يوصل إليهما من باب المسلخ (قاعة الاستراحة)، وهو لم يؤثر تأثيراً كبيراً في مستوى الأداء إذا ما قورن بالحمام ذي الثلاثة البيوت<sup>(35)</sup>، أما في حمامات المغرب الأقصى؛ ولاسيما خلال الفترة المرينية (7-8هـ / 13-14م)، اشتملت على قاعة رئيسة للاستقبال تؤدي إلى القاعة الباردة ثم القاعة الدافئة ثم القاعة الساخنة<sup>(36)</sup>، واتبعت التخطيط المحوري المتوازي في إنشائها، وكان هذا التخطيط الأكثر انتشاراً منذ الدولة الأموية وحتى نهاية عصر بني نصر في الحمامات الأندلسية أيضاً<sup>(37)</sup>، ومما يلاحظ على تخطيط الحمام الكبير بدمار اتخاذه شكلاً طويلاً غير منتظم، بعكس الحمام الصغير الملاصق له، وغيره من الحمامات باليمن كحمام المظفر بمدينة تعز<sup>(38)</sup>، وحمامات مدينة صنعاء القديمة، كما أن الجهة الشرقية من الدور قاعة في المنطقة الباردة للحمام لا يوجد بها إيوان<sup>(39)</sup>، وذلك لعدم وجود مساحة كافية لإنشائه في هذه الجهة، نظراً إلى وجود الجدار الغربي للحمام الصغير، وهذا يدفعنا إلى القول إن الحمام الكبير قد أنشئ بعد الحمام الصغير، ويؤكد ذلك ما ذكرته وقفيه الحمام الكبير<sup>(40)</sup>، ويمكن تفسير ظهور المخطط الهندسي غير المنتظم في الحمام الكبير بتبني المعمار فكرة ضرورة اشتراك كلا الحمامان بمنطقة خدمية واحدة. ولذا كان لابد من وضع القاعة الساخنة للحمام الكبير بالقرب من بيت النار (المستوقد) وخزانات الماء.

## ثانياً: الوصف من الخارج (الواجهات والسطح)

أُستخدم في بناء جدران الواجهات الخارجية للحمام قطع مصقولة من أحجار البازلت المعروفة محلياً (الحبش)، التي تتميز بصلابتها ومقاومتها للحرارة والرطوبة الناتجة من الحمام. الواجهة الشمالية (لوحة:1): وتعد الواجهة الرئيسة للحمام، و تتألف من جدار يبلغ أقصى ارتفاع له نحو (4.5م)، يضم مدخلاً معقوداً يبلغ عرض فتحته نحو (80سم)، وارتفاعها (1.80م)، كما فتحت نافذة مربعة الشكل، طول ضلعها (60سم) تقع مما يلي المدخل من جهة الغرب. الواجهة الجنوبية (لوحة:2): تطل على أرض زراعية (مقشامة)، وهي واجهة متعرجة، إذ تتألف من عدد من الجدران الخارجية للحمام والمنطقة الخدمية التابعة له، و يبلغ أقصى ارتفاع للواجهة حوالي (4م)، وهي تضم أربع فتحات تقع في جدار القاعة الداخلية الثانية للمنطقة الباردة (المخلع)، إذ يبلغ اتساع كل منها نحو (64سم)، وارتفاعها (1م)، كما فتحت نافذة صغيرة أيضاً في جدار الدهليز<sup>(41)</sup> الموصل بين المنطقة الباردة المذكورة والمنطقة المعتدلة (الأوسط)، يبلغ اتساعها نحو (40سم)، وارتفاعها (50سم).

الواجهة الشرقية: تطل على الشارع الرئيس الإسفلتي، وهي حالياً عبارة عن سور حديث يبلغ ارتفاعه نحو (2.5م)، فتح فيه مدخل يؤدي إلى المنطقة الخدمية، ويلاصق السور باتجاه الشارع عدد من المحلات التجارية الحديثة.

الواجهة الغربية (لوحة:1): تمثل جداراً خارجياً للمنطقة الباردة في الحمام، وهي خالية من الفتحات، كما يلتصق بجزء منها أحد المنازل السكنية المجاورة.

### السطح الخارجي للحمام: (شكل:2، لوحة:3)

يغطي قاعات الحمام أربعة أنواع من التسقيف، هي: القبة<sup>(42)</sup>، والقبو<sup>(43)</sup>، والجمالون<sup>(44)</sup>، والسقف المسطح، وجميعها تم كساؤها بطبقة من القضاض<sup>(45)</sup> للحفاظ على حرارة الحمام من الداخل، وكون هذه المادة مقاومة للرطوبة وتمنع تسرب المياه. ويغطي القاعة الأولى (الدورقاعة) بمنطقة الاستقبال في الحمام قبة، قطاع عقدها ذو مركزين، وهي تتركز على منطقة مثمثة تمثل رقبة القبة، وبأسفلها قاعدة مربعة، بينما يغطي القاعتين الداخليتين الأولى والثانية قبو نصف أسطواني، ويغطي المنطقة المعتدلة (الأوسط) قبة نصف كروية، أما المنطقة الساخنة فيغطي كلاً من قاعتي الصدر



(المغطس والخزانة) قبوان نصف اسطوانيين، وغطي الدهليزين الموصلين بين قاعات الحمام سقفان جملوني الشكل، كما استعملت وسيلة التغطية أيضاً بالقبو وبالقبعة في تغطية خزانات الماء في المنطقة الخدمية (لوحة:4). أما السقف المسطح<sup>(46)</sup> فاستخدم في تغطية ممر منطقة بيت النار أو المستوقد (الملة). ويتخلل جميع القباب والأقبية بقاعات الاستحمام عدداً من الفتحات الصغيرة (المضايي)، مغطاة حالياً بقطع الزجاج الأبيض غير مرئي، وتسمح بإدخال الضوء. وتتوزع عدد من الفتحات الصغيرة، يبلغ أبعادها نحو (10سم2) في سطح الدهاليز الموصلة بين قاعات الاستحمام، وهي عنصر تهوية لمنطقة الاستحمام، وظيفتها إخراج البخار الزائد الناتج من الحرارة المرتفعة بداخل الحمام. وفضلاً عن ذلك يوجد عدد من المداخن، يطلق عليها محلياً (مطارد)، وهي عبارة عن فتحات (مبارق) تخترق بعض الجدران الداخلية للحمام، وكذا سقف الممر المؤدي إلى المستوقد، وترتفع عن سطح الحمام بحوالي (2م)، بواسطة بناء مربع قائم الشكل من قطع الحجر، ووظيفتها إخراج الدخان من الطابق الأرضي للحمام (الشوارع)، للمحافظة على استمرارية اشتعال الوقود بداخل بيت النار (المستوقد).

ثالثاً: الوصف من الداخل (منطقة الاستحمام) (شكل: 3 - 4)

ردهة المدخل (لوحة:5): بعد ولوج مدخل الحمام يتم النزول عبر درج إلى ردهة أو ممر يتألف من أربعة أضلاع غير متساوية في أبعادها، إذ كانت في الأصل جزءاً من قاعة كبيرة تلي المدخل مباشرة، لكنه استحدث جداراً لتصغير منطقة الدخول، وينحرف الداخل من هذه الردهة يساراً ليجد نفسه أمام مدخل آخر معقود، يبلغ عرضه نحو (80سم) وارتفاعه (1.85م)، يؤدي إلى المنطقة الباردة (المخلع) (لوحة:6). والمدخل المذكور للحمام يتوافق في اتجاهه نحو الشمال مع ما ذكره المناوي (ت:1053هـ)، والحيمي (ت:1151هـ) في شروط عمارة الحمامات أن لا يجعل بابه نحو الجنوب<sup>(47)</sup>، وفضلاً عن ذلك فالولوج إلى القاعة الأولى في الحمام تتم عبر مدخل الردهة بشكل منكسر، وهذا ما طبق في جميع حمامات العالم الإسلامي بدون استثناء.

المنطقة الباردة (المخلع): هي إحدى عناصر الحمام الرئيسية، يطلق عليها في مدن دمار وصنعاء ويريم وتعز بالمخلع، أي المكان الذي تخلع فيه الثياب. وقد اختلفت تسميتها من بلد إلى آخر ففي مصر تعرف بالمسلخ، وفي بلاد الشام تسمى المشلح<sup>(48)</sup>، وفي المغرب الأقصى تعرف بالجلسة<sup>(49)</sup>. وقد ذكر

الحيمي (ت: 1151هـ) وجوب أن يكون المخلع لطيف الصنعة، واسع الفضاء<sup>(50)</sup>، ونجده كذلك في حمامي مدينة دمار، إذ تنقسم هذه المنطقة في الحمام الكبير إلى جزأين مرتبطين ببعضهما، هما: دورقاعة والإيوانات، وقاعتان داخليتان تستعملان لخلع الملابس، والتهيئة لعملية الاستحمام.

الدورقاعة والإيوانات (لوحة: 6-7): تلي ردهة المدخل، وهي عبارة عن مساحة واسعة تتألف من أربعة أضلاع غير متساوية، إذ يبلغ امتداد الضلع الشرقي نحو (5.45م)، والغربي (5.20م)، والجنوبي (4.10م)، والشمالى (4م). ويغطي القاعة قبة شاهقة في الارتفاع، بنيت بقطع الآجر، ومحمولة على مناطق انتقال من المقرنصات المنشورية<sup>(51)</sup>، وكسيت بإداة القضاض، كما تتخللها فتحات للإضاءة (مضاوي) مغطاة بقطع الزجاج. ويطل على هذه القاعة من الجهة الشمالية إيوانان يغطي كل منهما قبو مدبب<sup>(52)</sup>، وأرضيتها ترتفع عن أرضية القاعة بمقدار (80سم)، ويبلغ عرض الإيوان الشرقي نحو (2.20م)، وعمقه (2.10م)، وقد تم استحداث مرحاض في الجزء الشرقي منه (لوحة: 8)، أما الإيوان الغربي فعرضه نحو (2.25م) وعمقه (2.30م) (لوحة: 9).

ويتوسط الدورقاعة المذكورة فسقية (شاذروان) كانت تزود بالماء البارد، بواسطة ساقية محمولة على جدار يرتكز على منطقة معقودة، كما يتوسط الإيوانان سقاية للشرب، وهي ذات شكل مستطيل قائم، يبلغ أبعادها نحو (1.15م × 1م)، تغطيها قبة ضحلة، وفتح في واجهتها الغربية فتحة للترود بمياه الشرب (لوحة: 7). وهذه الدورقاعة المذكورة تشبه نظيرتها في حمام المظفر بمدينة تعز، سواء من حيث أسلوب الانشاء أم توزيع عناصرها المعمارية<sup>(53)</sup>.

القاعتان الداخليتان: يصعد إلى القاعة الأولى (لوحة: 10) بدرج يقع في الضلع الجنوبي للدورقاعة المذكورة، وتتألف من مساحة شبه مستطيلة يغطيها قبو، وتبلغ أبعادها كالاتي: الضلع الشمالي امتداده يبلغ نحو (10.70م)، والجنوبي (9.35م)، والشرقي (3.80م)، والغربي (3.30م). وتستعمل في الوقت الراهن هذه القاعة لخلع الملابس وحفظها أثناء عملية الاستحمام في دخلات غائرة في الجدارين الشمالي والغربي، فالدخلات الشمالية هي في الأصل نوافذ مغطاة بالزجاج لإدخال الضوء إلى القاعة. أما الضلع الغربي للقاعة فيضم دخلتين غير نافذة، اتساع الواحدة منها نحو (67سم)، وارتفاعها (80سم)،

وعمقها (40م)، وتقع في الزاوية الجنوبية الشرقية من هذه القاعة مسطبة لجلوس المشرف على الحمام (الحمامي).

أما القاعة الثانية الداخلية (لوحة: 11) فتستخدم للاستراحة بعد الانتهاء من الاستحمام، ويتم فيها ارتداء الملابس، وتستعمل أيضاً كمصلى، وهذا ما نشاهده في بعض حمامات مدينة صنعاء كحمام شكر<sup>(54)</sup>، ويتم الدخول إليها من خلال مدخل معقود واسع يقع في نهاية الجدار الشمالي للقاعة الأولى المذكورة، وتتخذ هذه القاعة شكلاً شبه مستطيل يغطيه قبة نصف أسطواني استخدم في بنائه قطع الآجر، وتبلغ أبعاد القاعة كالتالي: الضلع الشمالي (5.14م)، والجنوبي (5.18م)، والشرقي (2.24م)، والغربي (3.20م). وما يلاحظ على هذه القاعة وجود عقدتين سدت فتحتها بجدار حديث، الأول يقع في الجدار الشمالي، والثاني في الجدار الشرقي.

الدهلينز (لوحة: 12): عبارة عن ممر يربط بين المنطقتين الباردة والمعتدلة كعنصر اتصال، وهو ممتد بشكل طولي يغطيه سقف مقبى، وذو مساحة مستطيلة، تبلغ أبعاده نحو (4.75م × 1.40م)، وقد فتح في الطرف الجنوبي من جداره الشرقي مدخل يبلغ عرضه نحو (1.20م)، يؤدي إلى قاعة الحمام المعتدلة (الأوسط).

ومما سبق وصفه نجد أن المعمار طبق في التصميم الهندسي لهذا الدهلينز (الممر) ما وجد في دهاليز الحمامات الإسلامية، التي يكثر ازورارها، وذلك بتخطيطها على شكل ممر منكسر، فضلاً عن أنها تصل بين وحدات الحمام المختلفة، إلا أنها من خلال انعطافها تساعد على حفظ حرارة الحمام، وعدم تعرض قاعاته الداخلية للتيارات الهوائية الباردة<sup>(55)</sup>.

المنطقة المعتدلة (الأوسط) (لوحة: 13): يطلق على هذه المنطقة في مدينتي دمار وصنعاء بالأوسط<sup>(56)</sup>، وتسمى خارج اليمن في مصر الوسطاني<sup>(57)</sup>، وتتميز في جميع الحمامات الإسلامية بأنها أقوى حرارة من القاعة الباردة، لكنها غير مكربة<sup>(58)</sup>، إذ يألف فيها المستحم الهواء الحار قبل دخوله القاعة الساخنة<sup>(59)</sup>.

وهي عبارة عن قاعة شبه مستطيلة يبلغ امتداد كل من الضلعين الشمالي والجنوبي (4.10م)، أما الضلع الشرقي فامتداده يبلغ نحو (4.5م)، والغربي (4.30م). ويغطي هذه القاعة قبة نصف كروية

ترتكز على أربع مناطق انتقال من الحنايا الركنية<sup>(60)</sup>، وقد انشئت القبة بقطع الآجر، ويتخلل باطنها عدد من الفتحات الصغيرة المغشاة بقطع الزجاج، وتضم القاعة في ثلاث جهات منها مسطبة حجرية تستخدم لجلوس المستحمين أثناء عملية التدليك، إذ يبلغ عرضها نحو (60سم)، وارتفاعها عن أرضية القاعة بمقدار (70سم)، كما تشتمل هذه القاعة على مدخلين يضمن بايين من الخشب لحفظ الحرارة بداخل القاعة، المدخل الأول يفضي من الدهليز، وقد سبق وصفه، والآخر يقع في الطرف الجنوبي من الجدار الشرقي، يبلغ اتساعه (70سم)، وارتفاعه (1.50م)، وهو يؤدي إلى المنطقة الحارة (الصدر).

المنطقة الساخنة (الصدر): تسمى هذه المنطقة من الحمام في المنطقة الجبلية باليمن بالصدر، ويضم جزأين رئيسيين هما المغطس والخزانة، أما خارج اليمن فيطلق على المنطقة الساخنة في مدينة القاهرة الحرار وفي دمشق الجواني، وفي فاس الداخلي، والرباط بالسخون<sup>(61)</sup>، وفي أغلب حمامات مدينة صنعاء تتألف المنطقة الساخنة من حجرتين أيضاً، باستثناء حمام الميدان<sup>(62)</sup> الذي أنشئ على الطراز النمطي للحمام التركي، إذ تضم المنطقة الساخنة بعد إجراء تعديلات معمارية في الفترة العثمانية الثانية<sup>(63)</sup>، ثلاث غرف، الوسطى، الصدر، وعن يمينها غرفة الخزانة، ويسارها بركة الماء الساخن (المغطس)<sup>(64)</sup>، وعلى الرغم من أن الحمام الكبير بدمار أنشئ خلال الفترة العثمانية أيضاً، إلا أنه أنشئ على الطراز اليمني التقليدي في تصميمه وجميع وحداته المعمارية، إذ نرى ذلك في المنطقة الساخنة للحمام التي تتألف من قاعتين فقط، وتشبهها نظيرتها في الحمام الصغير الملاصق له وتتألف المنطقة الساخنة في الحمام الكبير بدمار من قاعتين يربط بينهما مر (دهليز).

القاعة الأولى (المغطس) (لوحة:14): وتلي القاعة المعتدلة من الجهة الشرقية، وهي ذات مساحة شبه مستطيلة غير منتظمة الأضلاع، يبلغ امتداد جدرانها كالاتي: الشمالي (5م)، والجنوبي (4.55م)، والشرقي (4.32م)، والغربي (4.8م)، ويغطي القاعة قبة نصف برميلي من قطع الآجر، كما يبلغ ارتفاع القاعة من الأرضية حتى السقف نحو (3.55م)، وتضم هذه القاعة في الزاوية الجنوبية الغربية حوض الماء الساخن (المغطس)، الذي يغترف منه المستحمون الماء باستخدام الدلو. والحوض ذو شكل مربع طول ضلعه نحو (1.5م)، وعمقه نحو (1.70م). وكان يتم تزويده بالماء بواسطة قناة تحترق جداره الشرقي الملاصق لخزان الماء الساخن، أما الآن فقد استبدلت بالأنايب الحديدية، التي تنتهي بصنبور،

كما أن للحوض فتحة صغيرة بأسفله يتم إغلاقها عند تعبئته وفتحها أثناء تنظيفه، وتوزع حول الجدران الشمالية والغربية والشرقية للقاعة عدد من الخلاوي المتجاورة التي توفر نوعاً من الاستقلالية للمستحم، كل واحدة منها عبارة عن مساحة مستطيلة لا يتجاوز طولها (1.20م)، وعرضها (80سم)، وبدخلها حوض حجري، كان يملأ بالماء بواسطة ساقية ملاصقة للجدار.

ويربط بين حجرتي المنطقة الساخنة ممر ضيق (دهليز)، يتم من خلاله الدخول من قاعة المغطس إلى القاعة الحارة (الخزانة)، ويتخذ الشكل المستطيل ويغطيه سقف جملوني، وتبلغ أبعاده نحو (2.70م × 70سم)، وفتح فيه مدخلان: الأول يقع في جداره الشمالي، والثاني في الطرف الجنوبي من الجدار الشرقي.

القاعة الثانية (الخزانة) (لوحة:15): تعد آخر مرفق في منطقة الاستحمام، وهي شديدة الحرارة لأنها ملاصقة لبيت النار من الجهة الخلفية للحمام، وتتم فيها أولى خطوات الاستحمام الفعلية، وهي التعرق والاسترخاء. وتتخذ هذه القاعة شكلاً شبه مستطيل، يبلغ امتداد كل من الضلع الشمالي والجنوبي نحو (3.32م)، أما الضلع الشرقي (5.15م)، والغربي (4.70م). ويغطي القاعة قبو نصف أسطواني استعملت في بنائه قطع الحجارة.

المنطقة الخدمية للحمام: (شكل: 5، لوحة: 16)

هناك قاعدة أساس في تخطيط الحمامات الإسلامية، وترتيب وحداتها المعمارية، وهي إبعاد المستوقد (بيت النار) عن المسلخ (المخلع)<sup>(65)</sup>، لسببين رئيسيين هما: الأول تجنب وصول الدخان والرائحة الكريهة إلى بقية وحدات الحمام، أما السبب الثاني فهو ضرورة أن يكون المستوقد ملاصقاً للمنطقة الساخنة (الصدر) لتدفئتها وتزويدها بالماء اللازم، ويعرف المستوقد أي بيت النار في المنطقة الجبلية في اليمن (الملة)، أما في الجزائر يطلق عليه الفرنق<sup>(66)</sup>، وفي المغرب يسمى الفرنثشي<sup>(67)</sup>.

تقع المنطقة الخدمية للحمام في الجهة الشرقية من قاعات الاستحمام، ويتم الدخول إليها عبر مدخل بسيط في الجدار الشرقي الخارجي من سور الحمام، وتتألف منطقة الخدمة من عدد من الوحدات هي: فناء مكشوف (المضحى)، ومنطقة الحرق (المستوقد أو الملة)، وخزانات الماء، والفناء المذكور لم يعد مستعملاً في الوقت الراهن بسبب عدم الحاجة إلى مواد الحرق السابقة (المخلفات

الآدمية والحيوانية)، أما منطقة الحرق (الملة) فهي تمثل طابقاً أرضياً، يتم النزول إليها بواسطة درج، وتتكون من ممر يمتد بطول (11.70م)، وعرض (1.45)، وعلى الجانب الغربي منه وكذلك في نهايته عند الجدار الجنوبي خزانات حفظ الوقود الذي كان يستعمل للحرق لتدفئة الحمام، ويطلق عليها محلياً (شحنه)، وفي الجهة الغربية من الممر يوجد بيت النار (المستوقد) الخاص بالحمام الصغير، ويلاصقه من الجهة الجنوبية مستوقد الحمام الكبير (لوحة: 17)، استعمل في بنائه أحجار البازلت (الحبش)، وتتم فيه عملية إشعال النار، ويعلوه قدر نحاسي مملوء بالماء (اللدست) (68).

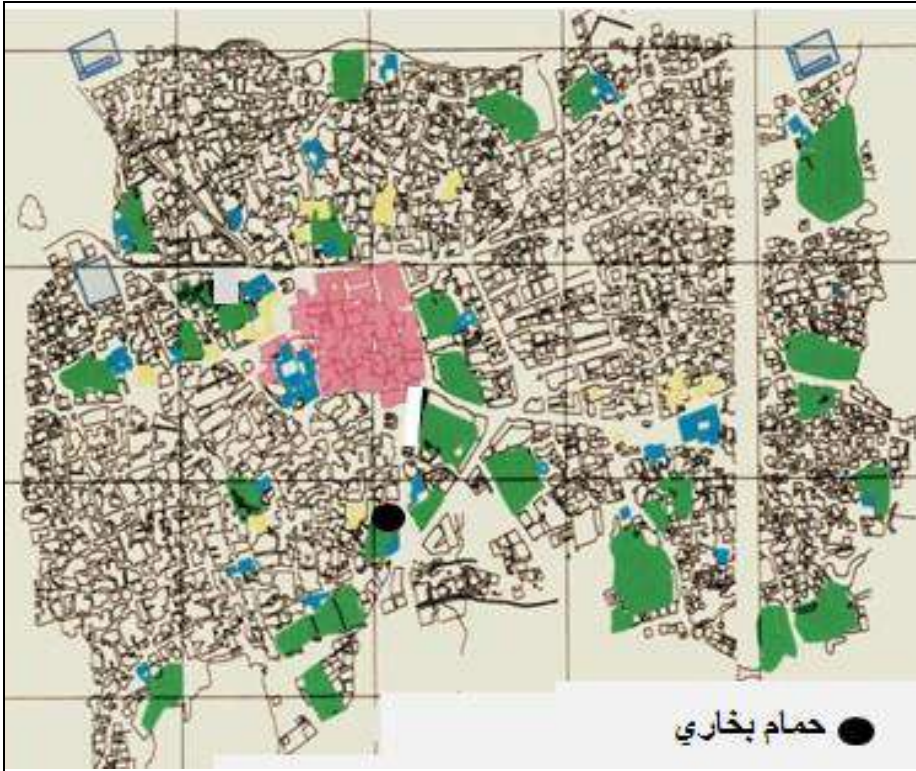
وتتمدد من فتحة المستوقد أيضاً عدد من الشوارع الأرضية (69) التي أنشئت بأحجار البازلت الصلبة المقاومة للحرارة، وهي عبارة عن ممرات أرضية مقبأة تسمح بمرور الحرارة إليها من المستوقد، من أجل تسخين أرضية قاعات الاستحمام، لاسيما المنطقة الحارة، والمستوقد في الوقت الراهن مسدود بجدار من الحجارة والطين به فتحة لدخول أنبوب حديدي تخرج من فوهته النار بعد اشعالها، ويتصل الأنبوب بخزان علوي يتم تزويده بمخلفات زيوت السيارات، وبيت النار (المستوقد) في الحمام الكبير يشبه نظيره في الحمام الصغير الملاصق له، وتعرف الممرات الأرضية المذكورة في صنعاء (70). وتعز أيضاً باسم الشوارع، وبالمقارنة مع الحمامات المصرية فلا يوجد بها وسيلة للتدفئة نظراً إلى اعتدال الحرارة في الشتاء (71)، أما في حمامات الجزائر فهي عبارة عن قنوات فخارية تمتد تحت أرضية الحمام، والأسلوب نفسه اتبع في حمامات الأندلس خلال القرن (6هـ / 12م) (72).

أما الطابق العلوي في المنطقة الخدمية فيقع فوق منطقة التسخين (الملة)، ويضم خمسة خزانات للماء متلاصقة مع بعضها ويغطيها أقباء مقوسة (لوحة: 16، 4)، كسيت جميعها من الداخل بطبقة عازلة من الملاط (القضاض). ويسمى خزان الماء البارد محلياً التشنون، كان يزود بالماء من بئر مسجد عبيلة الذي يجاور الحمام من الجهة الجنوبية، بواسطة ساقية محمولة على سلسلة من العقود (73). أما خزان الماء الحار فيطلق عليه البرمة، ويتغذى بالماء عن طريق فتحة داخلية تربطه بخزان الماء البارد، وتنخفض أرضيته إلى الأسفل عن نظيره البارد بحوالي (1.50م)، ويتوسطه وعاء نحاسي دائري (اللدست) (74)، يبلغ قطره نحو (1.20م)، وعمقه (80سم)، إذ تتساوى فوهته مع أرضية الخزان، ويقوم هذا الخزان بتزويد حوض المغطس في القاعة الساخنة بالماء - إذ إن جداريهما متلاصقان - بواسطة قناة مغمية، استبدلت بأنبوب حديدي.

النتائج: تتمثل أبرز نتائج هذا البحث في الفقرات الآتية

- أنشأ الحمام الكبير بمدينة ذمار القديمة الوالي العثماني بهرام باشا خلال مدة حكمه لليمن (977-983هـ/1569-1575م).
  - لأن الحمام كان من المنشآت الربيعية التي تدر المال، فقد كان الهدف الرئيس من إنشائه هو وقفه على الجامع الكبير بمدينة ملحظ القريبة من مدينة ذمار آنذاك.
  - يتوافق التصميم المعماري العام للحمام مع الأسلوب المتبع في بناء الحمامات الإسلامية، الذي اعتمد على ضرورة التدرج في حرارة قاعات الحمام، التي تتألف من ثلاث مناطق للاستحمام، فضلاً عن قاعة الاستراحة (المخلع).
  - التصميم الهندسي للحمام ذو شكل عمودي متعرج غير منتظم، وقد فرض ذلك التخطيط تبني المعمار فكرة تلاصقه بالحمام الصغير، وضرورة اشتراكهما في منطقة خدمية واحدة.
  - برغم إنشاء الحمام الكبير خلال فترة حكم العثمانيين الأولى لليمن، إلا أن تصميمه المعماري كان وفق السمات المحلية للحمامات التقليدية اليمنية، ولذا لم نجد أي تأثيرات عثمانية ظهرت على الحمام، عدا ميزة واحدة هي المساحات الواسعة في قاعات الاستحمام لاسيما قاعة الاستقبال (المخلع)، التي تغطيها قبة واسعة وشاهقة في الارتفاع.
  - يتشابه الحمام الكبير مع نظيره الصغير بمدينة ذمار، في طريقة توزيع منطقة الاستحمام والمنطقة الخدمية، وكذلك في عدد من العناصر المعمارية، ومنها الحنايا الركنية، والمقرنصات، والمغطس، وخلوي الاستحمام، ومساطب جلوس المستحمين.
  - تعرض الحمام لعدة تعديلات معمارية، منها إضافة جدران، وسد بعض الفتحات، لاسيما في قاعة الاستراحة والدور قاعة (المخلع). وذلك تلبية لمتطلبات التشغيل والحفاظ على الحرارة المناسبة بداخل هذه المنطقة، وضمان عدم تعرض المستحمين للضرر الناتج من البرودة الزائدة.
  - طبق المعمار في إنشاء الحمام أغلب شروط البناء الصحية التي حددها الفقهاء، فيما ينبغي أن يكون عليه الحمام من الهيئة والشكل والكيفية.
- وختاماً من المهم أن تتم عمليات الترميم والصيانة العلمية لهذا المعلم البارز بمدينة ذمار، كونه لا يقل أهمية عن غيره من المنشآت الأثرية الأخرى، وإعادة النظر في عملية التشغيل وتوفير الماء لضمان استمراريته.





خارطة (1) مدينة ذمار القديمة - عن الدليل السياحي لمحافظة ذمار - بتصرف

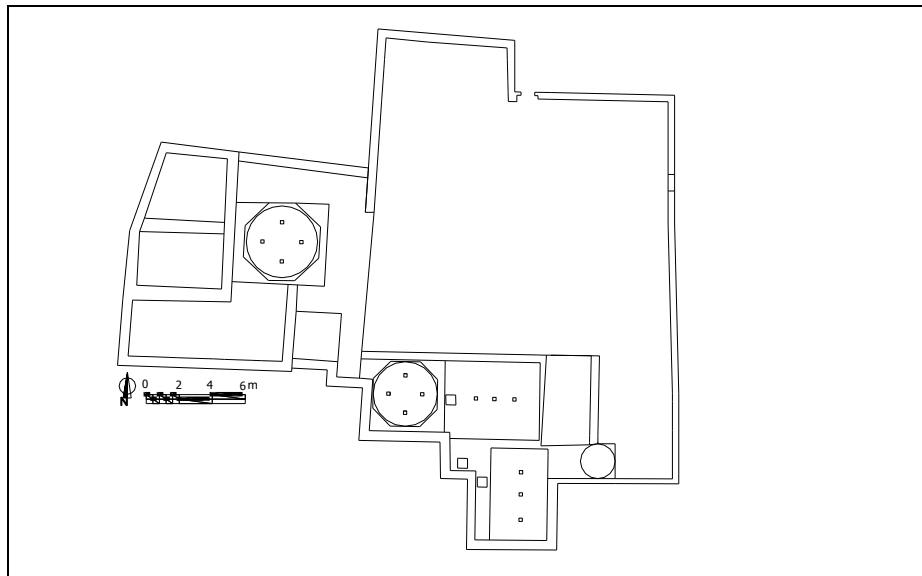


صورة جوية (1) موقع حمامي مدينة ذمار (الكبير والصغير) باستخدام برنامج google earth

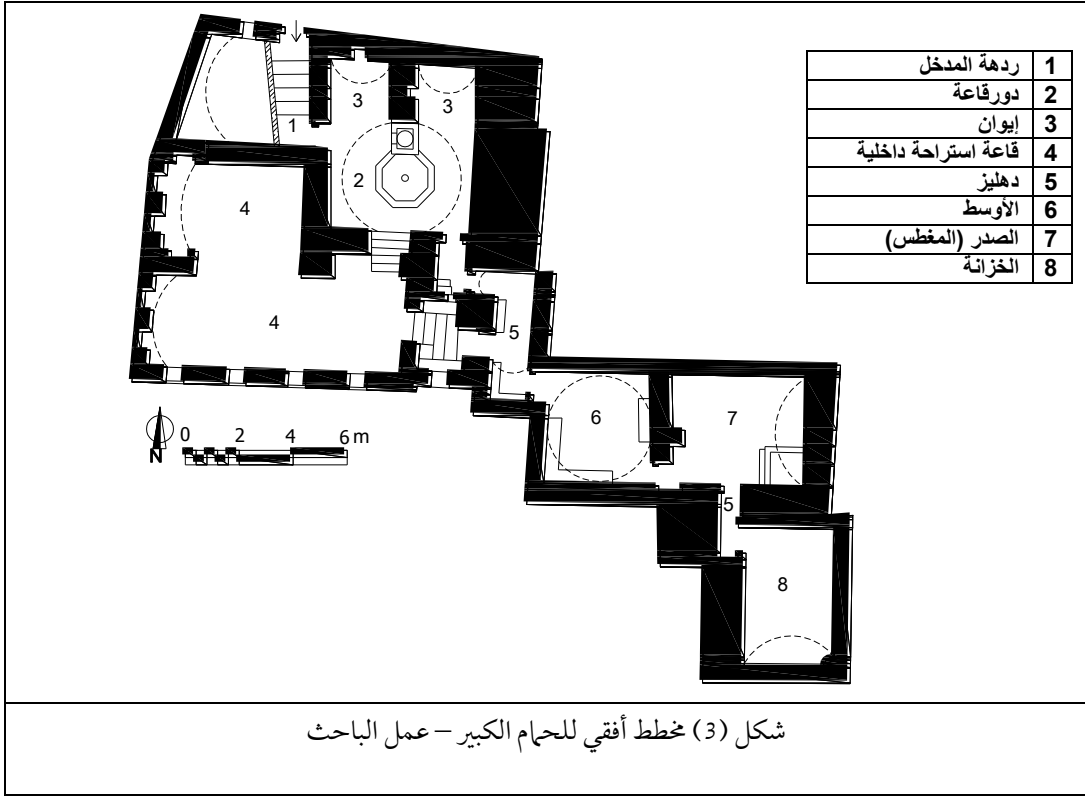




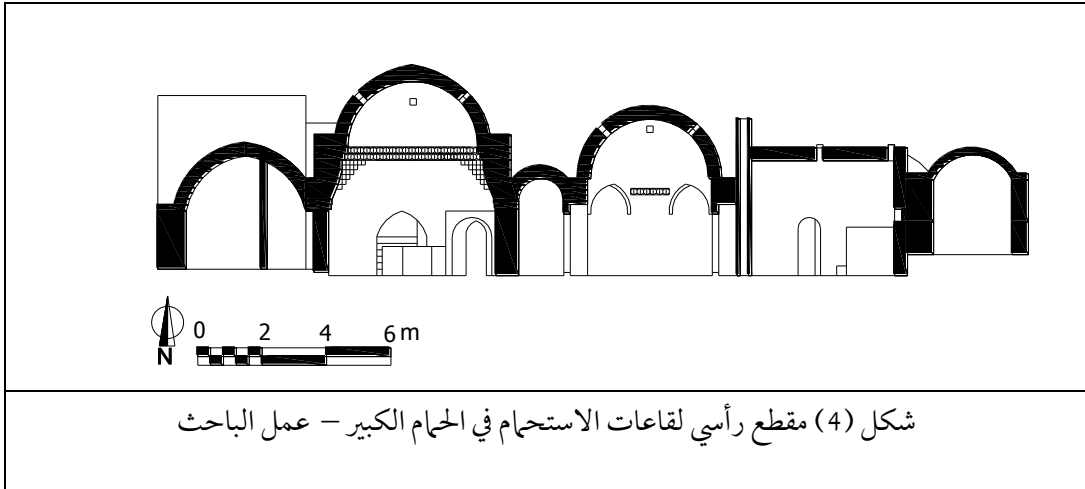
شكل (1) مخطط أفقي لحمامي مدينة ذمار - عمل الباحث



شكل (2) مخطط سطح الحمام الكبير - عمل الباحث



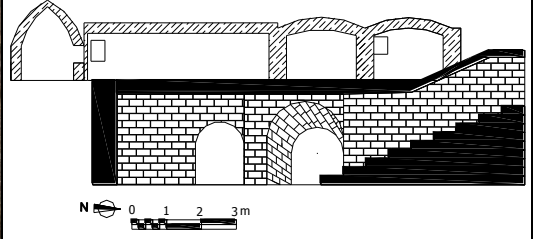
شكل (3) مخطط أفقي للحمام الكبير - عمل الباحث



شكل (4) مقطع رأسي لقاعات الاستحمام في الحمام الكبير - عمل الباحث



لوحة (1) الواجهة الشمالية - مدخل الحمام



شكل (5) مقطع رأسي للمنطقة الخدمية



لوحة (3) سطح الحمامين الكبير والصغير



لوحة (2) الواجهة الجنوبية



لوحة (5) ردهة المدخل



لوحة (4) المنطقة الخدمية - خزانات الماء



لوحة (7) الدور قاعة - والنسقيه



لوحة (6) مدخل الدور قاعة

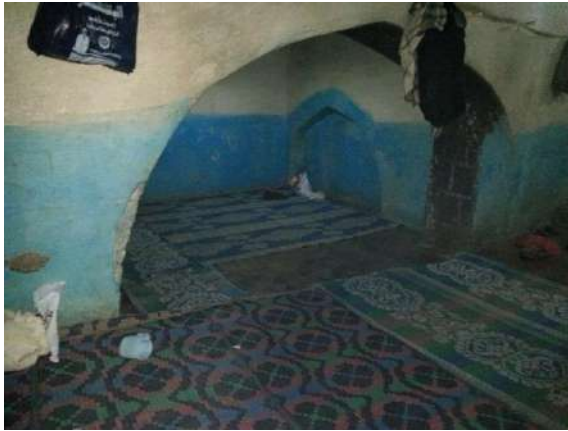




لوحة (9) الإيوان الغربي في الجهة الشمالية المطل على  
الدور قاعة



لوحة (8) الإيوان الشرقي في الجهة الشمالية المطل  
على الدور قاعة



لوحة (11) منطقة الاستقبال - القاعة الداخلية الثانية



لوحة (10) منطقة الاستقبال - القاعة  
الداخلية الأولى



لوحة (13) القاعة المعتدلة (الأوسط)



لوحة (12) الدهليز (ممر)



لوحة (15) القاعة الساخنة - الخزانة



لوحة (14) القاعة الساخنة (الصدر) وبها المغطس



لوحة (17) المنطقة الخدمية - بيت النار (المستوقد)



لوحة (16) المنطقة الخدمية للحمام





تفريغ لنص وفتية الحمام الكبير وأرض زراعية مملوكة للوالي بهرام باشا

السطر	بسم الله الرحمن الرحيم
1	الحمد لله الذي بحمده يستفتح كل كتاب وبذكره يصدر كل خطاب وبلطفه يستعان على الأمور الصعاب وبفضله يهدي من يشاء (...) {..}
2	وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعيده ليوم الحساب وأشهد أن محمد عبده ورسوله المرسل إلى كافة الأعجم والأعراب صلى الله عليه وعلى {..}
3	الأصحاب والتابعين لهم بأحسان إلى يوم المآب ثم إن الله تعالى العزيز الجبار العالم مخفي الأسرار أمر عباده عموماً بالانفاق والايثار وحرصهم على {..}
4	(...) في دار القرار فقال تعالى الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار وضمن لهم الخلف في كتابه المبين بعد وهو أصدق القائلين قل لعبادي الذين أحسنوا يقيموا الصلوة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية
5	وقال وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين وبعد فلما كان الوقف من القربات المندوب إليها والطاعات المحثوث عليها والصدقات الماجور عليها {..} من الأعمال الصالحة بعد مماته {..}
6	إلا من إحدى ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له لقوله صلى الله عليه وسلم إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من أحدى ثلاث الحديث (...){..}
7	رتب المفاخر والمعالى ذي المجد الأشل والفخر العريض الطويل والشرف العالي بإخصه على عموم الأكليل مولانا الباشا بهرام ابن مولانا المرحوم مصطفى باشا {..}
8	طائفاً محققاً وهو في حال صحة عقله ونفاذ تصرفه وهو ما هو ملكه وتحت (...) قبضته وتصرفه عليه وهو جميع القطعة الأرض المزروعة الحرث المعروفة اسماً لا ملكاً {..}
9	يحد على الجملة قبلياً أرض وصية قراءة ويانيا أرض مد الوجري وييد السيد أحمد بن محمود وشرقياً الساقية الذي تشرب منها الأرض المذكورة وأرض بيد السيد المذكور وغربياً أرض {..}
10	تلك جملة حدودها المشتملة عليها ووقف الموقف المذكور أعلاه جميع الحمام الكبير القائم العمارة والبنان الذي عمره الموقف المذكور بمحروس مدينة ذمار بحافة الجر [اجيش] {..}
11	يحد الحمام المذكور قبلياً الطريق السلوكة وفيها باب الحمام المذكور وغربياً بيت بيد علي الحسني و (...) وشرقياً الحمام الذي أنشأه الشيخ عامر بن عبد الوهاب وعد [نيا] {..}
12	مسجد الخطرة ذلك جملة حدوده المشتملة عليه وقف الموقف المذكور الأرض المذكورة والحمام المذكور بجميع حقوقهم ومرافقهم العامر والدامر وما عرف لهم وينسب {..}
13	أنشأه الموقف المذكور المشار إليه في محروس مدينة ملحظ قبلي مدينة ذمار الذي شهرته تغني عن تحديده والتعريف به وجعل النظر في ذلك إلى الجناب المكرم (...) {..}
14	جعفر ابن عبد الله عن جماعة متفرقة لمن يجمع محصول الوقف المذكور مما فتح الله به ورزق من ريع الأرض المذكورة ومحصول الحمام المذكور يعمر منه أولاً الحر المذكورة ثم الحمام المذكور [كور] ثم يصر [ف]



15	من بعد عمره الوقف المزبور على الجامع المذكور فيما يحتاج إليه من (...) وفرش وسقا وغير ذلك مما يحتاج إليه من الشمع والسقا لتراويح شهر رمضان ثم بعد ذلك يصرف {...}
16	والفرش والناظر المذكور وشرط الموقف المشار إليه بأن يكون للإمام في كل يوم خمسة عشانية وللخطيب في كل يوم ثلاثة عشانية وللمؤذن في كل يوم أربعة عشانية [والبيستاني]
17	كل يوم أربعة عشانية وللناظر في كل يوم عشانيتين وما فضل من محصول الوقف المزبور يحفظه الناظر المذكور بمعرفة الشريعة المطهرة أعزها الله بعد لوقت الحاجة إليه من عمارة ما ذكر أعلاه على الترتيب موجب (...) الجامع {...}
18	وقفا صحيحا شرعيا تاما نافذ باينا محسنا مبرما مطلقا شرعا لا رجعة فيه ولا مثنوية لا يستهلك ولا يتملك بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب محرما لحرمة الله (...) ولا يباع ولا (...)
19	ولا يوهب ولا يورث حتى يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم لا يحل لأحد من راع ولا رعية بقوة سلطانه (...) ودقة نظره وفطنته واتساع تأويله
20	أن يبطله أو شيئا منه من أصل أو رسم ولا يبدل ذلك ولا يقدر فيه ولا (...) منه يأمر ولا باتمار ولا بمشورة ولا بفتوى بالقصد إلى ركون الرخصة في إبطاله ومن سعى في نقض ذلك الوقف المذكور أو هم فيه
21	أو صرح أو لوح أو أثر بفساده يطلب بذلك زيادة في ماله فينقصه الله ماله وأكله عياله وخسر في دينه وجعل الشيطان قرينه ويصبر ممن استخف بحرمة الله وتمرد عليه واستهان بوعده لعنه الله ولعنه أنبياءه
22	ومليكته ورسله ولعنه الصالحين من عباده لعنة تحزبه وترديه ويمحقه ولا يبقيه ملحقة في الدنيا عاره وفي الآخرة ناره ولا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا ولا رضى منه قولا ولا (...)
23	يقبل سعيهم في الحياة الدنيا وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعا يطعمه الله طعام الأتيم ويبيعه من جنات النعيم والموقف المذكور يخاصمه في ذلك ويستعدي عليه إلى أحكم الحاكمين المنتقم للمظلومين من الظالمين]
24	يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا بين يدي رب العالمين وثواب الموقف المشار إليه فيما فعله من ذلك على الله الكريم الذي لا يضيع أجر المحسنين لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ولقوله
25	ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله صلى الله عليه وسلم المؤمن تحت ظل صدقته فلما ثبت عندي صدور الوقف المذكور من الموقف المزبور حكمت بصحته ونفوذه و (...) شرعا
26	حكما صحيحا شرعيا مبرما (...) ومع الاشهاد والله خير الشاهدين تحريرا في غرة ربيع الآخر لعد شهر سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة صح

ملاحظة: (...) تعني كتابة غير مقروءة، [...] تعني تكملة من الباحث، {...} تعني جزء تالف من الوثيقة

الفقير فرح	الفقير ولي بك	الفقير مسح	شهد بذلك
انما كتب عنه	لساعيه (...)	(...) كتبه عنه	الفقير عمر محمد المجري
(...)	(...)	(...)	(...) لطف الله به

## الهوامش والإحالات:

- (1) الحمام: بفتح الحاء المهملة، وتشديد الميم الأولى، معروف، سمي حماماً لما فيه من الماء الحار، ولأنه يعرق، أخذ له هذا الاسم من الحميم وهو الماء الشديد الحرارة. والحمة العين الحارة ويستشفى بها، وحممت الماء أي سخته. ويقال استحم الرجل إذا اغتسل بالماء الحميم، ثم كثر حتى استعمل الاستحمام في كل ماء. انظر: أحمد بن محمد الحيمي الكوكباني: حدائق المنام في الكلام على ما يتعلق بالحمام، تحقيق عبد الله الحبشي، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ط 1، 1986، ص 23. وأيضاً محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية في الوثائق المملوكية، الجامعة الأمريكية، القاهرة، ط 1، 1990، ص 37.
- (2) أحمد الحيمي: حدائق المنام، ص 13.
- (3) خالد محمد عزب: التراث الحضاري والمعماري للمدن الإسلامية، دار الكتب العلمية، القاهرة، 2003، ص 133.
- (4) عبد الله عبد السلام الحداد: مقدمة في الآثار الإسلامية، دار الشوكاني للطباعة والنشر، صنعاء، 2003، ص 50.
- (5) المحتسب هو الشخص المكلف برعاية المصالح العامة في المدينة الإسلامية. انظر: خالد محمد عزب: تخطيط وعمارية المدن الإسلامية (كتاب الأمة)، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، العدد 58، السنة 17، 1997، ص 110.
- (6) حسين العمري: الحمام، الموسوعة اليمنية، المجلد 2، مؤسسة العفيف الثقافية، صنعاء، ط 2، 2003، ص 1182.
- (7) مدينة دمار: هي عاصمة محافظة دمار، تبعد عن العاصمة صنعاء بنحو (100 كم). وقد شيدت في الجهة الشمالية الشرقية من قاع بلسان في وادي الجنات، الذي يمتد طويلاً من الغرب إلى الشرق، في اتجاه مجرى المياه للوادي نفسه المعروف حالياً بوادي الجنات. انظر: خلدون هزاع الرازحي: دمار القرن موقع مدينة دمار القديمة، بحث ضمن كتاب صنعاء الحضارة والتاريخ، صنعاء، 2005، مجلد 1، ص 120.
- (8) انظر: عوض إبراهيم الحفيان، الجغرافيا العامة للجمهورية اليمنية (عوامل التباين والتألف في البيئة اليمنية)، جامعة صنعاء، 2004، ص 83. وأيضاً: عبد الله أحمد الجرفي، مدينة دمار توسعها العمراني وأنهاطها السكنية، الأبحاث للطباعة، دمار، ط 1، 2015، ص 5.
- (9) الجراجيش: يقع هذا الحي في الجزء الجنوبي الغربي من مدينة دمار القديمة، ومساحته كبيرة جداً من مجموع المساحة الكلية للمدينة، ويمكن تحديد موقع الحي القديم في الجهة الجنوبية الشرقية. صلاح أحمد الكوماني: مساجد مدينة دمار حتى نهاية القرن 12 هـ/ 18 م (دراسة أثرية معمارية)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الآثار بكلية الآداب - جامعة صنعاء، 2010، ص 24.

- 10) عبد الوهاب بن عبد الرحمن البريبي: طبقات صلحاء اليمن المعروف بتاريخ البريبي، تحقيق عبد الله الحبشي، مكتبة الإرشاد، صنعاء، ط 2، 1994، ص 19.
- 11) إسماعيل بن علي الأكوخ: هجر العلم ومعاقله، دار الفكر المعاصر، بيروت ودمشق، ط 1، 1996، ج 3، ص 1363، هامش 1.
- 12) ينسب الحمام الصغير إلى الشيخ عامر بن عبد الوهاب. انظر: وقفية الحمام الكبير، محفوظة في أرشيف مكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة ذمار، رقم الملف 2-أ / 1، رقم الوقفية 3 (الجراجيش)، السطر رقم 11، تاريخ الاطلاع 2016/8/30، وتاريخ الحصول على صورة من الوقفية 2016/11/19.
- 13) المقشامة: هي مساحة من الأرض تتوسط مجموعة من المباني السكنية، تزرع فيها الخضروات، كالكرات والفجل، والبصل، وغيرها. ويتم تزويدها بالماء اللازم من مطاهير المساجد الذي يستخدمه المصلون للوضوء، وغالبا يوقف المحسنون المقشامة للمساجد المشيدة بجوارها. أحمد محمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصناعي، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط 1، 2006، ص 197.
- 14) عن أحكام الضرر بالدخان والرائحة الكريهة التي تسببها المنشآت انظر: محمد عبد الستار عثمان، الإعلان بأحكام البنيان دراسة أثرية معمارية، دار المعرفة، الاسكندرية، 1988، ص 31 - 32.
- 15) عن حركة الرياح بمدينة ذمار انظر: عبد الله الجرفي، مدينة ذمار توسعها العمراني وأنهاطها السكنية، ص 16.
- 16) أحمد الحاضري: فن هندسة البناء الصناعي، ص 214.
- 17) الوالي: يطلق هذا اللفظ عادة على أمير القطر وحاكمه، والمصدر منه ولاية بمعنى الإمارة. وقد عرفت هذه الوظيفة منذ صدر الإسلام، إذ جرت العادة أن ينيب الخلفاء عنهم في حكم الأقطار الإسلامية أو الولايات التابعة لهم ولاة كانوا يعرفون بالأمرء والعمال. حسن الباشا: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج 3، دار النهضة العربية، القاهرة، 1965، ص 1309. وأيضا: مصطفى بركات: الألقاب والوظائف العثمانية، دار غريب، القاهرة، 2000، ص 71.
- 18) بهرام باشا: تولى اليمن سنة (977هـ / 1569م)، وله عدد من المآثر، لعل أشهرها اختطاط مدينة ملحظ بالقرب من مدينة ذمار سنة (978هـ / 1570م)، وضرب السكة فيها، ثم غادر اليمن حينما انتهت ولايته عليها سنة (983هـ / 1575م) متوجهاً إلى الباب العالي. انظر: شمس الدين عبد الصمد الموزعي: الإحسان في دخول مملكة اليمن تحت ظل عدالة آل عثمان، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، ط 1، 2012، ص 62 - 64.
- عيسى بن لطف الله شرف الدين: روح الروح فيها حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح، تحقيق إبراهيم المقحفي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط 1، 2003، ص 183 - 191.
- 19) انظر: نص وقفية الحمام الكبير في الملحق.

- (20) حكم العثمانيون اليمن فترتين: الأولى خلال الفترة (945-1038هـ / 1538-1635م)، أما الثانية فكانت خلال الفترة (1265-1337هـ / 1872-1918م)، وتعد من أهم الفترات التاريخية التي تركزت لنا عدداً من المنشآت المعمارية الباقية، توزعت في عدد من المدن اليمنية، كصنعاء وزبيد وتعز وذمار. انظر: أمة الملك إسماعيل الثور، الولاة العثمانيون وأبرز أعمالهم الإنشائية خلال فترتي الحكم العثماني الأولى والثانية لليمن (945-1045هـ / 1538-1635م، 1289-1336هـ / 1872-1918م)، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 22، السياحة والآثار (2)، الرياض، 2010، ص 125-150.
- (21) اختط مدينة ملحظ الوالي العثماني بهرام باشا في العاشر من رمضان سنة (978هـ / 1570م)، ولم يجدد المؤرخون موقع المدينة بشكل دقيق، لكنهم أجمعوا بأنها بنيت خارج مدينة ذمار مما يلي اليمن الأسفل، أي في الجهة الجنوبية لمدينة ذمار، وكانت المدينة حالة متطورة للمعسكرات العثمانية التي أنشأها الولاة العثمانيون خارج المدن. وقد أنشأ الوالي بهرام بملحظ عدداً من المنشآت العمرانية، منها الجامع الذي تم الانتهاء من بنائه سنة (980هـ / 1572م)، فضلاً عن القصر والمباني الضخمة والحمامات والسوق. انظر: عبد الصمد الموزعي: الاحسان، ص 63. وأيضاً: أحمد صالح المصري: مدينة ملحظ (ذمار الصغرى) مركز حكم ولاية اليمن في عهد الوالي العثماني بهرام باشا (978-983هـ / 1570-1575م)، مجلة الإكليل، العدد 33-34، وزارة الثقافة، صنعاء، 2009، ص 104.
- (22) ناظر الوقف: وهو الشخص المسؤول عن تحصيل ريع الحمام والأرض الزراعية، وهو القائم على عملية صرف تلك المبالغ.
- (23) ينظر نص الوثيقة في الملحق.
- (24) دورقاعة: لفظ مركب من مقطعين: الأول (در) من الفارسية، بمعنى باب، والثاني عربي (قاعة)، من أهم أجزاء البيت ويستخدم هذا اللفظ المركب في العصر المملوكي للدلالة على الجزء الذي يتوسط القاعة أو المسجد أو المدرسة المبنية على الطراز المتعامد بياوانين أو أربعة أو اوين مرتفعة عن مستوى الدورقاعة بمقدار درجة سلم. محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص 50.
- (25) صلاح أحمد البهنسي: الحمامات العامة في العالم الإسلامي، مجلة المنهل، دار المنهل، جدة، العدد 571، 2001، ص 201.
- (26) ينظر: نص الوقفية بالملحق. ومن خلال الوثائق التي تم الاطلاع عليها في أرشيف مكتب الأوقاف والإرشاد بمحافظة ذمار بتاريخ 30 - 8 - 2016م، يمكن القول إن الحمامين الكبير والصغير بذمار مؤجران لعائلة الحمامي مقابل مبلغ محدد يتم دفعه مرة كل عام لمكتب الأوقاف، وهذا الأمر استمر منذ فترة حكم المملكة المتوكلية لليمن (1918-1962م) وحتى الوقت الراهن.

- (27) منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة (دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء)، جدة، 2005، ص 243.
- (28) ينسب إلى الملك المظفر يوسف بن عمر (619-694هـ / 1222-1295م)، ثاني ملوك بني رسول وأطولهم حكماً، وله عديد من المآثر أبرزها بمدينة تعز المدرسة المظفرية. علي بن الحسن الخزرجي: العقود اللؤلؤية في تاريخ الدولة الرسولية، تصحيح محمد بن علي الأكوغ، ج 1، مركز الدراسات والبحوث اليمني صنعاء، دار الآداب، بيروت، ط 2، 1983، ص 232-233.
- (29) يحيى لطف العبالي: حمام المظفر البخاري في مدينة تعز دراسة آثارية أولية، مؤسسة السعيد للعلوم والثقافة وجامعة تعز، تعز على مر العصور، 2009، ص 1407.
- (30) المضحي: هو مساحة من الأرض تزيد في بعض الحمامات، وتقل في بعضها، كانت تحنّف فيها المواد المستخدمة للحرق أثناء تسخين الحمام، إذ كان يستخدم قديماً في حمامات مدينة صنعاء وذمار أيضاً المخلفات الحيوانية وال آدمية الجافة والعظام، أما الآن فتستعمل مادة الديزل، ومخلفات زيوت السيارات. أحمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، ص 187.
- (31) الملة: مصطلح يمني محلي، تمثل طابق أرضي للحمام، وهي مكان تسخين الماء وقاعات الاستحمام، وتتألف من المخزن والفرن والدست وشوارع توزيع الحرارة بأسفل قاعات الحمام، وهي غير متصلة مباشرة بجزء الاستحمام، كما أن لها مدخل خاص بها. أحمد الحاضري: فن وهندسة البناء الصنعاني، ص 218.
- (32) صلاح البهنسي: الحمامات العامة في العالم الإسلامي، ص 200-201.
- (33) محمد عبد الستار: فقه عمارة الحمامات في العصر العثماني "دراسة تطبيقية على ثلاثة من الحمامات في صعيد مصر"، المؤتمر العالمي الرابع لمدونة الآثار العثمانية وآليات الحفاظ والترميم، مؤسسة التميمي للبحث العلمي، 2001، ص 277.
- (34) ينظر: عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية في أحكام الحمام الشرعية والطبية، تحقيق عبد الحميد حمدان، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط 1، 1987، ص 62.
- (35) محمد عبد الستار عثمان: فقه عمارة الحمامات، ص 281.
- (36) عثمان عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى، ج 4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط 1، 1993، ص 254.
- (37) عبد العزيز صلاح سالم: الآثار الإسلامية في مدينتي سلا ورباط الفتح بالمملكة المغربية، دار نشر المعرفة، ط 1، الرباط، 2011، ص 173.
- (38) يحيى العبالي: حمام المظفر، ص 1393.

39) الإيوانات: ومفردها إيوان كلمة فارسية معربة، تعني لغوياً قاعة العرش ومنه إيوان كسرى، أما في العمارة الإسلامية في العصر المملوكي، فالإيوان يمثل وحدة معمارية مربعة أو مستطيلة الشكل لها ثلاثة حوائط من ثلاث جهات فقط والجهة الرابعة مفتوحة. والإيوان يعلو دائماً بمقدار درجة أو سلمة أو أكثر عن باقي مسطحات المكان، وسقف الإيوان إما معقود أو مسطح وعلى واجهته عقد. محمد أمين وليلى إبراهيم: المصطلحات المعمارية، ص 17.

40) ينظر: نص وقفية الحمام في الملحق.

41) الدهليز: بتشديد الدال وكسرهما، يعني الحنية أو الطرفة أو الممر، وفي المصطلح الأثري المعماري فيأتي بصفة خاصة للدلالة على الممر الداخلي الذي يفضي من الدركاة إلى الصحن أو من الردهة التي تلي المدخل الرئيس إلى داخل المبنى. عاصم محمد رزق: معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 2000، ص 110.

42) القبة: في المصطلح الأثري بناء محدودب أشبه بكرة مشطورة من وسطها، أو بناء دائري مقعر من الداخل مقبب من الخارج. وقد استخدمت في العمارة الإسلامية جميع أنواع القباب فتكون القبة كبيرة أو صغيرة أو بيضاوية أو نصف كروية أو بصلية أو مضلعة. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 222.

43) القبو: يقصد به سقف مقوس أو معقود ذو أشكال مختلفة تم استعماله في تغطية كثير من الأجزاء البنائية في العمارة الإسلامية، لا سيما الإيوانات والأروقة والحجرات والممرات وغيرها، بسبب عدم تعرض سطوحها المنحنية لأشعة الشمس خلال ساعات النهار خلافاً لما يحدث للسطح الأفقي، ومن ثم يقلل من الضغط الحراري على الفراغات الداخلية فيها، وهناك أنواع عدة من الأقباء منها قبو اسطواني، وبرميلي، ومخروطي، ومتقاطع، وغيره. المرجع نفسه، ص 132 - 133.

44) الجملون: هو سقف محدب على هيئة سنام الجمل أو السقف الهرمي المسنم، ويقصد به في المصطلح الأثري المعماري سقف على شكل سنام مائل من طرفيه. المرجع نفسه، ص 68.

45) القضاض: هو خليط من مادة النورة والماء والرمل والحصي، يتم خلطها بطريقة معينة، و تترك لعدة أيام للتخمير، ثم تكسى بها الجدران أو الأرضيات وتطرق لعدة ساعات حتى لا تترك أي أثر للفراغات، ثم تدلك بأدوات خاصة وتطلى بطبقة رقيقة من الشحم ومنح الحيوانات لمنع تسرب الماء. مطهر الإرياني: القضاض، الموسوعة اليمنية، ج 3، ص 2400.

46) استعملت الطريقة التقليدية في بناء السقف المسطح لممر المستوقد، وتتم بوضع عوارض خشبية تثبت في طرفي الجدار على مسافات تقدر بحوالي (50 سم)، وتتقاطع معها أخشاب صغيرة (رجز)، ترص مع بعضها بعضاً، ثم تغطي من الأعلى بطبقة من الطين تليها طبقة من التراب.

47) ينظر: عبد الرؤوف المناوي، النزهة الزهية، ص 60. أحمد الحيمي، حدائق النمام، ص 28.

- 48) بلجوزي بو عبد الله: دراسة أثرية لنماذج من العمارة العثمانية في مدينة مستغانم، رسالة ماجستير، معهد الآثار - جامعة الجزائر، 2006، ص 86.
- 49) عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة بالمغرب الأقصى، ص 254.
- 50) أحمد بن محمد الحيمي: حقائق النمام، ص 28.
- 51) المقرنصات: مفردتها مقرنص: هو حلية معمارية زخرفية تشبه خلايا النحل، في صفوف بعضها فوق بعض، تستعمل وسيلة إنشائية لتحويل المربع إلى مثنى، وقد استعملت في المباني العربية الإسلامية المختلفة. كامل حيدر: العمارة العربية الإسلامية (الخصائص التخطيطية للمقرنصات)، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط 1، 1994، ص 13 - 14.
- 52) هذان الإيوانان في الوقت الراهن لا يستخدمهما المستحمون.
- 53) يحيى العبالى: حمام المظفر، ص 1397.
- 54) يقع في حي السرار بصنعاء القديمة شرقي السائلة مقابل قبة المهدي عباس، ويرجع تاريخ عمارته إلى ما قبل سنة (977هـ / 1569م)، وينسب إلى أسرة صنعانية. انظر: Serjeant. R. B, and Ronald Lewcock, Sanaa an Arabian Islamic City, world of Islam Festival trust London, 1983, p 508.
- وأيضاً: منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 263.
- 55) ينظر: محمد عبد الستار، فقه عمارة الحمامات، ص 295 - 298.
- 56) منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 244.
- 57) عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 85.
- 58) ينظر: عبد الرؤوف المناوي، النزعة الزهية، ص 59.
- 59) ينظر: أحمد الحيمي: حقائق النمام، ص 81.
- 60) الحنايا الركنية: هي الدخلة المعقودة غير النافذة التي تكون في أعلى زوايا جدران البناء المربع لحمل القبة، وغالبا ما كانت على شكل نصف قبة أو أقل، وعملت لغرض وظيفي في غالب الأحيان، ولغرض جمالي تزييني في أحيان أخرى. عاصم رزق: معجم مصطلحات العمارة، ص 86.
- 61) عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية بالمغرب الأقصى، ص 254.
- 62) يقع في حي القطيع حارة الميدان بصنعاء القديمة، ويرجع تاريخ عمارته إلى الوالي العثماني حسن باشا (988-1012هـ / 1580-1603م)، ويعد أكبر حمامات مدينة صنعاء. انظر: أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج2، ترجمة مديرية التطوير الثقافي، العراق، مطبعة البصرة، 1986، ص 209.
- 63) تعرض حمام الميدان لعدة ترميمات واصلاحات في العهد العثماني الثاني، ومنها في عهد الوالي أحمد مختار باشا (1288-1291هـ / 1871-1874م)، وكذلك في فترة حكم الوالي مصطفى عاصم (1292-

- 1296 هـ/ 1875 - 1879 م). انظر: أحمد راشد: تاريخ اليمن وصنعاء، ج 2، ص 209. وأيضاً يمن سالنامه سي: مطبعة الولاية، 1896، ص 366، 377.
- 64 السيد محمود البنا: دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة في العصر العثماني، رسالة دكتوراه، كلية الآثار، جامعة القاهرة، 1993، ص 208. وأيضاً: Serjeant and Lewcock, Sanaa an Arabian Islamic City, p 513.
- 65 محمد عبد الستار: فقه عمارة الحمامات، ص 290.
- 66 محمد رابع فيسه: المنشآت المرابطة في مدينة ندرومة دراسة تاريخية أثرية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 2005، ص 104.
- 67 عثمان إسماعيل: تاريخ العمارة الإسلامية بالمغرب الأقصى، ص 254.
- 68 ما يزال يوجد في فناء المضحى بعض القدور التالفة (الدست)، التي تم الاستغناء عنها، فمع مرور الوقت تؤدي الحرارة الشديدة التي يتعرض لها هذا القدر إلى التشقق والثقب، مما يجعل من الضرورة استبداله بقدر جديد.
- 69 يتم تنظيف الشوارع الأرضية بأسفل الحمام من المخلفات والأوساخ التي تعمل على منع وصول الحرارة إلى أرضية قاعات الاستحمام، وتتم هذه العملية عندما ينخفض معدل الحرارة الطبيعي والمعهود في قاعات الاستحمام، وكان التنظيف سابقاً بمعدل مرة واحدة في السنة، أو عند تبديل قدر الماء الساخن (الدست).  
مقابلة شخصية مع (الحمامي) محمد القردعي، بتاريخ 2017/2/15.
- 70 سيد البنا: دراسة ترميم وصيانة مدينة صنعاء القديمة، ص 207. وأيضاً: منظمة العواصم والمدن الإسلامية: أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري، ص 284.
- 71 صالح لمعي مصطفى: التراث المعماري الإسلامي في مصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط 1، 1984، ص 62.
- 72 محمد رابع فيسه: المنشآت المرابطة في مدينة ندرومة، ص 105.
- 73 بعد قلة الماء في بئر مسجد عبيلة، وحاجة الحمام إلى كمية كبيرة من الماء، أصبح الاعتماد بشكل كلي على شرائه من أصحاب الشاحنات الخاصة بنقل الماء. مقابلة شخصية مع (الحمامي) محمد القردعي، بتاريخ 2017/2/15.
- 74 يطلق على القدر النحاسي بالمنطقة الجبلية باليمن الدست، وبالجزائر النحاسية، وتتم عملية تثبيتها بوساطة بناء الأجزاء الجانبية من الفرن على علو (1.50م) تقريباً، وعلى الكتلة الاسطوانية توضع حافات النحاسية التي تكون قطر الفتحة العليا على الكتلة المبنية فوق الطبقة العازلة، وبعد تثبيتها توضع طبقة ثانية من الملاط، ثم توضع قطع أخرى من الأجر لتكون قاعدة الخزان المعد لتدفئة الماء، وتدعم هي الأخرى بإداة عازلة من الملاط. موساوي عربية سليمة: الحمامات الجزائرية من العصر الإسلامي إلى نهاية العهد العثماني دراسة آثارية معمارية، رسالة ماجستير، معهد الآثار، جامعة الجزائر، 1991، ص 135.





## قياس التهرب الضريبي في اليمن وطرق علاجه

للفترة (1990-2015)

د. محمد علي المكردى\*

الملخص:

يقوم البحث بدراسة التهرب الضريبي في اليمن، وقد تعرض لتطور النظام الضريبي في اليمن والإصلاحات التي أجريت على هذا النظام، ومدى تأثيرها في تحسين مستوى الإيرادات الضريبية من جانب، ورفع إسهاماتها النسبية إلى جملة الموارد العامة للدولة وكذلك إسهامها في الموازنة العامة للدولة من جانب آخر، باعتبار أن الإيرادات الضريبية من أهم الموارد الأكثر استقراراً ونمواً مع الزمن وغير قابلة للنعوب أو التذبذب الحاد كما هو الحال بالنسبة إلى الإيرادات النفطية أو الرسوم، وقد حاولت الدراسة قياس حجم التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني، والتعرف على أسبابه، وطرح بعض المقترحات التي يمكن أن تساعد على الحد منه، وقد توصلت الدراسة إلى ارتفاع حجم التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني إذ شكل نسبة عالية تفقد الخزينة العامة موارد جيدة فيما لو عولجت الأسباب وتم الحد من التهرب الضريبي، وقد توصلت الدراسة إلى أن أهم الأسباب التي تقف وراء ظاهرة التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني؛ تتمثل في الاختلالات التي تعاني منها الإدارة الضريبية من جانب، وارتفاع حجم الاقتصاد غير الرسمي إلى حجم الناتج المحلي الإجمالي مما جعل جزءاً كبيراً من أنشطة المجتمع غير خاضعة للضرائب، بالإضافة إلى بعض القصور في الجوانب التشريعية وخصوصاً في جانب

\* أستاذ الاقتصاد المالي والمصرفي المساعد، كلية العلوم الإدارية، جامعة ذمار.

الردع والعقاب تجاه المتهربين عن دفع الضرائب مما جعل المكلفين يستهينون ويستسيغون من ظاهرة التهرب الضريبي، كما أن انخفاض الوعي الضريبي في المجتمع له دور مفصلي في عملية التهرب الضريبي.

### المقدمة:

تعد الضريبة أداة ووسيلة في الوقت نفسه، فهي أداة من أدوات السياسة المالية، ووسيلة مالية تستخدمها السلطات العامة لتحقيق الهدف المالي لتمويل النفقات العامة. كما تعد انعكاساً للأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في أي مجتمع تفرض عليه، فهي الينبوع الرئيس الذي تستقي منه الدولة الأموال اللازمة لسد نفقاتها العامة، بل إنها تعد أكثر أهمية وديمومة من الموارد العامة بأشكالها الأخرى<sup>(1)</sup>.

وقد كان الهدف من الضريبة حتى بداية القرن العشرين مالياً صرفاً، إذ استعملتها السلطات العامة للحصول على الإيرادات لتغطية النفقات العامة، وكان على الإيرادات الضريبية في ذلك الوقت أن تبقى في حدها الأدنى، إذ نادى الاقتصاديون في تلك الفترة بضرورة بقاء الضريبة على الحياد، وعدم استخدامها لأغراض اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية. إلا أن أهداف الضريبة قد تغيرت بتغير الظروف المحيطة بها، واختفى مبدأ حيادية الضريبة شيئاً فشيئاً وحل محله مبدأ الضريب التداخلية، حيث أصبح للضريبة أهدافاً اجتماعية، واقتصادية، وسياسية بالإضافة إلى أهدافها المالية.

ومع أن الضريبة أصبحت متعددة الأهداف إلا أن المكلف بالضريبة لم يع ذلك ويصل إلى التجرد من أنانيته بصورة كاملة بحيث ينظر إلى ضرورة الالتزام بدفع الضريبة باعتبارها واجباً وطنياً مقدساً يسهم عن طريقها - وبشكل تضامني مع مجتمعه - في تحقيق أهداف التنمية، بل إن المكلف ظل يدافع عن مصالحه الذاتية من خلال المحاولة بطريقة أو بأخرى في تفادي دفع الضريبة كلياً أو جزئياً، والتقليل من نطاق الاقتطاع الضريبي المفروض عليه أو تجنبه، ومن هنا نشأت ظاهرة "التهرب الضريبي" أو الإفلات من الضريبة<sup>(2)</sup>.

أصبحت ظاهرة التهرب الضريبي من الظواهر التي يلجأ إليها المكلف الضريبي سواء في البلدان المتقدمة، أم النامية بغرض التخلص من العبء الضريبي بالسبل كافة. فعلى سبيل المثال فإن

نسبة الذين تقدموا ببيانات غير دقيقة إلى مصلحة الضرائب في الولايات المتحدة الأمريكية تصل إلى (واحد من كل 12 مكلف) حيث تشير الدراسات إلى أن مبلغ التهرب الضريبي في الولايات المتحدة الأمريكية في عام 1993 بلغ ما يقارب (127) مليار دولار أمريكي<sup>(3)</sup>، وبلغ في عام 2003 (150) مليار دولار، كما قُدر التهرب الضريبي في الاتحاد الأوروبي بنسبة (16٪) من الناتج القومي حيث تراوحت هذه النسبة في دول الاتحاد بين 4٪ في فنلندا و(35٪) في اليونان، بينما يقدر التهرب الضريبي في الاقتصاد الأمريكي بحدود (10٪) من الناتج القومي الأمريكي<sup>(4)</sup>.

تُظهر الإحصاءات أن نسبة التهرب الضريبي في جمهورية مصر العربية بلغ حوالي (50٪) من جملة الحصيلة الضريبية، بينما تراوحت في فرنسا بين (15-33٪) من جملة الحصيلة الضريبية، بينما تصل في الدول النامية إلى خمسة أضعاف الحصيلة الضريبية<sup>(5)</sup>.

ومع أن ظاهرة التهرب الضريبي تعد من القضايا الهامة في اقتصاديات الشعوب إلا أنها لم تحض بالاهتمام الكافي من قبل الباحثين في مجال المالية العامة بالرغم من خطورة تلك الظاهرة على الجوانب المالية والاقتصادية والاجتماعية، بل إن هذه الظاهرة أصبحت تتزايد من مدة إلى أخرى خصوصاً في البلدان النامية نتيجة لما تعانيه تلك البلدان من قصور في التشريعات الضريبية من جانب، وسوء الإدارة الضريبية من جانب آخر، ناهيك عن الخلل في الجهاز القضائي في تلك البلدان، وعدم تطبيق العقاب الرادع على المتهرب من دفع الضريبة.

تعاني اليمن مثلها مثل كثير من البلدان، سواء المتقدمة أو النامية من تلك الظاهرة التي تنتشر في الاقتصاد اليمني بشكل كبير نتيجة الخلل الذي يعاني منه الجهاز الضريبي في اليمن، ونتيجة عدم الوعي الضريبي في أوساط المجتمع اليمني باعتبار أن الضريبة مساهمة من قبل المجتمع في عملية تمويل نفقات الحكومة، وتمويل عملية التنمية الاقتصادية من ناحية أخرى، ناهيك عن وجود المحسوبية، والفساد اللذين يعدان سمة أساسية للنظام الضريبي في اليمن.

مشكلة الدراسة: تتمحور مشكلة الدراسة في انتشار ظاهرة التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني، مما انعكست سلباً على حجم الإيرادات العامة من ناحية، وعلى الاختلال في هيكل الإيرادات العامة في الاقتصاد اليمني، وفقدان الخزينة العامة مبالغ كبيرة بسبب هذا التهرب من ناحية أخرى، وترتب على ذلك زيادة العجز في الموازنة العامة للدولة، واللجوء إلى تمويل هذا العجز عن طريق الدين العام، وما

لذلك من آثار سلبية على الاقتصاد اليمني فضلاً عن الآثار السلبية على الموازنة العامة للدولة، وتحملها أعباء إضافية تتمثل في ارتفاع أعباء الدين العام. ومن هنا فإن مشكلة الدراسة تتبلور في السؤال الآتي:  
ما حجم التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني، وما هي الأسباب التي تقف وراء التهرب الضريبي، وما هي طرق معالجته؟

فروض الدراسة: تقوم هذه الدراسة على فرضية رئيسة تتمثل في ارتفاع ظاهرة التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني، ويتفرع عنها الفرضيات الآتية:

- 1- يشكل القطاع غير الرسمي نسبة مرتفعة من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد اليمني مما زاد من ظاهرة التهرب الضريبي في اليمن.
- 2- تمثل عملية الفساد في الإدارة الضريبية أهم العوامل الرئيسية للتهرب الضريبي.
- 3- انخفاض الطاقة الضريبية الفعلية مقارنة بالطاقة الضريبية المقدرة في الاقتصاديات المشابهة للاقتصاد اليمني.
- 4- انخفاض درجة العلاقة بين نمو الناتج المحلي الإجمالي، ومعدل نمو الإيرادات الضريبية.
- 5- تدني كفاءة الإدارة الضريبية، وعدم مواكبتها للتطورات في مجال المحاسبة، والحماية الضريبية مما حد من الإصلاحات الضريبية التي نفذتها الحكومات في الفترة الماضية.

أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى الآتي:

1. دراسة واقع النظام الضريبي الحالي في اليمن؛ لمعرفة مكامن الخلل فيه، ومساهمتها في التهرب الضريبي.
2. التعرف على أسباب انتشار ظاهرة التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني، للوصول إلى الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة.
3. دراسة وتحليل الإصلاحات في النظام الضريبي في اليمن وأثرها على حجم الإيرادات الضريبية وتحسين الهيكل الضريبي.
4. قياس ظاهرة التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني.
5. دراسة تطور الإيرادات الضريبية في الاقتصاد اليمني، ودرجة العلاقة بين نمو الناتج المحلي الإجمالي، ونمو الإيرادات الضريبية.
6. قياس القطاع غير الرسمي في اليمن للتعرف على أثره في ظاهرة التهرب الضريبي.

حدود البحث: الحدود الزمانية: يتناول هذا البحث تطور الموارد الضريبية والنظام الضريبي في الاقتصاد اليمني في الفترة من (1991-2015).

الحدود المكانية: يتناول هذا البحث التهرب الضريبي في الجمهورية اليمنية.

محتويات الدراسة: تتكون الدراسة من أربعة مباحث وخاتمة، يركز المبحث الأول: على تطور النظام الضريبي، والإصلاحات الضريبية في اليمن، ويتناول المبحث الثاني: تقييم أثر إصلاحات النظام الضريبي على هيكل الموارد الضريبية، وأهميتها بالنسبة إلى جملة الإيرادات العامة، أما المبحث الثالث: فيتناول قياس حجم التهرب الضريبي في اليمن، ويتناول المبحث الرابع: أسباب التهرب الضريبي في اليمن، وسبل معالجتها، والخاتمة.

### المبحث الأول: تطور النظام الضريبي والإصلاحات الضريبية في اليمن

يمثل النظام الضريبي مجموعة الضرائب المطبقة في إطار معين من استخدام الفن المالي في مجتمع معين، وفي لحظة معينة بما يحتويه من قواعد قانونية، وفنية للضرائب، فضلا عن العناصر الأيديولوجية والمقومات الاقتصادية والإدارية التي تتفاعل معها تلك القواعد.

ويعرّف النظام الضريبي بأنه ((مجموعة العناصر الأيديولوجية، والاقتصادية، والفنية التي يؤدي تراكمها وتفاعلها إلى كيان ضريبي معين ذلك الكيان الذي يمثل الواجهة الحسية للنظام التي تختلف ملامحه بالضرورة في مجتمع متقدم اقتصاديا عن صورته في مجتمع متخلف اقتصاديا))<sup>(6)</sup>. كما يعرف أنه ((مجموعة القواعد القانونية والفنية التي تمكن من الاستقطاع الضريبي في مراحل المتتالية من التشريع إلى الربط إلى التحصيل))<sup>(7)</sup>. ويعد النظام الضريبي أداة فعالة بيد الدولة لتحقيق الأهداف التي تصبو إليها، ويتأثر النظام الضريبي بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فضلا عن الأهداف التي تسعى الدولة إلى تحقيقها من خلال النظام الضريبي<sup>(8)</sup>، وتتكون مقومات النظام الضريبي من الإدارة التشريعية التي تختص بإصدار القوانين الضريبية، والإدارة التنفيذية التي تتولى تنفيذ هذه القوانين، والجهاز القضائي الذي يتولى الحكم في النزاعات التي قد تنشأ بين المكلفين والإدارة الضريبية<sup>(9)</sup>. ويتميز النظام الضريبي بالفعالية، والكفاءة كلما كان أكثر قابلية للتطور المستمر تبعاً للتحويلات الاقتصادية، والاجتماعية، والمالية

في البلد، فأى نظام في العادة يطبق في مدة زمنية ثم يصبح غير مناسب بعد فترة من الزمن مما يقتضي تعديله وإصلاحه سواء تعلق الأمر بالدول المتقدمة أم النامية.

أدرجت عملية إصلاح النظام الضريبي اليمني ضمن برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي تبنته الحكومة اليمنية مع المنظمات الدولية ابتداءً من مارس 1995؛ بهدف تحسين الأداء الاقتصادي وتحرير الاقتصاد عن طريق انتهاج مبادئ السوق الحر، وقد هدف الإصلاح الضريبي في اليمن إلى الآتي<sup>(10)</sup>:

- إعادة بناء النظام الضريبي على أسس أكثر عدالة وشفافية.
- إيجاد إدارة ضريبية حديثة تعتمد على الكفاءة والفاعلية.
- تبسيط الإجراءات وتحديث آليات العمل في الجهاز الضريبي.
- تحسين مستوى الخدمات المقدمة للمكلفين، وتفعيل الالتزام الضريبي.
- رفع مساهمة الموارد الضريبية في الناتج المحلي.
- المساهمة في تحسين بيئة الأعمال، والتهيئة لجذب الاستثمارات المحلية والأجنبية.

ومما سبق فإن عملية إصلاح النظام الضريبي تتكون من أربعة محاور هي: المحور الأول يتمثل في إصلاح التشريعات الضريبية، والمحور الثاني يتمثل في إصلاح الإدارة الضريبية، والمحور الثالث يتمثل في رفع قدرات العنصر البشري، والمحور الرابع يتمثل في رفع القدرات الفنية والتقنية للجهاز الضريبي على النحو الآتي<sup>(11)</sup>:

أولاً: إصلاح التشريعات الضريبية: اعتمد النظام الضريبي في اليمن على نظام الضرائب النوعية، وهو في هيكله العام نتاج لتشريعات عديدة وضعت موضع التنفيذ في ظروف مختلفة مر بها النظام الضريبي في اليمن، إذ يتكون النظام الضريبي الحالي من مجموعة من الضرائب النوعية (مباشرة وغير مباشرة)، تنظمها قوانين مختلفة، ومتعددة صدرت بشكل متلاحق منذ قيام الجمهورية اليمنية في العام 1990 عن طريق إصدار القوانين الضريبية، إلا أن النظام الضريبي في اليمن ظل يعاني من قصور، وعدم قدرة على خلق أوعية ضريبية جديدة ناهيك عن تدني كفاءة الجهاز الضريبي في اليمن، وعدم مقدرته على تحصيل الضرائب بالشكل المطلوب وفقاً لتلك التشريعات والقوانين الصادرة التي بدورها عانت من بعض القصور، الأمر الذي أسهم في جعل الحصيلة من الموارد الضريبية متدنية بالنسبة إلى الغاية إلى جملة الإيرادات العامة للدولة، وجعل من مسألة الإصلاحات الضريبية ضرورة حتمية تقف أمام الحكومة في

ذلك الحين. ونظراً إلى التحولات الجوهرية التي مر بها الاقتصاد اليمني على المستوى السياسي، والاقتصادي منذ العام 1990م؛ نتيجة التحول التدريجي من نظام التخطيط، وتدخل الدولة الواسع في النشاط الاقتصادي، إلى نظام اقتصاد السوق الحر فإن ذلك يتطلب ضرورة إجراء إصلاحات ضريبية تهدف إلى تحسين الموارد الضريبية، وخلق أوعية ضريبية جديدة، فضلاً عن الحد من التهرب الضريبي وتحقيق الكفاءة، والعدالة الضريبية عن طريق إصلاح التشريعات الضريبية والجهاز الضريبي من أجل تعبئة الموارد الضريبية المفقودة والكامنة، فضلاً عن إجراء تعديلات ضريبية تهدف بوساطتها إلى التنسيق بين تحقيق الأهداف الاقتصادية، والكفاءة، والعدالة، والفعالية الضريبية عن طريق التفاعل بين وسائل ضريبية مختلفة يمكن أن تحقق مكاسباً في استغلال الأوعية الضريبية الكامنة بشكل أكفأ، والحد من التهرب الضريبي.

وقد تبنت الحكومة اليمنية برنامجاً للإصلاح الاقتصادي والمالي ابتداء من العام 1995م الذي هدف إلى إصلاح الأوضاع الاقتصادية، والحد من تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، والأخذ بنظام السوق الحر، وهذا الأمر اقتضى من الحكومة إجراء إصلاح ضريبي يتوافق ومتطلبات الإصلاح الاقتصادي على اعتبار أن الضريبة تمثل أداة هامة من أدوات السياسة المالية، والاقتصادية، والإصلاح الضريبي يهدف إلى التنسيق بين الأهداف الاقتصادية، والكفاءة، والعدالة، والفعالية الضريبية، ولذا فإن التفاعل بين وسائل ضريبية مختلفة يمكن أن يحقق مكاسباً في هذا المجال، كما أن الإصلاحات الضريبية تعد من الأهداف الأساسية التي تسعى بوساطتها السلطات المالية إلى تحسين مستوى التحصيل الضريبي، وزيادة نسبة الإيرادات الضريبية إلى حجم الإيرادات العامة للدولة، ومن هذا المنطلق عملت الحكومة اليمنية منذ العام 1991م على إجراء مجموعة من الإصلاحات الضريبية بهدف زيادة الحصيلة العامة للإيرادات الضريبية، وتعزيز أهميتها النسبية بالنسبة إلى الإيرادات العامة للدولة، وكان من أهم هذه الإصلاحات ما يلي:

1- أجريت بعض الإصلاحات على ضريبة الدخل والأرباح، إذ صدر القانون رقم (31) لسنة 1991، الذي شمل خمسة أوعية ضريبية على الدخل والمتمثلة في ضريبة الأرباح التجارية والصناعية، وضريبة الدخل على المهن غير التجارية والصناعية، وضريبة المرتبات والأجور، وضريبة ريع العقارات، وضريبة مبيعات العقارات، وحدد القانون ضريبة الأرباح التجارية على الأعمال والمنشآت التجارية والصناعية، وعلى الأعمال الخدمية وعلى أرباح الوحدات الاقتصادية للقطاعين العام والمختلط، وعلى

أرباح الأشخاص والشركات، والوسطاء بالعمولة، وتحددت الضريبة سنويا على الأرباح الصافية في السنة الضريبية السابقة على النحو التالي:

(28٪) لشركات الأشخاص، و(28٪) على كل المبالغ التي تدفع على سبيل السمسرة والعمولة، (32٪) لشركات الأموال ووحدات القطاع الاقتصادي العام والمختلط، (36٪) للشركات ذوات الامتياز والشركات بجميع أنواعها غير المقيمة<sup>(12)</sup>. أما بالنسبة إلى ضريبة الأجور والمرتبات فقد خضعت لنظام الضريبة التصاعدية، وتم إيقاف الحد التصاعدي الأعلى عند نسبة (16٪) من الدخل. وبالنسبة إلى ضريبة العقارات فقد حددت بوعائين هما وعاء ريع العقارات، ووعاء الدخل من المبيعات والتصرفات العقارية، حيث حدد الوعاء الأول على العقارات المؤجرة بواقع إيجار شهر واحد في السنة وإيجار نصف شهر على العقارات المستغلة من المالك، وأعفيت العقارات المستغلة لغرض السكن من قبل أصحابها، ولأغراض خيرية. وحدد الوعاء الثاني الخاص بمبيعات العقارات والأراضي الزراعية والتصرفات بنسبة (3٪) من القيمة التي تم بيع العقار بها، وإعفاء العقار المنقول عن طريق الإرث، والوصية، أو الناتجة عن هبة لمنشأة دينية أو خيرية، التصرفات بعقارات الأوقاف والأراضي الزراعية<sup>(13)</sup>. أما ضريبة المهن الحرة فوعاء هذه الضريبة هو الدخل المتأتي من ممارسة المهن التي يكون العنصر الأساسي فيها هو العمل بجانب مساهمة عنصر رأس المال، وقد فرضت هذه الضريبة على هذا الوعاء وفق نظام الشرائح على أن تتوقف الشريحة التصاعدية عند (22٪)، كما نص القانون على فرض ضريبة العمل على الشركات الأجنبية العاملة في اليمن التي لا تشملها زكاة رأس المال التي تسري على الشركات، والمؤسسات الوطنية، وحددت هذه الضريبة بنسبة (2.5٪) من قيمة رأس المال.

واستجابة للمتغيرات الاقتصادية التي حدثت في اليمن تم تعديل قانون ضريبة الدخل بموجب القانون رقم (17) لسنة 2010 الذي راعى فيه المشرع الضريبي توسيع الوعاء الضريبي عن طريق إضافة بعض الأنشطة التي أغفلها القانون رقم (31) لسنة 1991، وتعديلاته فضلاً عن تفصيل جوانب الخصم، ونسب الإهلاك بشكل دقيق، وبما يجد من الاجتهادات من قبل الإدارة التنفيذية ويحد من التهرب الضريبي، كما أن هذا القانون قد جاء بنصوص وتفاصيل عن المنشآت الصغيرة والأصغر، وإخضاعها للضريبة، إذ فرضت عليها ضريبة بنسبة (10٪) من قيمة المبيعات



للأنشطة التجارية، والصناعية، والمقاولات بينما فرضت الضريبة بنسبة (20٪) من جملة الإيرادات الخدمية والدخل والمهنية، و (5٪) من إجمالي قيمة المبيعات للسلع الغذائية الأساسية.

وقد أخذ هذا التعديل في الحساب الظروف الاقتصادية، والحوافز الاقتصادية، ورفع نسب الإعفاء من الدخل حيث رفع الشريحة المعفاة إلى (120,000) ريال على أن تخضع الضريبة للتصاعد حيث تخضع الـ (120,000) التالية لنسبة (10٪) بينما تخضع الشريحة الثالثة (600,000) ريال لنسبة (15٪) وما زاد عن (480,000) من الأرباح يخضع لنسبة (20٪)، وحددت الضريبة على غير المقيمين بمعدل (20٪) دون تمتعهم بحد الإعفاء، وأخضعت الاتفاقيات الخاصة بالامتياز والمشاركة في الإنتاج مع الحكومة لضريبة بنسبة (35٪) دون تنزيل حد الإعفاء، وفرضت ضريبة على الشركات المبرمة عقود مع الحكومة اليمنية والخاضعة لضريبة الأرباح التجارية والصناعية بما يزيد عن (35٪) دون تنزيل حد الإعفاء، كما رفعت الضريبة على شركات الهاتف الجوال إلى (50٪) و (35٪) على مقدمي خدمات الهاتف الدولي، ومنتجاتي ومستوردي السجائر، ناهيك عن رفع السقوف الخاصة بالإعفاءات، وبما يضمن مبدأ العدالة الضريبية، وإعادة توزيع الدخل.

ورفعت ضريبة الأجور والمرتبات لغير المقيمين إلى نسبة (20٪) إذ حددت الضريبة بنسبة (15٪) دون تنزيل حد الإعفاء، وحدد هذه المشاريع بمشاريع النقل البحري، والجوي ومشاريع التنمية الصحية، وقد استثنى المشرع في هذا التعديل المنشآت والمشاريع الاستشارية، ومشروعات إنتاج برامج الحاسب الآلي، والمشروعات الفندقية، والمدن السياحية وأماكن ترفيه الأطفال، ومشروعات التنمية الصناعية، والزراعية الإنتاجية؛ بهدف تشجيع تلك القطاعات ومساهمتها في عملية التنمية الاقتصادية. وحدد القانون الحد الأعلى لضريبة الأجور والمرتبات بنسبة (15٪) بدلا من (16٪) وتحديد الضريبة على الدخول الأخرى بنسبة (15٪)، وفرضت ضريبة على العمولة والسمسرة العارضة بنسبة (10٪).

وفيما يتعلق بضريبة بيع العقارات فقد خُفِضت إلى (1٪) بدلا من (3٪) من قيمة العقار، وحصرت ضريبة ريع العقارات على العقارات المؤجرة فقط، وأعفيت العقارات المستغلة من قبل أصحابها للأغراض غير السكنية، كما أخضع القانون المعدل المبالغ التي تدفعها المنشآت الفردية، والأشخاص المقيمين للجهات الخارجية مثل العوائد، والفوائد، والإتاوات... إلخ<sup>(14)</sup>.

2- إصدار قانون ضريبة الإنتاج، والاستهلاك، والخدمات بموجب القانون رقم (70) لسنة 1991، وقد أجريت على هذا القانون تعديلات بموجب القانون رقم (4) لسنة 1997، إذ تم بموجب هذا التعديل تحديد سلع معينة تخضع لهذه الضريبة مثل السجائر، والمشتقات النفطية، والمياه الغازية، إلى جانب عمولة الامتياز على الشركات النفطية، وتم تعديل هذا القانون للمرة الثانية في عام 1999 بموجب القانون رقم (13) الذي يفرض نسب غير موحدة على السلع والخدمات المستوردة والمنتجة محلياً وفقاً لجدول ملحق بالقانون، كما يحدد القانون السلع والخدمات المعفية من تلك الضريبة.

3- إصدار قانون ضريبة المبيعات بموجب القانون رقم (19) لعام 2001م كبديل لقانون ضريبة الاستهلاك والإنتاج، وتعتبر الضريبة العامة على المبيعات من الضرائب غير المباشرة التي يحددها الشخص المكلف بتحصيل وتوريد الضريبة إلى الخزانة العامة، والمكلف هنا هو المنتج أو المستورد أو البائع والذين ينوبون عن الممول الفعلي الذي يتحمل العبء (المستهلك) عن طريق ظاهرة نقل العبء الضريبي. ويعد هذا النوع من الضرائب التي لا تأخذ بعين الاعتبار الظروف الاقتصادية والاجتماعية للممولين (الأفراد، المستهلكين النهائيين) إلا من جانب واحد يتمثل في الإعفاءات التي يمنحها القانون لبعض السلع الغذائية، إضافة إلى تدرج سعر الضريبة بحسب أهمية السلعة ومدى اعتبارها من السلع الضرورية والكمالية.

وتعد هذه الضريبة حديثة من حيث الاهتمام القانوني، والمحاسبي، إذ لم تحظ بالاهتمام في اليمن إلا من عام 2000م، وجاءت هذه الضريبة لتحل محل ضريبة الإنتاج، والاستهلاك، وكانت جزءاً لا يتجزأ من برنامج الإصلاح المالي. وقد حدد القانون في المادة رقم (4) باحتساب الضريبة على المبيعات من السلع والخدمات الخاضعة لضريبة الإنتاج والاستهلاك عدا السلع المعفية بنسبة (10٪) من قيمة مبيعات السلع أو الخدمات (المحلية والمستوردة).

وقد لقي هذا النوع من الضرائب مقاومة شديدة من قبل القطاع التجاري، والصناعي. ومع صدور هذا القانون في العام 2001 إلا أن العمل فيه ظل معلقاً ولم يتم البدء بتطبيقه إلا في 18 يونيو 2005 بعد إجراء تعديلات عليه بموجب القانون رقم (42) لسنة 2005 إذ تم تخفيض نسبة الضريبة من (10٪) إلى (5٪)، إذ نصت المادة رقم (4/أ) بأن تحتسب الضريبة بنسبة عامة بواقع (5٪) من قيمة مبيعات السلع، والخدمات المحلية، والمستوردة وتعد هذه النسبة من أقل النسب

المطبقة على مستوى المنطقة العربية، وقد حدد القانون التسجيل لأغراض هذه الضريبة بمبلغ خمسين مليون ريال على السلع الخاضعة للضريبة، وأربعين مليون ريال على الخدمات الخاضعة للضريبة. وأرسى هذا القانون مبدأ الخصم للمدخلات من السلع والخدمات الخاضعة للضريبة في الفترة الضريبية، ويتم حسابها على أساس المعادلة التالية:

وعاء الضريبة = (الموارد<sup>(15)</sup>) - قيمة المدخلات من السلع والخدمات الخاضعة للضريبة).

### ثانياً: إصلاح الإدارة الضريبية

يعد إصلاح الإدارة الضريبية أحد الأهداف الرئيسة لمنظومة الإصلاح الضريبي الشامل التي تتبناها السلطات المالية في اليمن في هذه المرحلة، والقائمة أساساً على إعادة الثقة بين الممول والمصلحة من جهة، وتحديث الإدارات الضريبية من جهة أخرى، وقد أثبت الواقع العملي أن نجاح الإصلاح الضريبي يتطلب عملية تغيير شاملة في النظم الضريبية، والإدارية، والتنظيمية، خاصة وأن التشريع الضريبي مع أهميته القوي لا يمثل سوى ركن واحد من أركان الإصلاح الضريبي الشامل الذي تقوم به وزارة المالية منذ مدة ليست قصيرة. وفي هذا السياق قامت وزارة المالية بالتعاون مع صندوق النقد، والبنك الدوليين بإجراء مجموعة من الإصلاحات التنظيمية والإدارية لمصلحة الضرائب وإعادة هيكلتها، وكان ضمن إعادة الهيكلة إنشاء الإدارة العامة لكبار المكلفين، وقد هدفت عن طريقها إلى تبسيط الإجراءات الخاصة بتحصيل الضرائب وتعزيز الثقة بين الإدارة الضريبية والمكلف، إذ ضمت الشريحة الكبرى من المكلفين خطوة أولى نحو إصلاح أوسع للإدارة الضريبية، والمجتمع الضريبي عن طريق العمل وفقاً لمبادئ تنظيمية جديدة، ونظم ودراسات إدارية ملائمة تتناسب مع طبيعة هذه الكيانات الكبرى ونمطها. وقد أثبتت هذه الخبرة العملية من واقع تجارب العديد من البلدان أن هذه الوسيلة هي إحدى الوسائل الهامة لزيادة الإيرادات من جهة، ولتحسين الإدارة الضريبية من جهة أخرى، لذلك تبنت معظم البلدان المتقدمة هذه الفكرة، وقامت بدورها بتقسيم المجتمع الضريبي إلى عدة شرائح وفقاً لمستوى رقم الأعمال السنوي، أو نوع النشاط، أو إجمالي، أو صافي الربح، أو وعاء الضريبة... إلخ؛ مما يساعد على حسن المتابعة للملفات كثيرة الأهمية، وبما يؤدي إلى المزيد من الكفاءة، والفاعلية في النظام الضريبي. وقد حدد المشرع اليمني في المادة رقم (6/أ) نظام

التسجيل في الإدارة العامة لكبار المكلفين ولغرض تطبيق قانون ضريبة المبيعات للأشطة التجارية، والصناعية، والخدمية التي لا يقل حجم نشاطها (مبيعاتها) عن (50) مليون ريال<sup>(16)</sup>.

وتقدم الوحدة التنفيذية لكبار المكلفين جميع الخدمات التي يحتاجها المكلفون في الضريبة على الدخل، والضريبة العامة على المبيعات، إذ صممت الإجراءات والنظم المعمول بها في تلك الإدارة العامة على أساس وظيفي، وليس طبقاً لنوع الضريبة مما يساعد على تحقيق أعلى مستوى للتكامل والكفاءة، وسرعة الإنجاز تمهيداً للدمج الكامل بين المهمتين، الأمر الذي يساعد على تقديم أفضل مستوى للأداء الضريبي، ويساعد على تأدية الواجب الضريبي بأفضل وسيلة وبأقل تكلفة ممكنة، ومن شأن ذلك مساعدة المكلف على تسوية موقفه الضريبي دون مشاكل، أو عراقيل بيروقراطية، أو إدارية، إذ يتفرغ تماماً لإنجاز مهامه الاستثمارية. ومع كون الوحدة التنفيذية لكبار المكلفين ظلت جزءاً من المنظومة الضريبية ككل، إلا أنها كلفت بمراجعة ضرائب الدخل، وضرائب المبيعات، والرواتب، والأجور لكل المكلفين المنضمين لها، والخاضعين لمعاييرها مع مراجعة هذه المنظومة لمعرفة أوجه الضعف، والقصور بغية تلافيتها، وإدخال الإصلاحات المطلوبة باعتبار ذلك يشكل الخطوة الأولى في عملية التحول الشامل والمتكامل للنظام الضريبي.

وفي مجال إعادة الهيكلة عملت مصلحة الضرائب على إعادة النظر في هيكلها التنظيمي في إطار برنامج تحديث الخدمة المدنية، وتم تعديله من قبل خبراء دوليين، ومحليين وفقاً للمهام والإجراءات في الإدارات الإشرافية<sup>(17)</sup>. بالنسبة إلى الإدارات الضريبية التنفيذية وفقاً للوظائف، وعلى أساس فئات المكلفين (كبار، متوسطي، وصغار). وقد استهدفت عملية إعادة الهيكلة للمصلحة أن يصبح هيكلها التنظيمي متناسب مع الإصلاحات التشريعية، ويحد من الازدواج في الصلاحيات من ناحية، وييسر الإجراءات في العمل الضريبي من ناحية أخرى، وتحديث آليات العمل المختلفة وبما يحسن مستوى الخدمات المقدمة للمكلفين من قبل المصلحة وفروعها، ويقضي على سبل الفساد المستشري في الإدارة الضريبية وصورها، ومع كل تلك الإصلاحات التي أجرتها السلطات المالية في الإدارة الضريبية، إلا أن هذه الإصلاحات لم تكن بالشكل الكافي، وظل هيكل مصلحة الضرائب يعاني من بعض الاختلالات التي تتطلب إعادة النظر فيها وإصلاحها، علاوة على عدم التوافق بين الهيكل التنظيمي، والكادر الوظيفي عن طريق التوصيف الوظيفي لكل عنصر من عناصر الهيكل التنظيمي، وتعبئة هذا الهيكل وفق هذا الوصف وشروط شغل كل وظيفة داخل هذا الهيكل، بل ظلت الأمور خاضعة

للمحسوبة في التعيين للوظائف التنفيذية، والفنية لمصلحة الضرائب، وفروعها، وعدم إخضاعها لشروط شغل الوظائف، ومبدأ التوصيف الوظيفي لكل وظائف الإدارة الضريبية مما جعل عملية إعادة الهيكلة غير مجدية، ولن تحقق نجاحاً يذكر في مجال إصلاح الإدارة الضريبية ما لم تستكمل تلك الجزئية المكملة المتمثلة في العنصر البشري، والعنصر التقني المتمثل في مكنته العمل الضريبي وتبسيط الإجراءات وبما يخفف من مكامن الفساد، ويعزز من الدور الرقابي في مجال التحصيل الضريبي.

المبحث الثاني: تقييم أثر إصلاحات النظام الضريبي على هيكل الموارد الضريبية وأهميتها النسبية إلى جملة الإيرادات العامة

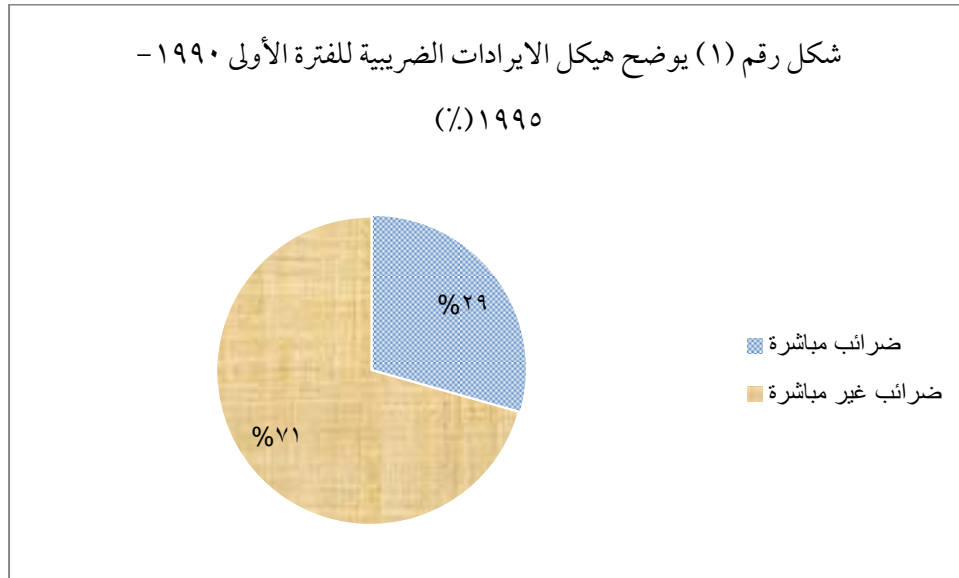
يعد هيكل الإيرادات الضريبية في أي بلد مقياساً لمدى تطور النظام الضريبي في هذا البلد، فضلاً عن مدى تطور اقتصاد هذا البلد من عدمه، فكلما شكلت الضرائب المباشرة الوزن النسبي الأعلى من الإيرادات الضريبية الإجمالية، كلما حُكم على أن النظام الضريبي في هذا الاقتصاد متطور، والعكس هو الصحيح. كما أن الوزن النسبي للإيرادات الضريبية إلى إجمالي الموارد العامة في أي بلد، يعد مؤشراً هاماً على استقرار الموازنة العامة في هذا البلد، إذ تعد الموارد الضريبية هي الأكثر استقراراً، وديمومة خصوصاً الضرائب المباشرة، فكلما كان الوزن النسبي لهذا النوع من الضرائب هو الأعلى، استطعنا القول إن الإيرادات العامة لهذا البلد أقل تعرضاً للتذبذبات، والانتكاسات الحادة الناتجة عن التقلبات الاقتصادية.

وسيركز هذا المبحث على تقييم أثر الإصلاحات في النظام الضريبي في هيكل الإيرادات الضريبية من جانب، ناهيك عن أثر تلك الإصلاحات على رفع مساهمتها بالإيرادات العامة، وتمويل الموازنة العامة للدولة عن طريق تحليل تطور هيكل الإيرادات الضريبية في اليمن وفق التوبيع الاقتصادي، فضلاً عن تحليل هيكل الإيرادات العامة ومدى مساهمة الإيرادات الضريبية فيها على النحو الآتي:

أولاً: تطور هيكل الموارد الضريبية في الفترة (1990-2015) وفقاً للتبويب الاقتصادي  
بتحليل بيانات الجدول رقم (1) يتضح:

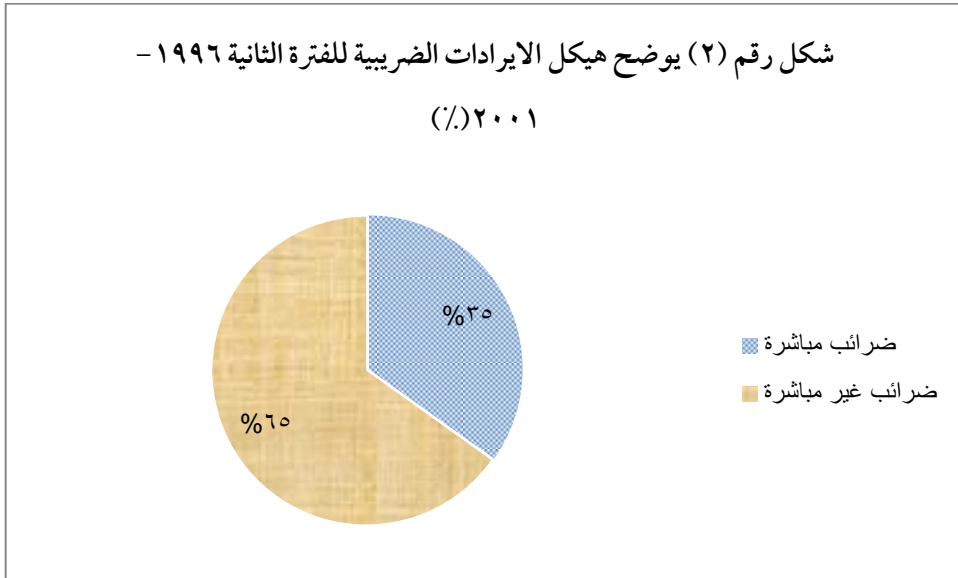
أن هيكل الضرائب في الفترة الأولى من الدراسة التي كان الوزن النسبي للضرائب المباشرة فيها متذبذباً بين (25,3%) كحد أدنى في العام 1990م و(36,2%) كحد أعلى من جملة الإيرادات الضريبية في العام 1990م، وبمتوسط (29,4%) في الفترة الأولى، بينما كانت الضرائب غير المباشرة في تلك المدة تمثل الوزن النسبي الأعلى من جملة الإيرادات الضريبية، إذ بلغت في المتوسط (70,6%)

من جملة الإيرادات الضريبية، وبالتدقيق في هذا التوزيع النسبي في تلك المدة يتبين أن النظام الضريبي المطبق لم يكن بالكفاءة المطلوبة، فضلا عن أن الجهاز الضريبي لم يكن عند المستوى من الكفاءة والفاعلية، مما أدى إلى تدني الوزن النسبي للضرائب المباشرة في هيكل الإيرادات الضريبية، وكان ذلك نتيجة تدني ضرائب الدخل، والأرباح التي بلغت كمتوسط في تلك الفترة (26,6%) من جملة الضرائب، ناهيك عن أن نسبة 56,6%\* منها كان ناتج عن الضرائب من دخل موظفي القطاع العام والحكومي التي لم يكن لمصلحة الضرائب أي دور في تحصيلها باعتبار أنها تستقطع من المنبع، وتحمل الجهات الحكومية استقطاعها وتوريدها إلى مصلحة الضرائب، علاوة على أن ضريبة التجارة الخارجية (الرسوم الجمركية) التي شكلت متوسط (37,4%) وضريبة المبيعات (الانتاج والاستهلاك) التي بلغت بالمتوسط في الفترة الأولى (30,7%) وهاذين النوعين من الضرائب يتم تحصيلها من قبل مصلحة الجمارك من المنبع في المنافذ الجمركية، وهذا يعني أن نسبة 80% من جملة الإيرادات الضريبية كان يتم تحصيلها من جهات أخرى، ولم يكن لمصلحة الضرائب أي دور في تحصيلها مما يؤكد الاستنتاج السابق بعدم كفاءة الجهاز الضريبي في تلك المدة وكذلك الأنظمة الضريبية التي كانت سارية فيها، والشكل رقم (1) يوضح حجم هذا الخلل في هيكل الإيرادات الضريبية في الفترة الأولى.



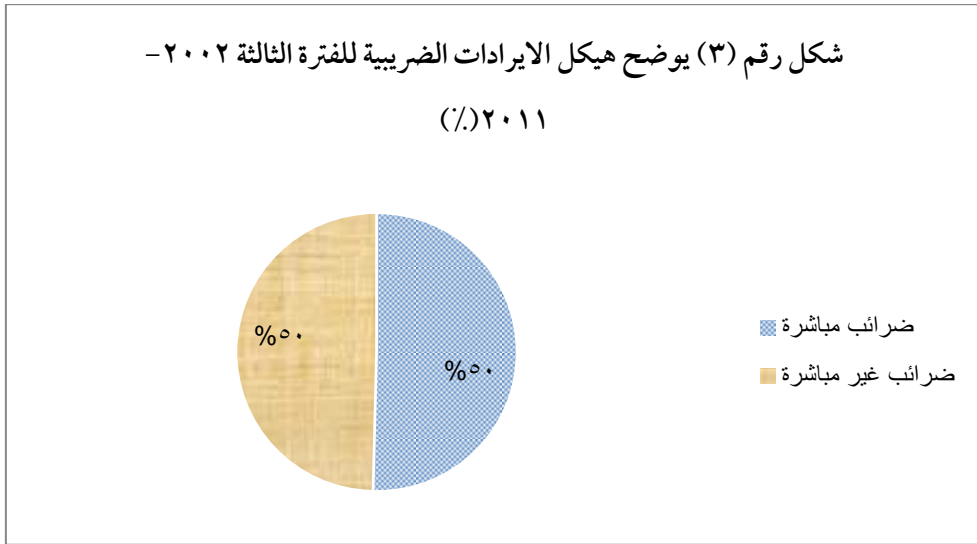
المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (1)

وبتحليل بيانات الفترة الثانية من هذه الدراسة يلاحظ أن الضرائب المباشرة قد تحسنت بشكل طفيف، إذ ارتفع متوسط الوزن النسبي للضرائب المباشرة من (29,4%) في الفترة الأولى إلى متوسط (34,8%) في الفترة الثانية، وقد كانت هذه الزيادة ناتجة عن الإصلاحات التي أدخلت على ضريبة الدخل، والأرباح، التي سبق الحديث عنها في الجزء الأول من هذه الدراسة، مما أدى إلى زيادة متوسط الوزن النسبي لضريبة الأرباح من (26,6%) إلى (34,4%) من جملة الضرائب المباشرة، وانخفاض الوزن النسبي لضرائب الدخل على العاملين من (56,6%) في الفترة الأولى إلى (52%) من جملة الضرائب المباشرة في الفترة الثانية، أما الضرائب غير المباشرة فبالرغم من التراجع في وزنها النسبي من (70,6%) في الفترة الأولى إلى (65%) من جملة الإيرادات الضريبية في الفترة الثانية إلا أنها ظلت تشكل الوزن النسبي الأعلى خلال تلك الفترة، كما هو موضح في الشكل رقم (2).



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (1)  
وبتحليل بيانات الفترة الثالثة من هذه الدراسة، يلاحظ أن الضرائب المباشرة قد تحسنت بشكل ملموس إذ ارتفع الوزن النسبي للضرائب المباشرة من (34,3%) في الفترة الثانية إلى متوسط

(50,4%) من جملة الإيرادات الضريبية في الفترة الثالثة، وقد كانت هذه الزيادة ناتجة عن الإصلاحات التي أدخلت للمرة الثانية على قانون ضريبة الدخل، والأرباح من جانب، ومن جانب آخر إلى تطبيق الإستراتيجية العامة للأجور، والمرتبات لموظفي الدولة، والقطاع العام بمراحلها الثلاث مما أدى إلى رفع الوزن النسبي لضريبة دخل الأفراد من (52%) من جملة الضرائب المباشرة في الفترة الثانية إلى (56,1%) من جملة الضرائب المباشرة في الفترة الثالثة، و زيادة الوزن النسبي لضريبة الأرباح من (32,4%) في الفترة الثانية إلى (43,8%) في الفترة الثالثة، أما الضرائب غير المباشرة فقد حققت تراجعاً في وزنها النسبي من (65%) من جملة الإيرادات الضريبية في الفترة الثانية إلى (49,6%) من جملة الضرائب في الفترة الثالثة كما هو موضح في الشكل رقم (3):

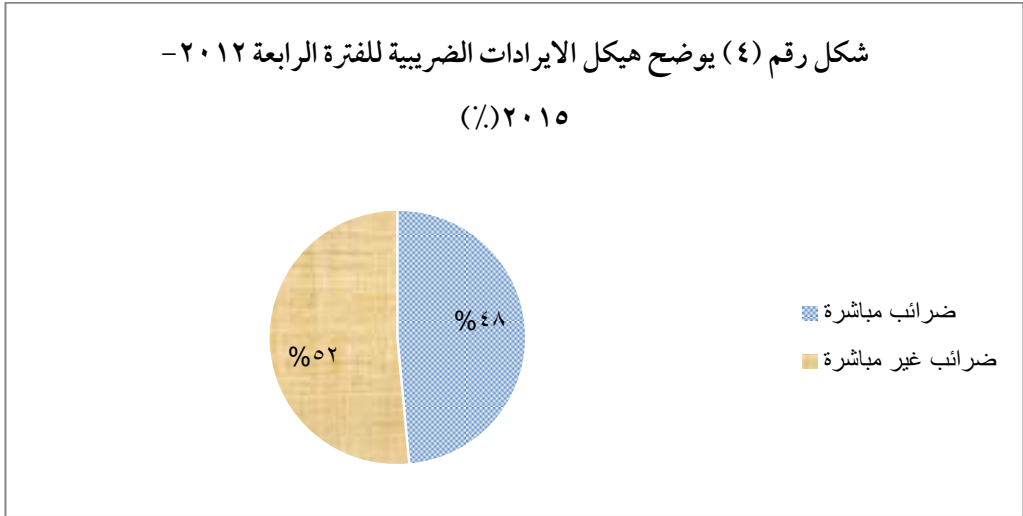


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (1)

وبتحليل بيانات الفترة الرابعة من هذه الدراسة يلاحظ أن الضرائب المباشرة، قد تراجعت بشكل بسيط، إذ انخفض الوزن النسبي للضرائب المباشرة من (50,4%) في الفترة الثالثة إلى متوسط (48,6%) من جملة الإيرادات الضريبية في الفترة الرابعة وقد كان هذا الانخفاض ناتج عن تراجع مستويات الدخل، والأرباح نتيجة الأزمة السياسية التي عصفت باليمن بعد ثورات الربيع العربي، مما أدى إلى تراجع ضريبة الدخل، والأرباح، وبالتالي تراجع الوزن النسبي للضرائب المباشرة، أما الضرائب

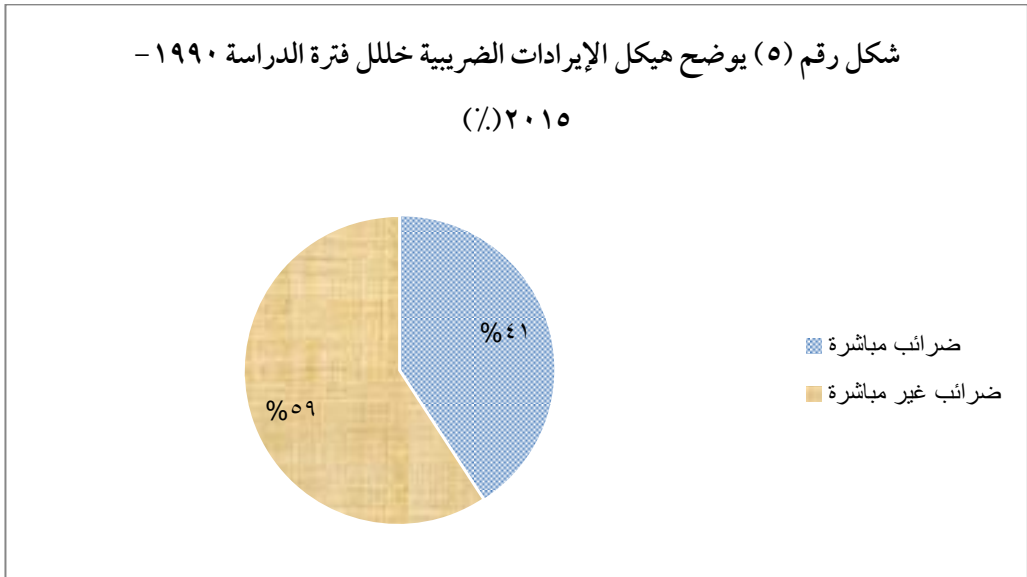


غير المباشرة، فقد حققت ارتفاع في وزنها النسبي من (49,6%) من جملة الإيرادات الضريبية في الفترة الثالثة إلى (51,5%) من جملة الضرائب في الفترة الرابعة وكما هو موضح في الشكل رقم (4):



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (1)

وتحليل بيانات هيكل الضرائب على مستوى الفترة الإجمالية للدراسة يلاحظ أن الهيكل مختل لصالح الضرائب غير المباشرة إذ شكلت حوالي (59%) بينما مثلت الضرائب المباشرة حوالي (41%) وكما هو موضح في الشكل رقم (5):



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (1)

والخلاصة هي أن النتائج الكلية للدراسة تظهر اختلال هيكل الإيرادات الضريبية وفقاً للتبويب الاقتصادي مما يعرضه للتذبذب المستمر، وبما يعكس نفسه على الموازنة العامة للدولة نظراً إلى عدم قدرة متخذ القرار الاقتصادي السيطرة على العوامل المؤثرة على الإيرادات الضريبية غير المباشرة باعتبارها عوامل خارجية، وهذه النتائج تتطلب من السلطات الضريبية إعادة النظر في الأنظمة الضريبية، بما يحقق تصحيح الخلل الموجود في الهيكل الضريبي، ويضمن التحسن التدريجي لهيكل الإيرادات الضريبية، ويعزز من الوزن النسبي للضرائب المباشرة إلى جملة الضرائب باعتبار هذا النوع من أكثر الأنواع الإيرادية استقراراً مقارنة بالإيرادات الضريبية غير المباشرة والإيرادات الأخرى التي تعتمد بشكل أساسي على عوامل خارجية يصعب على متخذ القرار التحكم فيها، وهذا الأمر قد يؤدي إلى تذبذب حاد للإيرادات العامة للدولة، وما قد تسببه من اختلالات في الموازنة العامة للدولة، ناهيك عن أن تطور النظام الاقتصادي واستقرار الموازنة العامة للدولة في أي بلد يقاس على الوزن النسبي للإيرادات الضريبية بالنسبة إلى إجمالي الإيرادات العامة للدولة، فضلاً عن الوزن النسبي للضرائب المباشرة التي تحصلها الدولة، ونسبتها إلى جملة الإيرادات الضريبية باعتبارها الأكثر استقراراً من الأنواع الأخرى من الإيرادات العامة للدولة.

جدول رقم (1) يوضح تطور هيكل الموارد الضريبية خلال الفترة (1990-2015م)، (المبالغ

بالمليار ريال).

الفترة	السنة	جملة الضرائب	نسبة الضرائب المباشرة	نسبة الضرائب غير مباشرة	نسبة الرسوم جركية	نسبة ضرائب مبيعات	نسبة ضرائب الدخل والأرباح
الفترة الأولى	1990	11379	25.3	74.7	36.2	33.5	22.2
	1991	15454	25.9	74.1	39.6	32.8	22.9
	1992	17438	30.0	70.0	38.8	28.8	27.3
	1993	21090	31.8	68.2	36.4	29.5	29.3
	1994	22411	36.2	63.8	33.4	28.2	33.3
	1995	42662	27.1	72.9	39.8	31.2	24.8
متوسط الفترة	1995- 1990	21739	29.4	70.6	37.4	30.7	26.6
الفترة الثانية	1996	64898	25.7	74.3	40.4	32.0	23.6
	1997	77835	27.7	70.8	33.1	35.7	25.6
	1998	79950	36.3	63.7	30.1	32.0	33.7
	1999	89445	38.4	61.6	28.7	32.1	35.7
	2000	110990	39.0	61.0	26.9	33.3	36.7
	2001	121976	41.5	58.5	27.7	30.5	39.1
متوسط الفترة	2001- 1996	90849	34.8	65.0	31.2	32.6	32.4
	2002	137987	45.0	55.0	27.0	28.1	42.4

41.8	23.3	27.6	55.7	44.3	152918	2003		
56.9	17.6	21.6	41.0	59.0	240163	2004		
55.3	21.7	18.3	42.8	57.2	284416	2005		
46.2	34.0	13.6	51.4	48.6	266396	2006		
4.6	36.1	14.1	51.6	48.4	315414	2007		
51.9	30.6	13.2	45.4	54.6	371434	2008		
48.8	34.3	14.1	48.5	51.5	409533	2009		
48.1	36.4	12.8	49.2	50.8	455163	2010		
42.2	39.7	15.3	55.1	44.9	518576	2011		
43.8	30.2	17.8	49.6	50.4	315200	2011- 2002		متوسط الفترة
45.9	35.7	16.0	54.2	45.8	546454	2012		الفترة الرابعة
44.2	36.3	17.1	55.9	44.1	626844	2013		
46.6	35.1	16.4	53.5	46.5	680494	2014		
57.7	27.7	12.8	42.3	57.7	523795	2015		
48.6	33.7	15.6	51.5	48.5	594397	2015 - 2012	متوسط الفترة	
37.85	31.8	25.5	59.18	40.78	238658	2015- 1990	متوسط فترة الدراسة	

المصدر: تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على بيانات نشرة إحصائية مالية الحكومة اعداد مختلفة للفترة 1990-2015م.

ثانيا: تطور الهيكل النسبي للإيرادات الضريبية إلى جملة الإيرادات العامة في الفترة 1990-2015:

يظهر من الجدول رقم (2) أن:

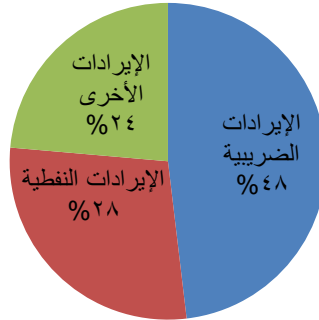
الوزن النسبي للإيرادات الضريبية قد شكل الوزن النسبي الأعلى من هيكل الإيرادات العامة للدولة في الفترة الأولى من الدراسة، إذ كان الوزن النسبي للضرائب متذبذبا بين (40,7%) في العام 1991م كحد أدنى و (55,3%) عام 1993م كحد أعلى من جملة الإيرادات العامة لتمثل الوزن النسبي الأعلى من جملة الإيرادات العامة حيث بلغت في المتوسط (48,12%) في الفترة الأولى، بينما كانت الإيرادات النفطية تحتل المرتبة الثانية من حيث الوزن النسبي، وتمثل نسبة (28,27%) من جملة الإيرادات العامة، وشكلت الإيرادات الأخرى (23,62%) من جملة الإيرادات العامة في تلك الفترة.

وبالتدقيق بهذا التوزيع النسبي في تلك الفترة يتبين أن الموازنة العامة للدولة في الفترة 1990-

1995م، كانت تعتمد بشكل أساسي على الإيرادات الضريبية، والشكل رقم (6) يوضح هيكل

الإيرادات العامة للدولة في الفترة الأولى.

شكل بياني رقم (٦) يوضح متوسط هيكل الموارد العامة والتوزيع النسبي لها  
خلال الفترة الأولى ١٩٩٠-١٩٩٥م (%)

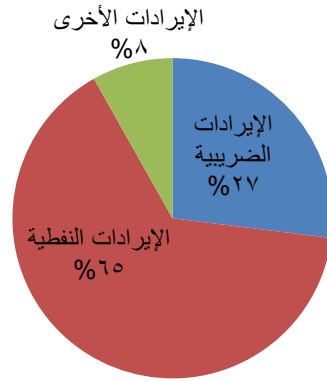


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (2)

وبتحليل بيانات الفترة الثانية لفترة الدراسة، يلاحظ أن الإيرادات الضريبية حققت نمواً في تلك الفترة بلغ بالمتوسط (20,1%) في تلك الفترة إلا أن الوزن النسبي للإيرادات العامة، وشكلت الإيرادات النفطية الوزن النسبي الأعلى إذ بلغ متوسط الفترة (6,5%) من جملة الإيرادات العامة. وشكلت الإيرادات الأخرى (8%) من جملة الإيرادات والشكل البياني رقم (7) يوضح التحلل الهيكلي في حجم الموارد العامة للدولة في الفترة الثانية 1996-2001 لصالح الموارد النفطية، ولا تعود الأسباب في زيادة الإيرادات النفطية إلى عوامل حقيقية ناتجة عن زيادة حجم الإنتاج النفطي، بل يعود السبب في تلك الزيادة في الموارد النفطية والتحلل الكبير في هيكل الموارد، إلى التغيرات في الأسعار العالمية للنفط من جانب، وعدم نمو الإيرادات الضريبية بالشكل المطلوب نتيجة عدم قيام مصلحة الضرائب بواجباتها في تحسين مستوى الحماية الضريبية من جانب آخر، وكذلك عدم تطوير كفاءة العاملين في الجهاز الضريبي، مما أدى إلى نمو الموارد الضريبية بشكل لا يتناسب مع نمو النشاط الاقتصادي، وهذا بدوره أدى إلى مزيد من الاختلال في مصادر تمويل الموازنة العامة للدولة، إذ أصبحت تعتمد على عوامل خارجية، مما عرضها في تلك الفترة للتذبذب، وعدم الاستقرار نتيجة تغير أسعار النفط العالمية.

شكل بياني رقم (٧) يوضح متوسط هيكل الموارد العامة والتوزيع النسبي لها

خلال الفترة الثانية ١٩٩٦-٢٠٠١م (%)

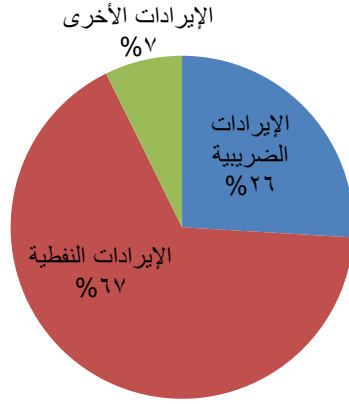


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (2).

بتحليل بيانات الفترة الثالثة للدراسة، يلاحظ أن الإيرادات الضريبية حققت تراجعاً في معدل النمو خلال تلك الفترة مقارنة بالفترة الثانية إذ بلغ متوسط النمو في تلك الفترة (16,46%)، كما أن الوزن النسبي للإيرادات الضريبية قد تراجع إلى (26%) من جملة الإيرادات العامة بينما ارتفع الوزن النسبي للإيرادات النفطية إلى متوسط (67%) من جملة الإيرادات العامة، وشكلت الإيرادات الأخرى (7%) من جملة الإيرادات. والشكل البياني رقم (8) يوضح مدى تعاضم الخلل الهيكلي في حجم الموارد العامة للدولة في الفترة الثالثة (2002-2011) لصالح الإيرادات النفطية، مما يعني تعاضم درجة المخاطر، وتعرض الموازنة العامة للدولة إلى المخاطر عدم الاستقرار وفقاً لتغيرات خارجية تتمثل في تذبذب عجز الموازنة وفق تغير الأسعار العالمية للنفط، التي لا يمكن لمتخذ القرار الاقتصادي في اليمن التحكم فيها، ناهيك عن أن هذا النوع من الإيرادات معرض للنضوب، فضلاً عن أنه يعطي نوع من الاتكالية لدى السلطات المالية على هذا النوع من الموارد، ويحد من اهتمامات السلطات المالية، والضريبية في تنمية الموارد الضريبية التي تعد الأكثر استقراراً كونها تخضع لعوامل داخلية تمكن متخذ القرار من التأثير عليها.

شكل بياني رقم (٨) يوضح متوسط هيكل الموارد العامة والتوزيع النسبي لها

خلال الفترة الثالثة ٢٠٠٢-٢٠١١م (%)

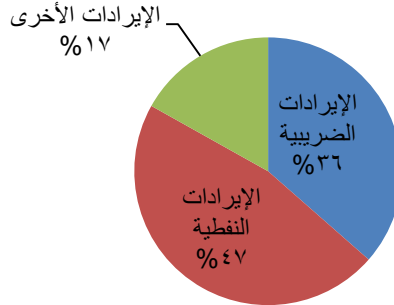


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (2).

بتحليل بيانات الفترة الرابعة لفترة الدراسة، يلاحظ أن الإيرادات الضريبية حققت تراجعاً أكبر في معدل النمو في تلك الفترة مقارنة بالفترة الثالثة، إذ بلغ متوسط النمو في تلك الفترة (1,4%) كما أن الوزن النسبي للإيرادات الضريبية ارتفع إلى (36%) من جملة الإيرادات العامة، بينما انخفض الوزن النسبي للإيرادات النفطية إلى متوسط (47%) من جملة الإيرادات العامة، وشكلت الإيرادات الأخرى (17%) من جملة الإيرادات، والشكل البياني رقم (9) يوضح تحسن هيكل الموارد العامة للدولة في الفترة الرابعة (2012-2015) لصالح الإيرادات الأخرى، ولا يعد هذا التحسن ناتجاً عن تحسن في الإيرادات الضريبية الأخرى، إنما يعود إلى الأزمة السياسية التي تعرضت لها البلاد في تلك الفترة، والتي انتهت بالحرب الداخلية، والعدوان الخارجي على اليمن من دول التحالف، مما زاد من درجة المخاطر وتعرض الموازنة العامة للدولة لمخاطر عدم الاستقرار وفقاً لمتغيرات خارجية تتمثل في توقف إنتاج النفط ناهيك عن تراجع النشاط التجاري بسبب الحصار الاقتصادي الذي فرضته دول العدوان على اليمن ابتداء من سبتمبر 2015.

شكل بياني رقم (٩) يوضح متوسط هيكل الموارد العامة والتوزيع النسبي لها

خلال الفترة الرابعة ٢٠١٢-٢٠١٥م (%)

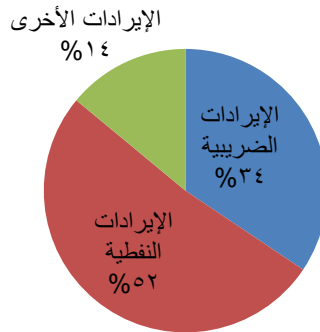


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (2).

وبتحليل هيكل الإيرادات العامة على مستوى فترة الدراسة بالكامل، يلاحظ أن الإيرادات النفطية قد أخذت الوزن النسبي الأكبر، إذ بلغت (52%) من جملة الإيرادات، بينما جاءت الإيرادات الضريبية بالمرتبة الثانية، وبنسبة (34%) وشكلت الإيرادات الأخرى (14%) من جملة الإيرادات، كما هو موضح في الشكل البياني رقم (10). وهذا الأمر يعكس الخلل الكبير في هيكل الإيرادات العامة للدولة، مما يعكس نفسه سلباً على موقف الموازنة العامة للدولة ويؤدي إلى عدم الاستقرار في مستوى عجز الموازنة.

شكل بياني رقم (١٠) يوضح متوسط هيكل الموارد العامة والتوزيع النسبي لها

خلال الفترة الكلية للدراسة ١٩٩٠-٢٠١٥م (%)



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (2)

جدول رقم (2) يوضح تطور هيكل الموارد العامة للدولة في الفترة (1990-2015) (المبالغ بالمليون ريال)

الفترة	السنة	الإيرادات الضريبية	الإيرادات النقطية	الإيرادات الأخرى	جملة الإيرادات	نسبة الإيرادات الضريبية	نسبة الإيرادات النقطية	نسبة الإيرادات الأخرى	معدل نمو الإيرادات الأخرى	معدل نمو الإيرادات النقطية	معدل نمو الإيرادات الأخرى	معدل نمو الإيرادات الإجمالية
الفترة الأولى	1990	11379	5880	8753	26012	43.70	22.60	33.60	0	0	0	0
	1991	15454	16594	5951	37999	40.70	43.70	15.70	-32.00	182.20	35.80	46.10
	1992	17438	7755	8977	34170	51.00	22.70	26.30	50.80	-53.30	12.80	-10.10
	1993	21090	9598	7436	38124	55.30	25.20	19.50	-17.20	23.80	20.90	11.60
	1994	22411	10789	9657	42857	52.30	25.20	22.50	29.90	12.40	6.30	12.40
	1995	42662	28153	22499	93314	45.70	30.20	24.10	133.00	160.90	90.40	117.70
متوسط الفترة	1990-1995	21739	13128	10546	45413	48.12	28.27	23.62	27.42	54.33	27.70	29.62
الفترة الثانية	1996	64898	133541	17617	216056	30.00	61.80	8.20	-21.70	374.30	52.10	131.50
	1997	77835	191072	18481	287388	27.10	66.50	6.40	4.90	43.10	19.90	33.00
	1998	79950	118427	23784	222161	36.00	53.30	10.70	28.70	-38.00	2.70	-22.70
	1999	89445	205900	31071	326416	27.40	63.10	9.50	30.60	73.90	11.90	46.90
	2000	110990	430759	41966	583715	19.00	73.80	7.20	35.10	109.20	24.10	78.80
	2001	121976	386345	38442	546763	22.30	70.70	7.00	-8.40	-10.30	9.90	-6.30
متوسط الفترة	1990-2001	90849	244341	28560	363750	26.97	64.87	8.17	11.53	92.03	20.10	43.53
الفترة الثالثة	2002	137987	384971	37013	559971	24.60	68.70	6.60	-3.70	-0.40	13.10	2.40
	2003	152918	473457	37583	663958	23.00	71.30	5.70	1.50	23.00	10.80	18.60
	2004	240163	516626	36682	793471	30.30	65.10	4.60	-2.40	9.10	57.10	19.50
	2005	284416	774537	38152	1097105	25.90	70.60	3.50	4.00	49.90	18.40	38.30
	2006	266396	1087059	81206	1434661	18.60	75.80	5.70	112.80	40.30	-6.30	30.80
	2007	315414	977531	121345	1414290	22.30	69.10	8.60	49.40	-10.10	18.40	-1.40
	2008	371434	1501934	105686	1979054	18.80	75.90	5.30	-12.90	53.60	17.80	39.90
	2009	409533	750532	118479	1278544	32.00	58.70	9.30	12.10	-50.00	10.30	-35.40
	2010	455163	1055047	242806	1753016	26.00	60.20	13.90	104.90	40.60	11.10	37.10
	2011	518576	711092	135858	1365526	38.00	52.10	9.90	-44.00	-32.60	13.90	-22.10
متوسط الفترة	2002-2011	315200	823279	95481	1233960	25.95	66.75	7.31	22.17	12.34	16.46	12.77
الفترة الرابعة	2012	546454	1070338	300459	1917251	28.50	55.80	15.70	121.20	50.50	40.40	40.40
	2013	626844	1109886	290214	2026944	30.90	54.80	14.30	-3.40	3.70	5.70	5.70
	2014	680494	1039174	263511	1983179	34.30	52.40	13.30	-9.20	-6.40	-2.20	-2.20
	2015	523795	237555	243420	1004770	52.10	23.60	24.20	-7.60	-77.10	-49.30	-49.30
متوسط الفترة	2012-2015	594397	864238	274401	1733036	36.50	46.70	16.90	25.20	-7.30	-1.30	-1.30
متوسط فترة الدراسة	1990-2015	275459	582297	102497	960253	34.40	51.60	14.00	21.40	37.40	17.58	21.59

المصدر: تم إعداد الجدول من قبل الباحث بالاعتماد على بيانات نشرة إحصائية مالية الحكومة، أعداد مختلفة للفترة 1990-2015م.

وبمقارنة هيكل الإيرادات الضريبية في اليمن إلى إجمالي الإيرادات مع هيكل الإيرادات الضريبية في بعض البلدان العربية إلى إجمالي الإيرادات كما هو وارد في الجدول رقم (3)، يلاحظ أن هيكل الإيرادات



العامة للدولة في اليمن مختل للغاية، حيث تشكل الإيرادات الضريبية نسبة متدنية من إجمالي الإيرادات مما جعل الموازنة العامة في اليمن أكثر عرضة لعدم الاستقرار، وبذلك تتقارب مع كل من السودان، وسوريا، وهذا الأمر يتطلب من السلطات المالية مزيداً من الإصلاحات الضريبية وتحسين مستوى الإيرادات الضريبية ناهيك عن تنمية الوعاء الضريبي ورفع كفاءة الجباية الضريبية، بما يعزز الوزن النسبي للإيرادات الضريبية إلى جملة الإيرادات العامة، ويحقق الاستقرار للموازنة العامة للدولة.

جدول رقم (3) مقارنة هيكل الإيرادات الضريبية في اليمن مع بعض البلدان العربية للفترة (2000-2006)

السنة / البلد	اليمن	مصر	الأردن	تونس	المغرب	السودان	سوريا
2000	19	65.8	49.4	89.4	-	47.9	36.2
2005	25.9	68.3	58.4	100	98.6	41.4	45
2006	32	57.8	64.4	88.5	88.9	23.2	26.6

المصدر: أعد من قبل الباحث بالاعتماد على النشرة الإحصائية لصندوق النقد العربي لعام 2011.

### المبحث الثالث: قياس حجم التهرب الضريبي في اليمن

أولاً: مفهوم التهرب الضريبي، وطرق قياسه: نظراً إلى أهمية التهرب الضريبي فإنه من الأهمية التعرف على مفهومه لكي يتسنى لنا قياس حجمه وعلى النحو الآتي:

#### 1- مفهوم التهرب الضريبي

قبل الدخول في موضوع قياس التهرب الضريبي، فمن الأهمية بمكان أن نعرف التهرب الضريبي، فمع وجود خلاف بين الفقهاء والباحثين حول تعريف التهرب الضريبي إلا أن هذا البحث ليس في صدد سرد تلك الخلافات، وسيحاول الباحث أن يبرز التعريف الأكثر شمولاً للتهرب الضريبي، الذي لقي قبولاً من قبل الباحثين في هذا المجال. إذ يعرف التهرب الضريبي ((بأنه ظاهرة اقتصادية، وضريبية خطيرة تتمثل في محاولة المكلف التخلص كلياً، أو جزئياً من العبء الضريبي المكلف به، وذلك من خلال أساليب وأعمال تخالف روح القانون، وقد تصل إلى مخالفة نصوصه، وبالتالي عدم قيام المكلف بدفع الضريبة، أو الوفاء بالتزاماته كلياً، أو جزئياً تجاه الدوائر المالية مما يؤثر على حصيلة الخزينة العامة من الضرائب وذلك باستخدام طرق مشروعة وغير مشروعة))<sup>(18)</sup>.

كما يعرف التهرب الضريبي بأنه ((تخلص المكلف كلياً، أو جزئياً من أداء الضريبة، دون نقل عبئها إلى غيره، مما يؤثر في حصيلة الدولة من الضريبة، ويضيع عليها حقها))<sup>(19)</sup>.

## 2- طرق قياس التهرب الضريبي

هناك عدد من الطرق لقياس التهرب الضريبي، استخدمها عدد من الدراسات المتخصصة في هذا المجال التي استخدمت منهجاً مباشراً، أو غير مباشر لقياس حجم التهرب الضريبي، إذ استخدم شنايدر (Schneider, 2000a) الطريقة غير المباشرة لتقدير التهرب الضريبي في إيطاليا عن طريق حساب الفرق بين المؤشرات الكلية المجمعة للدخل والإنفاق<sup>(20)</sup>.

أما الطريقة المباشرة فتقدر التهرب من دفع الضرائب باستخدام مسح عينة صغيرة للبيانات استناداً إلى المشاركة الطوعية، أو نتائج نشاط التدقيق من السلطات الضريبية.

ومع الصعوبة التي يواجهها الباحثون في قياس التهرب الضريبي بشكل إحصائي دقيق نظراً إلى ضعف الإحصاءات المالية المتاحة سواء بالأنشطة الاقتصادية، والإنتاجية، وتوزيع الدخل في القطاعات المختلفة التي تساعد على قياس حجم التهرب الضريبي، إلا أن هناك عدد من المحاولات لقياسه عن طريق مجموعة من الأساليب، والطرق التي سيتم استعراضها بهدف اختيار الأسلوب المناسب لقياس التهرب الضريبي في اليمن، على النحو الآتي<sup>(21)</sup>:

### الأسلوب الأول: القياس عن طريق التحقق والمراقبة الضريبية

ويعد هذا الأسلوب من الأساليب الأكثر انتشاراً وشهرة في عدد من البلدان، سواء المتقدمة أم النامية، ويتمثل في إيجاد الفرق الحقيقي بين دخل المكلف، والدخل المصرح به (المقدم به إقراراً)، عن طريق التحقق من الدخل الذي قدم المكلف إقراراً به بواسطة المراقبة، والتحقق المحاسبي والتحقق المعمق.

أما التحقق المحاسبي، فيتم على السجلات المحاسبية للمكلف، ومقارنتها بالإقرار المقدم من المكلف ومعرفة مدى صحتها، ومحسب في هذا الأسلوب التهرب الضريبي وفق الصياغة الآتية:

$$\text{مقدار التهرب الضريبي} = \text{المبلغ المعدل} - \text{المبلغ المصرح به.}$$

أما التحقق المعمق: فيتمثل في مجموعة العمليات التي تهدف إلى مراقبة الإقرارات بضرية الدخل والتأكد من انسجامها مع المظاهر الخارجية لثروة المكلف، وذلك بمقارنة الموجودات المتوفرة (أي الموارد الموجودة عند المكلف)، والموجودات التي قدم بها إقراراً ضريبياً إذ يحسب التهرب الضريبي وفق الصياغة الآتية:

مقدار التهرب الضريبي = الموجودات المتوفرة - الموجودات المسجلة في المحاسبة.

### الأسلوب الثاني: القياس عن طريق قدرة الأداء الضريبية

إن قدرة الأداء الضريبية تمثل مجموعة الإيرادات التي تم تحصيلها من الممولين، ويمكن التمييز بين قدرة الأداء الضريبية الحقيقية، وقدرة الأداء الضريبية النظرية وفق الصياغة الآتية:

التهرب الضريبي = قدرة الأداء الجبائية النظرية - قدرة الأداء الضريبية الحقيقية

وتعني قدرة الأداء الضريبية النظرية مبلغ الإيرادات الضريبية التي يتم جمعها إذا دفع المكلفين ما عليهم من مستحقات لمصلحة الضرائب من دون تهرب.

أما قدرة الأداء الجبائية الحقيقية، فتعني قيمة مجموع الإيرادات التي يتم تحصيلها من طرف السلطات المختصة فعلاً.

### الأسلوب الثالث: القياس عن طريق العفو الضريبي

ويقوم هذا الأسلوب على قياس التهرب الضريبي عن طريق نظام الإعفاءات الجبائية بالاعتماد على الإقرارات التي يقدمها المكلفون إلى مصلحة الضرائب، إذ تقوم السلطات الضريبية بمنع الإعفاءات الضريبية من التعرض للغرامات والعقوبات؛ لأجل تشجيع المكلفين للإقرار بدخولهم الحقيقية، وأرباحهم مقابل إعفائهم من الغرامات والعقوبات، وتطبيق نسبة ضريبية منخفضة وبالتالي يمكن حساب التهرب الضريبي وفق الصياغة الآتية:

مقدار التهرب الضريبي = مبلغ الإقرارات أثناء مدة الإعفاءات - مبلغ الإقرارات بعد فترة الإعفاء.

### الأسلوب الرابع: أسلوب المقارنة بين الحصيلة الفعلية والدخل المحسوب

يقوم هذا الأسلوب على أساس المقارنة بين الحصيلة الفعلية، والدخل المحسوب لتلك الحصيلة من ناحية، مع الدخل المحسوب في الحسابات القومية للقطاعات الاقتصادية المختلفة، والضريبة التي كان يجب تحصيلها على أساسه من ناحية أخرى، والفرق بينها يمثل مؤشراً لتحقق التهرب الضريبي، وقياس مدها في صورة نسبة مئوية يتم تتبعها على مستوى كل قطاع اقتصادي، ورغم الانتقادات التي وجهت إلى هذه الطريقة إلا أن نتائجها يمكن أن تكون مؤشراً لوجود تهرب ضريبي في أي بلد.

## ثانياً: قياس التهرب الضريبي في اليمن

بعد استعراض الدراسة لأهم الأساليب التي يمكن عن طريقها قياس التهرب الضريبي فإن الباحث سوف يلجأ إلى الأسلوب الرابع الذي يعد الأسلوب الأنسب لهذا البحث لاعتداده على أساليب اقتصادية في عملية التقدير، ناهيك عن توفر البيانات الخاصة بالحسابات القومية، والبيانات الفعلية للضرائب المحصلة، بينما الثلاث الطرق الأخرى تعتمد على أسس محاسبية، مما يجعلها غير ذات أهمية في هذه الدراسة التي تأخذ الطابع الاقتصادي.

وللوصول إلى تقدير حجم التهرب الضريبي فسيتم أولاً: قياس الجهد الضريبي الفعلي، ومقارنة هذا الجهد الضريبي الفعلي بالطاقة الضريبية الكامنة التي قدرتها بعض المؤسسات الدولية (صندوق النقد الدولي) بحوالي (17-20%) في البلدان التي تتشابه ظروفها الاقتصادية مع ظروف الاقتصاد اليمني، ومن هنا فسوف يستخدم الباحث الحد الأدنى، والمتمثل بنسبة (17%) لقياس التهرب الضريبي في اليمن، وقبل أن نقوم بقياس التهرب الضريبي في اليمن يجب أولاً أن نتوصل إلى حجم الجهد الضريبي في اليمن، ومقارنته بالطاقة الضريبية الكامنة، وهذا الأمر يتطلب قياس الجهد الضريبي، ومقارنته بالطاقة الضريبية الكامنة التي يمكن أن ينتجها الاقتصاد اليمني التي تتراوح في البلدان الأقل نمواً التي تتشابه من حيث الظروف الاقتصادية مع اليمن، ووفقاً لتقديرات صندوق النقد الدولي للطاقة الضريبية الكامنة في تلك البلدان، التي تبلغ حوالي (17-20%) من الناتج المحلي، وهناك عدد من المقاييس للجهد الضريبي، ومنها قياس الجهد الضريبي كنسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي، وكذلك عن طريق استعمال الأسلوب الكمي وفقاً لمعادلات كل من موسقريف، وباهل، وصندوق النقد الدولي، وسوف يحاول الباحث في هذا الجزء من الدراسة قياس الجهد الضريبي في اليمن عن طريق استخدام الأداتين السابقتين، ومقارنتها بالطاقة الضريبية الكامنة للتوصل إلى حجم التهرب الضريبي الذي يعاني منه الاقتصاد اليمني والجدول رقم (4) يوضح نتائج حساب التهرب الضريبي.

جدول رقم (4) يوضح نتائج قياس الجهد الضريبي في اليمن للفترة 1990 - 2014<sup>(22)</sup> (القيم بالمليون ريال)

السنة	جملة الضرائب	الناتج المحلي	الجهد الضريبي %	الضريبة المقدرة	الجهد المفقود %	حجم التهرب الضريبي	نسبة التهرب الضريبي
1990	11379	137661	8.3	23402	-8.7	12023	51.4
1991	15454	170839	9	29043	-8	13589	46.8
1992	17438	217699	8	37009	-9	19571	52.9
1993	21090	274176	7.7	46610	-9.3	25520	54.8
1994	22411	363807	6.2	61847	-10.8	39436	63.8
1995	42662	597049	7.1	101498	-9.9	58836	58
متوسط الفترة الأولى	21739	293538.5	7.72	49901.5	-9.28	28162.5	54.62
1996	64898	836377	7.8	142184	-9.2	77286	54.4
1997	77835	991866	7.8	168617	-9.2	90782	53.8
1998	79950	986097	8.1	167637	-8.9	87687	52.3
1999	89445	1343884	6.7	228460	-10.3	139015	60.8
2000	110990	1756999	6.3	298690	-10.7	187700	62.8
2001	121976	1895945	6.4	322311	-10.6	200335	62.2
متوسط الفترة الثانية	90849	1301861	7.18	221316.5	-9.82	130467.5	57.72
2002	137987	2150896	6.4	365652	-10.6	227665	62.3
2003	152918	2486733	6.1	422745	-10.9	269827	63.8
2004	240163	2885579	8.3	490548	-8.7	250385	51
2005	284416	3646556	7.8	619915	-9.2	335499	54.1
2006	266396	4495179	5.9	764180	-11.1	497784	65.1
2007	315414	5144564	6.1	874576	-10.9	559162	63.9
2008	371434	6203047	6	1054518	-11	683084	64.8
2009	409533	6069596	6.7	1031831	-10.3	622298	60.3
2010	455163	6804017	6.7	1156683	-10.3	701520	60.6
2011	518576	6463816	8	1098849	-9	580273	52.8
متوسط الفترة الثالثة	315200	4634998.3	6.8	787949.7	-10.2	472749.7	59.87
2012	546454	6687545	8.2	1136883	-8.8	590429	51.93
2013	626844	7256594	8.6	1233621	-8.4	606777	49.19
2014	680494	7109711	9.6	1208651	-7.4	528157	43.7
	617930.6667	7017950	8.8	1193052	-8.2	575121	47.8
متوسط فترة الدراسة	227253	3079049	7.35	523438	-9.65	296186	57.01

المصدر: الجهاز المركزي للإحصاء، نشرة الحسابات القومية، أعداد متفرقة للفترة 1990-2015م.

- وزارة المالية، نشرة إحصائية مالية الحكومة، أعداد متفرقة للفترة 1990 - 2015م.

- الجهد الضريبي والجهد الضائع حسب من قبل الباحث كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي.

وبتحليل بيانات الجدول السابق يتضح أن الجهد الضريبي في اليمن في الفترة الأولى للدراسة بلغ (7.72٪) من الناتج المحلي الإجمالي، بينما الجهد المفقود بلغ (9.28٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وقد بلغ متوسط معدل التهرب الضريبي حوالي (51٪) من جملة الطاقة الضريبية المقدرة إذ ظل متذبذباً من سنة إلى أخرى وبلغ الحد الأدنى للجهد الضريبي في عام 1994 نسبة (6.2٪) من حجم الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية، وبلغ حده الأعلى في عام 1991 (9٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وبلغ متوسط الجهد الضريبي في فترة الدراسة حوالي (7.72٪) من حجم الناتج المحلي الإجمالي، كما يلاحظ أن الجهد الضريبي في اليمن قد تراجع عما كان عليه في بداية فترة الدراسة، وظل في حالة تذبذب، وعدم استقرار من سنة إلى أخرى.

وبتحليل بيانات الجدول السابق، يتضح أن الجهد الضريبي في اليمن في الفترة الثانية للدراسة بلغ (7.18٪) من حجم الناتج المحلي الإجمالي، بينما الجهد الضائع بلغ (9.82٪) من الناتج المحلي الإجمالي مما أدى إلى ارتفاع نسبة التهرب الضريبي إلى (57.7٪)، وقد ظل متذبذباً من سنة إلى أخرى في تلك الفترة، إذ بلغ الحد الأدنى للجهد الضريبي في عام 2000 نسبة (6.3٪) من حجم الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية، وبلغ حده الأعلى في عام 1998 وبنسبة (8.1٪) من حجم الناتج المحلي الإجمالي، كما يلاحظ أن الجهد الضريبي في اليمن قد تراجع عما كان عليه في بداية فترة الدراسة وظل في حالة تذبذب وعدم استقرار من سنة إلى أخرى.

وبتحليل بيانات الفترة الثالثة للدراسة بلغت نسبة الجهد الضريبي (6.8٪) من الناتج المحلي الإجمالي بينما نسبة الجهد الضائع بلغت (10.2٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وقد بلغ حجم التهرب الضريبي حوالي (59.9٪)، وظل متذبذباً من سنة إلى أخرى إذ بلغ الحد الأدنى للجهد الضريبي في عام 2008، بنسبة (6٪) من الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية، وبلغ حده الأعلى في عام 2004 إذ بلغ نسبة (8.4٪) من الناتج المحلي الإجمالي.

وتحليل بيانات الفترة الرابعة للدراسة يلاحظ تحسن في مؤشرات الجهد الضريبي مقارنة بالفترة الثالثة، إذ ارتفعت نسبة الجهد الضريبي (8.8٪) من الناتج المحلي الإجمالي بينما تراجع نسبة الجهد الضائع إلى (8.2٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وقد بلغ حجم التهرب الضريبي حوالي (47.8٪)، وظل متذبذباً من سنة إلى أخرى، إذ بلغ الحد الأدنى للجهد الضريبي في عام 2012، بنسبة (8.2٪) من الناتج المحلي الإجمالي بالأسعار الجارية، وبلغ حده الأعلى في عام 2013 إذ بلغ نسبة (9.6٪) من الناتج المحلي الإجمالي.

وتحليل البيانات على مستوى الفترة الكلية للدراسة، فقد بلغ متوسط الجهد الضريبي الفعلي حوالي (7.35٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وبلغ متوسط الجهد الضريبي الضائع في فترة الدراسة حوالي (9.65٪) من الناتج المحلي الإجمالي، وبلغ التهرب الضريبي حوالي (57.01٪)، وخلاصة القول إن الجهد الضريبي في اليمن، قد تراجع عما كان عليه في بداية فترة الدراسة، وظل في حالة تذبذب، وعدم استقرار من سنة إلى أخرى، مما أدى إلى انخفاض نسبة التهرب الضريبي من (54٪) في الفترة الأولى إلى حوالي (47.6٪) في الفترة الرابعة، مما يدل على أن الإصلاحات الضريبية التي أجرتها السلطات الضريبية لم يكن لها دور واضح في الحد من التهرب الضريبي، وتراجع التهرب بشكل محدود للغاية عن ما كان عليه قبل فترة الإصلاح مما يتطلب قيام الإدارة الضريبية بمراجعة تلك الإصلاحات، وإعادة النظر فيها، وبما يحسن من أساليب الجباية الضريبية، ويجد من التهرب الضريبي.

وبمقارنة الجهد الضريبي في اليمن، والجهد الضريبي في بعض البلدان العربية، والنامية يلاحظ من الجدول رقم (5) التفاوت بين حجم الجهد الضريبي في اليمن وتلك البلدان مما يعطي مؤشراً على تدني كفاءة الجهاز الضريبي في اليمن، والسياسة الضريبية.

جدول رقم (5) يوضح نسب مقارنة للجهد الضريبي في اليمن، وبعض البلدان العربية (٪) للسنوات (1999 - 2009م)

السنة / البلد	اليمن	مصر	الأردن	تونس	المغرب	السودان	سوريا
2000	6.3	14.6	16	23.8	-	4.8	9.8
2005	7.8	14.1	19.8	26.4	24.7	5.8	10.6
2009	6.1	15.7	17.7	25.7	23.1	7.1	4.9

المصدر: حسب من قبل الباحث بالاعتماد على النشرة الإحصائية لصندوق النقد العربي لعام 2011م.

وفي تقدير الباحث، فإن هناك عدد من الأسباب التي تجعل الجهد الضريبي في اليمن لا يصل إلى مستوى الطاقة الضريبية الكامنة، من أهمها ما يأتي:

أ- عدم الحصر الكامل للمجتمع الضريبي، فالمرشع اليمني أغفل في الواقع بعض الأوعية الضريبية الهامة والمستحدثة في صورة دخول كبيرة لبعض الأفراد، والفئات أو القطاعات في اليمن، مثل الدخول من عمليات المقاولات، وعدم حصر العمالة، كل هذا ناتج عن انتشار القطاع غير المنظم، بشكل واسع في الاقتصاد اليمني، مما جعل صغار المقاولين لا يخضعون للحصر الضريبي، أو الضرائب.

ب- جمود أسعار بعض الضرائب المباشرة، وخاصة الضريبة على الأرباح التجارية، والصناعية، والضريبة على أرباح المهن الحرة، التي اتسمت بالجمود لفترة طويلة بالرغم من التغيرات الجوهرية التي حدثت في الاقتصاد.

ج- الإفراط في سياسة الإعفاءات الضريبية بقصد تشجيع الاستثمار، وتوجيهه، ناهيك عن وجود أنشطة تتمتع بإعفاءات ضريبية أكبر من أهميتها الاقتصادية والاجتماعية.

د- سوء الإدارة الضريبية وعدم مقدرتها على أداء مهامها بشكل جيد، فمع التعديلات التشريعية في مجال الضرائب إلا أن عملية الإصلاح للإدارة الضريبية، والنظام الضريبي لم تلق اهتماماً كافياً من قبل الحكومة اليمنية.

هـ- ارتفاع حجم القطاع الخفي في الاقتصاد اليمني إلى إجمالي الناتج المحلي الإجمالي.

و- تسرب جزء كبير من الضرائب إلى جيوب الفاسدين من مأموري الضرائب بشكل رشواوي لتخفيض حجم الربط الضريبي على المكلفين التي قد تصل إلى 50% من حجم الطاقة الضريبية.

ثالثاً: قياس الجهد الضريبي في اليمن باستخدام الأساليب الكمية

أ- فروض النموذج

1. طبقاً للنظرية الاقتصادية يُعد معامل الناتج المحلي الإجمالي (في صورته الجارية) موجباً.
2. طبقاً للنظرية الاقتصادية يُعد معامل الناتج المحلي الإجمالي من النفط (في صورته الجارية) سالباً.
3. طبقاً للنظرية الاقتصادية يُعد معامل الناتج المحلي الإجمالي من حجم التجارة الخارجية (في صورته الجارية) سالباً.
4. طبقاً للنظرية الاقتصادية يُعد معامل الناتج المحلي الإجمالي من قطاع الزراعة (في صورته الجارية) سالباً.



### ب- النموذج المستخدم في الدراسة

تم تصميم النموذج بالاستفادة من الدراسات التي أجريت في عدد من البلدان، وقد أخذ في الاعتبار عند تصميم النموذج البساطة؛ كونها إحدى الصفات المرغوبة لأي نموذج اقتصادي وبما يتلاءم وظروف الاقتصاد اليمني، ناهيك عن القاعدة الرياضية والإحصائية، بأنه كلما قلَّ عدد المتغيرات وكان شكله الرياضي بسيطاً ويتطابق وفروض النظرية الاقتصادية كان أكثر مقدرة على تفسير الظاهرة<sup>(23)</sup>.

$$t/y = a_0 + a_1y + a_2y^o + a_3y^t + a_4y^z + u$$

إذ الرموز تعني:

$$t/y = \text{الجهد الضريبي.}$$

$$Y = \text{الناتج المحلي الإجمالي.}$$

$$y = \text{الناتج المحلي لقطاع النفط.}$$

$$Y = \text{الناتج المحلي لقطاع التجارة الخارجية.}$$

$$Y = \text{الناتج المحلي لقطاع الزراعة.}$$

$$u = \text{الخطأ العشوائي.}$$

### ج- المتغيرات المستعملة في النموذج ومصادرها

سوف يتم اختيار المتغيرات المستخدمة في النموذج استناداً إلى ما تمدنا به أدبيات النظرية الاقتصادية، فضلاً عن الاستفادة من النتائج التي توصلت إليها الدراسات التطبيقية في بلدان تتشابه من حيث الظروف الاقتصادية، والاجتماعية مع اليمن، وبغرض جودة الدراسة فسيراعى في اختيار المتغيرات المؤثرة على الطاقة الضريبية الجوانب التالية:

- قدرة المتغيرات على تفسير الظاهرة، وعدد محدود من تلك المتغيرات التفسيرية.
  - مدى توفر البيانات عن تلك المتغيرات بدرجة معقولة من الصحة، والدقة، ويعد هذا من أهم القيود التي يجب مراعاتها في واقع الاقتصاد اليمني، وواقع البيانات، التي تتسم بالضعف الشديد، والتناقض من سنة إلى أخرى، وعدم الاتساق بين بعض البيانات وبعضها الآخر.
- سوف نركز في هذه الدراسة على حصر أهم المتغيرات التي نتوقع أنها ستكون مؤثرة على الطاقة الضريبية في اليمن، وتتمتع بنوع من الاتساق، وهي:

- 1- الطاقة الضريبية: وتم حسابها عن طريق جملة الإيرادات الضريبية من نشرة وإحصائية مالية الحكومة الصادرة عن وزارة المالية.
  - 2- الناتج المحلي الإجمالي: تم الاعتماد في بيانات الناتج المحلي الاسمي على البيانات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء على اعتبار العام 1990م سنة أساساً.
  - 3- الناتج المحلي لقطاع النفط: تم الاعتماد في بيانات الناتج المحلي لقطاع النفط على البيانات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء باعتبار العام 1990 سنة أساساً.
  - 4- الناتج المحلي لقطاع التجارة الخارجية: تم الاعتماد في بيانات الناتج المحلي لقطاع التجارة الخارجية على البيانات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء باعتبار العام 1990 سنة أساساً.
  - 5- الناتج المحلي لقطاع الزراعة: تم الاعتماد في بيانات الناتج المحلي لقطاع الزراعة على البيانات الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء باعتبار العام 1990 سنة أساساً.
- د- نتائج الدراسة القياسية:

جدول رقم (6) نتائج قياس الطاقة الضريبية في اليمن للفترة (1990 - 2014)

رقم	النموذج	R	R <sup>2</sup>	F	D.W
1	$t/y=12.89-0.395\ln y$	52%	27.20%	6.711	1.18
	T (6.016)* (-2.591)*				
2	$t/y= 18.2-1.379\ln y-0.07\ln y^0$	59.70%	35.70%	4.715	1.418
	T (4.393)* (-2.04) (1.501)				
3	$t/y=16.376-0.588\ln y+0.588\ln y^0-0.578\ln y^1$	60%	24.50%	3.06	1.453
	T (2.67)* (-0.3) (0.668) (-0.442)				
4	$\ln t/y = -2.744-0.054\ln y$	51.60%	22.50%	6.531	1.19
	T (9.2)* (-2.556)*				
5	$\ln t/y= 3.501-0.193\ln y+0.97\ln y^0$	59.20%	35.10%	4.494	1.424
	T (6.014)* (-2.022) (1.489)				
6	$\ln t/y=3.953-0.98\ln y+0.07\ln y^0-0.688\ln y^1$	59.70%	35.60%	2.953	1.453
	T (3.817)* (-0.358) (0.711) (-0.371)				

المصدر: من إعداد الباحث وفقاً لنتائج القياس ببرنامج (SPSS) الإحصائي.

#### ه- تحليل نتائج القياسية:

تشير النتائج في الجدول رقم (5) إلى عدم التطابق مع فروض النظرية حول الطاقة الضريبية التي تشير إلى وجود علاقة طردية بين الناتج المحلي الإجمالي، والطاقة الضريبية، إذ جاءت إشارة معامل الناتج المحلي الإجمالي إلى الطاقة الضريبية سالبة في النموذج رقم (1)، مما يعني أن أي زيادة في الناتج المحلي الإجمالي بمقدار وحدة واحدة تؤدي إلى تراجع الطاقة الضريبية بنسبة (39%) مما يعني وجود خلل في النظام

الضريبي في اليمن، ويتضح أن الاختبارات الإحصائية كانت معنوية إذ تشير قيم (t) المحسوبة إلى مستوى معنوية معقول لهذا النموذج، وتشير اختبارات (F) إلى القدرة التفسيرية للنموذج، أما قيمة (D.W) فتشير إلى أن النموذج يعاني من مشكلة ارتباط ذاتي، وتدلل قيمة معامل الارتباط (R) الذي بلغ (0.52) على وجود علاقة سالبة بين الطاقة الضريبية في اليمن، والنتائج المحلي الإجمالي، كما تشير قيمة معامل التحديد ( $R^2$ ) إلى انخفاض القدرة التفسيرية للنموذج، وأن الناتج ليس العامل الرئيس المحدد للطاقة الضريبية في اليمن، إذ يؤثر عليه بنسبة (27.2%) فقط، بينما (72.8%) تعود لعوامل أخرى.

وبتحليل نتائج المعادلتين رقم (2، 3) نجد أنهما تشيران إلى عدم تطابق نتائجها مع فروض النظرية الاقتصادية، وفروض الدراسة، إذ كانت إشارة المعاملات غير مطابقة لتوقعات النظرية الاقتصادية، فضلاً عن انخفاض معنوية النموذجين الإحصائية.

وقد حاول الباحث حل تلك المشكلة من خلال استعمال الصياغة الخاصة بالمعادلة اللوغاريتمية الكاملة بدلاً من المعادلة نصف اللوغاريتمية لحل مشاكل القياس التي تعاني منها النماذج الثلاثة السابقة، إذ تشير نتائج المعادلة رقم (4) إلى عدم تطابق نتائج هذا النموذج مع فروض النظرية الاقتصادية حول الطاقة الضريبية التي تشير إلى وجود علاقة طردية بين الناتج المحلي الإجمالي، والطاقة الضريبية، إذ جاءت إشارة معامل الناتج المحلي الإجمالي إلى الطاقة الضريبية سالبة، مما يعني أن أي زيادة في الناتج المحلي الإجمالي بمقدار وحدة واحدة تؤدي إلى تراجع الطاقة الضريبية بنسبة (5%) مما يعني تطابق الأمر مع ما تم التوصل إليه في المعادلة رقم (5) مما يؤكد على وجود خلل في النظام الضريبي في اليمن، كما يتضح أن الاختبارات الإحصائية كانت معنوية إذ تشير قيم (t) المحسوبة إلى مستوى معنوية معقول لهذا النموذج، وتشير اختبارات (F) إلى القدرة التفسيرية للنموذج، أما قيمة (D.W) فتشير إلى أن النموذج يعاني من مشكلة ارتباط ذاتي لم يتحسن، ومع التراجع الملحوظ في قيمة معامل الارتباط (R) الذي بلغ (0.51)، ومعامل التحديد ( $R^2$ )، وبإضافة المتغيرات الأخرى المتمثلة في الناتج النفطي، وحجم التجارة الخارجية إلا أن النتائج التي تم التوصل إليها كانت غير معنوية إحصائياً ولا تتطابق وفروض النظرية الاقتصادية، مما يعني عدم القدرة على الحكم على العلاقة بين الناتج المحلي الإجمالي، والطاقة الضريبية بشكل دقيق، وإنما يمكن اعتبار تلك النتائج مؤشراً على أن الطاقة الضريبية في اليمن تخضع لعوامل أخرى تتمثل في تخلف النظام الضريبي في اليمن، وتدني مستوى المحاسبة الضريبية، والتهرب الضريبي، وسوء الإدارة الضريبية والفساد المنتشر في الجهاز الضريبي، مما جعل

الضرائب غير مرتبطة بمؤشرات النمو في الناتج المحلي الإجمالي، بل إنها تشير إلى اتجاه معاكس، وهذا ما يتضح من مؤشرات الجهد الضريبي في اليمن، والموضح في الجدول رقم (4) الذي تراجع من (9٪) في بداية فترة الدراسة إلى (6.1٪) في نهاية فترة الدراسة.

#### رابعاً: قياس معامل المرونة للنظام الضريبي في اليمن

ويفسر هذا المعامل مدى مرونة النظام الضريبي في أي بلد، واستجابته للتغير في الناتج المحلي الإجمالي، ويقاس هذا المعامل وفق المعادلة الآتية:

$$\text{معامل المرونة للنظام الضريبي} = \frac{\text{معدل التغير النسبي في الحصيلة الضريبية}}{\text{معدل التغير النسبي في الناتج المحلي الإجمالي}}$$

معدل التغير النسبي في الناتج المحلي الإجمالي

وتشير نتائج الجدول رقم (7) إلى أن النظام الضريبي اليمني يتسم بعدم المرونة، وعدم قدرته على الاستجابة مع التغيرات في الناتج المحلي الإجمالي إذ بلغ متوسط مرونة الوحدة حوالي (0.2) ومن ثم يمكن الحكم على النظام الضريبي في اليمن بعدم الكفاءة نتيجة عدم استجابته للتغيرات في الناتج المحلي الإجمالي.

جدول رقم (7) نتائج قياس معامل المرونة للنظام الضريبي في اليمن للفترة (1995 - 2014)

السنة	1995	1996	1997	1998	1999	2000	2001	2002	2003	2004	2005	2006	2007	2008	2009	2010	2011	2012	2013	2014	متوسط
معدل التغير في الناتج المحلي الإجمالي	4.1	40.1	18	0.6	6.3	0.7	0.9	3.4	5.6	6	6.4	3.3	4.4	0.6	2.2	2.1	5	6.36	0.5	2	9.5
معدل التغير في الإيرادات الضريبية	0.4	52.1	19	0.9	1	3.7	4.3	6.3	1.6	3.5	8.4	6.3	8.4	7.8	0.3	3.9	0.5	40.4	5.7	2.2	2.3
معامل المرونة للنظام الضريبي	0.4	1.3	1	6.6	0.3	0.8	0.1	0.7	0.7	0.5	0.7	0.3	0.3	0.9	4.3	0.14	0.1	6.3	0.67	1.1	5

المصدر: من إعداد الباحث.

#### خامساً: قياس معيار الهيكل الضريبي

يقوم هذا المعيار على التفرقة بين أنواع الضرائب المختلفة، وحساب معامل المرونة لمكونات الهيكل الضريبي لتحديد مدى تجاوب كل منها مع التغير في الدخل، كما يقوم هذا المعيار على أن الحكم على مدى فعالية السياسة الضريبية تتطلب النظر إلى النظام الضريبي بأكمله، باعتبار أن بعض أنواع الضرائب قد تحدث بعض النتائج الإيجابية في مجال العدالة الضريبية، وإعادة التوزيع، التي قد تلقى أيضاً الأثر السلبي لبعض أنواع الضرائب التي تتعارض مع الأهداف الاجتماعية، إذ يركز هذا المعيار على جانبين مهمين ومتوازنين هما: تمويل الموازنة العامة، والعدالة في آن واحد.

كما أن هذا المعيار يساعد على معرفة مواطن الإمكانات الضريبية، حيث يمكن للسياسة الضريبية أن تحقق أهدافها من خلالها، والتركيز عليها كما أنها تساعد في الحكم على كفاءة السياسة الضريبية في تقييم الموارد لغرض التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

يمكن حساب معامل مرونة الضرائب على مستوى الهيكل الضريبي عن طريق أسلوب الانحدار الخطي على النحو الآتي:

$$\begin{aligned} \text{Lnlt} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{Lndr} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{LN TR} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{LNdr} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{LnNt} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{Lnr} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{Lnm} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \\ \text{Ln It} &= \text{lna} + \text{Blny} + \text{u} \end{aligned}$$

TR = تعني الضرائب الإجمالية

dr = تعني الضرائب المباشرة

Nt = تعني الضرائب غير المباشرة

r = تعني الضرائب الجمركية

m = تعني ضريبة المبيعات

It = تعني ضريبة الدخل والأرباح.

وبعد إجراء القياس تم التوصل إلى النتائج الموضحة في الجدول رقم (8) على النحو الآتي:

جدول رقم (8) نتائج قياس المرونات الضريبية في اليمن للفترة (1990 - 2014) بحسب الهيكل الضريبي

D.W	F	R	R <sup>2</sup>	اختبار (t)	قيمة المرونة	اختبار (t)	قيمة (A)	نوع الضريبة
1.2	1981.6	99.5	99.1	44.5	0.95	-6.21	-1.86	الضريبة الإجمالية
1.24	1035.4	99.1	98	32.18	1.13	-11.07	-5.5	الضريبة المباشرة
1.113	1121.2	99.2	98.4	33.484	0.806	-1.326	-0.449	الضريبة غير المباشرة
756.0	211.8	96	92.2	14.55	0.65	1.533	0.958	الضريبة الجمركية
0.87	717.8	98.9	97.7	27.78	0.91	-5.55	-2.548	ضريبة المبيعات
2.015	93.3	91.6	83.8	9.658	1.04	-2.848	-4.3	ضريبة الدخل والأرباح

المصدر: من إعداد الباحث وفقا لنتائج القياس برنامج (SPSS) الإحصائي.

وبتحليل نتائج القياس يتضح الآتي:

- إن الزيادة في الضرائب الإجمالية كانت أقل من الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي إذ بلغت المرونة (0.95)، وهي أقل من الواحد الصحيح مما يعني انخفاض درجة استجابة الضرائب للتغير في الناتج المحلي.
- إن معامل المرونة يختلف من نوع إلى آخر من الضرائب، إذ بلغت مرونة الضرائب المباشرة ودرجة استجابتها للتغير في الناتج المحلي الإجمالي أكبر من الواحد الصحيح، إذ بلغت (1.13)، بينما كانت درجات استجابة الضرائب غير المباشرة دون الواحد الصحيح، حيث بلغت (0.806) مما يعني أن الضرائب المباشرة بمكوناتها هي الأكثر استجابة للتغيرات في الناتج المحلي الإجمالي كونها تتأثر بعوامل داخلية، بينما كانت الضرائب غير المباشرة أقل تأثراً بالزيادة في الناتج المحلي الإجمالي نتيجة تأثرها بعوامل أخرى تتمثل في حدوث الحدث من عدمه مثل حجم الواردات من السلع والخدمات، حجم المبيعات من السلع والخدمات، الأحداث السياسية، والاقتصادية... الخ، وهذا الأمر يتوافق مع فروض الدراسات التي توصل إليها كل من باهل، وموسقريف، وصندوق النقد الدولي حول معوقات الطاقة الضريبية في البلدان النامية، والمتمثلة في حجم التجارة الخارجية، واعتماد البلدان النامية على الضرائب غير المباشرة، وتمثيلها الجزء الأكبر في هيكل الإيرادات العامة، مما يتطلب من القائمين على السياسة المالية في اليمن التركيز في الفترة القادمة على تطوير مصادر الإيرادات من الضرائب المباشرة، التي تعد الأكثر استجابة للسياسات المالية لتأثرها بعوامل داخلية يمكن التأثير عليها من قبل صانع القرار الاقتصادي في اليمن.
- تبين نتائج اختبارات (t) إلى معنوية قيمة المرونات في كافة النماذج عند مستوى معنوية (0.05) ودرجة حرية (n-k=18).
- تشير قيمة اختبارات (F) في كافة النماذج إلى القدرة التفسيرية للعلاقة بين مكونات الهيكل الضريبي، والناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد اليمني.
- تشير قيمة معامل التحديد ( $R^2$ ) إلى أن المتغيرات المستقلة قد فسرت ما يزيد عن (94.02) كمتوسط لقيم ( $R^2$ ) من العلاقة بين التغير في الناتج المحلي الإجمالي، والهيكل الضريبي.

ونخلص من النتائج الخاصة بالجهد الضريبي، والمرونات الضريبية حسب الهيكل الضريبي، ومرونة النظام الضريبي في اليمن، إلى أن النظام الضريبي في اليمن، يعاني من نقص في الكفاءة، وسوء الإدارة الضريبية مما يتطلب مزيداً من الإصلاحات للحد من التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني.

#### المبحث الرابع: أسباب التهرب الضريبي في اليمن وسبل معالجتها

تعتمد عملية مكافحة ظاهرة التهرب الضريبي في أي بلد على مدى مقدرة السلطات الضريبية على تشخيص العوامل التي تقف وراء تلك الظاهرة. ويمكن للباحث تقديم المقترحات الممكنة لعلاج تلك الظاهرة، وسوف يركز هذا المبحث على دراسة الأسباب التي تقف وراء التهرب الضريبي والسبل الممكنة لمعالجتها على النحو الآتي:

#### أولاً: أسباب التهرب الضريبي في اليمن

تشير الدراسات في مجال التهرب الضريبي إلى أن الأسباب الكامنة وراء تلك الظاهرة قد تعود إلى عوامل سلوكية، أو نفسية لدى المكلفين، وقد تعود إلى عوامل اقتصادية، أو تشريعية، أو فنية وإدارية، وقد تكون دولية بسبب عوامل خارجية (دولية) نتيجة عمل الشركات العملاقة متعددة الجنسية، وسوف تتناول الدراسة بالتحليل العوامل التي تقف وراء تلك الظاهرة على النحو الآتي:

#### 1- العوامل السلوكية والنفسية وتمثل فيما يلي:

أ- ارتفاع عبء الضريبة على صغار المكلفين، وانخفاض هذا العبء على كبار المكلفين إذ يؤدي عدم الفصل بين السلطة، والعمل التجاري والصناعي في اليمن إلى عدم التزام كبار المكلفين بسداد الضرائب المستحقة عليهم كونهم من التنفيذيين في السلطة مما لا يمكن السلطات الضريبية من إخضاعهم للعقاب، أو المحاسبة الضريبية، وتعرض المأمورين الضريبيين للاعتداء عند محاولتهم إخضاع هؤلاء للضريبة.

ب- عدم الصرامة في تطبيق العقاب ضد المتهربين من دفع الضرائب، والإطالة في قضايا الضرائب من قبل السلطات القضائية، التي تنتهي في كثير من القضايا إلى الحكم على مصلحة الضرائب، وتبرئة المتهربين مما أثر سلباً على صغار المكلفين ودفعهم إلى التهرب الضريبي كون العقاب لا يطال كبار المكلفين التنفيذيين.

ج- انتشار ظاهرة عدم الوعي الضريبي، وأهمية الضرائب في تنمية البلدان، والشعوب، ناهيك عن الميل الفطري لدى الإنسان إلى حب المال، يقول الله تعالى في الآية رقم (20) من سورة الفجر (وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا)، إن الإنسان لا يرغب في أن يشاركه أحد في ماله، ودخله، وفي ظل غياب الوعي الضريبي، وعدم قيام المصلحة ووسائل الإعلام بواجبها التوعوي الضريبي يدفع المكلفين لحجب المعلومات عن مصادر دخلهم تحت قاعدة حب المال، وعدم الرغبة في دفع جزء منه من أجل المصلحة العامة.

د- تحيز الإنفاق العام على المشاريع الاستثمارية، والخدمية للمناطق التي يقطنها المتنفذون، وحرمان المناطق الشعبية من تلك الخدمات، والمشاريع يخلق عاملاً نفسياً لدى شريحة واسعة من المجتمع بعدم عدالة الإنفاق العام، ويخلق لديهم إحساساً بعدم الاستفادة من الضريبة التي يدفعونها مما يخلق ظاهرة التهرب الضريبي.

هـ- انتشار ظاهرة عدم الرضا لدى المكلفين بالواقع السياسي، وعدم تلبية لطموحاتهم يجعلهم غير راضين عن دفع الضريبة لهذا النظام السياسي الذي يرون أنه يسخر الأموال للفساد، والثراء على حسابهم مما يدفعهم إلى التهرب الضريبي.

2-العوامل الاقتصادية وتمثل بالآتي:

أ- عدم مراعاة النظام الضريبي للظروف الاقتصادية، والدورات الاقتصادية (تضخم، ركود)، وثبات الضريبة، وعدم مراعاتها للتقلبات الاقتصادية التي تمر بها البلد يجعل منها عبئاً ثقيلاً على كاهل المكلفين، مما يدفعهم إلى التجنب الضريبي، أو التهرب الضريبي.

ب- عدم مراعاة قانون ضريبة الدخل للظروف الاقتصادية للمكلف مما يجعل الضريبة عبئاً على ذلك المكلف، وتدفعه إلى تهرب، وكما هو معروف في القواعد الاقتصادية أنه كلما انخفضت نسبة الضريبة، زاد الإيراد، وحد من التهرب الضريبي (منحنى لافر).

ج- ارتفاع حجم القطاع غير الرسمي في الاقتصاد اليمني، إذ قدرته إحدى الدراسات في اليمن في الفترة (2000/1999) بحوالي (27.4%) من الناتج المحلي الإجمالي وفي الفترة (2002/2001) بحوالي (28.4%) من الناتج المحلي الإجمالي بينما بلغت في عام (2003/2002) حوالي (29.1%) من الناتج المحلي الإجمالي<sup>(24)</sup>. وقدرته إحدى الدراسات



التي أُعدت من قبل البنك الدولي بحوالي (44٪) من جملة الناتج المحلي الإجمالي في عام 2012، ويمكن تقدير القطاع غير الرسمي عن طريق أساليب عدة من أهمها<sup>(25)</sup>:

- الفرق بين الدخل والإنفاق.
- إحصائيات عدد العاملين في سوق العمل.
- المراجعات الضريبية.
- المداخر النقدية المتمثلة بمعدل النقود المتداولة إلى عرض النقد، والمبادلات، والوحدات ذات القيم المرتفعة التهرب الضريبي، والطلب على النقود.

ومع الصعوبة التي تواجه الباحثين في تقدير القطاع غير الرسمي، فضلاً عن اختلاف هذه النسبة من طريقة إلى أخرى، فقد حاول الباحث استعمال الأسلوب الرابع، نظراً إلى توفر البيانات بشكل أدق من البيانات المطلوبة في الطرق الثلاث الأخرى، والجدول رقم (9) يوضح نتائج حساب القطاع غير الرسمي، ونسبته إلى الناتج المحلي الإجمالي في الفترة (2000-2014) وفق الصيغ الآتية:

$$M1 = C + D \dots\dots\dots(1)$$

$$N = GDP / M1 \dots\dots\dots(2)$$

$$SE = N * D \dots\dots\dots(3)$$

إذ إن الرموز تعني: (M1) العرض النقدي بالمفهوم البسيط و (C) تعني العملة في التداول و (D) الودائع تحت الطلب و (GDP) الناتج المحلي و (N) معدل دوران النقود و (SE) القطاع غير الرسمي. جدول رقم (9) يوضح نتائج حساب القطاع غير الرسمي ونسبته إلى الناتج المحلي الإجمالي في اليمن للفترة (2000-2014) (القيم بالمليون ريال)

السنة	C (العملة في التداول)	D (ودائع تحت الطلب)	GDP (الناتج المحلي الإجمالي)	M1 (عرض النقود)	GDP <sub>nonoil</sub> (الناتج المحلي بدون النفط)	(معدل دوران النقود)	SE (اقتصاد الظل)	نسبة اقتصاد الظل من الناتج المحلي
2000	197123	50126	1756999	247249	1054199	4.3	840476.4	47.8
2001	212795	69889	1895945	282684	1137567	4	856322.1	45.2
2002	239329	67120	2150896	306449	1290538	4.2	1007878	46.9
2003	268813	78653	2486733	347466	1492040	4.3	1154299	46.4
2004	297939	92602	2885579	390541	1731347	4.4	1320824	45.8
2005	294051	87332	3646556	381383	2187934	5.7	1686924	46.3
2006	412520	145941	4495179	558461	2697107	4.8	1992280	44.3

41.6	2141688	5	3086738	613748	5144564	187908	425840	2007
41.7	2584018	5.5	3721828	680158	6203047	207933	472225	2008
42.1	2556389	4.8	3641758	758332	6069596	226009	532323	2009
41.7	2839843	5.2	4082410	786133	6804017	239276	546857	2010
47	3036169	3.9	3878290	993031	6463816	215624	777407	2011
43.6	2999476	3.7	4125152	1104822	6875253	301485	803337	2012
42.2	3145740	4	4475819	1116583	7459699	331815	784768	2013
43.1	3147940	3.9	4385119	1129542	7308532	318679	810863	2014
44.4								المتوسط الكلّي

المصدر: قام الباحث بعملية جمع وحساب بيانات الجدول بالاستعانة بنشرة التطورات النقدية الصادرة عن البنك المركزي، أعداد مختلفة، كتاب الإحصاء السنوي الصادر عن الجهاز المركزي للإحصاء إصدارات 2000-2013م.

ومن الجدول رقم (9) يتضح أن القطاع غير الرسمي يمثل حوالي (44.4 %) من الناتج المحلي الإجمالي في الاقتصاد اليمني، وهذه النسبة مرتفعة وتقترب من التقديرات التي قام بها البنك الدولي في اليمن في سنة 2012، ويعود السبب في ارتفاع حجم الاقتصاد غير الرسمي إلى ارتفاع حجم الأنشطة، والمجالات الهامة التي ينتشر فيها هذا القطاع كالعمالة الزراعية إذ يمثل نسبة العاملين في القطاع الزراعي حوالي (28%) من إجمالي العمالة، إضافة إلى العمالة في قطاع التشييد، والبناء التي تعمل بشكل غير منظم، والمهن الطبية ومقاولات البناء، والتشييد وقضايا التستر الواسعة الانتشار في كثير من أنشطة البقالات والمحلات التجارية الصغيرة والمتوسطة مثل محلات الحلالة والسباكة، والصيانة الكهربائية، والخياطة، وغيرها من المهن الممتدة عبر مختلف أرجاء المدن، والقرى اليمنية، والباعة المتجولين مما يجعل دخول هذه الفئات غير خاضعة للضريبة، ويفقد الخزينة العامة مبالغاً كبيرة.

3- العوامل التشريعية: هناك عدد من العوامل التشريعية التي تقف وراء ظاهرة التهرب الضريبي في اليمن من أهمها ما يأتي:

أ- اختيار المشرع للفن الضريبي إذ يركز على الضرائب التي تربط عملية التحصيل بحدث الضريبة مثل ضريبة الاستهلاك، والإنتاج، وضريبة المبيعات، بمعنى آخر يجب على المشرع الضريبي

التركيز على الضرائب غير المباشرة التي ترتبط عملية تحصيل الضريبة فيها على الحدث نفسه مما يجعل عملية التهرب فيها أكثر صعوبة من ضرائب الدخل.

ب- عدم مراعاة الإدارة الضريبية جانب الاستقرار في التشريع الضريبي، إذ تتالت التعديلات في القوانين، والتشريعات الضريبية في فترة التسعينيات من القرن الماضي، والعقد الأول من القرن الحالي مما يعكس نفسه سلباً على المكلفين، وكما حدث عند صدور قانون الضريبة العامة على المبيعات من تدمير لدى كبار المكلفين وتعطيله عن العمل لفترة تصل إلى أكثر من خمس سنوات انتهت بتسوية تمثلت في تخفيض نسبة الضريبة من (10%) إلى (5%)، وكان هذا الأمر ناتج عن التسرع في إحلال هذا القانون محل قانون ضريبة الاستهلاك، والإنتاج.

ت- عدم مراعاة المشرع الضريبي الاتساق بين بعض التشريعات الضريبية، وتشريعات اقتصادية واجتماعية أخرى مما أوجد تعارضاً، وتنازعاً بين تلك القوانين، وأثر على قدرة وكفائتها الإدارة الضريبية في تطبيق بعض نصوص تلك القوانين وساعد على التهرب الضريبي.

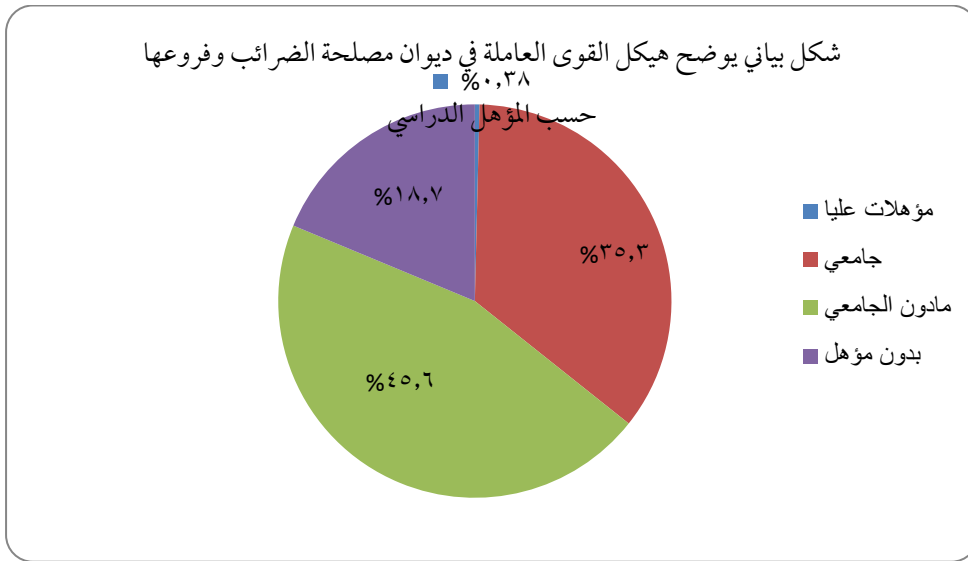
ث- عدم الوضوح في صياغة بعض المواد القانونية، وإخضاعها للاجتهادات الشخصية من قبل الإدارة الضريبية حد من كفاءة تلك القوانين وممارسة الفساد الضريبي.

4- العوامل الفنية والإدارية: تعاني الإدارة الضريبية في اليمن من خلل تنظيمي، وفني، وإداري كبير سواء في البناء التنظيمي للمصلحة وفروعها من جانب، ومن خلل في بناء الكادر الضريبي من جانب آخر والجدول رقم (10) يوضح هيكل الوظائف في مصلحة الضرائب وفروعها:

جدول رقم (10) يوضح هيكل القوى العاملة في مصلحة الضرائب وفروعها<sup>(26)</sup>

الجهة	دكتوراه	ماجستير	دبلوم عالي	بكالوريوس	ليسانس	دبلوم بعد الثانوية	ثانوية وما دون	بدون مؤهل	جملة
ديوان المصلحة	1	11	0	464	142	43	400	25	1086
نسبة	0.09	1.01	0	42.73	13.08	3.96	36.83	2.3	100
الفروع	0	1	4	974	0	343	1253	813	3388
نسبة	0	0.03	0.12	28.75	0	10.12	36.98	24	100
جملة	1	12	4	1438	142	386	1653	838	4474
نسبة	0.02	0.27	0.09	32.14	3.17	8.63	36.95	18.73	100

تشير البيانات في الجدول رقم (10) أن هيكل التوزيع الوظيفي للعاملين في مصلحة الضرائب وفروعها، مختل للغاية، إذ يلاحظ أن حوالي (36,95%) من الكادر الوظيفي من حملة الثانوية العامة فما دون، بينما تصل نسبة العاملين من غير حملة المؤهلات إلى (18.73%)، ودبلوم بعد الثانوية العامة إلى (8.63%) لتصل نسبة العاملين دون المؤهل الجامعي إلى (64,31%) من جملة العاملين في المصلحة وفروعها بينما تصل نسبة المؤهلين من البكالوريوس والليسانس إلى (35,31%) من جملة القوى العاملة في المصلحة وفروعها بينما لا تتجاوز نسبة الذين يحملون مؤهلات عليا دبلوم بعد البكالوريوس وماجستير ودكتوراه بأقل من نصف نقطة من المائة وتبلغ (0.38%) كما هو موضح في الشكل البياني التالي:

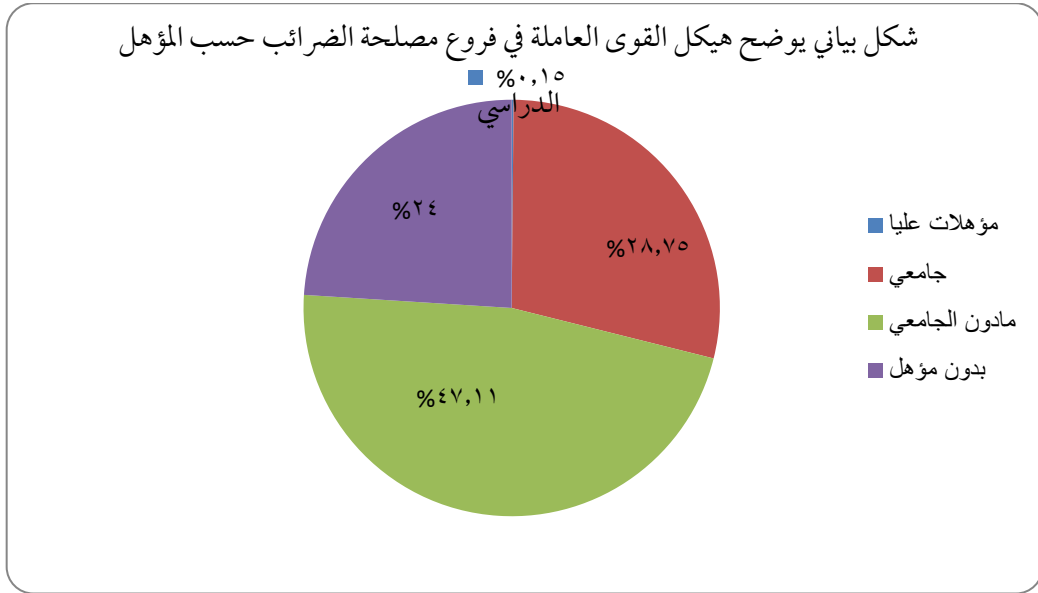


المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (10)

يلاحظ من الشكل البياني الخلل الكبير في تركيبة القوى العاملة في مصلحة الضرائب وفروعها مما يعني أن هذه التركيبة تؤثر سلباً على كفاءة مصلحة الضرائب وقدرتها على تحصيل الموارد الضريبية وتساعد على مزيد من التهرب الضريبي.

وبتحليل هيكل القوى العاملة على مستوى فروع مصلحة الضرائب، يلاحظ أن الأمر أسوأ حيث لا تشكل المؤهلات العليا والجامعية سوى (28.9%) من جملة القوى العاملة، بينما تشكل المؤهلات دون الجامعي حوالي (47.11%) بينما القوى العاملة التي لا تحمل أي مؤهل دراسي تشكل

نسبة (24%) كما هو موضح في الشكل البياني الآتي:



المصدر: من إعداد الباحث بالاعتماد على الجدول رقم (10)

هذا الوضع يعكس نفسه سلباً على أداء تلك الفروع في تحصيل الضريبة، وعدم الفاعلية، والكفاءة في عملية المحاسبة والتحصيل مما يؤدي إلى مزيد من التهرب الضريبي.

لاحظ الباحث عند زيارته الميدانية، ومقابلته لبعض المسؤولين في المصلحة والفروع ارتفاع عدد المتعاونين الذي يصل إلى حوالي (1000) متعاون، وهذا العدد يقترب من إجمالي عدد موظفي المصلحة وفروعها، وهؤلاء يعملون في المصلحة وفروعها مقابل حافز يصل إلى (20000) ريال في الشهر، ومعظم المتعاونين لا يحملون مؤهلات علمية (دون الثانوية العامة)، بل أن بعضهم يقرأ ويكتب فقط، وتوكل إليهم بعض أعمال التحصيل مما حد من كفاءة التحصيل من جانب، وزاد من ظاهرة الفساد الضريبي من جانب آخر.

ثانياً: معالجة أسباب وعوامل التهرب الضريبي

1- معالجة عوامل التهرب الضريبي السلوكية، والنفسية

يمكن مكافحة التهرب الضريبي عن طريق الأخذ بعين الاعتبار مجموعة العوامل الذاتية المتعلقة بالكلف نفسه التي دفعته إلى سلوك التهرب من دفع الضريبة عن طريق الوسائل الآتية:

أ- أن يعمل المشرع الضريبي وكذلك الإدارة الضريبية على وضع الإجراءات المرنة والعقوبات الصارمة الضريبية التي تحد من مقدرة المكلف، على التهرب من دفع الضريبة المستحقة في الوقت المناسب.

ب- العمل على تخفيف العبء النفسي للضريبة على المكلف بواسطة الإجراءات الآتية:

1- تنمية الوعي الأخلاقي الضريبي لدى المكلف، وبيان أهمية الضريبة في تمويل عملية التنمية الاقتصادية، وتحقيق طموحات المكلف الضريبي من جانب الاستفادة المباشرة وغير المباشرة من مشاريع التنمية الاقتصادية (طرق، جسور، تعليم، صحة، ترفيه، أمن، عدالة... إلخ)، علاوة على أن الضريبة التي سيدفعها المكلف ستسهم في تلبية طموحات المجتمع بالكامل، ويأتي ذلك عن طريق التوعية الإعلامية، وتدعيم هذا الوعي لدى المكلف اليمني ورفع درجة إحساسه بأهمية الضريبة كمظهر من مظاهر التعبير عن التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع في بناء الوطن، وتنميته، وبما يحول الالتزام الضريبي من عبء مالي يتحمله المكلف إلى التزام أخلاقي يشعر عن طريقه المكلف بأنه يسهم في بناء وطنه، وتصبح الضريبة التي يدفعها التزام أخلاقي قبل أن يكون التزام قانوني، وهذا الأمر يتطلب من مصلحة الضرائب إنشاء دائرة في المصلحة تهتم بعملية إعداد برامج التوعية الإعلامية عبر وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، فضلاً عن عقد الندوات، وورش العمل التي تركز على أهمية الضرائب في عملية التنمية الاقتصادية، وتوفير الخدمات للمواطن اليمني، التي ستعكس إيجاباً على البيئة الاستثنائية التي سيستفيد منها المكلف نفسه، إضافة إلى التنسيق مع وزارة التربية والتعليم لإضافة دروس في مادة التربية الوطنية في مراحل التعليم الأساسي توضح أهمية الضرائب في عملية بناء الأوطان، وباعتبارها واجباً وطنياً على كل مكلف مما سيخلق في الأجل المتوسط، والطويل أجيالاً واعية بأهمية الضريبة في حياة المجتمع اليمني ونهائه وتطوره.

2- رفع كفاءة الإنفاق العام على المشاريع التنموية وفعاليتها التي تحقق المنافع العامة، وترفع من المنافع المعنوية، وتوزعها التوزيع العادل في إرجاء اليمن دون تحيز مما يساعد على إقناع المكلف بأن الضريبة التي قام بدفعها ستعود عليه وعلى منطقتة التي يعيش فيها بالنفع المباشر، وغير المباشر، بما يساعد على تهيئة المكلف نفسياً وسلوكياً على دفع الضريبة بشكل طوعي، ويجد من تجنبه أو تهربه من دفع الضريبة.

3- التوسع في تطبيق الضريبة من المنبع، حيث أثبتت التجارب العملية سواء في اليمن أو في البلدان الأخرى أن عملية فرض الضريبة من المنبع تخفف العبء النفسي لدى المكلف، وتحد من سلوكه نحو التهرب الضريبي، وهذا ما أثبتته التجربة العملية التي قامت بها مصلحة الضرائب في تحصيل ضريبة المبيعات من المنبع (المنافذ الجمركية)، وكذا ضريبة الدخل (المرتبات) التي تخصم من المنبع عن طريق الأجهزة الحكومية، والشركات والمؤسسات العامة، والخاصة، وعلى سبيل المثال لو أن مصلحة الضرائب قامت بفرض ضريبة البيع والتصرف العقاري من المنبع عن طريق إلزام الأمانة الشرعيين (كتاب العدل) بجباية ضريبة بيع العقارات عند عملية البيع مقابل حصولهم على عمولة، فإن العبء النفسي على المكلف سيقبل، ويجعله يُعدّ الضريبة جزءاً من قيمة العقار المنقول، وسيرفع من حجم الإيرادات الضريبية من هذا النوع من أنواع ضريبة الدخل ويجعلها عامة في كافة المناطق اليمنية ريف وحضر، ويحد من التهرب من دفعها سواء في الأرياف أم المدن.

4- الاهتمام بعنصر العقوبات الرادعة تجاه المتهربين من دفع الضريبة، وعدم الاكتفاء بالغرامات المالية على المكلف المتهرب من أداء التزاماته الضريبية بل يجب أن تشمل القوانين الضريبية على عقوبات أخرى، مثل التشهير في وسائل الإعلام، الحرمان من الترشيح للوظائف العامة، وعضوية البرلمان، احتجاز الحرية وغيرها من العقوبات التي تجعل المكلف أكثر حرصاً على سداد الضريبة حتى لا يعرض سمعته ومستقبله لأي مخاطر.

2- معالجة الوسائل التشريعية للتهرب الضريبي: يمكن معالجة الاختلالات التشريعية التي تسبب التهرب الضريبي في اليمن عن طريق التأكيد على المشرع الضريبي أن يراعى عند صياغة القوانين، واللوائح الضريبية الحد من الثغرات القانونية في تلك التشريعات التي تمكن المكلف من التهرب الضريبي، وكذا تمكن المأمور الضريبي من تفسير المواد القانونية بصورة مزاجية، وبالتالي يجب على المشرع الضريبي لكي يجد من التهرب الضريبي أن يراعى الجوانب الآتية:

أ- يجب على السلطات الضريبية (مصلحة الضرائب) العمل على تحقيق الاستقرار في النظام الضريبي وعدم التسرع في تعديل القوانين إلا بعد إخضاعها للدراسات الكافية، التعرف وبشكل دقيق على أوجه القصور التي يعاني منها القانون فضلاً عن دراسة الآثار الإيجابية والسلبية المتوقع حدوثها عند تعديل القوانين، وأن لا يتم إجراء أي تعديلات إلا عند الضرورة، وعند بروز إشكالات أو

- صعوبات في تطبيق تلك القوانين إذ تعد عملية استقرار القوانين الضريبية من العوامل التي تخفف من عبء الضريبة على المكلفين فضلاً عن أنها تعطي نوعاً من القناعة والرضا لدى المكلفين.
- ب- أن يلتزم المشرع الضريبي اليمني عند إعداد القوانين، أو اللوائح الضريبية مراعاة المبادئ العامة في فرض الضرائب؛ لأنه بقدر احترامه لمبادئ العدالة الضريبية، والعمومية، والمساواة في الضرائب المفروضة على المجتمع سيعطي نوعاً من القبول والاحترام لتلك التشريعات من قبل المكلفين، على عكس القوانين التي تخل بتلك المبادئ التي ستولد رفض من قبل المكلفين والسعي بكل الطرق للتعجب من دفع الضريبة، أو التهرب الضريبي.
- ج- يجب على المشرع الضريبي أن يراعي عملية التناسق بين النصوص التشريعية في القوانين الضريبية ناهيك عن التناسق بين التشريعات الضريبية، والتشريعات الأخرى، وبما يجد من قدرة المكلفين على استغلال تلك التناقضات في التملص، أو التهرب الضريبي.
- د- مراجعة التشريعات الضريبية وتقييمها من وقت لآخر، وتقييم الصعوبات والمشاكل التي تواجه الإدارة الضريبية في التحصيل الضريبي، وبما يجد من ظاهرة التهرب الضريبي، ويردع هذا السلوك، ويجد من الغموض في بعض المواد التي تدفع القائمين على الجباية الضريبية والاجتهاد في تفسير النصوص القانونية، ويفتح ثغرات للفساد الضريبي.
- هـ- إعادة النظر في العقوبات في القوانين النافذة على المهترئين من الضرائب مع التأكيد على أن التهرب الضريبي يعني اعتداء على حقوق المجتمع بأكمله، واستعمال العقوبات المالية الجزائية خاصة إذا كانت هذه المخالفة ترتكب لأول مرة، واستعمال أساليب أخرى مبتكرة في العقاب.
- 3- الوسائل التنظيمية والفنية والإدارية لمعالجة التهرب الضريبي: يتطلب هذا الأمر خلق إدارة ضريبية على مستوى عالٍ من الكفاءة والخبرة وحسن التعامل عن طريق الآتي:
- أ- إصلاح البناء التنظيمي للمصلحة، وفروعها للحد من تداخل الصلاحيات من جانب، وتفعيل دور الدراسات، والبحوث الضريبية وإنشاء دائرة متخصصة في مجال الدراسات والبحوث الضريبية فضلاً عن إنشاء دائرة متخصصة بالتوعية الضريبية.
- ب- إعادة تأهيل القوى العاملة سواء في المصلحة، أو في الفروع عن طريق التدريب المستمر وإلزام العاملين من غير المؤهلين سواء من الذين يحملون مؤهلات جامعية غير متخصصة، أو من حملة



الثانوية العامة، وما دون بدراسة ديبلومات في المحاسبة، ناهيك عن رفع كفاءة خريجي المحاسبة في مجال المحاسبة الضريبية، ومجال المراجعة، وبما يرفع من كفاءة المأمورين الضريبيين في القدرة على مراجعة الإقرارات الضريبية وفق الأصول المحاسبية، والكشف عن أي تلاعب في البيانات المقدمة من المكلفين، بما يحد من التهرب الضريبي من جانب آخر.

ج- خلق إدارة ضريبية قوية عن طريق منح الإدارة الضريبية حق الاطلاع على الوثائق والمستندات الخاصة بالمكلف ومنح المأمور الضريبي صلاحيات قضائية (أن يصدر قرار كقاضي محكمة ابتدائية حيال المكلف المخالف للقوانين الضريبية) مما يساعد على رفع قوة المأمور الضريبي من جانب ويساعد على تقصي الوضع المالي الصادق للمكلف ويسمح بالربط الضريبي عليه بشكل دقيق.

د- تحفيز عناصر الإدارة الضريبية مادياً، ومعنوياً، وتحصينهم من الوقوع في مثالب الفساد نتيجة الحاجة المادية.

#### الاستنتاجات والتوصيات:

بعد دراسة قياس التهرب الضريبي وتحليلها في اليمن خلال الفترة 1990-2015 توصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات والتوصيات على النحو الآتي:

#### أولاً: الاستنتاجات

- 1- اختلال هيكل الإيرادات الضريبية لصالح الضرائب غير المباشرة، مما يعرض هذا النوع من الإيرادات للتذبذب، كونها ترتبط بعوامل خارجية لا يستطيع متخذ القرار المالي، والاقتصادي السيطرة عليها، أو التحكم بها.
- 2- تعاني الإيرادات العامة من اختلالات هيكلية لصالح الإيرادات النفطية، التي تعد من الموارد القابلة للنضوب، وركون السلطات المالية على مثل هذا النوع قد يُعرض المالية العامة في اليمن لمشاكل كبيرة.
- 3- اتضح بأن الاقتصاد اليمني يعاني من انخفاض الجهد الضريبي كنسبة من الناتج المحلي الإجمالي مقارنة بالطاقة الضريبية للبلدان التي تتشابه مع اليمن في الظروف الاقتصادية.
- 4- أظهرت الدراسة أن النظام الضريبي اليمني يعاني من ارتفاع حجم التهرب الضريبي، إذ بلغ متوسط التهرب الضريبي في فترة الدراسة حوالي (58%).

- 5- على الرغم من الإصلاحات الضريبية التي قامت بها الحكومات اليمنية المتعاقبة سواء في الجانب التنظيمي للجهاز الضريبي، أو الجانب التشريعي، إلا أنها لم تسفر عن نتائج تذكر، ويعود السبب في ذلك إلى انتشار ظاهرة الفساد في الإدارة الضريبية من جانب، وتدني كفاءة القوى العاملة في المجال الضريبي بسبب ارتفاع عدد العاملين غير المؤهلين من حملة الشهادات العليا، والمتخصصة من جانب آخر.
- 6- تشير نتائج القياس للمرونة الضريبية إلى أن النظام الضريبي في اليمن يتسم بانخفاض المرونة وانخفاض قدرته على الاستجابة للمتغيرات في النشاط الاقتصادي.
- 7- يعاني الاقتصاد اليمني من عدم الاتساق، والتناغم بين الزيادة في الموارد الضريبية، وبين الزيادة في الناتج المحلي الإجمالي نتيجة الخلل في هيكل الضرائب لصالح الضرائب غير المباشرة، التي تعد أقل استجابة للمتغيرات في الناتج المحلي الإجمالي، وارتباطها بعوامل أخرى.
- 8- اتضح من نتائج قياس المرونات الضريبية أن الضرائب غير المباشرة كانت أقل استجابة للمتغيرات في الناتج المحلي الإجمالي، وكانت دون الواحد الصحيح.
- 9- تشير نتائج قياس المرونات الضريبية إلى أن الضرائب المباشرة كانت أكثر استجابة للمتغيرات في الناتج المحلي الإجمالي، وكانت فوق الواحد الصحيح إلا أنها لم تكن بالقدر الكافي.
- 10- أظهرت نتائج القياس أن النظام الضريبي في اليمن يعاني من نقص في الكفاءة والفاعلية نتيجة الاختلالات في الهيكل الوظيفي وارتفاع نسبة العاملين في المجال الضريبي من الأشخاص غير المؤهلين دون الثانوية العامة.
- 11- تبين من الدراسة أن الاقتصاد اليمني يعاني من ارتفاع حجم القطاع غير الرسمي مما جعل قطاع واسع من الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية، والدخول الناتجة عنها غير خاضعة للضرائب.
- 12- تشير نتائج قياس الجهد الضريبي، والمرونات الضريبية حسب الهيكل، ومرونة النظام الضريبي، إلى أن النظام الضريبي اليمني يعاني من نقص في الكفاءة، وسوء الإدارة الضريبية مما يتطلب مزيداً من الإصلاحات للحد من التهرب الضريبي في الاقتصاد اليمني.

ثانياً: التوصيات

يمكن معالجة التهرب الضريبي والوقاية منه من خلال مجموعة من المقترحات على النحو الآتي:

1. العمل على مجابهة وتضييق نطاق الاقتصاد الخفي (الاقتصاد غير الرسمي) في اليمن، وتشجيع المكلفين على الانخراط في صفوف الاقتصاد الرسمي، وهذا الأمر سيزيد من الحصيلة الضريبية ويخفض معدل التهرب الضريبي.

2. زيادة الوعي الضريبي لدى المكلفين عن طريق تعريف أفراد المجتمع بواجباتهم الضريبية من خلال التوعية الإعلامية، والمجتمعية بالوسائل الإعلامية المسموعة، والمرئية، والمقروءة كافة، وتنظيم الندوات الضريبية المتخصصة في الجامعات والمدارس، والغرف التجارية، والصناعية لشرح بنود القوانين والأنظمة، والتعليقات النافذة في مجال الضريبة، وكيفية احتسابها، وتحصيلها الأمر الذي سيؤدي إلى غرس القيم الاجتماعية، والأخلاقية الصالحة لدى المكلفين، وتعريفهم بأهمية الضريبة إحدى الوسائل التي تعين الدولة على القيام بالمنجزات التنموية وتنفيذ المشاريع التي تعود بالخير على عموم الوطن، والتذكير أيضا ببعض المشروعات التي أقيمت بمساعدة الإيرادات التي تحصلها الدولة من الضرائب، بما يعزز من أداء المجتمع لواجباته الضريبية.

3. ترسيخ مبدأ العدالة الضريبية مما يتطلب مراعاة النسب الضريبية، والمقاييس التي يتم تقدير الضرائب بوساطتها حتى لا يتولد لدى المكلف شعور بأنه يقع تحت أعباء ضريبية تتجاوز طاقته المالية، مما يدفعه إلى بحث عن طرق وأساليب للتهرب عن دفع الضريبة كليا، أو جزئيا عن طريق ممارسة التدليس في تقديم البيانات الضريبية الحقيقية، وممارسة الفساد، ودفع الرشاوي باعتبار تكلفة التهرب الضريبي أدنى من الضريبة نفسها.

4. تقييم النظام الضريبي ومتابعة المشكلات التي يفرزها تطبيق التشريع، والعمل على سد كل الثغرات التي تظهر أثناء التنفيذ، وتحسين أدوات التحصيل، والحماية الضريبية، واللجوء إلى الحماية الضريبية من المنبع، لأن ذلك سيؤدي إلى خصم الضريبة من الإيراد قبل وصولها لصاحبه مع مراعاة أحكام الرقابة على الإقرارات التي يتقدم بها الأفراد والمؤسسات للإدارة الضريبية عن دخولهم، للتحقق من صحة البيانات الواردة فيها عن طريق الآتي:

أ- إنشاء مركز معلومات ضريبي يتولى مهمة تجميع البيانات عن الأنشطة الاقتصادية وتحليلها، وتفرغها، ومقارنة بعضها ببعض بما يساعد الإدارة الضريبية في الكشف عن سلامة أو عدم سلامة البيانات المقدمة في إقرارات المكلفين الضريبيين.

- ب- تحسين مستوى تأهيل المأمورين، والمراجعين الضريبيين عن طريق التدريب المستمر لهم ورفع كفاءتهم في مجال المحاسبة الضريبية، الذي يساعد على قدرتهم على الكشف عن سلامة الأساليب المحاسبية، وسلامة الإقرارات الضريبية المقدمة للإدارة الضريبية من المكلفين.
5. إخضاع المحاسبين القانونيين للعقوبات الصارمة عن البيانات المالية المقدمة لمصلحة الضرائب بصورة لا تتطابق مع المعايير المحاسبية، والشفافية، وأخلاق المحاسبة القانونية، ووضعهم في القائمة السوداء، وحرمانهم من ممارسة المهنة المحاسبية باعتبارهم شركاء في جريمة التهرب الضريبي.
6. من المهم أيضاً تدعيم الإدارات المكلفة بالحماية الضريبية بأعداد كافية من العاملين المؤهلين والمدربين، وإخضاع الوظيفة في الإدارة الضريبية لمبدأ الكفاءة، وامتحانات القبول، وإخضاع هذه الوظيفة لشروط قاسية في مجال النزاهة، والشرف، والتأهيل العلمي من جانب، وتزويدها بما تحتاج من أجهزة ومعدات آلية متطورة تتلاءم مع درجة المهمة الملقاة على عاتقهم من جانب آخر، إذ إن مكافحة التهرب الضريبي تعني قبل كل شيء وجود إدارة ضريبية عالية الكفاءة.
7. منح الإدارة الضريبية حق الاطلاع على كافة الأوراق والوثائق الخاصة بالممول التي تفيد في الكشف عن حقيقة المركز المالي للمكلف الضريبي، ومعاينة الأفراد والمؤسسات التي تمتنع عن تمكين الإدارة الضريبية من الاطلاع على تلك البيانات.
8. منح المأمور الضريبي صلاحية القاضي الابتدائي، وإعطائه حق تطبيق العقوبات القانونية على الأفراد، أو المؤسسات التي تمتنع عن تقديم البيانات المالية والضريبية، أو إنشاء محاكم ضريبية لها صفة الاستعجال للبت في القضايا الضريبية، بما يحيد من التهرب الضريبي نتيجة إطالة النظر من قبل القضاء في القضايا الضريبية المرفوعة من الإدارة الضريبية.
9. تطبيق نظام الحوافز المالية الضريبية والمعنوية للمكلفين عن طريق الخصم الضريبي لمن يدفع الضريبة في وقت مبكر، وكذا تكريم المكلفين الملتزمين في دفع الضرائب.
10. إخضاع الموازنة العامة، وقواعد إعدادها، وتنفيذها لمبدأ العدالة في توزيع النفقات على المشاريع العامة، وبما يحيد من إحساس المواطن بعدم وجود خدمات مقابل الضرائب التي يدفعها وإنما تذهب لمصلحة بعض المتنفذين في الدولة مما يعطي مبرراً للتهرب الضريبي.
11. تحسين المستويات المعيشية للعاملين في الإدارة الضريبية عن طريق منحهم الأجور والحوافز المالية الكافية التي تحصنهم من ممارسة أي فساد، وتطبيق مبدأ الثواب والعقاب بصرامة وبما يحيد من الفساد والتهرب الضريبي.

الهوامش والإحالات:

- (1) خالد الخطيب، التهرب الضريبي، مجلة جامعة دمشق - المجلد ١٦ - العدد الثاني، دمشق، سوريا، ٢٠٠٠م، ص 157.
- (2) المرجع نفسه، ص 157.
- (3) المرجع نفسه، ص 159.
- (4) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:  
- صحيفة الاقتصاد، دمشق، العدد 48، حزيران 2007م.
- محمد خالد المهاني، التهرب الضريبي وأساليب مكافحته، المنظمة العربية للتنمية الإدارية، القاهرة، مصر، 2010م، ص 324.
- (5) المرجع نفسه، ص 71.
- (6) سعيد عبد العزيز عثمان، النظم الضريبية - مدخل تحليلي مقارنة، الدار الجامعية للنشر والطبع والتوزيع، الإسكندرية، مصر، 2002م، ص 13.
- (7) المرسي السيد حجازي، النظم الضريبية - بين النظرية والتطبيق، الدار الجامعية، الإسكندرية، مصر، بدون سنة نشر، ص 6.
- (8) علي طالب شهاب، النظام الضريبي في العراق الواقع، والتحديات، مجلة العلوم الاقتصادية، العدد 28- المجلد السابع، بغداد، العراق، أيار 2011م، ص 43.
- (9) المرجع نفسه.
- (10) مصلحة الضرائب، إصلاحات النظام الضريبي، التحديات الراهنة، والأفاق المستقبلية، ورقة عمل مقدمة لمؤتمر الحوار الوطني، صنعاء، اليمن مارس 2013م، ص 3.
- (11) أنجزت مصلحة الضرائب المحور الأول والثاني من عناصر إصلاح النظام الضريبي، ونتيجة للأزمة السياسية في اليمن منذ العام 2010 فقد توقف برنامج الإصلاح المالي والاقتصادي مما أدى إلى توقف عملية الإصلاح للنظام الضريبي وعدم استكمال المحور الثالث والرابع نتيجة توقف الدعم المقدم من البنك الدولي، وصندوق النقد الدولي لهذين المكونين من إصلاح النظام الضريبي.
- (12) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع أنظر قرار وزير المالية رقم (825) لسنة 1991 بشأن الإقرارات لمكلفي ضرائب الدخل، التشريعات المالية، الجزء الثاني، ديسمبر 1993م.
- (13) لمزيد من التفاصيل، ينظر: منظومة القوانين الاقتصادية، من إصدارات مجلة الوعي الضريبي، العدد السابع، الطبعة الثانية، يناير 2013، ص 45-49.
- (14) يقصد هنا بالموارد الدخل الناتج عن المبيعات.
- (15) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر: منظومة القوانين الاقتصادية، إصدار مجلة الوعي الضريبي الطبعة الثانية، يناير 2013م، ص 239-240.

- (16) تم اعداد برنامج إعادة هيكلية مصلحة الضرائب من قبل شركة عالمية متخصصة هي شركة برايس وواتر هاوس تحت إشراف مشروع تطوير الخدمة المدنية وبدعم من البنك الدولي.
- ♣ تم احتساب نسبة 56.6% التي تمثل ضرائب الدخل على موظفي القطاع العام بالاعتماد على البيانات التفصيلية للإيرادات الضريبية المنشورة في نشرة إحصائية مالية الحكومة الصادرة عن وزارة المالية أعداد متفرقة.
- (17) محمد خالد المهاني، التهرب الضريبي وأساليب مكافحته، ص ب.
- (18) محمد سعيد عبد السلام، دراسة في مقدمة علم الضريبة، دار المعارف بمصر - القاهرة - الطبعة الثانية 1968 ص 587.

(19) لمزيد من التفاصيل أنظر على سبيل المثال:

- Schneider, F. (2000). The increase of the size of the shadow economy of 18 OECD countries: some preliminary explanations. *IFO Working Paper*, (306).
- Carlo V. Fiorioy and Francesco D'Amuri, Tax evasion in Italy: an analysis using a tax-benefit microsimulation model.  
[http://econ.ucsd.edu/~aaliu/pdfs/Tax\\_Evasion\\_and\\_the\\_Double\\_Dividend.pdf](http://econ.ucsd.edu/~aaliu/pdfs/Tax_Evasion_and_the_Double_Dividend.pdf).
- Friedrich Schneider, SIZE AND MEASUREMENT OF THE INFORMAL ECONOMY IN 110 COUNTRIES AROUND THE WORLD, July 2002.

(20) لمزيد من التفاصيل عن تلك الأساليب ينظر على سبيل المثال:

- محمد نجيب جادو، ظاهرة التسرب الضريبي وآثارها المالية والاقتصادية، دراسة تطبيقية في مصر، دار النهضة العربية، القاهرة، ص 69-74.

Engel, Eduardo & Hines, James: Understanding Tax Evasion Dynamics, Working Papers, National Bureau of Economic Research, NBER, Cambridge. P17.

- (21) ملحوظة: تم استبعاد سنة 2015 من القياس نتيجة عدم توفر بيانات الناتج المحلي الإجمالي الفعلية مما قد يؤثر على دقة التقديرات.

(22) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:

- عبد القادر محمد عبد القادر عطية، الاقتصاد القياسي بين النظرية والتطبيق، الدار الجامعية، الإسكندرية، 2005، ص 45.

(23) لمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع ينظر:

- بو رعدة حورية، الاقتصاد غير الرسمي في الجزائر دراسة سوق الصرف الموازي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم الإدارية والتجارية، مدرسة الدكتورالية في الاقتصاد وإدارة الأعمال، الجزائر، ص 64 نقلاً عن دراسة " shadow " F. Schneider and Reobert Klinghmail – economies around the worlead: what do we know \_ k; vesion4, February 2004.

- (24) شهاب أحمد شيحان، اقتصاد الظل بين السببية والتحديد (العراق حالة دراسية، مجلة جامعة الأنبار للعلوم الاقتصادية والإدارية، المجلد الخامس العدد العاشر، 2013، ص 14.

- (25) قام الباحث بعملية جمع وحساب بيانات الجدول بالعودة إلى بيانات القوى العاملة بمصلحة الضرائب وفروعها الذي قدم للباحث من الإدارة العامة لتنمية الموارد البشرية بمصلحة الضرائب.



## التشكيل الفني لحركة الزمن وبنائه في شعر البردوني

د.ياسر فضل صالح العامري\*

الملخص:

يشكل حضور الزمن في شعر البردوني ظاهرة أسلوبية وبنائية بارزة، إذ حظي باهتمام واسع وتنوع لافت، وقد تمثل، في قوام هذا البحث، من خلال حضور حركته، بصورة بينة، في عتبات سبعة دواوين من أصل اثني عشر ديواناً ضمتهم الأعمال الشعرية 1 - 12، وقد كشف النظر في بنيات تلك العتبات عن انتظامها ضمن ثلاث محطات زمنية، حملت في ثناياها إحساساً مفرداً بحركة الواقع وعمق انعكاسه في الذات، كما تجسد احتفال البردوني بحركة الزمن من خلال حضوره في عتبات قصائده، وفي ثنايا المتون الشعرية، وقد تبلورت أهمية الزمن في شعره من كون منظوره للزمن يتشكل، بصورة بارزة، وفق وعي يرصد الواقع، ثم يعيد تمثيل صور انعكاسه في الذات، ويتجلى ذلك التمثيل في صور شتى وتشكلات عديدة، تفتح على الماضي والحاضر والمستقبل، وفي ثنايا ذلك كله تتداخل الأزمنة وتنفصل، وتتسارع حركتها وتتباطأ أو تتصلب، مبلورة فلسفة الرؤية الشعرية وانبثاقاتها النفسية والرؤيوية... والشاعر، خلال ذلك، يستغل وسائل الأداء الفني كلها: اللونية والحركية، وبث روح التشكلات التصويرية الوصفية والمتجاوزة من منظور الرؤية المباشرة للعين الباصرة: التشخيصية والتجسيدية والفتازية... إلخ، وهو في رصده لحركة الزمن في النص الشعري يعمل على تطويع الزمن لمنظور فني مفارق لحركته الواقعية في تراتبها واتساقها.

\* أستاذ الأدب العربي الحديث المساعد، قسم اللغة العربية كلية التربية عدن - جامعة عدن.

## المقدمة:

يعد الزمن الأدبي بنية من بنيات الخطاب السردي، ويقدر "بالقيم الفردية الخاصة دون الموازين الموضوعية"<sup>(1)</sup>، ويعرف بأنه صيرورة الأحداث المتتابعة وفق منظومة لغوية معينة، تعتمد على الترتيب والتتابع والتواتر والدلالة الزمنية؛ بغية التعبير عن الواقع الحياتي المعيش وفق الزمن الواقعي أو السيكلولوجي أو الفلسفي<sup>(2)</sup>، ويُعد الزمن من العناصر البنائية المهمة في تشكيل أفق بنية القصة والرواية، إذ عُدَّت النقلات الزمنية من أهم التقنيات التي توفر للروائي والقاص الإيهام الكامل بالحقبة<sup>(3)</sup>.

هذه الأهمية التي حظي بها الزمن في الدراسات السردية بدأت تجر نفسها على دراسة الشعر بشكل متزايد، وبدأ منظور هذا الاتجاه يميل إلى تطويع الزمن باعتباره آلية من آليات القراءة النقدية؛ بهدف استكشاف جماليات النص واستقراء دلالاته العميقة التي يصعب الوصول إليها إلا بوساطة الاستعانة بمعايير نقدية حديثة مستجلب بعضها من السرد.

لقد بدا لنا في دراسة سابقة، خصصت لدراسة المكان في الشعر، أن تطبيق منظور الدراسات السردية على الشعر عموماً، وشعر الحدائث بصفة خاصة، نافعاً وعملياً<sup>(4)</sup>، ويبدو أن الاستعانة بالزمن باعتباره أداة استقراء دلالات النص الشعري وإبراز جمالياته، لا يخلو من الفائدة على مستوى الممارسة النقدية والتعامل التحليلي مع النصوص من ناحية، وعلى مستوى التذوق الفني والمتعة الجمالية من ناحية أخرى، إذ إن تحفُّز إحساس الشاعر بالزمن، كما يرى بعض الكتاب، ينعكس على شعره، ويكون رد فعل يبرز أثره في رسم الدلالات الزمنية ويسهم في كشف نظرة الشاعر للحياة<sup>(5)</sup> والكون.

ونظراً إلى ما يتسم به شعر الحدائث عامة وشعر البردوني خاصة من مقومات سردية ودلالات فنية تتكشف لدى المتلقي من خلال استيعابه جماليات حضور الزمن واستقراء دلالات حركته في النص، فقد كان شعر البردوني، باعتباره واحداً من أهم الشعراء الذين طبعوا القصيدة العمودية بسمات الحدائث، ميداناً خصباً للدراسة التحليلية؛ بهدف الكشف عن دور الزمن في توجيه بنيته، التي سنطيل المكوث فيها، إلى حد ما، عند الحديث على بنية عتبات الدواوين، بينما نقف عليها بإيجاز، مكتفين منها بأنموذج دال، عند المرور على عتبات القصائد هذا من ناحية، وإبراز بعض ملامح تشكيلات حركته



في تضاعيف المتون الشعرية من ناحية ثانية، مع الوقوف على أثر تلك الحركة في بلورة الدلالة وتعميقها؛ ويرجع هذا التركيز على الزمن، كما ذكرنا سابقاً، إلى ما يحتفي به نص البردوني من مقومات سردية، قائمة على أساس من الإحساس المفرط بالزمن. ولعل هذا الإحساس البردوني بالواقع المعيش استدعى انتقال بنيات النص الشعري لديه، في تضاعيف احتفائها بالزمن، بين الماضي المزدهر والحاضر المنكسر حيناً، وديمومة اللحظة الآنية وتباطؤ حركتها حيناً آخر، وانفتاح أفق الرؤية على الأمل والحلم أحياناً أخرى... إلخ، والشاعر، في ذلك كله، يتحرك في نصه مع حركة الزمن بمهارة أدبية تعكس الأثر النفسي والعمق الفلسفي الذي يتشكل منها منظور الرؤية الفنية في نتاجه الإبداعي.

إذا كانت مبررات دراسة النص الشعري لدى البردوني من زاوية حركة الزمن نابعة من خصوصية حضوره لديه وثراء دلالاته، فإن الاكتفاء ببعض من ملامح تشكلات تلك الحركة في النص المدروس ستنتقل من منظور تعدد زوايا تلك الحركة، إلى حد ما، المتمثلة، بدرجة أساس، فيما تتسم به من مظاهر تتفاوت بين السرعة والبطء، والاستباق<sup>(6)</sup> والاسترجاع<sup>(7)</sup>، وتعالقات تلك الحركة بمجمل التشكلات الفنية والدلالية كلما وجدنا إلى ذلك سبيلاً... وهي زوايا الرؤية نفسها التي يتم النظر من خلالها إلى الزمن في الدراسات القصصية والروائية، إذ كان نقاد الأدب السردى ودارسوه قد وضعوا لحركة الزمن مصطلحات خاصة تقع تحت مصطلحات عامة، تسمى (الديمومة)<sup>(8)</sup> و(المفارقات الزمنية)<sup>(9)</sup>. وإذا كانت هذه المفاهيم النقدية مرتبطة، من حيث دراسة حضورها، بدراسة النص السردى كما جرت العادة، فإن دراسة حضورها في النص الشعري يكشف عن طبيعة رؤية الشاعر لواقعه، وربطه بمنظوره وإحساسه بماضيه وأفق تطلعاته، كما تحمل بين طياتها خصوصية الرؤية الشعرية، وسبل تمثلها وتشكلها، التي يسعى بوساطتها الشعراء إلى خلق دلالات فنية من زاوية إحساسهم بالزمن، عبر التفنن في تجويد طرق استحضاره في نتاجهم الإبداعي، كما أن حضور الزمن في نتاجهم الشعري، في حال أحسنوا تطويعه لمصلحة الفن، يكشف عن عمق الأثر الجمالي الذي ينعكس في وعي المتلقي؛ لما لذائقة التلقي من إحساس فطري ومعيشي تجاهه...

## حركة الزمن وتشكلاتها الفنية والبنائية في عتبات الدواوين:

إن النظر في نتاج البردوني يكشف عن سطوة حضور الزمن، إذ يشكل ظاهرة أسلوبية وبنائية مميزة، يتجلى ذلك بوضوح من عتبات دواوينه المنشورة، الواردة ضمن "الأعمال الشعرية الكاملة 1 - 12"، الصادرة في صنعاء عن الهيئة العامة للكتاب عام 2002م، حيث نجد أن سبعة دواوين من أصل اثني عشر ديواناً ذو دلالات زمنية، وهذه الدواوين، على التوالي:

(في طريق الفجر 1967م، مدينة الغد 1970م، السفر إلى الأيام الخضر 1974م، وجوه دخانية في مرايا الليل 1977م، زمان بلا نوعية 1979م، جواب العصور 1991م، رجعة الحكيم ابن زايد 1994م). هذه العتبات تعكس في ذهن المتلقي طبيعة إحساس الشاعر بالزمن، وتصبح بالنسبة إلى وعي المتلقي عبارة عن مداخل يتم الولوج عبرها إلى المتون النصية، إذ يبني من خلالها تصوراتها عنها وتوقعاته، فيقوم بتوجيه قراءته<sup>(10)</sup> لتلك المتون الداخلية بناء على مضامين تلك العتبات والبنيات الكبرى.

يلاحظ من خلال ترتيب عتبات هذه الدواوين زمنياً، تحول منظور الشاعر للزمن كلما مضى قدماً، إذ إن عتبات دواوينه الأولى (المحطة الأولى)<sup>(11)</sup> الصادرة في النصف الثاني من الستينيات والنصف الأول من السبعينيات: (في طريق الفجر 1967م، مدينة الغد 1970، السفر إلى الأيام الخضر 1974م)، تعكس منظوراً إيجابياً لطبيعة إحساس الشاعر بالزمن، إذ ينتقل عبره إلى آفاق الغد المشرق؛ ويرجع ذلك إلى أسباب عدة، لعل أهمها يعود إلى طبيعة مرحلة الشباب التي جعلت ذات الشاعر تتفجر حيوية وتطلعاً للمستقبل، كما أن توسل الشاعر بالمنزع الرومانسي، في بداياته، أضفى على اختياراته لعتبات دواوينه ميلاً نحو آفاق الرومانسية الحاملة، وفوق كل ذلك فإن المرحلة التي قيلت فيها معظم نصوص الدواوين الثلاثة، هي مرحلة ثورية، تتسم بنشيدان التغيير وتحطيم قيود الاستبداد ومواصلة مراكمة الفعل الثوري بعد ذلك، ولهذا فمن الطبيعي أن تأتي عتباتها فاتحة الزمن على الحلم ومتطلعة نحو الإيجاب، على الرغم من أن حالة التراجع قد بدأت واقعاً، وتجسدت في متون الدواوين التي تلت ديوان (في طريق الفجر).

إذا ما تقدمنا في الزمن فسوف نلاحظ، من عتبات الدواوين التي تلت دواوين المحطة الأولى، تبدل رؤية الشاعر تجاه الزمن، إذ نجد أن الشاعر أصدر ديوانين (في المحطة الثانية)، في النصف الثاني من السبعينيات، هما: "وجوه دخانية في مرايا الليل 1977م، زمان بلا نوعية 1979م"، ومن عتباتي الديوانين نلمح تحول الإحساس بالزمن من الإيجاب إلى السلب، إذ ينبثق إحساس الشاعر بالزمن من زاوية رؤيته لواقعه وتكثيف تسليط الضوء عليه، ويبدو هذا التحول نابعاً من إحساس الشاعر بضبابية الواقع وسوداويته، واستشعاره خيبة الأمل الذي كان مرجواً في المحطة الأولى، ويقينه بصعوبة التغيير، ومعايشته للوقائع المعيقة لتحقيق الطموحات المنشودة. أي إن هذا التحول في النظرة إلى الزمن، من خلال إغلاق أفق الرؤية على الحاضر، كان نتاج انكسار الذات الحاملة وتعرثر الطموح، وقد رافق ذلك الانكسار ازدياد تحول الشاعر من الرومانسية إلى الواقعية، فنتج عن ذلك كله رؤية مغرقة بواقعيته، ومغلقة على واقعها المتسم بالضبابية والسوداوية والفاقد لأي تميز نوعي منفتح على آفاق مرجوة.

بعد هذه الرؤية الضبابية والسكون السلبي للزمن، أصدر الشاعر (في المحطة الثالثة) في النصف الأول من تسعينيات القرن العشرين: (جواب العصور 1991م، رجعة الحكيم ابن زايد 1994م)، ومن دلالة عتباتي الديوانين يترأى في مخيلة تلقينا، المنبثقة من زاوية الرؤية النقدية التي تبناها هذا البحث في نظرتنا إلى دلالة العتبات، أن استحضار الشاعر للزمن ينبثق عن رؤية مغايرة للمنظور الشعري في المحطتين السابقتين، حيث يومض في أفق تلقينا لعتباتي هذين الديوانين انعكاس الرؤية إلى الماضي، مع التركيز على تعدد الأزمنة، واقتصار ذلك التعدد على محطات الماضي والحاضر، ويغيب عن مخيلة التلقي أي انفتاح، ولو مؤقتاً، على المستقبل. ولعل هذا ناتج عن حالة التيه الواقعي المنعكس في وجدان الشاعر، والمتجلي في صورة من صور انتقال الرؤية بين الماضي بمحطاته المختلفة والحاضر بصوره التي تفرزها المتون النصية الداخلية للديوانين.

تأتي مفارقة الرؤية بين المحطات الثلاث التي وزعت عليها العتبات، من كون الزمن في عتبات دواوين المحطة الأولى يتحرك باتجاه المستقبل، وتأتي حركته تلك ثورية مندفعة في تطلعها، ومشحونة بشحنة حاملة منفتحة على آفاق مشرقة... وما إن يكتمل إحساس الشاعر بانكسار الطموح الثوري وتلاشى الحلم في المحطة الثانية حتى تنحسر الرؤية وتغلق منافذ الزمن فتتلازم اللحظة الراهنة،

وتستشعر ضبابيته القارة، وسوداويته المعتمة، وافتقاده نوعيته، بما يوحي باستنساخ مرايا الزمن وديمومة وقائعه... ولعل هذه الرؤية التي يتوقف معها الزمن عند استنساخ مراياه السوداوية وافتقاده النوعية ناتجة عن واقع الصدمة التي حطمت عنفوان الشباب الجامح، والطموح الثائر، وبددت الحلم... هذا التحول من استشراف آفاق المستقبل المشرق في المحطة الأولى، إلى ملازمة الحاضر الذي يراوح استنساخ صورته السالبة في الثانية، تلاه محطة ثالثة ينعكس فيها اتجاه الزمن في منظور الرؤية الشعرية، حيث يقف منظور الرؤية على عتبات الحاضر ويتجه باتجاه الماضي فيستدعيه ويصر على استجلابه... هذا الوقوف على الحاضر متوافق، من الناحية الزمنية، مع وقوف الرؤية في المحطة الثانية على الحاضر، غير أنه يختلف عنه في كون المنظور الذي توحى به عتبات ديواني المحطة الثالثة يفتح على الماضي، وإذا كان هذا التناول قد علل بأن رسوخ اللحظة عند الزمن الحاضر في المحطة الثانية ناتجة عن حالة الصدمة والانكسار، فإن هذا الانفتاح على الماضي واستجلابه، في المحطة الثالثة، ناتج عن رؤية أشمل للوقائع، واستيعاب أعمق لأبعادها، فالشاعر الذي أغلقت في عينيه آفاق الرؤية الزمنية لحظة الصدمة فانكفأ على ذاته يبت إحساسه في أجواء النص، ابتعد قليلاً عن بؤرة زمن الانكسار، الذي ظل مستمراً، وأخذ نفساً عميقاً، ثم بدأ يتأمل في واقعه ومتغيراته من زاوية أتاحت له رؤية أشمل وأسهمت في فتح أفق الزمن على الماضي... وموقع الرؤية الشعرية الذي تم الوقوف عليه والنظر من زوايته إلى الواقع في هذه المحطة يفسح للشاعر المقتدر مساحة أوسع لإنتاج نص مفتوح على الإرث التاريخي، فيتيح له فرصة رسم حاضره وتشكيله والتعبير عن موقفه منه عبر الاستعانة بالموثوث ووقائعه وأدواته، وإسقاطها عليه (الحاضر) إيجاباً وسلباً، وهذا بدوره يسهم، أحياناً، في التخفيف من طغيان النزعة الشعورية النفسية الناتجة عن حالة الصدمة، ويفتح الباب لخلق رؤية أعمق وأشمل، تزاوج في منظورها بين النزعة الشعورية النابعة عن الصدمة الوجدانية والرؤية الموضوعية المستقرئة للوقائع، الأمر الذي تشكل معه طرق التعبير عنها، في أحيان كثيرة، من منظور يسعى إلى فلسفتها واستيعابها بشكل أدق.

ومن منطلق التركيز على خلاصة موجزة ومباشرة على حركة الزمن واتجاهها، فإن النظرة الأولية تحيلنا إلى احتفال تجربة البردوني بالحركة، وتبدأ هذه النظرة بالتشكل لدى وعي التلقي منذ الوهلة الأولى، حيث تبدأ في صورة انطباعات أولية تتلبس القارئ منذ وقوفه على عتبات الدواوين، وبتسليط

عدسة التناول على الحركة واتجاهها بدقة أكبر، في دلالات عتبات دواوين تلك المحطات، نخرج بحصيلة مفادها أن الشاعر يصر على استدعاء حركة الزمن، وذلك من خلال استباق الوقائع والدفع بحركة الزمن باتجاه المستقبل حيناً، ويتجلى ذلك في عتبات دواوين المحطة الأولى: (في طريق الفجر 1967م، مدينة الغد 1970م، السفر إلى الأيام الخضر 1974م)، أو من خلال الاسترجاع واجترار الماضي، والانتقال بين العصور في صورة من صور الاسترجاع والتلخيص<sup>(12)</sup> وتسريع الحركة حيناً آخر، وذلك في عتباتي ديواني المحطة الثالثة: (رجعة الحكيم ابن زايد 1994م، جواب العصور 1991م)، بينما نستشعر فقد الزمن نوعيته وبطء حركته أو ورسوخها بمراكمة طبقاتها المتماثلة أحياناً ثالثة في ديواني المحطة الثانية: (جوه دخانية في مرايا الليل 1977م، زمان بلا نوعية 1979م)، بينما نجد توقف حركة الزمن بشكل مطلق في عتبات بعض الدواوين الأخرى التي غلب عليها الاحتفاء بالمكان، والتي لا يخلو بعضها من إجماعات بعيدة، تؤشر بصورة غير مباشرة على توشحها بوشاح زمني باهت.

لعل الفائدة تستدعي، قبل تجاوز عتبات الدواوين، الإشارة إلى أن كل ما تقدم من دلالات تومض بها تلك العتبات، وتوزيعها إلى محطات، إنها هي منبثقة عن معاشية الشاعر للواقع وانعكاسه في الذات، وتشكله من خلال إحساسه به، وطبيعة إدراكه لوقائعه وتحولاتها... هذا التمثل وذلك الحضور لدلالة العتبات بالصورة التي وقفنا عليها في قوام هذا البحث، تبلور عبر تقسيمنا لها إلى ثلاث محطات، يرتكز كل منها على ديوان رئيس، إذ يتكاثف استشراف المستقبل في المتون الداخلية لدواوين المحطة الأولى في ديوان (في طريق الفجر)، ثم يبدأ خط التراجع في الدواوين التي تلتها وصولاً إلى بؤرة انغلاق الأفق وتباطؤ حركة الزمن ورسوخها ومراكمة طبقات من السلب والسوداوية المتماثلة فوق بعض في ديوان (زمان بلا نوعية) في المحطة الثانية، ثم يتحول منظور الرؤية، في المحطة الثالثة، إلى استدعاء الماضي في عتباتي الديوانين، ويمثل ديوان (رجعة الحكيم ابن زايد) عمق الاستدعاء التاريخي في هذه المحطة، غير أن متونه الداخلية لا تكشف عن أنه يمثل محور ارتكاز حقيقي لهذا الأداء الأسلوبي، بقدر ما تؤشر عن كونه يشكل مجرى تحول أعمق من سابقه، إذ تمضي رؤيته الفنية لتصب في منحدر تحول يوحي بأنه كان يسير في طريقه إلى خلق بؤرة ارتكاز مهياة للاكتمال في ديوان لاحق<sup>(13)</sup>، يتوافق هذا، من الناحية النظرية، مع ما تهيأ، تبعاً، لتلك الرؤية الفنية

من ظروف ذاتية وموضوعية ضاغطة للدفع بها قدماً، إذ إن محطة التحول التاريخي التي أغلقت تدريجياً مع بدء انفتاحها في نهاية الثمانينيات، اكتمل انسداد أفقها في العام الذي صدر به هذا الديوان 1994م؛ ما يشير إلى حاجة الشعرية إلى إشباع منظورها بالتعبير عن أجواء ذلك الانغلاق الكلي، هكذا تبنى عتبات الدواوين في استحضارها للزمن، مشكلة حركة ذلك التحول باتجاه معاكس لحركة الزمن الواقعي، إذ تضي متدرجة به من الأعلى إلى الأسفل، من استشراف المستقبل في عتبات دواوين البدايات وصولاً إلى منحدر الماضي والتهيه بين العصور في النهاية.

### حركة الزمن وتشكلاتها الفنية في عتبات القصائد الشعرية

حضور الزمن في عتبات الدواوين يقابله حضور في العتبات الداخلية (عتبات القصائد)، والمتون الداخلية للنصوص، غير أن دراسة حركة الزمن في هاتين المحطتين لن تقتصر على محتوى الدواوين التي يسجل الزمن حضوره في عتباتها، ويرجع ذلك إلى ما يتسم به شعر البردوني عموماً من احتفاء واسع بالزمن في كل دواوينه.

إن الوقوف على ما تحفل به عتبات القصائد الشعرية في نتاج البردوني من دلالات تؤشر على الزمن، يكشف عن ملمح أسلوب وشعرية ثرية تجعل من الزمن واحداً من أهم مقوماتها الفنية الخالقة للأثر الجمالي، نجد هذا، على سبيل المثال، في قصائد: (كلنا في انتظار ميلاد فجر<sup>(14)</sup>، اليوم الجنين<sup>(15)</sup>، ربيعية الشتاء<sup>(16)</sup>، الضباب وشمس هذا الزمان<sup>(17)</sup>، ليلة من طراز هذا الزمان<sup>(18)</sup>، العصر الثاني في هذا العصر<sup>(19)</sup>، أبو تمام وعروبة اليوم<sup>(20)</sup>، جواب العصور<sup>(21)</sup>...)، وعلى الرغم من ثراء هذا الحضور وأهميته من الناحية الفنية سنكتفي منه - نظراً إلى ضيق حيز البحث - بملامسة سريعة لحركة الزمن ودلالاته البارزة في عتبة قصيدة (أبو تمام وعروبة اليوم)، ذلك أن الزمن فيها مفتوح الأفق؛ كون دلالاته متحركة بين الماضي والحاضر، وهو بذلك يجتزل منظور الرؤية التي طالما ألح عليها الشاعر في معظم نتاجه الإبداعي الذي تلا مرحلة البدايات.

تعد عتبة قصيدة "أبو تمام وعروبة اليوم" تلخيصاً شاملاً وإطاراً تشع من خلاله مجمل دلالات النص المباشرة في كل مفصله، وبهذا فهي "تشكل مدخلاً لقراءته وجسراً للعبور إليه"<sup>(22)</sup>. ويتجلى الزمن في هذه العتبة عبر ما يحمله العنوان من ثنائية توحى للوهلة الأولى بالضدية، وهذه الثنائية الضدية التي يشي بها سياق العنوان تتجلى من خلال حركة الزمن المتجسدة في الانتقال بين الماضي

والحاضر. والملاحظ أن هذه الثنائية لم تأت وفق صيغ القول المألوف كأن يقال: "عروبة الأمس وعروبة اليوم"، بل جاءت مختزلة الماضي في شخص "أبي تمام"، دون تثبيت ملفوظ الزمن "الماضي" أو عموم الجنس "العربي"، وفتحة زمن الحاضر على مصراعيه ومنفتحة على عموم الجنس العربي وواقعه الآني المعيش، وفي هذا إجماع بكثافة اللحظة في الماضي وعدمية الزمن الآني من ناحية، وتكثيف ميل الشاعر إلى إبراز صدمة العربي بواقعه من خلال المواجهة بين التاريخي والآني، بين ما كان وما هو كائن من ناحية أخرى... ويأتي استدعاء البردوني الابن لأبي تمام الأب، المشخص للتاريخ ووضع النقيض للحاضر، فاتحاً عتبة النص لإيلاج صور التضاد المتجسدة عبر انتقال الحركة بين قطبي الزمن في أسلوب من الحوار المجازي الذي سيجسده المتن لاحقاً، بين ما كان وما هو كائن، وبين الشاعر التاريخي وشاعر الزمن الآني الذي نستوحي حضوره باعتباره جزءاً من عروبة اليوم.

#### حركة الزمن وتشكلاتها الفنية في المتون النصية

يكتسب البحث عن حركة الزمن، في المتون النصية لدى البردوني، أهميته من كون منظور الشاعر للزمن يتشكل، بصورة بارزة، وفق وعي يرصد الواقع، ثم يعيد تمثيل صور انعكاسه في الذات، إذ يتجلى ذلك التمثيل في صور شتى وتشكلات عديدة تفتح على الماضي والحاضر والمستقبل، وفي ثنايا ذلك كله تتداخل الأزمنة وتنفصل، وتتسارع حركتها وتتباطأ أو تتصلب، مبلورة فلسفة الرؤية الشعرية وانبثاقاتها النفسية والرؤية... والشاعر، خلال ذلك، يستغل كل وسائل الأداء الفني: اللونية والحركية، وبث روح التشكلات التصويرية الوصفية، والمتجاوزة منظور الرؤية المباشرة للعين الباصرة: التشخيصية والتجسيدية والفتنازية... إلخ، ويوظفها من منظور خادم للأداء الدلالي والأثر الجمالي المنشود.

#### أولاً: حركة الزمن وتشكلاتها الفنية من حيث الاستباق والاسترجاع

سبقت الإشارة إلى أن حركة الزمن في المتون الشعرية لدى البردوني تفتح على الماضي والحاضر والمستقبل، والشاعر في انتقالاته بين تلك المحطات الزمنية يرصد الحركة عبر رسم ملامح انعكاس تشكلاتها الفنية في الذات، وهو بهذا يعمل على تطويع حركة الزمن من منظور فني مفارق لحركته الواقعية في تراتبها واتساقها... وقد وضع نقاد السرد مصطلح "المفارقات الزمنية" للدلالة على هذا النوع من التداخل في سيرورة الأحداث وتناورها، مقارنة لها مع حركة الزمن في الواقع<sup>(23)</sup>. ولقياس

تلك الحركة الزمنية الدالة على "التلاعب بشكل الأداء الفني"<sup>(24)</sup> استعانوا بصيغتين مختلفتين هما "الاسترجاع والاستباق"، ونحن إذ نستعين بهذه المفاهيم السردية إنما نوظفها باعتبارها أطراً وقوالب نقدية نستقرئ بوساطتها خفايا النصوص الشعرية ودلالاتها الفنية، دون أن يعني ذلك التقيد المطلق بسبل توظيف الدراسات السردية للمصطلح.

إن البحث في سبل استرجاع الزمن في المتون الشعرية يكشف عن تعدد تلك السبل من ناحية، وتعدد المقاصد واختلاف تشكلاتها من ناحية أخرى، فالنظر إلى طرق استرجاع البردوني للزمن تؤشر على أنه ينتقل من الماضي إلى الحاضر، وهو في هذا قد يستحضر الماضي ليضعه في مواجهة مع الحاضر لدلالة فنية تجلوها التجربة، نلمس مثل هذا النمط من الاسترجاع في قصيدة "رجعة الحكيم ابن زايد"<sup>(25)</sup>. والشاعر في استحضاره للزمن قد يسلك سبيلاً معاكساً، حيث نجده يتحرك خلال الزمن، في ثنانيا المتن الشعري، من الحاضر إلى الماضي، وهو بهذا يوظف الزمن الفني من خلال حركته المعاكسة لحركة الزمن. وقد يتحرك حركة دائرية يبدأ فيها من نقطة معينة في الزمن ليعود إليها، كما سنرى في موضع لاحق من هذا البحث. وتزداد القيمة الفنية لاسترجاع الزمن في الشعر في التجارب التي تتداعى فيها الأحداث والوقائع الماضية على الذهن تداعياً حراً، وهذا النمط التعبيري لا يقف عند استرجاع الأحداث الماضية فحسب، بل تتداخل فيه سبل الأداء الفني فتحتدم الأفكار والهواجس والتهوييات الذهنية والنفسية وتتزاحم، وتختلط بالوقائع والأحداث، محدثة بذلك تموجات زمنية تنتقل بين محطات الاستباق والاسترجاع التي تتداعى على المخيلة الشعرية تداعياً حراً غير محكوم بمنطق التتابع أو السببية، ولا يشدها إلى بعضها سوى وحدة المحرض النفسي والذهني الذي أنتجها، نلمس شيئاً من سمات هذا المنزع الشعري في قصيدة "جواب العصور"<sup>(26)</sup>.

وتأتي حركة الزمن الشعري (المعاكسة لحركته في الواقع) المتجهة من الحاضر إلى الماضي، حاملة معها مبررات حضورها، وكاشفة عن عمق منظور الرؤية التي شكلتها. فالشعراء حين يستشعرون قسوة الواقع وتبدله، ويتجرعون المرارة، فإنهم كثيراً ما "يلتفتون إلى الماضي يقارنوه بالحاضر"<sup>(27)</sup>، نجد هذا في قول الشاعر:

(حبيبٌ) وافيت من صنعاء يملني نسر وخلف ضلوعي يلهث العرب<sup>(28)</sup>



الشاعر هنا يتحرك حركة عكسية، إذ ينتقل من الحاضر إلى ماضي الشاعر أبي تمام، وحركته باتجاه الماضي توحى بالسرعة، وتكشف عن رغبة جامحة طموحة للعودة إلى مناقب ذلك الزمن. وتتجلى تلك السرعة من خلال وسيلة العودة (النسر) الدال على القوة والسرعة، وتتعرز مصداقية ذلك الجموح والعنفوان المتأجج في ذات الشاعر من طبيعة الصورة المغايرة التي فارقتها راحلاً عنها: "وخلف ضلوعي يلهث العرب".

هذه الحركة المتجهة عكس حركة الزمن ناتجة عن رؤية فنية عميقة تضع بين جانبيها عالين مختلفين، عالم الزمن الماضي بما فيه من عزة وإصرار وصدق، ويتجسد في بطولة المعتصم وعزته وتلبسته "من ذا يلبي أما إصرار معتصم"<sup>(29)</sup>، وبين عالم الحاضر الذي غادره الشاعر، عالم تحتفي فيه بلاد العرب بالعدو "كيف احتفت بالعدى حيناً أو النقب"<sup>(30)</sup>، ونلاحظ من مجمل لوحات النص الشعرية التي يقابل فيها الشاعر بين الماضي والحاضر: إصراره على تأكيد حالة النفور من واقع الأمة، وإبراز صور فساده وتكثيفها، وتطلّعه إلى استحضار أمجاد الماضي وإحلاله محل الحاضر بالرحيل إليه. والشاعر في منظوره الشعري يوجز في التقاط إشعاعات صور الماضي بشرط أحياناً، وقليل ما يتجاوز البيت أو البيتين، بينما يسترسل في وصف الواقع الآني، ويتوسع في رسم بؤر الضعف والهوان والفساد والتخلف، ويأتي اتكاء الشاعر على تسجيل حالة النفور هذه، وتكثيف صور السلب ومقابلتها بصور الإيجاب الواضحة، منسجماً مع عتبة القصيدة التي اختزل فيها الماضي في شخص أبي تمام وفتح الحاضر على عموم الجنس<sup>(31)</sup>، وكاشفاً عن وسيلة مثلى، وظفها لنقد الواقع وتسليط الضوء عليه، وقد اتسمت هذه الوسيلة بفاعليتها القصوى في خلق الأثر الجمالي؛ كون حضورها المسبق في ذهن المتلقي ووجدانه سهل عليه إدراك حالة التنافر وحجم السلب الكامن بين قطبي الزمن، الأمر الذي أسهم في تعزيز حالة الشعور المشترك بين الشاعر والمتلقي.

هذا الاستحضار للماضي يقابله اتجاه منظور الشاعر إلى المستقبل، في رؤية استباقية تتطلع إلى آفاق مفتوحة على الأمل والحلم والحرية حيناً، أو ضيقة الأفق، سوداوية الرؤية أحياناً أخرى، والملاحظ كثرة حضور النوع الأول في المحطة الأولى "ديوان في طريق الفجر" مثلاً، وانحسارها لصالح ضيق الأفق كلما تقدمنا في الزمن "ديوان زمان بلا نوعية" مثلاً، ويرجع ذلك إلى طبيعة مرحلة بدايات الشاعر بما فيها من عنفوان الشباب الطامح، ورؤية رومانسية حاملة، وهيجان ثوري ينشد التغيير، بينما

ذوت روح التطلع وخفت الأمل، كلما تقدم بنا الزمن، وحلت محله رؤية سوداوية بائسة، منكسرة، متشائمة، ممزوجة بالألم ومصبوغة بصبغة من السخرية والسخط أحياناً.

من أمثلة الزمن المفتوح على المستقبل المأمول ما نجده في ديوان "في طريق الفجر" الذي أعددناه أنموذجاً لهذا المسلك، حيث نلمس فيه كثرة استشراف المستقبل ونشدان الحلم والتغيير الإيجابي، والانتصار فيه للأمل والحلم، وإحلال الحرية والضيء والربيع الوردي المخضوضر... محل الاضطهاد والكبت والظلام والجذب، نجد ذلك بشكل مباشر في كثير من النصوص، منها: "كلنا في انتظار ميلاد فجر<sup>(32)</sup>، زحف العروبة<sup>(33)</sup>، حين يصحو الشعب<sup>(34)</sup>، الطريق الهادر<sup>(35)</sup>، تحدي<sup>(36)</sup>...". وإذا ما أخذنا ديوان "زمان بلا نوعية" الصادر عام 1979م، أي بعد ثلاثة عشر عاماً من ديوان "في طريق الفجر"، فسوف نلمس تغير نظرة الشاعر إلى الزمن، إذ تتقلص آفاق الرؤية الشعرية تجاه المستقبل باعتباره زمن الحرية والحلم بغد مشرق، وتتمحور للانفعال بالواقع السوداوي الذي يتصلب فيه الزمن ويفقد أهميته وتميزه، ويكتسي معه المكان والشخص ضبابية تفقد معها الذات الإحساس بالتغيير، فتضييق أفق الرؤية المستقبلية ويفرض الآني حضوره المستقبلي، نجد مثل ذلك في معظم نصوص الديوان، وقلما نلمح تطلع الشاعر إلى الغد المشرق، حتى صار هذا الملح الاستشراقي نادر البروز، حيث نجد أبرز حضوره في قصيدة "السلطان والثائر الشهيد"<sup>(37)</sup>، كما نلمس ومضات منه في قصيدة "تحولات أعشاب الرماد"<sup>(38)</sup>.

إذا كانت قد سبقت الإشارة إلى أن تجارب البردوني الأولى الواردة بديوان "في طريق الفجر" تحتفي باستشراف أفق الرؤية الحاملة وتستبق الأحداث فتفتح الزمن على المستقبل المشرق، فإن تجاربه في المحطة الثانية يتجلى فيها انسداد أفق الرؤية على الواقع السلبي ممثلة بديوان "زمان بلا نوعية"، إذ يبدأ الإحساس بذلك الانسداد من عتبة العنوان، وتتمدد هذه الرؤية في ثنايا المتون الشعرية باثة إحساس الشاعر بضيق الأفق المستقبلي وثبات الزمن ورسوخه وافتقاده سيّاته، حد صعوبة تغييره، نجد هذا في معظم نصوص الديوان من ذلك قوله في قصيدة "فكريات رصيف متجول":

من ذا يصدق أو يكذب ما جرى      لم يبق من ينفي، ولا ما ينتفي  
ماذا يفاجئني من الآتي؟ مضى      ما سوف يأتي... يا غرابة خرفي<sup>(39)</sup>

الشاعر محبط بفعل سلبية تحولات الوقائع وديمومتها، الأمر الذي جعله يستشعر أن الدفع بعجلة الزمن باتجاه المستقبل غير مجدية في التغيير، إذ يُستنسخ الماضي طبقاته ويراكمها في الحاضر بكل صورها البائسة، حتى صار التنبؤ بالمستقبل ضرباً من استجلاب مزيد من مظاهر الشقاء والسوداوية الخرافية المتكررة بصور أنكى وأمر. وإحساس الشاعر بسوداوية أفق المستقبل هو نتاج الإحساس الذي "يتنحر فوق ديمومة متطاولة من الأشياء"<sup>(40)</sup>، تشكل إحساسه بواقعه وتستنسخه في مستقبله. ويستشرف الشاعر المستقبل بتكرار الوقائع، فيجد في الواقع ما يشير إلى عدم تخلق أجنة الوعود والتطلعات، وإجهاض المستقبل، وقتل الطموح، وإزهاق الصبا والحلم، نجد هذا في قصيدة (استقالة الموت):

لكم غد...؟ يأتي ويمضي غدٌ وما تكفون عن الغدغده  
ما أخذت كل مواعيدنا إذا انظفا وعدُّ، أضاءت عده  
هل بين موتين ترى فارقاً؟ إماعت، أو زعزعت (مُسعدة)  
يا دود غرد، حسناً، ياردى أضف حُلوقاً، فكرةً جيده  
سَمِّ اقتلاع العمر تشذبيه وسَمِّ إزهاق الصبا هدهده<sup>(41)</sup>

هكذا يتحرك الزمن نحو المستقبل بحركة مضطربة، تتجلى في صور تداخل زمن الحاضر والمستقبل وانكفائه إلى الماضي دون إحداث تغيير إيجابي؛ ويرجع ذلك إلى كون المستقبل في ذهن الشاعر وشعوره كالحاضر في العتمة والجذب، الأمر الذي جعل روحه يائسة، متعبة، منشغلة بإبراز ملامح الواقع السلبية، التي لا ترى سواها، وعاكفة على تعميق صور القبح المتمثلة في تكرار زيف الوعود وجدها وقتل الطموح وكبته وتضليله، ومراكمة طبقات كل ذلك فوق بعض بصورة دائمة. والشاعر من هذه الزاوية ينظر إلى الزمن باعتباره دورياً "يكرر دورة المراحل نفسها"<sup>(42)</sup>، ولهذا جاءت تطلعاته لاهثة منهكة لا ترى في الأفق وميضاً يرتجى، ولا يجذوها أمل فتح ثغرة للنور في جدار واقعها الزائف؛ ويرجع ذلك إلى حالة الصدمة الناتجة عن تحول الحال من الثورة في مرحلة البدايات إلى قيود

الاستبداد والفساد في مرحلة الوسط، وهذا يتواءم مع مذهب الشاعر في تحوله من الرومانسية إلى الواقعية، إذ راوح الواقع واجتهد في رصد ملامحه ونقدها.

والملاحظ أن منظور الرؤية المتطلعة إلى المستقبل في ديوان "زمان بلا نوعية"، التي حملت الأبيات السابقة كثيراً من ملامحها، تستحضر الزمن في المتون النصية في هيئة ومضات ماثورة في جسد النص، وتعيّب توهج حضوره الإشعاعي الممتد الذي يشي بظلال حضوره الموجه للبنى الكلية؛ ويرجع ذلك إلى كونه يتجسد من زاوية انعكاس الواقع في الذات وما فرضه "هذا الانعكاس" من إحساس عميق بخيبة الأمل المنشود الذي طالما ألح عليه الشاعر سابقاً، ولهذا فإن أفق الرؤية الشعرية في تشكيلها لبنية النص لا ترى في الزمن، لحظة استحضاره، نتاج توهج حلمي واسع الأفق، يتجسد حضوره في تخليق بنية نصية ممتدة ومتناسكة، تنطلق من واقع مفروض أو ماض متين، منفتح على عالم الأمل والحلم والحرية، إنما هو ومضات تبرز في النص هنا وهناك، كاشفة عن نَفْسٍ متقطع وروح لاهثة منهكة؛ مؤكدة بذلك أن الحاضر السوداوي الجاثم على النفس يفرض حضوره المستقبلي، فتظهر ملامحه، في اللقطات المصورة للغد الموحش، ماثورة في مواقع متعددة من جسد البناء النصي.

### ثانياً: حركة الزمن وتشكلاتها الفنية من حيث السرعة والبطء

إن انتقال البحث إلى رصد ملامح تشكلات حركة الزمن في الشعر من حيث السرعة والبطء، تستدعي الإشارة إلى أن كتاب السرد ونقاده وضعوا لحركته تلك اصطلاحات خاصة تقع تحت مصطلح عام يسمى "الديمومة"، وأدخلوا تحته أربع تقنيات هي: "التلخيص" و"الحذف"<sup>(43)</sup> و"الوقفه"<sup>(44)</sup> و"المشهد"<sup>(45)</sup>، ويتم من خلال هذه التقنيات رصد القيم الفنية لحركة الزمن في النص الأدبي، وتنقسم من حيث السرعة والبطء إلى قسمين، الأول منها يتعلق بسرعة السرد، ويتمثل في "التلخيص، والحذف"، أما القسم الثاني فيرتبط بإبطاء السرد ويتمثل في "الوقفه والمشهد"، ونحن إذ نستعين ببعض التقنيات السردية في رصد حركة الزمن في نتاج البردوني، فإننا نوظفها بالقدر الذي يجلو قيم النص الفنية وأبعاده الجمالية، ويبرز تنوع تشكلات حركاته وسكناته وفقاً لمدى تحققه في النصوص.

يرى أحد الكتاب أن "السرعة والبطء حالتان نفسيتان"<sup>(46)</sup>، نلمس ذلك بوضوح في ثانياً تصفح نتاج البردوني، إذ تكشف المتون الشعرية أن حركة الزمن في سرعتها وبطئها، تنبثق غالباً عن معيشتها للواقع، إذ إن إحساسه بواقعه يدفعه إلى إعادة تمثله في ذاته، ورسم تشكيلاته عبر ما يفرزه انعكاس ذلك الواقع في الذات، وما يولده من بواعث نفسية وشفرات فلسفية ورؤيوية تتبلور في هيئة حركية تتباطأ حيناً وتتسارع أحياناً أخرى، يرافقها تشكيلات لونية وصور مكانية تتسع وتضيق وتخضر وتجذب، تمتزج جميعها وتتكامل مشكلة منظور الرؤية الشعرية وزاوية النظر التي ينظر من خلالها الشاعر للزمن.

لقد بدا لنا في أثناء تلمسنا حركة الزمن في شعر البردوني أنها تزداد في النصوص التي تستحضر التاريخ؛ بهدف عقد مقارنة بينه وبين الواقع، أو إحلاله محله، أو الانطلاق منه لاستشراف آفاق المستقبل، فتتجسد حركة الزمن المتسارعة من خلال القفز بين المحطات الزمنية المختلفة، كما نلمس تدفق حركة الزمن واستحضار أحداثه المحتمدة حين تتحرك الذات في ثانياً نزوعها إلى التغيير ونشدان الثورة والخلاص وتطلعها إلى آفاق مغايرة تكثر فيها الأحداث والصراعات والتقلبات، بحيث تتشكل حالة التمرد والرفض والغليان المتأجج في نفس الشاعر في هيئة حركية تستخدم كلما استشعرت أمامها من يسعى إلى إعاقة ذلك الاندفاع والجيشان الداخلي، كما تستحضر حركة الزمن المندفعة في لحظة تصوير ما تحقق من منجزات، في ثانياً شعور النفس بمشاعر الزهو والفرح المستحضر للتضحيات والمتطلع لآفاق أكثر رحابة وضياء، نجد ذلك في قصيدة "الطريق الهادر"<sup>(47)</sup>، وتتسارع حركة الزمن، أيضاً، في ثانياً حديث النفس عن تهوياتها وهواجسها القلقة؛ ويرجع ذلك إلى كون الذات تستشعر تراحم هواجسها فتندفع لتفرز ذلك لا شعورياً في متون شعرية محتدمة الحركة، نجد شيئاً من ذلك في قصيدة "صراع الأشباح"<sup>(48)</sup>. والشاعر المجيد يبلغ، في هذا النمط، أعلى مراتب الإجازة الفنية حين تشكل لديه هذه الهواجس في صورة من صور التداعي الحر للأفكار، ويبرز تساوي زمن الحوار في النص مع زمن الأحداث في المقاطع الحوارية وحديث الشخصيات<sup>(49)</sup>، وإحساسنا بمدى تحقق ذلك التطابق من عدمه يرتكز في الأساس على طبيعة الموقف الشعوري للذات المنتجة لحظة الخلق الشعري من ناحية، وقدرته على خلع ذلك الشعور على شخصياته من ناحية أخرى كما سنرى لاحقاً، وتقل الحركة وتتباطأ كلما أحست الذات بضيق أفق المستقبل، واستشعرت بأن

الوقائع تعيد استنساخ صورها وتراكم بعضها فوق بعض، دون قدرة الذات على الرفض، وإحساسها بعدم الرغبة في التغيير، وراوحت الوقائع مكانها حد تصلب الزمن أحياناً، ويزداد الإحساس ببطء حركة الزمن وفقد سماته ورسوخه في المواطن التي يسيطر فيها اليأس المطلق، وتتصلب كل مظاهر المضي نحو آفاق حضارية مشوذة، في حين يغيب الزمن وتسود حالة من الاستقرار والصور المشهدية خارج إطار الزمن في المواضع التي يسود فيها وصف الأماكن والشخص (50) وصفاً حسيماً مباشراً.

إن تتبع تلك التشكلات الزمنية من زاوية حضورها في المتون الشعرية في شعر البردوني يكشف عن أهمية هذا النزوع الفني، وتعدد مظاهره من الناحية التقنية، كما ذكرنا سابقاً، حيث نلمس غياب الزمن وتوقف الحركة عند وصف الأشياء والشخص، والشاعر يوظف هذا المنزع الفني الذي يعمل على خلق لوحات صورية، لا تتجاوز مجال رؤية العين الباصرة، في مواقف عديدة؛ ويتوخى من ذلك أهدافاً فنية محكمة بطبيعة التجربة والحالة الشعورية والذهنية التي تتقمص الذات لحظة الخلق. فقد يعمد إلى الإمعان في تصوير ملامح الشخص؛ ليرسم ظاهرها أو يكشف الغطاء عن مكنونها؛ لدلالة فنية يسعى إليها، أو يميل إلى وصف المكان، دافعه إلى ذلك، على سبيل المثال، إبراز صورة من صور الاستكانة والجمود والتخلف، أو جنوحه إلى تمهيد خلفية المشهد الذي ستجري فيه الأحداث، وفي هذه الحالة "الثانية" يصبح عمل الشاعر شبيه بعمل القاص والروائي، غير أن الشاعر المجيد غالباً ما يكتفي من المشهد الممهد للحدث بالقليل منه، فلا يديم الوقوف عليه، ولا يسترسل في وصف الجزئيات وصفاً مباشراً إلا إذا دعت الحاجة الفنية إلى ذلك، كما أنه كثير ما يلبس المكان وموصوفاته لباس التجربة وشعور الذات لحظة البوح، وهذا قد يضيف عليها نوعاً من التلبسات اللونية أو الحركية، نجد مثل هذا في قصيدة (بين ليل وفجر)، إذ يقول الشاعر:

في هجعة الليل المخيف الشاتي      والجوُّ يجلُّمُ بالصَّباحِ الآتي  
والريُّحُ كالمحمومِ تهذي والبدجي      في الأفقِ أشباحٌ من الإنصاتِ  
والشُّهبُ أحلامٌ معلقة على      أهدابِ تمثالٍ من الظلماتِ  
والطيفُ يخبُّ في السكينة مثلاً      تتخبَّطُ الأوهامُ في الشُّبهاتِ  
والظلمةُ الخرساءُ تلغثُ بالرؤى      كتلعثمِ المخبوقِ بالكلماتِ (51)

في هذه اللوحة، التي جاءت مفتتحاً للقصيدة، نلمس اهتمام الشاعر بالوصف، الذي يمنح إلى إبراز صور توقف حركة الزمن وتعزيز حالة الشعور بذلك، فصبغها بصبغة لونية سوداء أضفت على تلك اللوحة الليلية سمة الثبات والوحشة، ورغم أن هذا الاهتمام بالوصف جعل حركة الزمن غائبة إلى حد ما، فإن تجاوز الشاعر منظور الرؤية المباشرة للعين الباصرة جعل الذات تتسلل بهواجسها في ثانياً للوحة، وهذا بدوره جعل توقف الزمن غير قار، إذ نلمس حركة بطيئة في أثناء الوصف، متجسدة في صورة من صور انعكاس مشاعر الذات في المكان، نستشعرها من حركة الريح وتخبط الطيف وتلثم الرؤى في المخيلة... وتتجسد روح ذلك التشكل الفني في حركاته وسكناته عبر بث روح التشكلات الصورية: التشخيصية والتجسيدية والفتنازية في تضاعيف اللوحة العيانية.

لقد كان حق هذه اللوحة، تمثلاً بالسرد، أن تغيب عنها حركة الزمن؛ كون الهدف منها تهيئة الأرضية لدخول الشخصيات في المشهد<sup>(52)</sup>، وتحرك الأحداث واحتدامها بعد ذلك، غير أن نزوع الشاعر إلى إلباس اللوحة العيانية لباس الذات، وتتهيئتها لتكون خلفية مكانية وزمنية ونفسية لما يدخل في إطارها، بعد ذلك، من أحداث وشخص، جعل الشاعر يتخير من الصور والجزئيات والحركات والسكنات ما يراه مهماً وخادماً للمضمون ومحققاً للأثر الجمالي.

تجلى القيمة الفنية للزمن في شعر البردوني في المواطن التي يميل فيها إلى توظيف الزمن باعتباره أداة من أدوات إبراز حالة التخلف الحضاري، أو الإحساس بضيق أفق المستقبل، وتضخم حالة الشعور بالقنوط وعدم جدوى محاولات التغيير، وفي كثير من هذه المواطن يميل الشاعر إلى إبراز إحساسه بفقد الزمن نوعيته وتوقف حركته حيناً، وتباطؤها أحياناً أخرى، وقد تتمحور هذه الصور معاً لإبراز هذه الدلالة المضمونية والنفسية التي يلح عليها كثيراً في نتاجه الشعري، مع تلبس الرؤية بملامح لونية أو تشكلات صورية تخيلية، يمنح بعضها إلى خلق نمط من التوهيمات الفتنازية، ففي ديوان "زمان بلا نوعية" نجد أن إحساس الشاعر بتعثر الحلم وانكسار الطموح عمل على تضيق الأفق، فراوح الزمن مكانه حيناً، وتحرك حركة بطيئة حيناً آخر، واستنسخ صورته بإسقاطها، في أثناء حركته، على محطاته المختلفة حاضراً ومستقبلاً، وفي كثير من تلك المحطات يفقد فيها الزمن نوعيته وتستنسخ صور الضباب والسوداوية والجدب والتشوه ويتولد الإحساس بالتيه والوحشة والتخلف، ويغيب النور والخضرة ويهت الأمل والطموح ويضيق الأفق الذي كان ينشده الشاعر في بدايات

تجربته الشعرية، ما يؤدي إلى توقف حركة الزمن أو بطئها أو تكرار استنساخ نفس الملامح السلبية، بصورة تجعل من الزمن طبقات تراكم بعضها فوق بعض، حد افتقاد الإحساس بتجده الذي يضفي عليه نوعيته وخصوصيته.

نجد تصلب الزمن مقروناً بآس الذات وإحساسها بضيق الأفق وعدم جدوى التغيير في قصيدة "تحولات أعشاب الرماد"، إذ يقول:

تخشبتُ والأيامُ مثلي تخشبت      أتمضين يا أيام؟ من أين؟ حاولي

.....

تقولين: ماذا أنتوي يا هواجسي؟      أتنوين شيئاً؟ فارقيني وناضلي

أما فيك مالم يحترق بعدد؟ كل ما      أعبي، أنني أفنيت حتى تفاعلي

أجب غير هذا، أعشبت فيك جمره      وهذا اختلاجي فيك أزهي دلالي (53)

في هذه الأبيات نجد تخشبتاً للزمن وتوقفاً لحركته، وإحساساً بعدم جدوى محاولة تحركه في البيت الأول. هذا الحضور الفني الذي تتخشب فيه صورة الزمن ويفقد قدرته على الحركة، ما هو إلا انعكاس نفسي لحالة الذات التي أدركت جمود الواقع، واستشعرت عجزها وعدم قدرتها على تغييره، وتلبسها إحساس منهنك يائس متيقن من عدم جدوى تحريك عجلة الزمن؛ لهذا نجد الشاعر يطرد كل هاجس يراوده للسعي إلى التغيير. وهو بهذا يستشعر انسداد الأفق، رغم ما في نفسه من بقايا هواجس تحاول، دون جدوى، أن تزرع فيها جمر الحياة.

توظيف الزمن بالصورة التي لمسناها يتسم بالتميز، ويكتسب قيمته الفنية من كون إن الشاعر يعتمد، بوساطته، إلى استغلال الحركة لإبراز الدلالة، وقد عمل، خلال ذلك، إلى انتقاء جزئيات بعينها، وجدها مهمة، فوظفها من منظوره الخاص الذي رآه مناسباً وخادماً للتوجه الإبداعي، ومحققاً للدلالة الفنية والأثر الجمالي المنشود.

إن انتقال البحث إلى ملمح آخر من ملامح حركة الزمن في شعر البردوني، يكشف عن فيض من المقاطع الحوارية التي تتطابق فيها مدة الحوار مع طول النص، هذا التتابع الظاهري، التقني، يخفي



وراءه، في بعض من المواضيع، حركة داخلية نفسية، تتسارع فيها الأنفاس حيناً، وتباطأ حيناً آخر، كاشفة عن طبيعة إحساس أطراف الحوار بواقعها، ورغباتها المراد تحقيقها تجاه ذلك الواقع، نجد مثل ذلك في قصيدة (مأساة حارس الملك)<sup>(54)</sup>، إذ نلمس في حوار (الملك والحارس) تطابقاً افتراضياً من الناحية التقنية بين زمن الحوار مقيساً بزمن النص، ولهذا فإن حركة الزمن، في حوارهما، لا تتميز "بالإفلات من مفهوم الزمن الميقاتي، بل بتمثله، ومواءمته باتجاه تكوين سيرورة الموضوعي"<sup>(55)</sup>، غير أن تعبيرهما عن قلقهما المتأجج في نفسيهما، مما يعتمل من غليان ثوري ضدّهما، انعكس لا شعورياً لدى وعي المتلقي ليلغي، ولو من الناحية النفسية والوجدانية، ذلك التطابق، وبمعنى آخر فإن هذا النمط من الحركة لا يخرج عن كونه مشهداً يتساوى فيه زمن الحوار مع طول النص؛ ولهذا فإن ما ذكرناه من تسريع حركة الزمن لا يتحقق، بالضرورة، من كونه يمثل تلخيصاً للزمن أو حذفاً لمحطات منه، بل مما يبيده طرفا الحوار من قلق واحتدام شعوري مخيف تجاه الأحداث، وما ينعكس في وجدان المتلقي من تزامم للمواقف والهواجس المختلفة<sup>(56)</sup>. والشاعر - في توظيفه لهذه التقنية بهذا الأسلوب الفني - لا يسعى إلى رصد حركة الزمن وتوثيق أحداثه الواقعية بقدر ما يميل إلى إبراز قوة الفعل الثوري وإضاءة المشهد بكشف النقاب عن حجم الأثر الثوري في نفوس طرفي الحوار.

إذا ما تتبعنا صورة جديدة من صور توظيف البردوني لحركة الزمن في المتون الشعرية، فسنجد أنه ينتقل بين الأزمنة بأسلوب يعمل على قطع محطات زمنية واسعة بلفظ موجز، فتتسارع النقلات الزمنية، وتتداخل العصور في مساحة لا تتعدى، أحياناً، بضعة أبيات، وهذا يمثل سرعة قصوى في الانتقال بين المحطات الزمنية. والشاعر في نقلاته تلك يوظف الحركة لهدف دلالي ينشده وقيمة فنية يبتدعها، ويتجسد توظيفه لتلك النقلات الزمنية بصور شتى، منها ما نجده من ميل إلى استجلاب طبقات زمنية من عصور مختلفة، يتجلّى هذا في قصيدة "جواب العصور"، إذ يقول:

الريالات التي تملكها	لا تفني قرصاً وإبريقاً (رُصاي)
عُدّها، عَدَّيْهَا الآن هنا	عند هذا السوق من يُحصى - رَغاي؟
أُعلِنُ الحربَ عليه في الذي	كان أحنى منه، كسرتُ حرابي

كنت في عصر البراءات بلا درهم أهنى طعامي وشرابي  
في متاه (الشَّنْفَرِي) أذهلني عن نداء الجوف دفعي وانجذابي  
قلت يا صحراء خذي مجمتي فأجابت: هالك ليلي وذئابي

\* \* \*

تحت بند الفتح أرضعت المنى أرخت الریح يديها لاخيتلابي  
صرت عند (اليعفوري) متدباً للمهمات التي فوق اتدابي

\* \* \*

همت في أيام (فيضي) مُفلساً وبفلسٍ أشترى ملء وطابي  
جئت هذا العصر أحدو جثتي لا رأى لوني، ولا شمم ملابي<sup>(57)</sup>

وهذا المثال يقفز فوق حواجز الزمن، ويتنقل بين عصوره انتقالاً سريعاً، منتقياً من محطاته ما يناسب منظور الرؤية المراد بلوغها. وهو، لحظة جيشان العاطفة، لا يمارس لعبة الاختيار والانتقاء المخطط له مسبقاً، بل يسمح للمخيلة أن تمارس لعبة الظهور والتخفي، فتداعى عليه الأفكار والأزمنة تداعياً حراً، صادراً في ذلك من كون فيض الشعور النفسي المسيطر على الذات لحظة الخلق الإبداعي يمارس لعبته الفنية في التنقل بين أزمنة مختلفة بفعل التداعي الحر، المحكوم بوحدة المحرض الذي استدعاها ويفرضه الشعور على المخيلة<sup>(58)</sup>.

نلاحظ في الأبيات السابقة أن الشاعر ينتقل عبر الزمن في حركة دائرية تتسم بالسرعة القصوى، معتمداً على أسلوب الحذف الذي يمكنه من القفز فوق الحواجز الزمنية لتسهيل انتقاله بين المحطات. وتتجسد حركة الزمن الدائرية من حيث إن الشاعر ينتقل من الحاضر إلى الماضي (الجاهلي)، ثم الإسلامي (عصر الفتوحات)، ليعود، بعد ذلك، إلى الحاضر.

تلك الانتقالات خلال طبقات الماضي تمثلت في محطتين نصيتين، وتجددت في خمسة أبيات موزعة بينها، عاد الشاعر منها إلى عصره مثلما غادره إليها سابقاً؛ ويهدف الشاعر من استجلاب الماضي والقفز بين محطاته، ومراكمته في جسد البناء النصي، ووضعها، بكل طبقاتها، مقابلاً للحاضر بكل تفصيلاته، إلى نقد الحاضر من خلال تأكيد صور المفارقة الشاسعة بينها، وتصوير مدى الصعوبات والقيود والمعاناة الاقتصادية المريرة التي يتكبدها الفرد والمجتمع في العصر الحديث، ويلاحظ أن الشاعر يحرص على إبراز الحدود البنائية والشكلية الفاصلة بين المحطات الزمنية بصورة واضحة، مؤشراً بذلك على أهمية طبقات الزمن في توجيه الدلالة، يتجلى ذلك عبر عدة مؤشرات يتمثل أبرزها في: الشخصيات المذكورة (الشنفرة، اليعفري)، وتوصيف ملمح عام من عصرها، ومقابلة ذلك مع هذا العصر، عصر (الوصابي - الشاعر)، الذي يجوب العصور منطلقاً من الحاضر المعيش ليعود إليه، كما تتجلى، تلك الحدود، من حرص الشاعر على وضع إشارات بصرية (\*\*\*) أمام عدسة العين القارئة، للفصل بين تلك المحطات الزمنية وتجسيد كل منها في بنية نصية داخلية منفصلة، بحيث تتجلى تلك الإشارات وكأنها فجوات زمنية تؤشر تلك الانتقالات الواسعة، وفي هذا إغراق في الحرص على إبراز حضور الزمن، وإسراف في التأشير على أهميته، وتوجيه منظور المتلقي إليه.

إن النظرة الدقيقة الفاحصة لحركة الزمن في شعر البردوني لا تقف عند هذه النماذج الفنية فحسب، بل تتجاوزها إلى الوقوف على سبل مختلفة ودلالات متعددة، لم تفسح لنا هذه العجالة مجالاً أوسع للوقوف عليها، ولعل ما لامسه هذا الحيز البحثي القصير يشي بتنوع تقنيات توظيف الزمن واختلاف سبل استحضاره وتعدد دلالاته وانفتاح تشكلاته على فضاءات فنية واسعة الأفق، وهذا الاختلاف والتعدد محكوم في الأساس بتعدد التجارب وتنوعها، واختلاف زاوية الرؤية التي ينظر من خلالها الشاعر لعوالم لحظة الخلق.

ونظراً إلى ما لمسه من إبداع في التوظيف الشعري للزمن، وما اتسم به حضوره من سمات مكنت رؤية التلقي الفاحصة من فتح مسالك نقدية حديثة، تم الاستعانة بها في الكشف عن جماليات النصوص وخفايا دلالاتها الفنية من زوايا غير مألوفة، فإننا نوجه هذه الدعوة إلى النقاد والدارسين للاستفادة مما يتيح استقراء التشكيل الفني للزمن في النص الشعري من مداخل نقدية تسهم في الكشف عن الخفايا الجمالية ودلالاتها المتجددة.

## الهوامش والإحالات:

- (1) أ.أ. مندلاو: الزمن والرواية، ترجمة: بكر عباس، مراجعة: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط1، 1997م، ص137.
- (2) ينظر: مراد عبدالرحمن مبروك: بناء الزمن في الرواية المعاصرة - رواية تيار الوعي نموذجاً، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1998م، ص10.
- (3) ينظر: سيزا قاسم: بناء الرواية، دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، دار التنوير للطباعة، بيروت، ط1، 1985م، ص33.
- (4) ينظر: ياسر فضل صالح العامري: جماليات المكان وبنائه الفني في الشعر العربي الحديث في اليمن (1940 - 2000م)، رسالة ماجستير، جامعة عدن، كلية التربية عدن، 2009م.
- (5) ينظر: د. صاحب خليل إبراهيم: جدلية الزمن واللون في ديوان عاشقة الليل، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2002م، ص9.
- (6) الاستباق مصطلح نقدي شائع الاستخدام في النقد الروائي والدراسات السردية عموماً، وهو تقنية زمنية تتميز بإمكانية توقعها للحدث قبل وقوعه، أو هو كل مناورة سردية تهدف إلى الحديث عن حادثة مستقبلية، أو استدعائها بصورة مسبقة. ينظر: محمد عزام: نحو شعرية منفتحة، مجلة الراوي، النادي الأدبي الثقافي بجدة، ربيع الأول 1430هـ، مارس 2009م، ص128. وينظر: جيرالد برنس: المصطلح السردية، ترجمة: عابد خزندار، المجلس الأعلى للترجمة، القاهرة، عدد (368)، ط1، 2003م، ص186.
- (7) الاسترجاع مصطلح نقدي شائع الاستخدام في النقد الروائي والدراسات السردية عموماً، ويعرف بأنه: "مفارقة زمنية تعيدنا إلى الماضي بالنسبة إلى اللحظة الراهنة، استعادة لواقعة أو وقائع حدثت قبل اللحظة الراهنة (أو اللحظة التي يتوقف فيها القص الزمني لمساق من الأحداث ليدع النطاق لعملية الاسترجاع)". جيرالد برنس: المصطلح السردية، سابق، ص25.
- (8) الديمومة: مصطلح نقدي شائع الاستخدام في النقد الروائي والدراسات السردية عموماً، يشير إلى "موضوع سرعة القص التي تتحدد بالنظر في العلاقة بين الزمن الذي تستغرقه الأحداث عند وقوعها، وطول النص مقياساً بعدد أسطره وصفحاته". عبدالمغني محمد صالح دهوان: بنية السرد في مقامات بديع الزمان الهمداني، رسالة ماجستير، كلية التربية - جامعة عدن، 2004م، ص36. ويدخل تحت هذا المصطلح أربع تقنيات هي (التلخيص والحذف والوقفة والمشهد)، ينظر: نفسه، ص36.
- (9) المفارقات الزمنية: مصطلح نقدي شائع الاستخدام في النقد الروائي والدراسات السردية عموماً، يعرفه جيرالد برنس بأنه "عدم توافق في الترتيب بين الترتيب الذي تحدث فيه الأحداث والتتابع الذي تُحكى فيه، فبدية تقع في الوسط يتبعها عودة إلى وقائع حدثت في وقت سابق تشكل نموذجاً مثالياً للمفارقة". جيرالد برنس: المصطلح السردية، سابق، ص24. ويدخل تحت هذا التتابع الخاص للوحدات الزمنية، بما يؤديه من إخضاع الزمن الأدبي لقوانين جمالية، مصطلحان، هما: (الاستباق والاسترجاع).

- (10) ينظر: عثمان محمد أحمد: في المشعل الروائي، النص والنص الموازي - دراسة في (الخفاء ورائعة النهار)، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2013م، ص13.
- (11) تنطلق هذه الدراسة في تناولها لبنية عتبات دواوين البردوني المنشورة ذات الدلالة الزمنية من تصنيف بنيتها الزمنية العامة إلى ثلاث محطات داخلية، وتتسم بكون كل منها يشده منظور فني ينبثق عن رؤية خاصة تجاه الزمن، وهذه المحطات هي: المحطة الأولى: يمثلها دواوين (في طريق الفجر 1967م، مدينة الغد 1970م، السفر إلى الأيام الخضر 1974م)، المحطة الثانية: يمثلها (وجوه دخانية في مرايا الليل 1977م، زمان بلا نوعية 1979م)، المحطة الثالثة: (جواب العصور 1991م، رجعة الحكيم ابن زايد 1994م).
- (12) التلخيص مصطلح نقدي شائع الاستخدام في النقد الروائي والدراسات السردية عموماً، وهو تقنية سردية تُعنى بتسريع حركة الزمن وتعرف بأنها: "ضغط فترة زمنية طويلة في مقطع قصير". سيزا قاسم: بناء الرواية، سابق، ص76.
- (13) ورد في موقع العربي على شبكة الانترنت، أن للبردوني ديوانا غير مطبوع بعنوان: "رحلة ابن من شاب قرناها". ينظر: جميل الجعدي: عبدالله البردوني... الشاعر الثاقب. [www.al-arabi.com](http://www.al-arabi.com).
- (14) ينظر: عبدالله البردوني: الأعمال الشعرية 1 - 12، الهيئة العامة للكتاب، صنعاء، ط1، 2002م، ص241.
- (15) ينظر: نفسه، ص429.
- (16) ينظر: نفسه، ص1435.
- (17) ينظر: نفسه، ص805.
- (18) ينظر: نفسه، ص1016.
- (19) ينظر: السابق، ص1287.
- (20) ينظر: نفسه، ص624.
- (21) ينظر: نفسه، ص1405.
- (22) عثمان محمد أحمد: في المشعل الروائي، سابق، ص13.
- (23) ينظر: جيران جنيت: خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وعبدالجليل الأزدي وعمر حلي، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، ص47.
- (24) سمر روجي الفيصل: بناء الرواية العربية السورية (دراسة نقدية 1980 - 1990م)، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 1995م، ص175.
- (25) ينظر: الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص1590.
- (26) ينظر: نفسه، ص1405.
- (27) جان بوسيل: الزمان، ترجمة: د.محمد نديم خشفة، مركز الإنهاء الحضاري، حلب، ط1، 2005م، سابق، ص6.
- (28) الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص626.
- (29) ينظر: نفسه، ص625.

- (30) ينظر: نفسه، ص 624.
- (31) ينظر ما قيل في عتبة قصيدة (أبو تمام وعروبة اليوم)، سابق.
- (32) ينظر: الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص 241.
- (33) ينظر: نفسه، ص 252.
- (34) ينظر: نفسه، ص 264.
- (35) ينظر: نفسه، ص 268.
- (36) ينظر: نفسه، ص 359.
- (37) ينظر: نفسه، ص 908.
- (38) ينظر: نفسه، ص 900.
- (39) نفسه، ص 881.
- (40) جان بوسيل: الزمان، سابق، ص 25.
- (41) الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص 906/905.
- (42) مستشار التحرير: كولن ولسون: المشرف على التحرير: جون جرانت: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة: فؤاد كامل، سلسلة عالم المعرفة (159)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص 169.
- (43) الحذف: تقنية سردية حديثة تُعد أعلى درجات تسريع النص السرد، حيث يتم بوساطتها إغفال فترات من زمن الأحداث، الأمر الذي يؤدي إلى تمثيل فترات زمنية طويلة في مقابل مساحة نصية ضيقة. ينظر: هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، رسالة دكتوراه، كلية الآداب - جامعة حلوان، 2005م، ص 376. منشور عبر شبكة الانترنت [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com).
- (44) الوقفة: أطلق عليها بعضهم (الوقفة الوصفية). ينظر: المصطلح السردى: جيرالد برنس، سابق ص 58. وهي تقنية سردية تُعنى بإيقاف حركة الزمن، وتمثل "حالة سكون تهدف إلى إعطاء تقارير لغوية عن أشياء وأشخاص في وجودها المحض خارج أي حدث وخارج أي بعد زمني". هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، سابق، ص 294.
- (45) تقنية سردية تُعنى بإبطاء حركة السرد، ويقصد به المقطع الحوارى الذي يأتي في تضاعيف السرد، وهو يمثل اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق. ينظر: حميد حمداني: بنية النص السردى من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافى العربى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت والدار البيضاء، ط 1، 1991م، ص 78.
- (46) جان بوسيل، الزمان، سابق، ص 20.
- (47) ينظر: الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص 268.
- (48) ينظر: نفسه، ص 212.
- (49) يميز دارسو السرد بين زمنين هما: الزمن الذي يستغرقه فعل السرد وزمن مادة السرد. ينظر: بول ريكور: الزمان والسرد - التصوير في السرد القصصى، ترجمة: فلاح رحيم، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1،

ج2، 2006م، ص137. حيث إن زمن مادة السرد هو الزمن المفترض فيه وقوع أحداث القصة، أما زمن فعل السرد فهو دال على طول النص السردي. ينظر: هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، سابق، ص286. ويتسم هذان الزمانان بالتساوي الافتراضي فيما بينهما في المقاطع الحوارية وحديث الشخصيات بعضها لبعض، حيث يشير بعض الدارسين إلى نوع من الحوار يسمى (الحوار المتواقت)، يعمل على إبطاء السرد، ويتسم بنوع من التواقت بين زمن النص وزمن القصة. ينظر: بول ريكور: الزمان والسرد، ص361.

(50) ينظر في هذا: هيثم الحاج علي: آليات بناء الزمن في القصة القصيرة المصرية في الستينيات، سابق، ص294.

(51) الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص298.

(52) ينظر: حميد لحمداني: بنية النص السردي، سابق، ص81.

(53) الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص901.

(54) ينظر: نفسه، ص741.

(55) جمال الدين الخضور: زمن النص، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 1995، ص139.

(56) ينبه جيرار جنيت "إلى أنه ينبغي دائماً أن لا نغفل أن الحوار الواقعي الذي يمكن أن يدور بين أشخاص معينين، قد يكون بطيئاً أو سريعاً، حسب طبيعة الظروف المحيطة". حميد لحمداني: بنية النص السردي، سابق، ص78.

(57) الأعمال الشعرية 1 - 12، سابق، ص1406 - 1407.

(58) هذا التداعي الذي تتداخل فيه الأفكار على جسد البناء النصي بصور شتى، كالتوالي السريع للصور، أو وضع صورة فوق صورة يسمى: "المونتاج". والمونتاج الزمني: هو انتقال تيار الوعي عبر عدة أزمنة، يضع بوساطته الشاعر صوراً أو أفكاراً من زمن معين على صور أو أفكار من زمن آخر، دون أن ينتقل جسدياً عبر الزمن. ينظر: د. ماجدة حموده: مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2000م، ص40.



## دراسة لنقش إسلامي شاهدي لامرأة من كوكبان \*

د. فؤاد عبد الغنى الشميرى\*\*  
أ.د. على سعيد سيف\*\*\*

الملخص:

يتناول هذا البحث نقشاً لشاهد قبر ضمن مجموعة من النقوش التي حوتها القبة الضريحية للأمير شمس الدين بن الإمام شرف الدين الواقعة في كوكبان - محافظة المحويت - الجمهورية اليمنية، يخص السيدة حصينة بنت أحمد بن حميد الدين المطهر، والتي حدد شاهد قبرها تاريخ وفاتها بليلة السبت ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وألف للهجرة، ولم نعثر لها على ترجمة أو أي معلومة تاريخية في بطون المصادر والمراجع المتيسرة، لكن كبر حجم الشاهد وما نقش عليه من نصوص كتابية تنبئ عن حقيقة هذه السيدة وعلو مكانتها في مجتمعا حينذاك.

تضمنت الدراسة بالإضافة إلى الجانب الوصفي، تعليقات تحليلية لنصوص الشاهد الخطية، سواء ما يتصل منها بسلسلة النسب لصاحبة الشاهد، أو الألقاب التي نعتت بها، أو نعت بها غيرها، بالإضافة إلى الآيات القرآنية التي كتبت على الشاهد والعبارات الدينية الأخرى، وما نقش من نصوص منشورة مماثلة ومعاصرة لها.

كما تضمن البحث تحليلاً للخصائص الفنية الخطية للنقش وما تضمنته من أخطاء إملائية ولغوية، فضلاً عن التحليل للعناصر الزخرفية الأخرى وما يتصل بها من جوانب فنية، ختمت الدراسة بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، علماً بأن هذا الشاهد يدرس لأول مرة.

\* صحح هذا البحث الدكتور / عبدالله الغسبي

\*\* أستاذ الآثار الإسلامية المساعد. قسم الآثار والمتاحف. جامعة ذمار.

\*\*\* أستاذ الآثار الإسلامية. قسم الآثار. جامعة صنعاء.



المقدمة:

تكمن أهمية دراسة شواهد القبور في ما نقش عليها من نصوص كتابية لأسماء مشهورة أو مغمورة، فمن خلال النقوش الخطية لسلسلة النسب لأصحاب الشواهد يمكننا التحقق من صحتها مقارنة بما ورد في بطون المصادر بشأنها، على اعتبار أنها محايدة ومعاصرة للأحداث التي تسجل فيها<sup>(1)</sup>، فقد تمكن الباحثون من خلال مجموعة كبيرة من شواهد القبور من تتبع مرحلة تعريب مصر الإسلامية وتمصيرها<sup>(2)</sup>، كما تمدنا نصوص الشواهد بالمراكز الوظيفية الإدارية والدينية التي تقلدها الذين ورد ذكرهم عليها، وألقابهم وكناهم مما يسهم في معرفة العديد من تلك الوظائف والألقاب، إلى جانب تطورها عبر العصور<sup>(3)</sup>، وإجمالاً يمكننا توظيف ما نقش على شواهد القبور في استيضاح وتصحيح بعض المعلومات التاريخية، أو البناء عليها واعتمادها وثيقة أثرية تاريخية تسهم في كتابة تاريخ من تجاهلتهم التراجم والسير والمؤرخون، سواء كان ذلك بقصد أم بدون قصد. فضلاً عن أن شواهد القبور تقوم بإسهامات هامة للدراسات الأثرية والحضارية، فمن خلالها يمكن تتبع عناصر مهما من عناصر الحضارة والفنون الإسلامية الا وهو الخط العربي<sup>(4)</sup>.

والراجع أن العرب المسلمين قد ورثوا عن أسلافهم القدماء كتابة الشواهد، إذ يعد شاهد قبر امرئ القيس بن عمرو المعروف بنقش النجارة أقدم شاهد قبر عربي، كما يرجح أن يكون شيوع استعمال الشواهد على إثر حركة الفتوحات الإسلامية جاء نتيجة لرغبة العرب ممن رحلوا عن أراضيهم ونزلوا أرضاً جديدة في للتعريف بأنفسهم بعد الوفاة، وهي رغبة كثيراً ما تتملك نفس المغترب.

وبحكم طبيعة مادة الشواهد الصلبة كونها تنفذ في الحجر على الأغلب، فإنها أكثر المواد مقاومة لعوامل التعرية أو العوامل البيئية الأخرى، بخلاف ما يحدث لمواد المخطوطات "الرق والورق" اللتين تتأثران بالرطوبة والجفاف مما يتسبب في ضياع وفقدان أجزاء كثيرة من معلوماتها. موقع الشاهد<sup>(5)</sup>:

يقع الشاهد في قبة ضريح الأمير شمس الدين علي (ت-963هـ/ 1556م)<sup>(6)</sup> ابن الإمام شرف الدين يحيى (912-965هـ/ 1507-1558م)<sup>(7)</sup>، وهو الأخ الأصغر للمطهر جد السيدة حصينة بنت أحمد بن حميد الدين المطهر<sup>(8)</sup>، رشحه والده لولاية الأمر من بعده، كونه أكثر علماً وأفضل خلقاً،

متذرعاً بعدم توفر شرط سلامة الجسم في ولده الأكبر المطهر؛ لكونه أعرج بسبب إصابته في الحروب مع العثمانيين<sup>(9)</sup>، مما دعا جدّها المطهر إلى أن يستولي على الأمر غضباً عن أبيه.

يقوم الشاهد فوق قبر السيدة حصينة و يحتل مكاناً متميزاً إذ يقع إلى يسار المحراب (انظر لوحة 3)، كما يعد أكبر الشواهد الموجودة في القبة، ويعد من أكبر شواهد قبور النساء في اليمن.

#### وصف الشاهد:

شاهد قبر من الحجر الجيري عبارة عن لوح مستطيل الشكل ارتفاعه 100 سم (1م) وعرضه 59 سم وسمكه 5 سم وارتفاع السطر الواحد 4 سم، (لوحة 4)، الشاهد بحالة سليمة، وكتاباته واضحة ومقروءة وقد ملء بالنقوش الخطية والزخرفة؛ بحيث لم يستثن النقاش مساحة على وجه الشاهد إلا وملاًها بتلك الكتابات أو الزخرفة، والتي نفذت بالحفر البارز.

اشتمل النقش على جميع العناصر الخاصة بالنقوش الشاهدية فقد سجل بدقة تاريخ وفاة السيدة حصينة بذكره ليلة الوفاة في ليلة السبت المسفرة عن ثاني عشر شهر ربيع الأول ستة ست وخمسين والى للهجرة، واسم صاحبة الشاهد وسلسلة نسبها التي تعود أصولها إلى آل بيت النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.

يتكون الشاهد من متن مكون من ستة عشر سطراً، تفصل بينها خطوط بارزة ببروز الأحرف نفسها، يقع المتن داخل مستطيل يعلوه عقد نصف دائري مزدوج زينا بكتابات مكونة من سطرين ويتوسطهما زخرفة، وقد شكل العقد والهامش كوشيتين؛ قسم كل منهما إلى قسمين: كتابي وزخرفي. (لوحة 4 شكل 3، 2)

أُستهل المتن بالبسملة في بحر العقد ويخط أكبر حجماً من بقية نصوص الشاهد<sup>(10)</sup>، ويؤطر المتن هامش من جميع الجهات، يتوسط الهامش الأيمن والأيسر زخرفة هندسية معروفة بزخرفة الميقات؛ والتي زينت بوريدات نباتية، ويرتكز كل من الهامشين على زخرفة هندسية. يتشابه في شكله العام مع شواهد نفس الفترة من حيث ظهور هوامش للشاهد توطن المتن يعلوه عقود وكوشات توشحت بالعناصر الفنية المختلفة<sup>(11)</sup>.

لم يسجل النقاش لنا تاريخ نقشه للشاهد أو اسمه، ولكن يستشف من تاريخ وفاة صاحبة الشاهد التي توفيت في ليلة السبت<sup>(12)</sup> ربيع الأول سنة 1056 هجرية أنه قد تم نقشه بعد تاريخ الوفاة بقليل.

من المرجح أن حجر الشاهد جلب من منطقة المهاذر بمحافظة صعده؛ لحمله مواصفات الشواهد من تلك المنطقة، وذلك لما تتميز به أحجار هذه المنطقة من جودة في الصقل.

نسب صاحبة الشاهد :

ينتهي نسب السيدة حصينة بحسب مانقش على الشاهد بالإمام الحسين بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يؤكد أصالة وعراقة نسبها ، وقد بدأ النقاش بذكره للنسب اعتباراً من منتصف السطر التاسع وحتى نهاية السطر الثالث عشر، كالآتي:

(حصينه بنت أحمد ابن حميد الدين المطهر ابن أمير المؤمنين يحيى شرف الدين ابن شمس الدين ابن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد ابن يحيى ابن المرتضى ابن أحمد ابن المرتضى ابن الفضل ابن المنصور ابن الفضل ابن الحجاج ابن علي ابن القسم ابن الإمام يوسف الداعي إلى الله ابن الإمام المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد ابن أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين أمير المؤمنين ابن القاسم ابن إبراهيم ابن اسمعيل ابن إبراهيم ابن الحسن الرضا ابن الحسن السبط سبط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه).

قراءة النصوص الخطية على الشاهد:

النقش موضوع الدراسة يتكون من نص رئيسي (متن) يتوّجه عقدان، وهامش يحيط بالشاهد من

الجهات الأربع كالآتي:

أولاً- المتن: مكون من ستة عشر سطراً هي: (لوحة 4 شكل رقم 3)

1- بسم الله الرحمن الرحيم .(شكل رقم 4 )

2- الحمد لله الذي تقدس في ذاته عن سواته الحدثان وتنزه في صفاته عن الدخول في خبري صار وكان.

3- لا اله الا هو تفرد بالبقاء(ء) فلا يحق إلا له واستأثر بالدوام وقضى على من سواه فناه وزواله وصلی

4- وسلم على محمد خير مبشر بالنبوة والرسالة وعلى اله الذين أوجب لهم المودة واختصهم بزبد الكرم والجلالة .

5- هذا ضريح الشريفة المطهرة والذات التي من اكرم العناصر معتصرة ذات النسب والدين انتمت إلى الكرم(الكرام).

6. الأبرار ومانسبت والنسب الذي سمت إلى سماء النبوة وجدت والشائيل العلية والمكارم الهاشمية القرشية.

7- وإن تكن خلقت أنثى لقد خلقت كريمة غير أنثى القعل (العقل) والحسب فكان كما طاب بحارها وسمت أخلاقها كما طابت.

8- عراقتها وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلل ولو كانت النسا(ء) كمن فقدنا لفضلت

9- النسا(ء) على الرجال تلك الشريفة المكرمة الفاضلة حصينه بنت أحمد ابن حميد الدين المطهر ابن.

10- أمير المؤمنين يحيى شرف الدين ابن شمس الدين ابن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد ابن يحيى ابن المرتضى ابن.

11- أحمد ابن المرتضى ابن الفضل ابن المنصور ابن الفضل ابن الحجاج ابن علي ابن القاسم (القاسم) ابن الإمام يوسف الداعي إلى الله ابن الإمام.

12- المنصور بالله يحيى ابن الإمام الناصر لدين الله أحمد ابن أمير المؤمنين الهادي إلى الحق يحيى ابن الحسين أمير المؤمنين ابن القاسم ابن إبراهيم ابن اسمعيل ابن إبراهيم.

13- ابن الحسن الرضا ابن الحسن السبط سبط رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ابن أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه.

14- وكان انتقالها إلى دار القرار ونزولها قبر الكرم (الكرام) ليلة السبت المسفرة عن ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وألف.

15- من هجرته صا(صلى) الله عليه وسلم أسكنها الله دار رضوانه وبوأها فسيح جناته اللطيف الخبير.

16- للعلي (العلي) القدير لا إله إلا هو عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير ولا حول ولا قوت (ولا قوة) إلا بالله العلي العظيم.

ثانيا- العقدان:

يتوج المتن عقدان نصف دائريين زينت واجهتها بنقوش خطية (لوحه-5) جاء نصها على النحو

التالي :

## 1-2 : العقد الأعلى:

الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات (السموات) وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم و(لا) يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء(شاء)، ويتوسط العقد عند كلمة \_ من ذا الذي \_ زخرفة نباتية قوامها فرع نباتي يدور ويلتقي مكونا في الوسط والأسفل والأعلى أوراقا ثلاثية ، امتدت الورقتان العليا والسفلى إلى الإطار البارز الذي يكتنف النص (لوحة 110أ-6).

## 2-2 : العقد الأسفل :

وسع كرسية السموات والأرض ولا يئوده حفظهما وهو العلي العظيم\* قل هو الله أحد الله الصمد لم يل (يلد) ولم يولد ولم يكن له (له) كفو (كفوا) أحد ( لوحة 5).  
عمد النقاش إلى الفصل بين آية الكرسي وسورة الإخلاص بزخرفة نباتية قوامها ورقة خماسية في الوسط يدنوها ويعلوها ورقة ثلاثية.(لوحة 10 ب - شكل 7)، وقد كون العقد الأعلى مع الهامش كوشي عقد في كلا الجانبين، قسم كل منهما إلى قسمين: الأعلى نقش خطي والأسفل زخرفي وعلى النحو التالي :

أ- أعلى كوشة العقد اليمنى: جاء النص من قوله تعالى " والاهاكم ( وإلهكم ) إله واحد" ويدنوه مساحة مثلثة الشكل تقريبا زينت بزخرفة عربية مورقة (لوحة 12أ - شكل 9).

ب - أعلى كوشة العقد اليسرى: جاء النص من قوله تعالى " لا إله هو الرحمن ( الرحمن) الرحيم " ويدنوه مساحة مثلثة الشكل زينت بزخرفة عربية مورقة (لوحة 12ب - شكل 9).

## ثالثا- الهامش:

تحيط بالشاهد نقوش خطية من الأربع الجهات على النحو التالي:

### 1-3 : الهامش الأعلى:

لا إله إلا الله محمد رسول علي ولي فاطمه امة الله الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وعلى الاهي اطيين اطهرين (آله الطيبين الطاهرين ) (لوحة 6).

### 2-3 : الهامش الأيمن:

الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدم ( يدوم) إلا ملكه وأنه إله واحداً أحداً فردا صمد\* لم يتخذ صاحبة ولا ولد ولم يلد و يولد ولا يكن هو( ولم يكن له) كفواً أحد وأشهد أن محمداً أرسله بالهدا ( الهدى) ودين الحق ليظهره (لوحة 7).

3-3 : الهامش الاسفل:

على الدين كله ولو كره المشركون جزا (جزى) الله محمد عنا خيراً لما هو أهله وصلى الله عليه وعلى عترته اطييين (الطييين) الأَطْهَارِ المصتفين ( المصطفين ) الأخيار المتحفين الأبرار. (لوحة رقم 9).

4-3 : الهامش الأيسر:

الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان \* وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدین فیها أبدا إن الله عنده أجر عظیم سبحانه من تعزز بالقدرة والبقاء وقهر العباد بالموت والفناء (لوحة رقم 8)

التعليق:

تكمن أهمية الشاهد كونه لامرأة، وجاء بهذا الحجم؛ مما يوحي بأهميتها من الناحية الاجتماعية وربما الدينية وأنها تبوأ مكانة مرموقة في حينها، ولمكانتها تلك دفنت في قبة الأمير شمس الدين، مع أنها تنتسب إلى المطهر جدها لأبيها، وله أهمية أخرى بما تضمنه من نصوص وعبارات اختيرت بعناية لتدل على مكانة صاحبة الشاهد، ويمكن تصنيف تلك النقوش الخطية إلى آيات قرآنية، وعبارات دينية، وألقاب ونعوت، وأدعية، وأبيات شعرية، وأخرى مختلفة. وعلى النحو التالي:

1- أولا: الآيات القرآنية:

2- "لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يئوده حفظها وهو العلي العظيم"<sup>(13)</sup> نقشت هذه الآية في الهامش وعلى معظم شواهد القبور<sup>(14)</sup>.

3- "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد"<sup>(15)</sup>، نقشت في هوامش الشواهد<sup>(16)</sup>.

4- " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم"<sup>(17)</sup>.

5- " أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون"<sup>(18)</sup>، نقشت على شواهد القبور، وعلى المسكوكات<sup>(19)</sup>.

6- "الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبدا إن الله عنده أجر عظيم" (20).

ثانيا: العبارات الدينية:

2-1: عبارات تقديس الذات الإلهية.

1- بسم الله الرحمن الرحيم. فاتحة كل عمل نقشت في متن جميع شواهد القبور، وتسبق عادة آية من القرآن الكريم فيما يخص الشواهد الخاصة بآل البيت، التي تذكر غالبا بعد سطر او سطرين في المتن خصصا للشهادتين او عبارات التنزيه للذات الإلهية، ويضاف أحيانا لهما العبارة (علي ولي الله)، أما ذكرها في بداية المتن فقليل فيما يخص شواهد قبور آل البيت (21)، كما هو الحال في هذا الشاهد موضوع الدراسة حيث نقشت في السطر الأول من متن الشاهد وتلتها عبارة دينية .

2- الحمد لله الذي تقدس في ذاته عن سبواته الحدثان وتنزه في صفاته عن الدخول في خبري صار وكان.

3- لا إله إلا هو تفرد بالبقاء فلا يحق إلا له واستأثر بالدوام وقضى على من سواه فناه وزواله.

4- الحمد لله الذي لا يبقى إلا وجهه ولا يدوم إلا ملكه وأنه إله واحداً أحد فرد صمد.

5- سبحان من تعزز بالقدره والبقاء وقهر العباد بالموت والفناء (22).

6- لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

7- لا إله إلا هو عليه توكلنا وإليه أنبنا وإليه المصير.

8- لم يتخذ صاحبة ولا ولداً.

9- ولم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد (23).

2-2: الشهاداتان:

1- صلى الله وسلم على محمد خير مبشر بالنبوة والرسالة.

2- لا إله إلا الله محمد رسول الله.

3- وأشهد أن محمد ارسله بالهدى.

2-3 : عبارات شيعية:

- 1- إله الذين أوجب لهم المودة واختصهم بزبد الكرم والجلالة.
- 2- فاطمة أمة الله.
- 3- الحسن والحسين سبطا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين.
- 4- "صلى الله عليه وعلى عترته الطيبين الأطهار المصطفين الأخيار والمتحفين الأبرار.

ثالثا : الألقاب والنعوت :

3-1 : ألقاب و نعوت تخص صاحبة الشاهد:

• الشريفة:

الشريفة من الشرف وهو العلو والرفعة في النسب وهو ضمن الألقاب التي اختصت بذرية السيدة فاطمة<sup>(24)</sup>، ولا يكون إلا لمن له آباء يتقدمونه بالشرف وقد ذكر البعض بأن ذلك هو السر في جعله أعلى من "الكريم" لاشتيماله على عراقة الأصل<sup>(25)</sup>، كما أُطلق على القضاة<sup>(26)</sup>، وقد أُطلق هنا اللقب على السيدة حصينة لانتهاؤها إلى بيت النبوة من نسل الإمام الهادي إلى الحق.

• المطهرة:

جاء هذا اللقب للتأنيث، ويعني المتزهة عن الأدناس، وهو لقب يغلب إطلاقه على آل النبي صلى الله عليه وسلم، وأطلق ضمن ألقاب و نعوت الشيعة لاسيما في العصر الفاطمي<sup>(27)</sup>، وعلى الأئمة الزيدية في اليمن، وذكر لقبها للسيدة حصينة بأنها مطهرة عن الأدناس.

• المكرمة:

الكرم نقيض اللؤم، ويكون للمرء بنفسه<sup>(28)</sup>، ويقصد بها المفضلة والمشفقة<sup>(29)</sup>.

• الفاضلة:

وتعني كثيرة المعروف والخير والسماح<sup>(30)</sup>. والفضيلة هي الدرجة الرفيعة من حسن الخلق<sup>(31)</sup>.



• أكرم العناصر معتصرة:

ورد هذا اللقب كصفة للسيدة صاحبة النقش، وأنها من أكرم العناصر في النسب، وهو بيت النبوة وأنها (معتصرة) نقية في نسبها وليس في نسبها أي شائبة .

• ذات النسب والدين:

نسبة إلى أن نسبها عريق أصيل كريم ألا وهو النسب الشريف الذي يتتمي إلى ابن علي أبي طالب كرم الله وجهه و من السيدة فاطمة بنت رسول الله ، أما ذكر كلمة (الدين) فيدل على الورع ومحافة الله في السر والعلانية.

• الأبرار:

الأبرار هم القائمون بحقوق الله، وحقوق عباده، الملازمون للبر في أعمال القلوب، وأعمال الجوارح<sup>(32)</sup>، وهي صفة أطلقها النقاش على السيدة حصينة وأنها تعد من الأبرار.

• الشمائل:

الشمائل هي الطباع والخلق<sup>(33)</sup>، وهي الأخلاق والخصال الحميدة والطباع<sup>(34)</sup>.

• العلية:

من العلو، وتقال في الرفعة والشرف<sup>(35)</sup>، وتعبر عن مكان الفرد في المجتمع أو في الجماعة، وتقال لذي المنصب الكريم او للمراءة ذات المنصب<sup>(36)</sup>.

• الهاشمية:

تخصيص في أصل صاحبة الشاهد المتتمي في أصوله إلى الهاشميين، ومنهم النبي محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم.

• القرشية:

إشارة إلى قبيلة قريش المعروفة عند العرب، ومنها بيت النبوة التي تنتمي إليها صاحبة الشاهد.

• طاب بحارها:

طاب بمعنى حسن وزكا وخلص<sup>(37)</sup>، ويطلق لفظ البحر مجازا على المرء الكريم كثير المعروف، كما يطلق عليه لسعة علمه وكثرته<sup>(38)</sup>، ويستشف من ذكر هذه الألقاب لصاحبة الشاهد بأنها تجمع صفة الكرم وحسن المعروف فضلا عن سعة علمها.

• سَمَت اخلاقها:

السمو العلو والارتفاع من بُعد، فيستبان لوضوحه<sup>(39)</sup>، والأخلاق مجموعة الصفات النفسية والاجتماعية المتمثلة في العادات والقيم وأعمال الإنسان التي توصف بالحسن أو القبح<sup>(40)</sup>، وهي السجية والطبع والفطرة والطبيعة والعادة والمروءة والسجايا الحسنة<sup>(41)</sup>، وقد أراد النقاش التأكيد على أن صاحبة الشاهد تحمل هذه الصفات الدالة على دماثة وكرم أخلاقها .

• طابت عرافتها:

العراقة الأصالة<sup>(42)</sup>، ونقش هذه العبارة إشارة إلى حسن وأصالة نسب صاحبة الشاهد المنحدر إلى بيت النبوة .

3-2: ألقاب ونعوت لغير صاحبة الشاهد:

• أمير المؤمنين:

من الألقاب المركبة ، وهو ثاني لقب ظهر في الإسلام بعد الخليفة، وأول من تلقب به هو الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ويعطي هذا اللقب الصفة الدينية والسياسية ، فلقب (أمير) دال على الولاية العامة ، وإضافة المؤمنين إليه تعطي اللقب صفة دينية إلى جانب سمته السياسية ، ومنذ عهد عمر أصبح هذا اللقب من ألقاب الخلفاء فصار يطلق على الخلفاء ومدعي الخلافة في جميع أنحاء العالم الإسلامي<sup>(43)</sup>، وفي اليمن كان أول من تلقب به هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (284-298هـ) ثم سار من بعده أئمة الزيدية إلى آخر حاكم فيها وهو الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين (ت 1382هـ / 1982م) ونقش على الشاهد خمس مرات كلقب لسلسلة نسب السيدة حصينة ( انظر نصوص المتن سطر 10،11،12 ).

• الإمام:

الإمام معناه القدوة، استعمل هذا اللقب كاسم لوظيفة من يتولى أمور المسلمين، ثم أصبح يطلق على كبار رجال الدين وأهل الزهد والصلاح والعلم والشريعة. وقد جرى

العرف على إطلاقه على سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، تلاه الخليفة العباسي الأول السفاح إبراهيم بن محمد (132-136هـ) <sup>(44)</sup>.

• الفضل:

ضد النَّقْص، وَهُوَ بِمَعْنَى الشَّرَفِ وَالسُّؤْدُودِ <sup>(45)</sup> وقد ذكر كلقب مرتين أثناء ذكر سلسلة نسب صاحبة الشاهد (انظر نصوص المتن سطر 11).

• المرتضى:

اللفظ بمعنى المرضي المقبول، وهو من القاب رجال الدولة العسكريين والمدنيين <sup>(46)</sup> (انظر نصوص المتن سطر 11).

• شرف الدين:

الشرف من العلو، وقد دخل هذا اللقب في كثير من الألقاب المركبة، منها شرف الدين <sup>(47)</sup>، وقد ذكر هذا اللقب لأبي جد السيدة حصينة .

• شمس الدين:

أضيف هذا اللقب إلى كلمات أخرى منها الدين، وأول من تلقب بهذا اللقب في اليمن الملك المظفر يوسف <sup>(48)</sup> وهنا جاء لقباً خاصاً بجدة السيدة صاحبة النقش .

• المهدي لدين الله:

والمهدي وتعني الموجه من الله إلى طريق الحق والصواب، وقد كان هذا اللقب ذا شان خطير في الإسلام لاسيما عند الشيعة ، فقد كان من أبرز مميزات العقيدة الشيعية <sup>(49)</sup> وورد مضافاً إليه لدين الله، كلقب للإمام المهدي أحمد بن الحسين ت 656هـ على شاهد قبره في قبه الضريحية بمدينة ذيبين <sup>(50)</sup> . وقد عرف بهذا اللقب أيضاً الإمام المهدي لدين الله محمد صاحب المواهب على النص التسجيلي في الزيادة التي قام بها في مسجد الفليحي بصنعاء <sup>(51)</sup> (انظر نصوص المتن سطر 10).

• الداعي إلى الله:

كان من ألقاب القائمين بالدعوة الشيعية في مختلف أنحاء العالم الإسلامي ، وكان رئيس الدعاة يسمى (داعي) وقد نقش هذا اللقب على نقود كبراء العلوية في طبرستان وغيرها،

كما دخل في تكوين بعض الألقاب المركبة مثل (الداعي إلى الحق) والذي أطلق على يوسف بن يحيى بن الناصر في كتابة على قطعة من النسيج مؤرخة بسنة 350هـ ومما جاء فيها "الداعي إلى الحق أمير المؤمنين يوسف بن يحيى بن الناصر... أحمد بن رسول الله صلى الله عليهم اجمعين<sup>(52)</sup>، والداعي إلى الحق هو لقب تلقب به يوسف الأكبر بن الإمام المنصور بالله يحيى بن الناصر على شاهد قبره<sup>(53)</sup>.

• المنصور بالله:

نعت خاص بالخليفة العباسي أبي جعفر ثاني خلفاء بني العباس (136-158هـ)، ثم نعت بهذا اللقب كثيرون، ومعناه أن صاحبه مؤيد من الله، وأول من تلقب به من أئمة اليمن، الإمام المنصور بالله يحيى بن الناصر أحمد بن الهادي إلى الحق، وتلقب به أيضا الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة، والإمام المنصور بالله القاسم بن محمد<sup>(54)</sup>.

• الناصر لدين الله:

استعمل كلقب يقصد به (الناصر لدين الله) وقد اتخذ بعض الولاة لقب (الناصر) نعتا خاصا، فقد تلقب به الحسن بن علي بن الحسن بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الأطروش الذي استولى على طبرستان سنة (301هـ)، كما نعت به عبد الرحمن الأموي لما تلقب بالخلافة فقد ورد ضمن القابه (350هـ) وعلى تاج عمود من الرخام من قرطبة، وفي أواخر العصر الفاطمي (الخلافة الفاطمية) أضافه العاضد الى صلاح الدين الايوبي، حين عهد إليه بالوزارة بعد وفاة عمه (خلفا لعمه) شيركوه، فصار ينعت ب (الملك الناصر) وتلقب به من الأيوبيين الملك المسعود صلح الدين يوسف بن الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، كما أطلق على بعض المماليك، ومن أشهرهم الناصر محمد بن قلاوون. ودخل لفظ (ناصر) في تكوين كثير من الألقاب المركبة مثل (ناصر الإسلام)، و(ناصر الامام)، و(ناصر أمير المؤمنين)<sup>(55)</sup>، وقد ورد هنا لقباً للإمام الناصر لدين الله أحمد بن الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين ت 325هـ) ولذا يعد أقدم من تلقب بهذا اللقب في اليمن<sup>(56)</sup>.

• الهادي إلى الحق:

الهادي: اسم فاعل من الهدى، أي أنه يهدي إلى طريق الحق، وكان نعتاً للخليفة العباسي موسى الهادي (ت170هـ)، وكان اللقب يأتي على صيغة الجمع "الهداة" لوصف الائمة الفاطميين، ومن أمثلة ذلك وروده في نقش بتاريخ (519هـ) على لوح من الخشب من محراب خاص بالأمير، عثر عليه في الجامع الأزهر، وهو محفوظ في متحف الفن الإسلامي بالقاهرة<sup>(57)</sup>، وأول من تلقب به في اليمن هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت298هـ).

ربعا - أدعية:

- أسكنها الله دار رضوانه وبوأها فسيح جناته اللطيف الخبير العلي القدير.
- جزى الله محمدا عنا خيرا لما هو أهله.

خامسا - ابيات شعرية:

1- وإن تكن خلقت أنثى لقد خلقتُ كريمةً غير أنثى العقل والحسب

تضمنت أبيات الرثاء في الشاهد أبيات من أجل ما قاله العرب في الرثاء، فقد اقتبس هذا البيت من قصيدة للشاعر أبي الطيب المتنبي قالها في رثاء أخت سيف الدولة الحمداني عند ما وافتها المنية سنة (325هـ / 936م) بميفارقين<sup>(58)</sup>، ووصل خبر وفاتها إليه وهو في الكوفة، وقد قصد بالحسب شرف الآباء وأفعالهم الصالحة، وأن لها عقل الرجال وحسبهم وإن خلقت أنثى<sup>(59)</sup>.

2- وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلالِ

3- ولو كان النساءُ كمنَ فقَدنا لفضلتِ النساءُ على الرجالِ

هذان البيتان ضمن قصيدة رثاء قالها المتنبي أيضاً، في رثاء أم سيف الدولة الحمداني التي وافها الأجل في ميفارقين سنة 327هـ / 939م، ووصل خبر وفاتها إلى أبي الطيب المتنبي وهو في مدينة حلب.

وقد قصد كاتب الشاهد بأن السيدة حصينة هي أنثى وأن أنوثتها لا تنقصها قدرا ورفعة، كما لا ينتقص من الشمس تأنيث اسمها، والذكورة لا تعد فضيلة في أحد، كما لا يحصل للقمر فخر بتذكير اسمه<sup>(60)</sup>. فقد قصد بذلك كمال وفضل المرثية ولو كانت نساء العالم مثلها فضلت على الرجال، وهذا يعني أن هذه المرثية كانت ذات مكانة عالية وفضيلة تسمو بها رفعةً وعلواً. أفضل بكثير من بعض الرجال فلو أشبهها غيرها من النساء لكن مثلها في الفضل - أي بفضلهن على الرجال<sup>(61)</sup>.

سادسا - عبارات دينية أخرى:

1- انتقالها إلى دار القرار.

2- ونزولها قبر الكرام.

3- ليلة السبت المسفرة عن ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة ست وخمسين وألف.

هذا تاريخ وفاة السيدة حصينة والتي كانت وفاتها في ليلة مباركة هي أكرم ليلة إشارة إلى أنها تتوافق مع ميلاد ووفاة أكرم خلق الله سيدنا ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم على ما هو شائع وذكرته أغلب الروايات<sup>(62)</sup>، وذلك من حيث تاريخ اليوم والشهر المحدد بالثاني عشر من شهر ربيع الأول.

الخصائص الفنية : ( لوحة 4 - شكل 3، 2 )

أما من حيث الخصائص الفنية بشقيها الخطي والزخرفي، فيلاحظ في الشاهد الجهد الكبير الذي بذله النقاش ليجعل من شاهده تحفة فنية رائعة، نفذت كتاباته بالخط الشعبي القريب من خط الثلث، إضافة إلى عناصر زخرفية نباتية وهندسية مستقلة جسدت في الهامش وكوشي العقد بالإضافة إلى زخارف تخللت النص الخطي بالشاهد.

أولا الخط :

نفذ النقاش النصوص الكتابية للشاهد بالخط الشعبي الذي توشحت به العديد من المنشآت الدينية وخصوصا في الفترات المتأخرة<sup>(63)</sup>، وهو خط غير متقن ولا يمكن تحديد نوعه أو نسبته لأي نوع من الخطوط بدقة<sup>(64)</sup>، رغم قربه من خط الثلث، فلم يلتزم النقاش بمقادير ونسب خط الثلث<sup>(65)</sup>، كما خلا الخط الذي كتب به النقش من حركات الشكل والإعجام إلا في القليل من حروفه، ولعدم وجود مسافات بين الكلمات اضطر النقاش إلى إركاب بعض الحروف والكلمات (لوحة 6-9، شكل 4، 3)، وقد التزم في رسم الحرف الواحد في جميع كلمات النقش تقريبا.

ويمكن إجمال الملاحظات الفنية واللغوية على النصوص الخطية للشاهد قيد الدراسة فيما يلي:

- 1- نقش حرف التاء المربوطة بدون إعجام باطراد ورسم بأسلوب كتابي معين (شكل 8) وقد ظهر هذا الرسم على النصوص في الأشرطة الكتابية في القبة الضريحية للأمير شمس الدين التي يتواجد فيها الشاهد وبعض الآثار الأخرى<sup>(66)</sup>، وكأنه أسلوب كتابي اتخذه بعض النقاشين. أما حرف التاء المفتوحة فلم يعجم إلا نادرا.
- 2- عدم التزام النقاش بنهاية السطر الذي وضعه للنقش على ما يبدو وذلك كما في كلمة (القرشية) في المتن، السطر السادس وكلمة (الفناء) نهاية نص الهامش الايسر.
- 3- حركات الشكل والإعجام:

نقش الشاهد بخط غير مستوفٍ لعلامات الشكل والإعجام (التشكيل و التنقيط)، إلا من بعض الكلمات التي أضف لها النقاش علامات الإعجام، وربما قصد أن ذلك يتحقق أثناء سياق الجملة ومعرفة القارئ بتلك الكلمات وأنها لا تحتاج إلى إعجام، والتي ربما كانت لو وضعت لأخلت بنسق كتابة النقش وشوهدت جمال الكتابة؛ إلا أننا نجد النقاش قد أعجم بعض الحروف ربما للتأكيد لكي لا تلتبس على القارئ، أو كعنصر زخرفي لملل الفراغات، وتفصيل ذلك كما يلي:

- السطر الأول من المتن أعجم حرف النون في كلمة (عن) في عبارة " وتنزه في صفاته عن الدخول".
- نهاية العقد الأعلى أعجم حرف الشين في كلمة (شاء) من قوله تعالى " إلا بما شاء".
- السطر الخامس أعجم النقاش حرف التاء من كلمة (الذات) والتاء في كلمة (انتمت).
- السطر السابع أعجمت كلمة (أنثى) في حرفي النون والتاء، وفي كلمة (خلقت) الثانية أعجم الخاء والقاف وفي كلمة (العقل) إلا أنه وضع إعجام القاف فوق العين وذلك بسبب الخطأ في رسم الحرفين كلا مكان الاخر.
- وفي السطر الثامن أعجم النقاش النون في كلمة (النساء) وكذلك في الفاء والضاد والتاء في كلمة (لفضلت).
- السطر التاسع أعجم في كلمة (الفاضلة) حرفا الفاء والضاد.
- السطر الحادي عشر أعجم حرف القاف في كلمة (القاسم).

#### 4- إركاب الحروف:

اضطر النقاش في بعض الأحيان إلى إركاب الكلمات بعضها فوق بعض وتلاحظ تلك الكلمات كثيرا في هامش الشاهد وبشكل أقل في المتن، وسيتم ذكر ما ورد في الهامش كما يلي:

##### • الهامش الأعلى:

رسول، طمة (فاطمة)، الحسين، الله عليه، يتخذ صا(حبة) ولا ولد ولم، ويو(لد)، يكن، كفوا، محمد بالهدى ودين.

##### • الهامش الأيمن:

الله(الله)، إلا وجهه، ولايد(وم)، إله واحد، صمد.

##### • الهامش الأسفل:

الد(ين)، كله ولوكر(ه)، جز(ي) الله، خير(ا)، لماهو، الله، على عترته، المصطفين المتحفين الأبرار.

##### • الهامش الأيسر:

أذهب، عنهم، هم ربههم، ورضوان، فيها نعيم، فيها، أبدا أن، أجر، سبحان من تعزز، البقاء، الفنا.

#### 5- الأخطاء الإملائية:

تبين من نصوص النقش الخطية جهل النقاش بالقواعد الإملائية الأولية فقد تضمن النقش عدة أخطاء<sup>(67)</sup> متمثلة في الآتي:

##### • نقص ببعض حروف الكلمات:

تكرر النقص في بعض الحروف (12) مرة في نقش الشاهد، علماً أن بعضها جزء من آيات قرآنية وهي كما يلي:

ابتداء من كلمة (الكرام) التي نقشت (الكرم) لم يكتب حرف (ا) الذي يلي حرف (ر) وقد تكررت مرتين، و(البقاء) نقشت (البقاء) لم تكتب الهمزة آخر الكلمة، و(النساء) نقشت (النسا) لم تكتب الهمزة آخر الكلمة، و(صلى) نقشت (صا) رغم وجود فراغ فقد تمثل النقص في حرفي (ل)، (ي) أو الزيادة اللفظية بالرسم بعد حرف (ا) ليصبح رسمه (ل) وسطية تلي حرف (ص) وحرف



الالف المقصورة (ى) ، وفي كلمة ( لاحول) نقشت ( لاحو) فقد سقط حرف (ل) اخر الكلمة ، ثم في كلمة ( لايحيطون) نقشت ( يحيطون) يلاحظ إهمال النقاش حرف (لا) بداية الكلمة ، وفي كلمة ( ماشاء) نقشت ( ماشا)، أهملت الهمزة نهاية الكلمة ، وفي كلمة ( لم يلد) نقشت ( لم يد) أهمل النقاش كتابة حرف (ل) وسط كلمة يلد، و(كفوا) نقشت ( كفو) سقط من الكلمة حرف (ا) نهاية الكلمة، وفي كلمة ( يدوم) نقشت ( يدم) سقطت ال (و) من وسط الكلمة ، ( ولم يكن) نقشت ( ولايكن) استبدلت ال (م) بحرف (ا) .

#### • أخطاء بالرسم وتبديل رسم الحرف مكان الآخر:

كما هو في كلمة ( العقل التي رسمت خطأ (القعل) ( ينظر نصوص المتن، السطر الخامس).

#### • أخطاء في كتابة الكلمة :

ابتداءً من كلمة (له) نقشت ( لهو) ، وفي كلمة ( وإلهكم) نقشت ( والاهكم) ، ( الرحمن) نقشت ( الرحمان)، (إله) نقشت ( الاهي)، وفي كلمة ( لاقوة) نقشت ( لاقوت) ، ( القاسم) نقشت ( القسم) ،، ( السموات) نقشت ( السماوت)، ( جزى) نقشت (جزا)، وأخيراً في كلمة ( بالهدى) نقشت ( بالهدا).

#### • إهمال اللام الشمسية:

يبدو أن النقاش يكتب كما ينطق ، فقد أهمل كتابة اللام الشمسية في الكلمات التي تضمنها النقش في كلمتي ( الطيبين ) اللتان نقشتا (اطيبين) وقد تكرر ذلك مرتين، و (الطاهرين) نقشت ( اطهرين) .

#### الزخارف:

زين الشاهد بزخارف نباتية وهندسية ، بسيطة في تكوينها الزخرفي ، فالزخارف النباتية المنقوشة على الشاهد عبارة عن وريادات ثمانية البتلات تتوسط الهامشين الأيمن والأيسر، لم تنفذ بدقة إذ أن بتلاتها تمثل ورقة مدببة زينت كل منها بثلاث ندب (لوحة رقم 10-أ، شكل 5 )، إلى جانب أن النقاش زين مركز العقد بزخارف نباتية قوامها في العقد الأسفل عبارة عن ورقة خماسية يعلوها ورقة ثلاثية، وتخترق فاصل العقد لتلتقي مع زخرفة العقد العلوي المكونة من ورقة ثلاثية يعلوها ويدونها ورقة ثلاثية أيضاً (لوحة 11 أ، ب شكل 6،7)، إضافة إلى ذلك عمد النقاش إلى تزيين كوشة العقد بزخارف

نباتية ، عبارة عن فرع نباتي يكون في الوسط ورقة ثلاثية ويتجه الفرع إلى زوايا المثلث ليشكل أوراقا نصلية مستطيلة (لوحة 12أ، ب-شكل 9)، بالإضافة الى زخارف نباتية مختلفة في متن النص الخطي ( انظر الجدول 2 – الزخارف النباتية بالنص الخطي).

أما الزخرفة الهندسية فقد اشتمل الشاهد على مربعين يرتكز عليهما الهامشان الجانبيان، وهما عبارة عن خطوط أفقية ورأسية نتج عن تقاطعها أشكال مربعة ومستطيلة ومثلثات (لوحة 13أ، ب شكل 10). إضافة إلى زخرفة الميمات التي تتوسط الهامشين الجانبيين (شكل 2).

وظف النقاش عناصر أخرى صغيرة مع علامات التشكيل لسد الفراغات، ولأغراض زخرفية مثل العلامة بين الكلمتين (له واستأثر) في السطر الثالث من المتن، وتحت كلمة (من) بنفس السطر، وكذلك تحت كلمة (الرسالة) في السطر الرابع من المتن، وأيضا فوق كلمتي (المصطفين) في نهاية الهامش الأسفل، و(طهر) بداية الهامش الأيسر.

#### الخاتمة :

تناول البحث قراءة وتحليلاً لأحد الشواهد الجديدة التي تدرس لأول مره، وقد اشتملت على العناصر الرئيسة بالنقوش الشاهدية من تسجيله لتاريخ وفاة صاحبة الشاهد بالإضافة لسلسلة نسبها، ويعود تاريخه الى منتصف القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، وقد تشابه الشاهد مع العديد من الشواهد التي تعود إلى نفس الفترة التاريخية، سواء بالتخطيط العام للشاهد وتقسيمة إلى هوامش وإطارات، وكذلك من حيث المضمون والألقاب، والزخارف المنفذة على الشاهد. ويمكن إيجاز أهم النتائج التي توصل إليها البحث في جزئيتين الأولى: تتعلق بمضمون النقش، والثانية: تتعلق بالخصائص الفنية، ويمكن تفصيلها كما يلي:

#### أولاً: مضمون النقش:

استهل النقش بآيات من الذكر الحكيم، تم اختيارها بعناية تتناسب مع الموقف، وفيها وعظ وتذكير بالآخرة إلى جانب عبارات التمجيد للذات الإلهية والأدعية.

ولعل أهم نتائج البحث تتمثل في تعرضه لشخصية صاحبة الشاهد ونسبها المنتمي لآل البيت، من خلال كثرة تنوع الألقاب والنعوت والصفات التي أطلقت عليها، والتي تنبئ عن علو مكانتها الاجتماعية والدينية، وهنا تتجلى أهمية الآثار وشواهد القبور على وجه التخصيص في توثيق ما أغفله المؤرخون، بالإضافة إلى أن هذا التنوع في الألقاب والنعوت ذو قيمة علمية وإضافة جديدة لمعارفنا.

وما يميز هذا الشاهد اختيار أبيات رثاء لصاحبة الشاهد تعد من أجمل ما قيل في الرثاء عند العرب، فضلا عن التوظيف الديني لتاريخ وفاة صاحبة الشاهد الذي يتوافق مع تاريخ ميلاد ووفاة الرسول من حيث اليوم والشهر، أي الثاني عشر من ربيع الأول.

ثانيا: الخصائص الفنية:

نفذت النقوش الخطية والزخرفية بالحفر البارز، وعلى حجر البلق، وكما يلي:

النقوش الخطية:

- 1- نقشت النصوص الخطية بالخط الشعبي القريب من خط الثلث .
- 2- رسمت التاء المربوطة بدون إعجام باطراد، ورسمت بأسلوب معين شاع استعماله في العديد من الأشرطة الكتابية في المنشآت الدينية لنفس الفترة.
- 3- عدم التزام النقاش بحركات الشكل والإعجام.
- 4- استغلال النقاش للمساحة في وجه الشاهد وإشغاله بعنصر خطي أو زخرفي وإركاب الحروف وخصوصا المنقوشة في الهامش .
- 5- الوقوف على عدد من الأخطاء الإملائية مما يؤكد جهل النقاش بالقواعد الإملائية الأولية، والتي تمثلت في سقوط بعض الحروف من بعض الكلمات، وأخطاء في كتابة الكلمات نفسها، فضلا عن إهمال اللام الشمسية.

العناصر الزخرفية: وُشِحَ الشاهد بزخارف نباتية وهندسية بسيطة في تكوينها تمثلت النباتية منها بوريدات ذات الثمان البتلات، والأوراق المديبه والخماسية والثلاثية، وأوراق نصلية وفروع نباتية، وبعض العناصر الزخرفية النباتية التي تخللت النص الخطي، في حين نجد العناصر الهندسية تجسدت في المربعين أسفل الهامشين الجانبيين، اللذان تحللها خطوط أفقية ورأسية نتج عن تقاطعها تكوينات لمربعات ومستطيلات ومثلثات، إضافة إلى زخرفة الميات التي تتوسط الهامشين الجانبيين.

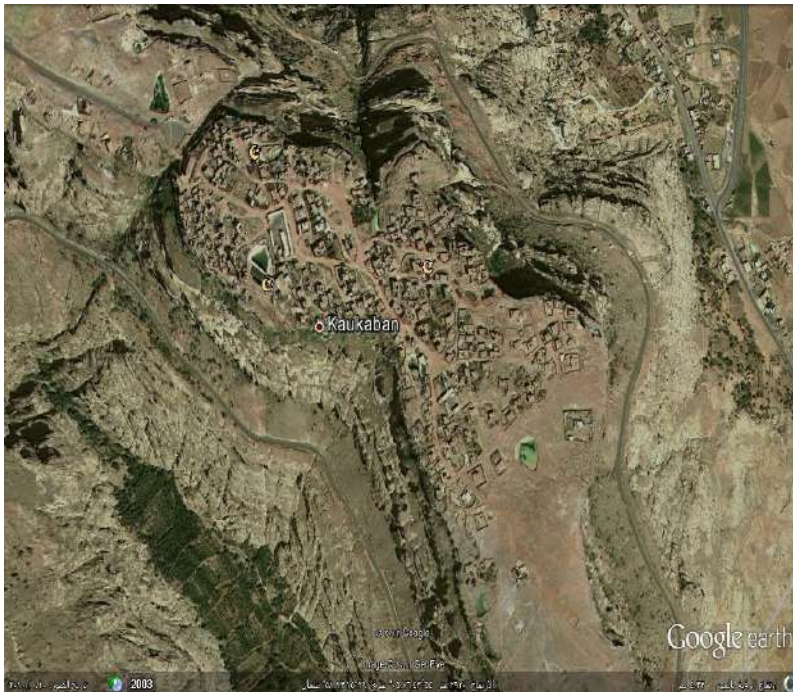
جدول (1) الأخطاء التي نشرت على الشاهد وتصويباتها

س	مكان الخطأ	الخطأ	التصويب	نوع الخطأ	
				املائي	سقط
1	السطر (5)	الكرم	الكرام		√
2	السطر (7)	القفل	العقل	√	
3	السطر (3)	البقا	البقاء		√
4	السطر (8) و(9)	النسا	النساء		√
5	السطر (11)	القسم	القاسم	√	
6	السطر (14)	الكرم	الكرام		√
7	السطر (15)	صا	صلى		√
8	السطر (16)	للعلي	العلي	√	
9	السطر (16)	ولا حو ولا قوت	ولا حول ولا قوة	√	
10	العقد الأعلى	ويحيطون بشي	ولا يحيطون بشي		√
11	العقد الاعلى	الساوت	السموات	√	
12	العقد الاعلى	شا	شاء		
13	العقد الأسفل	لم يد	لم يلد		√
14	العقد الاسفل	هو	له	√	
15	العقد الاسفل	كفو	كفوا		√
16	اعلى كوشة العقد اليمنى	والاهكم	والهكم	√	
17	اعلى كوشة العقد اليسرى	الرحان	الرحمن	√	
18	الهامش الأعلى	الاهي	اله	√	
19	الهامش الأعلى	اطيبين	الطيبين	√	
20	الهامش الاعلى	اطهرين	الطاهرين	√	
21	الهامش الايمن	يدم	يدوم		√
22	الهامش الايمن	ولا يكن	ولم يكن		√
23	الهامش الايمن	هو	له	√	
24	الهامش الايمن	بالهدا	بالهدى	√	
25	الهامش الاسفل	اطيبين	الطيبين	√	
26	الهامش الاسفل	المصتفين	المصطفين	√	
27	الهامش الاسفل	جزا	جزى	√	

جدول (2) بالزخارف النباتية التي تخللت النص الخطي

م	الزخرفة	مكائنها بالنقش
1		المتن: السطر الأول تحت حرف (ر) بكلمة الرحمن
2		الكوشة اليمنى واليسرى للعقد الاعلى
3		المتن: السطر (2) بعد كلمة الحدثان ، والسطر (4) بعد كلمة الرسالة و السطر (8) تحت كلمة الهلال
4		المتن: السطر (3) بعد كلمة فلا يحق له
5		المتن: السطر (11) فوق كلمة الامام اخر السطر
6		المتن: لسطر (15) نهاية السطر
7		الهامش الايسر فوق حرفي (ي،ر) بكلمة تطهيرا
8		الهامش الأسفل فوق كلمة خير

اللوحة والاشكال التوضيحية



لوحة (1) صورة جوية من جوجل تبين فيها مدينة كوكبان



لوحة (2) القبة من الخارج





لوحة (3) موقع الشاهد بالقبة يسار المحراب



لوحة (4) توضح الشكل العام لنقش شاهد قبر السيدة حصينة





لوحة (5) العقدين في النقش (الكوشة الكتابية والزخرفية)



لوحة (6) الهامش الاعلي في النقش

لوحة (8) الهامش الايسر	لوحة (7) الهامش الأيمن



لوحة 9 الهامش السفلي موضحا فيها الزخرفة الهندسية من جانبي الهامش



(ب)

(أ)

لوحة (10) الجامات التي تزين الهامشين

لوحة (11) الزخرفة التي

تنوسط العقدین

الزخرفة في العقد لأعلى (أ)

الزخرفة في العقد الأسفل

(ب)





(ب)

(أ)

لوحة (12) زخارف الكوشتين (أ&ب)

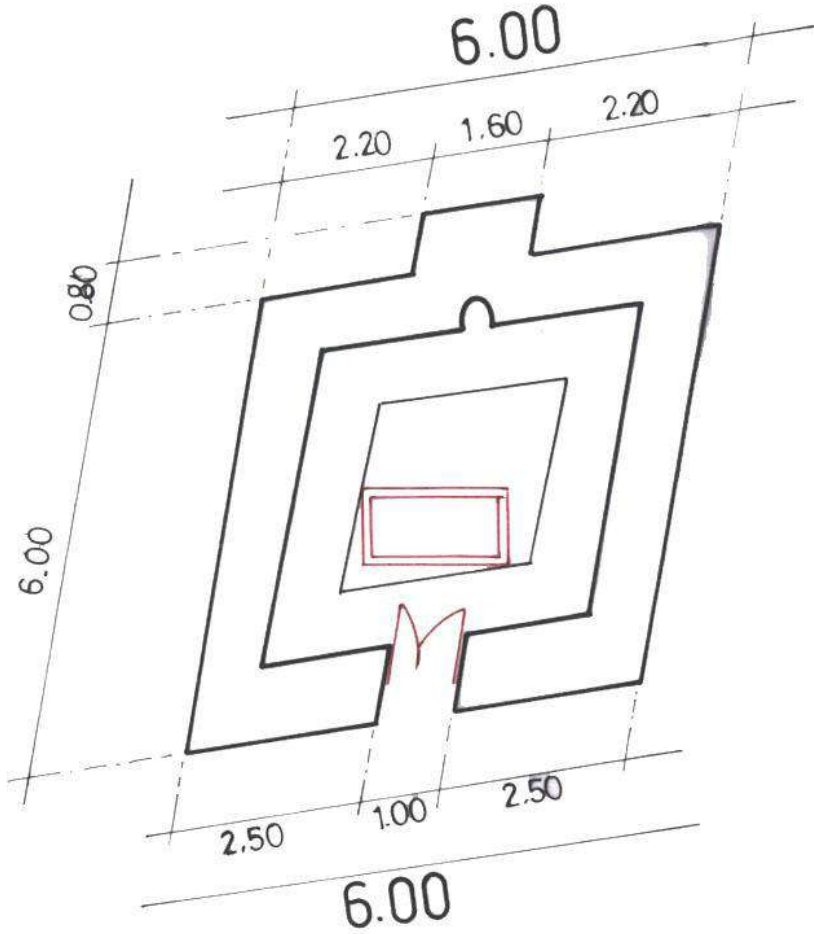


(ب)

(أ)

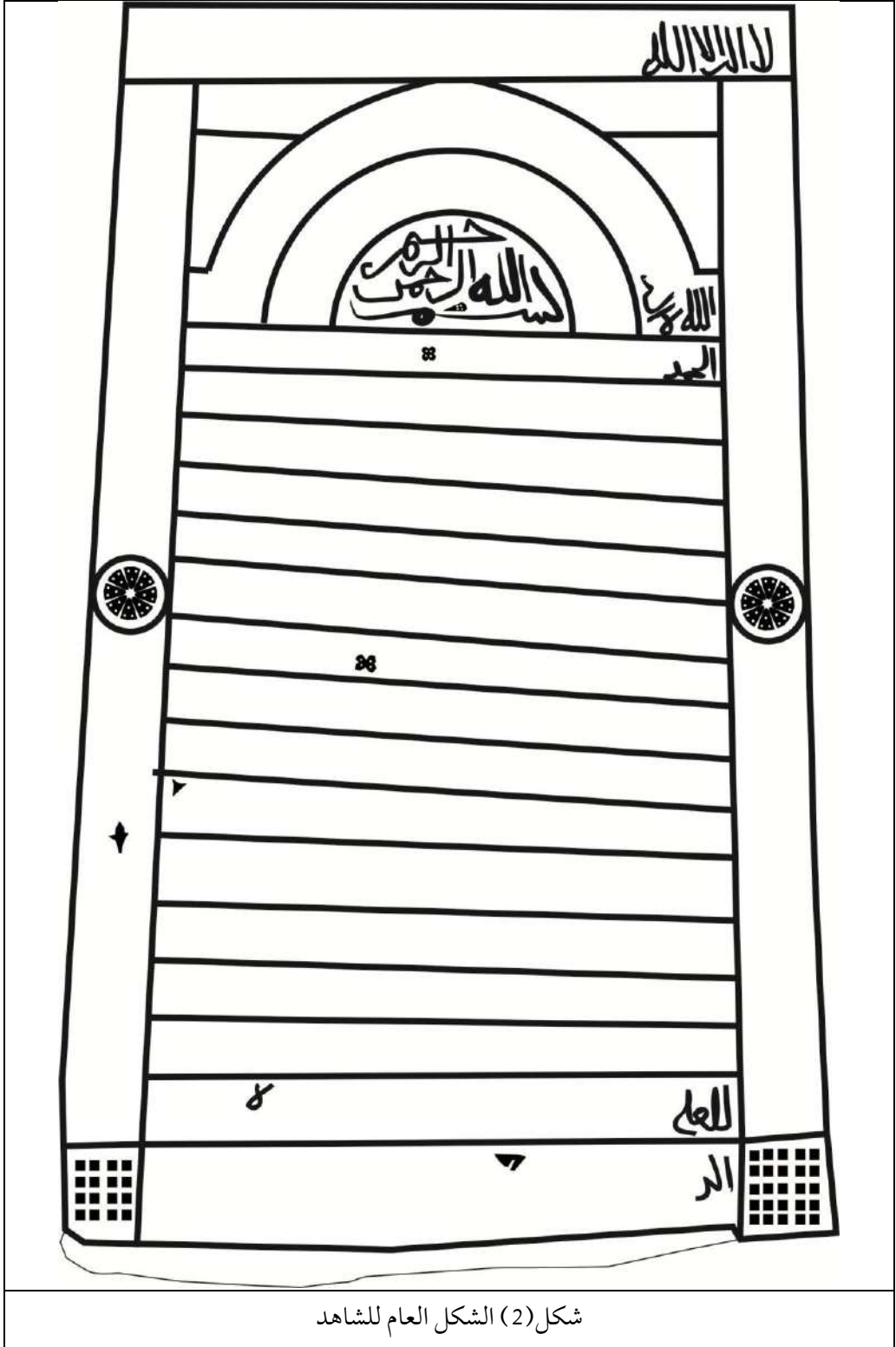
لوحة (13) الزخارف الهندسية أسفل الهامشين الجانبيين

الأشكال



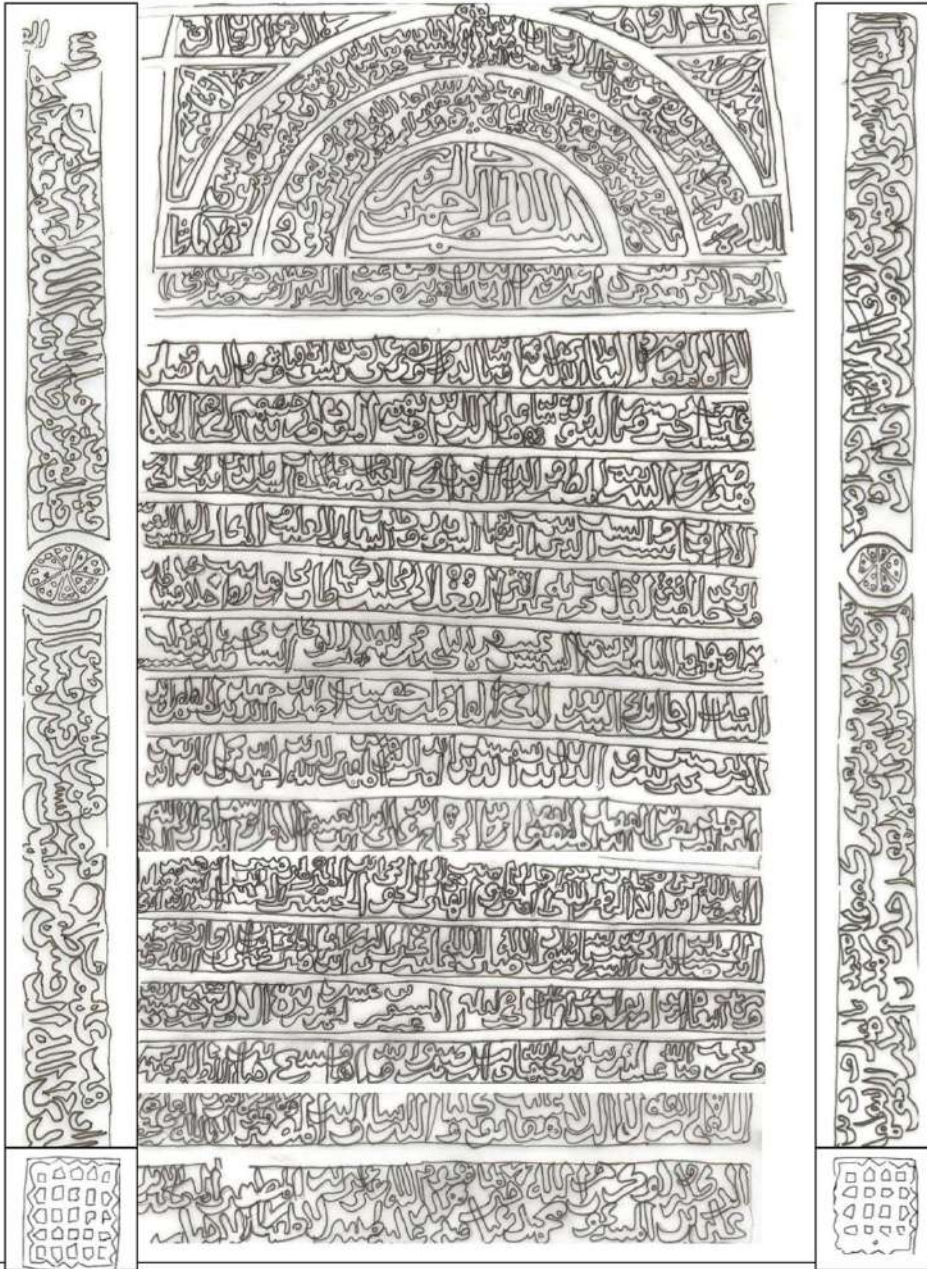
شكل (2) مسقط افقي لقبة الأمير شمس الدين



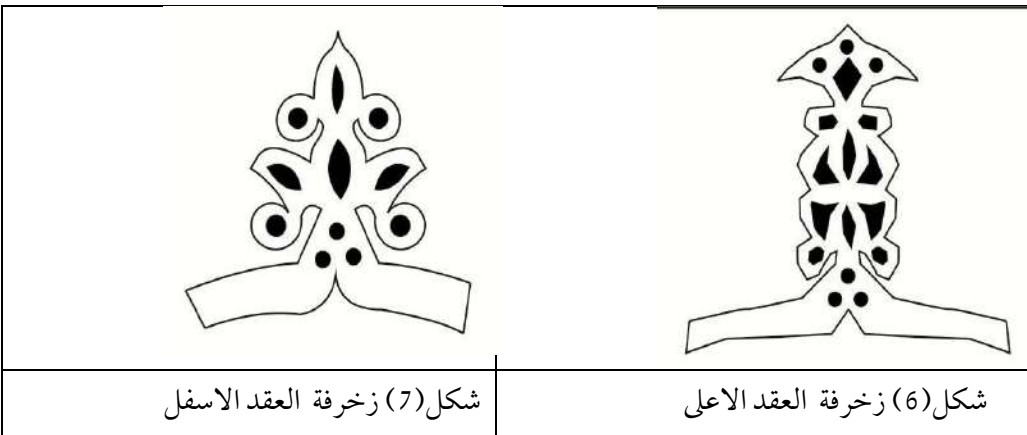
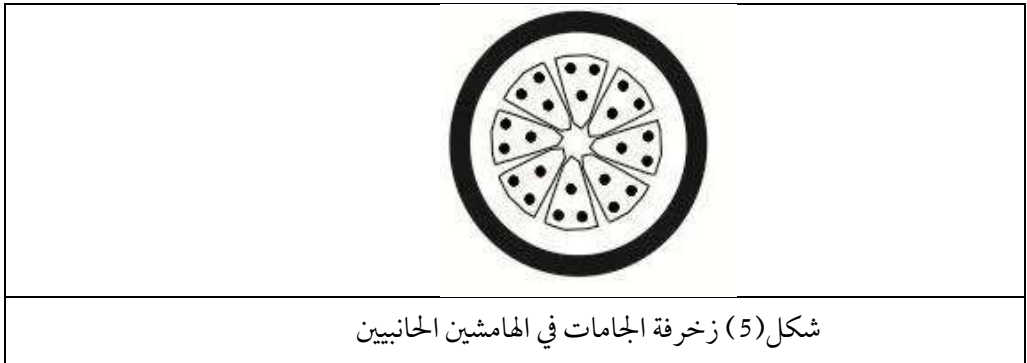
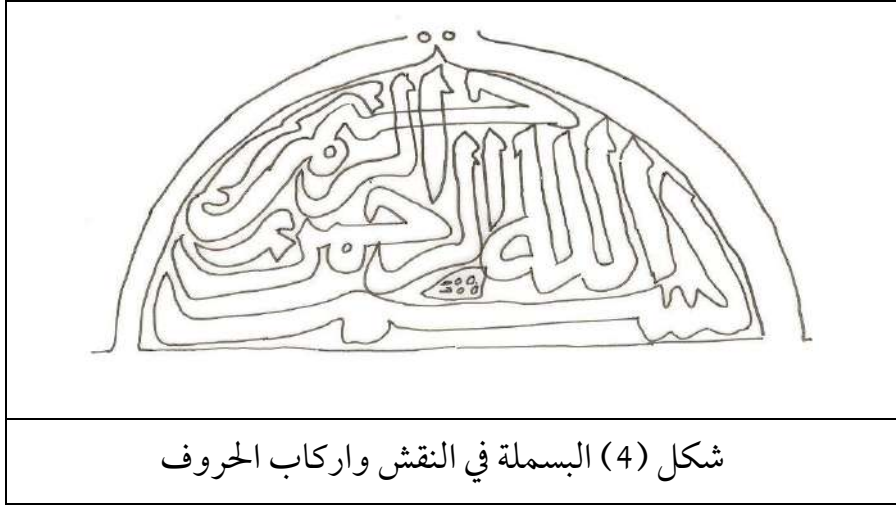


شكل (2) الشكل العام للشاهد

# الأدب الإسلامي في عصر الإمام محمد باقر عليه السلام

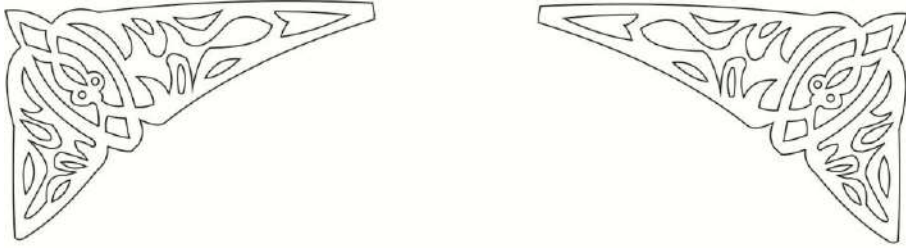


شكل (3) تفرغ عام للشاهد

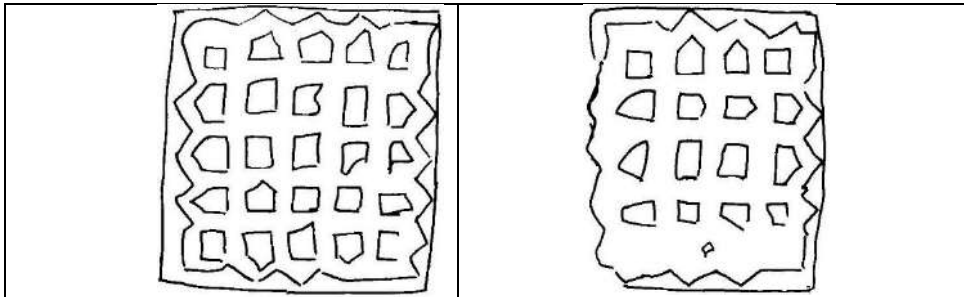


## السنة المحيطة لفاطمة

شكل (8) رسم حرف التاء المربوطة



شكل (9) زخارف كوشات العقد الأعلى بالشاهد



شكل (10) الزخرفة الهندسية التي تزين أسفل الهامشين الجانبيين

(ب)

(أ)



## الهوامش والاحالات

- 1) حسن الباشا ، أهمية شواهد القبور كمصدر لتاريخ الجزيرة العربية ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية ج1 الرياض 1979م ص 81 ، 82
- 2) سيده الكاشف ، الآثار الإسلامية ودراسة التاريخ الإسلامي ، مجلة كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ، 1978م ص 77 .
- 3) محمد سيف النصر أبو الفتوح ، دراسة لمجموعة من شواهد القبور بجمانة صعدة في اليمن ، القاهرة 1983م ص 6 ، 7 . شيحة ، مصطفى عبد الله ، شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، (الجزء الأول) ، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1988م، ص 9 ، 10 .
- 4) فريد شافعي ، العارة العربية في مصر الإسلامية عصر الولاة ، هيئة الكتاب مصر، 1970م، ص 541 .
- 5) انظر : (اللوحة 2، 1- شكل 1)
- 6) للمزيد ينظر: عيسى بن لطف الله بن المطهر، روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتوح، ج3، مخطوط مصور ، مكتبة الامام زيد ، صنعاء، ص153 . ابن الحسين، يحيى: انباء أبناء الزمن ، مخطوط مصور مكتبة الامام زيد ، صنعاء، ص321 . ابن الرشيد، عامر بن محمد: بغية المرید وانس الفريد في انساب ذرية السيد علي بن محمد بن الرشيد بن القاسم ، (مخطوط مصور) مكتبة الامام زيد ، صنعاء، ورقة (10).
- 7) للمزيد ينظر: محمد بن إبراهيم ابن المفضل، السلوك الذهبية في خلاصة السيرة المتوكلية اليعقوبية، علق عليه إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1985م، ص 19، 18 . . الشوكاني، محمد بن علي: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، تحقيق: د. حسين عبد الله العمري، دار الفكر دمشق، دار الفكر المعاصر بيروت، الطبعة الأولى، 1998م، ص . الكبسي، اللطائف السننية في اخبار الممالك اليمانية، تح/ أبا زيد الاذريعي ، الجيل الجديد، صنعاء، 2005م، ص 260 . الوجية، عبد السلام عباس : أعلام المؤلفين الزيدية، موسسه الامام زيد، عمان، 1990م ، ص 1134 .
- 8) للمزيد ينظر : بن المطهر: روح الروح ، ص 34. الزركلي، خير الدين بن محمود: الاعلام ، الجزء السابع ، دار العلم للملايين، بيروت الطبعة الخامسة عشر، 2002م، ص 141 . زباره، محمد بن محمد : أئمة اليمن في القرن الرابع عشر ووفيات اعلامهم الى سنة 1275 هـ ، الدار اليمانية للنشر والتوزيع ، صنعاء ، 1987م، ص 369 . الشوكاني ، محمد بن علي : البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، الجزء الاول، دار المعرفة ، بيروت، 1348م ، ص 280 .
- 9) سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني الأول لليمن (1538-1635) الطبعة الخامسة، نوفمبر 1999م، ص 177-178 . سيد ، ايمن فؤاد: تاريخ المذاهب الإسلامية الدينية في بلاد اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة، الطبعة الأولى، 1988م، ص 58 .

- 10) محمد عبد الرحمن الثنيان ، مشلح كميخ المريخي : نقوش اسلامية شاهدة من جبانة صعدة باليمن، مطلعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الطبعة الاولى، 2006م، لحو(7،9) ص 103،105.
- 11) شيحة ، مصطفى عبد الله ، شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن، ص 321، 324، 327.
- الثنيان، المريخي : نقوش اسلامية شاهدة من جبانة صعدة باليمن ، ص 115، 117.
- 12) سورة البقرة الاية (255).
- 13) شيحة: شواهد قبور، ص 53، صلاح احمد الكوماني: مساجد مدينة ذمار حتى القرن 12هـ/ 18م دراسة اثارية معمارية، رسالة ماجستير غير منشورة ، قسم الاثار ، كلية الاداب جامعة صنعاء، 2010م ، ص 181، 183، 194.
- 14) سورة الإخلاص. ونقشت على شواهد قبور في ذمار ، الكوماني، صلاح : مساجد مدينة ذمار ، ص 180، 183، 185.
- 15) شيحة : شواهد قبور، ص 36.
- 16) سورة البقرة، جزء من الاية (163).
- 17) سورة التوبة - من الاية (33).
- 18) ناصر محمود النقشبدي: الدينار الإسلامي في المتحف العراقي، مطبعة الرابطة، بغداد، 1953م. فهمي، عبد الرحمن: فجر السممة العربية، مطبعة دار الكتاب، القاهرة، 1965م . دفتر، ناهض عدل الرزاق، المسكوكات، مطابع دار السياسة، الكويت، 1982.
- 19) سورة التوبة الاتين (21) و(22). ونقشت على شاهد قبر عبد الله بن حمزه، انظر الكوماني ، صلاح: مساجد مدينة ذمار، ص 183.
- 20) من خلال دراسة مصطفى عبد الله شيحة : شواهد قبور إسلامية من جبانة صعدة باليمن ، التي تضمنت دراسة (90) شاهد قبر، تم ذكر العبارة (بسم الله الرحمن الرحيم ) في اول المتن على (4) شواهد التي تحمل الأرقام (42،45،74،75)، ص(138،143،184،186)
- 21) وذكرت العبارة على شواهد القبور منها شاهدي قبر شمس الدين ابن شرف الدين (ت- 963هـ) و شاهد قبر المطهر ابن شرف الدين(980هـ)، سيف، علي سعيد ، الاضرحه في اليمن من القرن الرابع حتى نهاية القرن العاشر الهجريين (10\_16م)، رسالة دكتوراة غير منشورة، قسم الاثار- كلية الاداب- جامعة صنعاء، قسم الاثار الإسلامية - كلية الاثار- جامعة القاهرة ، 1998م ، ص 269، 286.
- 22) علي سعيد سيف: الاضرحه، نقشت العبارة على شاهد قبر صلاح الدين بن شمس الدين (ت- 971هـ) وعلى شاهد قبر في مقبرة صعدة مجهول الاسم ، ص 293، 304 .
- 23) شيحة: شواهد قبور، ص 140)

- (24) حسن الباشا: الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، القاهرة، 1989م، ص 357 .
- (25) القلقشندي: صبح الاعشى، 6/ 17، 98. الباشاء: الألقاب، ص 395.
- (26) الباشا: الألقاب، ص 381
- (27) أبو الحسن علي بن إسماعيل ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم، تح. عبد الحميد هندراوي، 11 جزء، دارالكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 2000م، 7/ 27.
- (28) أحمد مختار عبد الحميد عمر، مع فريق: معجم اللغة العربية المعاصرة، 4 أجزاء، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 2008م، 3/ 1922.
- (29) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق مجموعة، دار الهداية (د.ت) 3/ 172. مجمع اللغة العربية بالقاهرة (إبراهيم مصطفى، احمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار): المجمع الوسيط، دار الدعوة، 2/ 693.
- (30) معجم اللغة العربية المعاصرة 2/ 1429.
- (31) محمد بن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل القرآن، تح/ احمد محمد شاكر، 24 جزء، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، 2000م، 1/ 36، 3/ 134، 7/ 480-484. معجم اللغة العربية المعاصرة 1/ 178.
- (32) الزبيدي، تاج العروس، 11/ 365 .
- (33) معجم اللغة العربية المعاصرة 2/ 1236.
- (34) أبو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي: العين، تح. د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، 8 أجزاء، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1988م، ص 3/ 18، 2/ 245.
- (35) معجم اللغة العربية المعاصرة 3/ 2217.
- (36) معجم اللغة العربية المعاصر، 2/ 1428
- (37) (تاج العروس 10/ 112)
- (38) تاج العروس 38/ 301
- (39) معجم اللغة العربية المعاصر، 1/ 668.
- (40) احمد مختار عمر (بمساعدة فريق عمل): معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي، جزئين، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الأولى 2008م، 1/ 527 .
- (41) معجم اللغة العربية المعاصرة، 2/ 1488.
- (42) الباشا: الألقاب، ص 194-197.
- (43) صبح الاعشى القلقشندي، 6/ 10، الباشا: الألقاب، ص 166-177.
- (44) الزبيدي: تاج العروس، 30/ 172.

- (45) الباشا: الألقاب، ص468، المطاع ، إبراهيم:،شاهد قبر الحسن بن القاسم، المسند،(مجلة) العدد الثاني،صنعاء، 2004م ، ص62.
- (46) الباشا: الألقاب ، ص 355 .
- (47) الباشا: الألقاب ، ص 359 .
- (48) الباشا: الألقاب ، ص 514 .
- (49) علي سعيد سيف الأضرحة في اليمن ، ص، 120 .
- (50) علي سعيد سيف مسجد الفليحي بصنعاء مجلة الجمعية التاريخية السعودية العدد 15 السنة الثامنة ص ، 198.
- (51) الباشا: الألقاب، ص 285-286.
- (52) علي سعيد سيف: نقش إسلامي شاهدي ومرثية للإمام المتوكل على الله القاسم بن الحسين بقبته الضريحية بصنعاء، ابجديات (مجلة) ، العدد الثالث، مكتبة الإسكندرية 2008م، ص112.
- (53) الباشا: الألقاب، ص 512-513. المطاع، إبراهيم: جامع الامام الهادي الى الحق والمنشآت الملحقه به دراسة اثرية معمارية مقارنة، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة جنوب الوادي ، 200م ، ص 419.
- (54) الباشا: الألقاب، ص525.
- (55) ،علي سعيد سيف: نقش إسلامي شاهدي ،ص112.
- (56) الباشا: الألقاب، ص536.
- (57) اشهر مدينة بديار بكر، محاطة بسور عظيم ومعمورة بالحجر الأبيض، وهي مدينة كبيرة حسنة خصيبة ، فتحت على يد عياض بن غانم في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه. للمزيد انظر: الحموي، ياقوت بن عبد الله: معجم البلدان، دار الفكر ،بيروت ،(د.ت)، 5/ 235. البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق: مرصد الاطلاع على أسماء الأماكن والباق، تح/ علي محمد البجاوي، ج3 ، الطبعة الأولى ، بيروت، 1955م، 3/ 1341. البلاذري، احمد بن يحيى: فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، 1987م ، ص 179 .
- (58) وقال هذه القصيدة التي مطلعها: يأخت خير أخ \*\*\*يأبنت خير أب كناية بها من أشرف النسب ، أو الفعل الصالح أي شرف الفعل ، وأنشد ثعلب ، ورب حسيب الأصل غير حسيب أي له أباء يفعلون الخير ، البرقوقى، عبد الرحمن : شرح ديوان المتنبي ، ج 1 ، دارالكتاب العربي بيروت لبنان، سنة 1986م، ص 220.
- (59) أنشد هذه القصيدة في جمادى الآخرة من السنة نفسها والتي مطلعها: نُعَدُ الْمَشْرِفِيَّةَ وَالْعَوَالِي \*\*\* وَتَقْتُنَّا الْمُنُونُ بِلا قِتَالٍ. والشمس ليس بضائر تأنيثها \*\*\* وتزيد بالنور المنير على القمر . البرقوقى: شرح ديوان المتنبي، ج 3، ص 150

- 60 قال وكيع وهذا ينظر إلى قول علي بن الجهم: إذا ما عد مثلكم رجالا \*\*\* فما فضل الرجال على النساء . البروقي: شرح ديوان المتنبي ، ج 3 ، ص 140 .
- 61 للمزيد ينظر: ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب: السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق مصطفى السقاء وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي ( جزئين)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية، 1955م، 1/ 171، ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع: الطبقات الكبرى، 8 أجزاء، دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى، 1990م، 1/101. ابن كثير، إسماعيل بن عمر: البداية والنهاية، عبد الله بن عبد المحسن التركي، 21 جزء، الطبعة الأولى، دار هجر للطباعة، بيروت، 2003م، 2/261. البيهقي، أحمد بن الحسين علي بن موسى: دلائل النوة، تحقيق، 7 أجزاء، د. عبد المعطي قلعي، دار الكتب العلمية ، دار الريان للتراث، بيروت ، الطبعة الأولى، 1988م، 1/75. الطيب، محمد: القول المبين في سيرة سيد المرسلين، دار الندوة الجديدة، بيروت(د.ت) ص 79، 78، 396.
- 62 تضم مساجد مدينة ذمار عدد كبير من الكتابات المنقذة بالخط الشعبي معظمها يعود الى فترة متاخرة ومنها الكتابات المنقذة على احجار البازلت والكلس في الواجهات الخارجية للجامع الكبير ، وكذلك في مقدم الجامع ، وتلك الموجودة في مسجد الحسين بن سلامه ومسجد الامام الناصر ومسجد الاسد ومسجد قبة دادية الكوماني، صلاح: مساجد مدينة ذمار، ص 244.
- 63 عبد الله عبد السلام الحداد: النصوص التأسيسية بجامع معاذ ابن جبل بمدينة الجند بتعز مضمونها ودلالاتها التلخيصية والانشائية، ابجديات، العدد(1)، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2006 ص 105.
- 64 يعد خط الثلث من الخطوط اللينة العربية الأصلية التي اشتقت في القرن الثالث، البقمي: موضي بنت محمد بن علي، نقوش إسلامية شاهدة بمكتبة الملك فهد الوطنية، دراسة في خصائصها الفنية وتحليل مضامينها، مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض، 1421هـ/ 1999م، ص 135. نقلاً عن جورهمان، النسخ والثلث، ترجمة غانم محمود، بغداد، 1986م، ص 13. بدأ ظهور خط الثلث كنوع من أنواع الخطوط اللينه منذ منتصف القرن السادس الهجري / الثاني الميلادي، على شواهد القبور بمصر، إذ يعتقد أنها من أقدم الأمثلة على تلك البداية منها على سبيل المثال: شاهد قبر مؤرخ في سنة 567هـ / 1172م محفوظ بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة، حسن الباشا أهمية شواهد القبور بوصفها مصدر لتاريخ الجزيرة العربية في العصر الإسلامي، (دراسات في تاريخ الجزيرة العربية) مصادر تاريخ الجزيرة العربية الرياض 1979م ص 122-126). ثم كثر بعد ذلك استخدامه للأغراض التذكارية والجنائزية حتى أصبح في عصر هذا الشاهد وقبله وبعده من أكثر الخطوط شهرة وانتشاراً على الآثار سواء في الحجاز، أحمد بن عمر الزيلعي نقوش إسلامية من حمدانة بوادي عليب الرياض 1995م ص 89. أو في اليمن عن هذه النقوش أنظر: مصطفى شبيحة شواهد قبور من جبانة صعدة باليمن القاهرة 1988 م . وذلك لليونة الحروف ومرورتها. وضعت لخط

الثالث القواعد والنسب الثابتة اعتباراً من القرن 6هـ / 12م، فضائلي، حبيب الله: أطلس الخط والخطوط، تحقيق، د/محمد التونجي، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ط1، دمشق 1993م، ص237، 241. ، وأصبحت غالبية النصوص الكتابية سواء على العمارة أو التحف الفنية تكتب بهذا الخط ، ومنه احتل خط الثلث مكان الصدارة في كتابة شواهد القبور واستخدم بكثافة في العهد الأتابكي و الأيوبي والمملوكي والعثماني حيث أعجب به العثمانيين ونقلوه إلى بلادهم على أيدي خطاطين مصريين نقلوهم إلى تركيا خير الله، جمال، النقوش الكتابية على شواهد القبور الإسلامية مع معجم الألفاظ والوثائق الإسلامية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، دسوق- مصر 2007م، ص 184.

65) فعلى سبيل المثال ظهر نفس الرسم في النقوش الخطية في ضريح الشهداء في معبر ونقوش المدرسة الشمسية في ذمار.

66) انظر جدول الأخطاء الاملائية واللغوية.



## المسلمون والبيزنطيون في عهد الرسول ﷺ 11 / 1 هـ

إيمان أحمد محمد المحاقري \*

الملخص:

منذ أن بدأ الإسلام دولته في المدينة كان أقرب القوى الخارجية له واقوها هي دولة الروم التي قدر للمسلمين أن يحتكوا بها طويلاً إلى أن سقطت عاصمتها القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة (157هـ / 1453م).

فكانت الفترة المكية من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم خالية من كل ما يثير العداء ضد الروم أو المواجهة مع المجتمع الإسلامي، أما الفترة التي أعقبت هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بدأ البيزنطيون ينظرون إلى القوة الإسلامية على أنها تمثل تهديداً مستقبلياً لهم، فانتهجوا مسلكاً عدوانياً حيال الدولة الإسلامية، فعمل البيزنطيون جاهدين على تضيق الخناق على دولة المدينة والإسلام وقطع أسباب الحياه عنها كي يضعف شأنها من خلال حلفائها ببلاد الشام، فدخلت مع المسلمين في مواجهات وإن لم تكن مباشرة في البداية متمثلة بغزوة دومة الجندل (5هـ / 624م)، وسرية زيد بن حارثة إلى حسمي (5هـ / 628م)، وسرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل (6هـ / 628م).

لتبدأ بعد ذلك المواجهات المباشرة بين الطرفين في غزوة مؤتة (8هـ / 629م)، وسرية ذات السلاسل (8هـ / 630م)، وغزوة تبوك (9هـ / 631م)، وسرية أسامه بن زيد (11هـ / 632م)، التي كان من نتائجها أن سيطر المسلمون على المناطق التي كانت تحت النفوذ البيزنطي، ويعتبر بداية لنهاية الإمبراطورية البيزنطية.

\* مدرس - قسم التاريخ - كلية الآداب - جامعة ذمار.

المقدمة: الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد بن عبد الله الصادق الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد...

منذ ظهور الإسلام وتكوين دولته في المدينة، أصبح أقرب القوى الخارجية إليه وأقواها هي الدولة البيزنطية التي قدر للمسلمين أن يحتكوا بها طويلاً إلى أن سقطت عاصمتها القسطنطينية على يد محمد الفاتح سنة (857 / 1453 م).

فجاء اختياري لموضوع البحث (المسلمون والبيزنطيون في عهد الرسول ﷺ) لمعرفة الجذور الأولى لهذا الصراع، الذي كان سببه أن الأمبراطورية البيزنطية حاولت أن تفرض سيطرتها على الأراضي العربية التي كانت تابعه لها والمجاورة لحدود الدولة الإسلامية، مما أدى بعد ذلك إلى وجود الصراع غير المباشر بين البيزنطيين والمسلمين متمثلاً بغزوة الجندل وسرية زيد بن حارثة وسرية عبد الرحمن بن عوف، والصراع المباشر بين الطرفين المتمثل بغزوة مؤتة وسرية ذات السلاسل وغزوة تبوك وسرية أسامة بن زيد. وهذا ما سنتناوله في هذا البحث.

مشكلة الدراسة: تعد دراسة العلاقات من الأهمية بمكان إذ تحلّي جانباً من جوانب التاريخ السياسي / العلائقي بين كيان سياسي وآخر. كما تبنّ طبيعة وكنه تلك العلاقة وماهيتها من مختلف جوانبها. وهذه الدراسة سوف تناقش بمنهجية علمية تاريخية إشكالية العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في عهد الرسول ﷺ مبنية قدر الإمكان وفي حدود المتاح من المصادر طبيعة العلاقة بين الجانبين وماهيتها جانحة إلى إظهار دور الرسول صلى الله عليه وسلم في ذلك.

أهمية الدراسة: تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تسعى إلى توضيح العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في صدر الإسلام تحديداً في عهد رسول الله. كما أنها تعد إضافة متواضعة إلى حقل الدراسات الأكاديمية في مجال التاريخ الإسلامي فضلاً عن أنها سوف تتطرق إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من جانب العلاقات السياسية مع البيزنطيين. ولما لهذا الجانب من أهمية جديرة بالدراسة والبحث.

أهداف الدراسة: يمكن اختصار أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

- 1- مناقشة طبيعة العلاقة بين المسلمين والبيزنطيين في عهد ﷺ.
- 2- استكناه فحوى هذه العلاقة بمختلف جوانبها.
- 3- التطرق إلى دور الرسول ﷺ في تجهيز السرايا إلى شمال الجزيرة العربية.



4- تبيان مدى ما وصلت إليه قوة المسلمين العسكرية في ذلك الحين (صدر الإسلام).

5- إثارة جملة من التساؤلات والاستفسارات العلمية حول مشروعية الغزوات العسكرية من عدمها.

حدود الدراسة: تشمل الدراسة المدة الزمنية من السنة الأولى للهجرة حتى السنة الحادية عشرة للهجرة، وتم تقسيمها إلى تمهيد: نبذة عن بيزنطة، والمبحث الأول: المسلمون والبيزنطيون (1هـ/6هـ) الذي يشمل غزوة دومة الجندل وسرية زيد بن حارثة إلى حسمي، وسرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل. والمبحث الثاني: مواجهة المسلمين للبيزنطيين، ويحتوي على غزوة مؤتة، وسرية السلاسل وغزوة تبوك وسرية أسامة بن زيد، وخاتمة.

منهج الدراسة: إن المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج التاريخي الذي يقوم بجمع المعلومات من المصادر والمراجع المختلفة وتحليلها ومقارنة الروايات مع بعضها وترجيح ما يتوافق مع موضوع الدراسة وفقاً لقواعد البحث العلمي.

تمهيد: كانت بيزنطة مستعمرة إغريقية قديمة تأسست قبل الميلاد بأكثر من ستة قرون<sup>(1)</sup>، وقد شهدت عصوراً من الازدهار في مراحلها الأولى على الرغم من تعرضها لهجمات عسكرية خارجية، إلى أن خضعت في نهاية الأمر لروما، في حين تعرضت لدمار أكثر من مرة نتيجة الحروب الأهلية داخل الإمبراطورية الرومانية أحياناً، وغارات القوط أحياناً أخرى حتى جاء قسطنطين الأكبر فأعاد بناءها وجعلها مقراً لمملكته<sup>(2)</sup>.

من المعروف تاريخياً أن تاريخ الدولة البيزنطية يبدأ من سنة 330م وذلك بعد أن قام الإمبراطور قسطنطين الأكبر ببناء العاصمة الجديدة للدولة الرومانية التي بناها على أنقاض بيزنطة القديمة الواقعة على البسفور، فحلت العاصمة الجديدة للدولة الرومانية محل العاصمة القديمة روما فسماها قسطنطين (روما الجديدة)<sup>(3)</sup>، ليحل محلها اسم (القسطنطينية) نسبة إلى قسطنطين<sup>(4)</sup>؛ لذلك فإن إنشاء القسطنطينية، فضلاً عن اعتناق الإمبراطور قسطنطين للمسيحية واتخاذها ديناً رسمياً للدولة يعد نهاية مرحلة من تاريخ الدولة الرومانية، وبداية مرحلة جديدة لما أطلق عليه بعد ذلك تاريخ الدولة الرومانية الشرقية أو الدولة البيزنطية<sup>(5)</sup>.

ونلاحظ أن الفترة الممتدة من حكم الإمبراطور قسطنطين (306-337 م) الأكبر إلى حكم الإمبراطور هرقل (610-641م) تمثل المرحلة التكوينية (الجينية) من تاريخ الإمبراطورية البيزنطية، و تدريجياً تخلصت من المصالح والارتباطات الغربية متجهة نحو الشرق لتصبح في النهاية إمبراطورية شرقية محددة الملامح وذات صبغة شرقية<sup>(6)</sup>.

مرت العلاقة بين الدولة البيزنطية ومنافستها العظمى دولة الفرس بمراحل من التوتر الحاد أدت إلى اشتعال الحرب حيناً، وإلى عقد السلام بينهما حيناً آخر، واستمر هذا الوضع الدوماتيكي حتى الفتح الإسلامي<sup>(7)</sup>.

وفي أثناء تلك الحروب وجد البيزنطيون أن خير وسيلة لحماية حدودهم من الفرس ومن غارات البدو الأعراب المتاخمة لحدود إمبراطوريتهم الشرقية هي إقامة علاقات ودية مع الدول المجاورة لها، ومن أبرز من استعان بهم البيزنطيين هم عرب الشام الغساسنة الذين ينتمون إلى البيزنطيين قبيلة الأزد القحطانية اليمنية، إذ بدأت هجرة الغساسنة إلى بلاد الشام في مطلع القرن الثالث الميلادي<sup>(8)</sup>. وقد تعاون الغساسنة مع الروم في صد غارات البدو وفي الحرب ضد الفرس؛ غير أن البيزنطيين فقدوا ولاء الغساسنة، مما أدى إلى ازدياد خطر الفرس، ولم يستطع هرقل أن يتخذ خطوة حاسمة ضد الفرس إلا في عام 622م، وهو العام الذي شهد هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، في حين أنه في عام 627م حسمت معركة نينوى مصير النزاع بين الفرس والبيزنطيين إذ أحرز البيزنطيون انتصاراً حاسماً، وحلت بالجيش الفارسي هزيمه ساحقة<sup>(9)</sup>، وعلى إثر ذلك واصل هرقل زحفه على الولايات الفارسية، فأسقطها تباعاً ومن ثم عاد إلى عاصمته بين مظاهر البهجة ومواكب النصر بعد ست سنوات قضاه في ميدان القتال، وفي سنة (8هـ/630م) توجه هرقل إلى بيت المقدس حيث استرد من الفرس شعار الصليب الذي يقدسونه في دينهم المسيحي<sup>(10)</sup>، وبهذه النهاية المظفرة أسدل الستار على تلك الحروب التي بدأت في سنة 602م وكادت تعصف بكيان الإمبراطورية البيزنطية<sup>(11)</sup>.

ولما كانت الصلة بين البيزنطيين والغساسنة وعرب الشام قد توترت، بفعل حروب البيزنطيين مع الفرس وبعد أن هزم هرقل الفرس وطردهم من بلاد الشام، حاول مرة أخرى إعادة ما انقطع بين البيزنطيين وعرب الشام بصفة عامة، وبينهم والغساسنة بصفة خاصة<sup>(12)</sup>؛ بهدف حماية حدود الإمبراطورية من الفرس أو من أي غارات أخرى.

وما إن توج هرقل انتصاراته على الفرس حتى بدت بيزنطة في ذلك الوقت أمام العالم أنها قد تربعت على عرش القوة والسيادة، بيد أن القدر كان يخفي لهرقل مفاجأة من نوع آخر، فبعد حوالي عامين من إحرازه النصر النهائي على الفرس في معركة نينوى انطلقت الشرارة الأولى في المواجهة الإسلامية البيزنطية، وبدأت بذلك مرحلة جديدة من تاريخ البيزنطيين<sup>(13)</sup>.

والجدير ذكره فيما يخص علاقات الإمبراطورية البيزنطية بعرب الحجاز أنها كانت علاقة ذات طابع تجاري إذ اشتهر الحجازيون وخاصة سكان مكة بنشاطهم التجاري، وكان من أهم الرحلات التجارية المتوجهة هي من أقاليم الدولة البيزنطية، إذ أصبحت مكة مركز النشاط التجاري في منطقة الحجاز بحكم موقعها على طريق القوافل بين اليمن والشام وكذلك لوجود بئر زمزم بها، حيث كانت مكة تمثل معبر لتجارة الحبشة واليمن في طريقها إلى أقاليم الدولة البيزنطية ثم ما لبث المكيون أن ضربوا بسهم وافر في هذا النشاط التجاري فكانوا يترددون على الحبشة واليمن وبلاد الشام وبقية أقاليم الدولة البيزنطية بأصناف السلع التي تنتجها هذه البقاع، وكان طريق الحجاز التجاري ينتهي إلى حدود الدولة البيزنطية عند مدينة ايله (العقبة حالياً) ثم تتجه القوافل من هناك إلى البحر المتوسط<sup>(14)</sup>.

وانطلاقاً من ذلك حاول البيزنطيون السيطرة على مكة فقد شجعوا حلفائهم من الأحباش على غزوها وعلى محاولة هدم الكعبة لما تمثله من ثقل ديني وسياسي واقتصادي في شمال شبه الجزيرة العربية، كما حاولت بيزنطة نقل نفوذها إلى مكة لتسيطر على طرق التجارة، ولكنها فشلت في محاولاتها، ومع ذلك لم يأس البيزنطيون من تكرار محاولتهم من أجل السيطرة على شمال شبه الجزيرة، وإن لم يكن بصورة مباشرة وإنما عن طريق التحالفات، كما كان وضع اليمن تحت حكم الأحباش<sup>(15)</sup>. وقد اتخذ البيزنطيون الدين وسيلة للسيطرة على الحجاز ونشر المسيحية بمكة، إلا أن أهلها رفضوا ذلك بشدة بسبب إدراكهم لأهمية الكعبة، وفي جعل مكة مركزاً من أهم المراكز الدينية والسياسية والاقتصادية في شبه الجزيرة العربية فلم يكن من المعقول أن يتخلى أهالي مكة عاصمة الحجاز عن هذا المركز ببساطة ليتبعوا ديناً يجعلهم تابعين لا متبوعين، كما أنه لم تكن هناك أسباب سياسية واجتماعية قوية تجعل أهل الحجاز يقبلون بالمسيحية. ومهما يكن فإن عدم تفشي المسيحية بين عرب الحجاز لم تؤثر على علاقاتهم التجارية بالدولة البيزنطية، بل كان البيزنطيون يحضون لدى الحجازيين بعض المكانة وافر الهيبة باعتبارهم قوة كبرى على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري، وكان تأثيرهم على الحجازيين أكثر وضوحاً وقوة من تأثير الفرس، نظراً إلى

القرب الجغرافي وعمق الروابط التجارية بينها، فقد ظل الأمر على ذلك حتى جاء الإسلام وبدأت العلاقات بين الجانبين تنحو منحى جديداً<sup>(16)</sup>.

المسلمون والبيزنطيون (1هـ - 6هـ) كانت الفترة المكية من حياة الرسول ﷺ خالية من كل ما يثير العداء ضد الروم أو المواجهة مع المجتمع الإسلامي الناشئ فقد ظلت الدعوة الإسلامية في مكة سرية لمدة ثلاث سنوات<sup>(17)</sup>، وعندما دخلت الدعوة مرحلة العلن جاء الأمر الإلهي للرسول ﷺ، بأن ينذر عشيرته الأقربين ثم أخذت الدعوة الإسلامية تتسع تدريجياً وتكتسب مزيداً من الأتباع بعد انتصارهم في بدر السنة الثانية للهجرة الذي كان له صدى كبير لا في شبه الجزيرة العربية وحدها بل خارج حدودها.

وقد كان القرشيون بمكة على صلة تجارية وثيقة بأقاليم الدولة البيزنطية، وبالأخص إقليم الشام، وكان من النتائج المحققة لظهور القوة الإسلامية بعد بدر تأثر تجارة القرشيين مع الشام بصورة بالغة، فقد كانت هذه التجارة تمر على المدينة ذاهبه إلى الشام أو قادمة منها، فبدأ المسلمون بذلك يتحكمون في تجارة أهل مكة مع البيزنطيين، ومن ثم لم تعد مكة والحجاز منطقة نفوذ تجاري لبيزنطة كما كان من قبل<sup>(18)</sup>، ولاشك أن هذا التوسع الإسلامي كان له صداه على حدود الإمبراطورية البيزنطية، فقد فوجئ البيزنطيون بأن هذه الجماعة القليلة المستضعفة قد أصبحت قوة مرهوبة الجانب، ومن هنا حاول حلفاء البيزنطيين من عرب الشام تضيق الخناق على دولة المدينة والإسلام وقطع أسباب الحياة عنها<sup>(19)</sup> كي يضعف شأنها، الأمر الذي أدى إلى عدد من المواجهات أو المناوشات بين المسلمين وعرب الشام خلال هذه الفترة<sup>(20)</sup>، وهي كما يأتي:

- غزوة دومة الجندل<sup>(20)</sup> (5هـ / 624م) كانت ضد اعراب الشام حلفاء الروم، فكان أول احتكاك غير مباشر مع الروم، وسبب هذه الغزوة هو ما كان يتعرض له التجار العرب السلميين بين الشام والمدينة من أذى على أيدي العرب المقيمين بدومة الجندل من قبيلة كلب<sup>(21)</sup>، وتذكر بعض المصادر أن هؤلاء العرب حلفاء البيزنطيين كانوا يريدون الزحف على المدينة<sup>(22)</sup>.

إزاء ذلك خرج الرسول ﷺ على رأس ألف من المسلمين، فهرب أهل هذه المنطقة، فنزل الرسول ﷺ بساحتهم فلم يجد بها أحداً<sup>(23)</sup>، ورجع إلى المدينة بعد أن أكد هيبة الدولة الإسلامية وقدرتها على التعامل الحاسم مع البيزنطيين، وقد بات من المؤكد بعد هذه الغزوة أن هناك جبهة تهديد خطيرة فتحت أمام

المسلمين وهي جبهة الشام<sup>(24)</sup> التابعة لبيزنطة. ويبدو أن المسلمين أحسوا أن البيزنطيين كانوا مصدر هذا التهديد فقد قال الرسول ﷺ: "إن دنوت إلى الشام كان ذلك مما يفزع قيصر"<sup>(25)</sup>.

وكانت الغاية من هذه الغزوة تأكيد هيبة الدولة الإسلامية، وقطع الطريق على أي محاولة عدوانية يقوم بها عرب الشام حلفاء البيزنطيين ضد المسلمين<sup>(26)</sup>.

سرية زيد بن حارثة<sup>(27)</sup> إلى حسمي<sup>(28)</sup> (6هـ / 628م): وجه الرسول ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمي بسبب ما تعرض له دحية بن خليفة الكلبي على يد رجال من جذام، فقد أرسل الرسول ﷺ دحية إلى قيصر فأجازه بهال وكساء، وعند مروره بحسمي لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق وسلبوه كل شيء معه، فأرسل الرسول السرية بقيادة زيد على رأس خمسمائة رجل من أصحابه إلى حسمي<sup>(29)</sup>، والأمر الواضح أن قبيلة جذام كانت من أحلاف الروم، وصدر منها في ذلك الوقت ما يكشف عن سوء النية تجاه المسلمين، وقد كانت سرية زيد ناجحة في حدود الغرض الذي أرسلت من أجله، وهو تأديب هؤلاء القوم من جذام ولخم، فقد أغار المسلمون عليهم صباحاً "فأصابوا ما وجدوا وقتلوا فيهم فأوجعوا"<sup>(30)</sup>، لكن العناصر العربية من نصارى الشام كانت من الكثرة والخطورة، بحيث احتاجت من الرسول ﷺ إلى المزيد من المواجهات التي قدر لها أن تستمر حتى انتقاله إلى الرفيق الأعلى<sup>(31)</sup>.

سرية عبد الرحمن بن عوف<sup>(32)</sup> إلى دومة الجندل (6هـ / 628م): أرسل الرسول ﷺ عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل حيث قبيلة كلب من قضاة على رأس سبعمائة رجل، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام، وكانت السرية تهدف إلى توفير الحماية الكافية للدعاة المسلمين في تلك المناطق الحافلة بالخطر على الإسلام والدائرة في فلك بيزنطة، ويمكننا القول إن السرية حققت هدفها.

ومما تجدر ملاحظته أن المواجهات بين المسلمين والروم لم تكن مباشرة خلال هذه الفترة التي تحدثنا عنها، بل كانت المواجهات بينهم وبين عرب الشام وخاصة قبائل كلب وجذام ولخم حلفاء بيزنطة.

#### المواجهة المباشرة بين المسلمين والبيزنطيين

غزوة مؤتة: اختلف المؤرخون حول اسم مؤتة هل هي غزوة أم سرية فقد وردت تسميتها لدى بعض المؤرخين بغزوة جيش الأمراء<sup>(34)</sup>، بينما تردد آخرون بين كونها غزوة أو سرية<sup>(35)</sup>، فقد وردت عند بعض المؤرخين بتسميتها سرية<sup>(36)</sup>، على أن أكثر أهل المغازي والسير جزموا بأنها غزوة<sup>(37)</sup>. لأهمية المعركة من ناحية، ومن ناحية أخرى أتفق أغلب أهل المغازي أن عدد أفراد السرية ما بين خمسة أنفس إلى أربعمائة

نفس ، فمؤته بلغ عدد الانفس بها أربعة آلاف مقاتل، وكذلك أن السرية هي التي لم يخرج بها الرسول، إلا أن الرسول شارك فيها مشاركة معنوية وخطط لها وهو في مكانه<sup>(38)</sup>.

فتسميتها بجيش الأمراء كما ذكرها ابن خلدون يعد حلا وسطا، إذ إن تسميتها بالسرية مخالف لاصطلاح السرية، التي تعرف بأنها قطعة من الجيش يقال إنها لا تزيد على أربعمائة رجل ، ويقال: سرى قائد الجيش سرية إلى العدو إذا جردها وبعثها إليهم وهو التسرية<sup>(39)</sup>، ونقل ابن مسعود عن بعض ذوي المعرفة بسياسة الحروب أنها هي التي تخرج في الليل، فأما التي تخرج في النهار فتسمى بالسوارب<sup>(40)</sup>، وذلك لقوله تعالى "ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار"<sup>(41)</sup>. أما ابن الأثير فيذكر أن السرية وجمعها سرايا سموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم من الشيء السري النفيس، وقيل سموا بذلك لأنهم ينفذون سرا وخفية<sup>(42)</sup>. لهذا قد أميل إلى جانب من أسماها غزوة.

بعد أن عقد الرسول ﷺ مع قريش صلح الحديبية في سنة 6هـ شرع في تطبيق سياسة خارجية من أهم أهدافها نشر الدعوة الإسلامية، فسير لذلك مبعوثيه إلى الملوك والأمراء يدعوهم إلى الإسلام، وهذا مهد لتوحيد سائر بلاد العرب، كما كان لها أعظم الأثر في قيام أول احتكاك سلمي بين الدولة الإسلامية وبين الإمبراطورية البيزنطية<sup>(43)</sup>.

بعث الرسول بعثة مع الحارث بن عمير الأزدي إلى ملك الغساسنة، فلما نزل مؤتة اعترضه شرحبيل بن عمرو الغساني، فأوثقه رباطا ثم قدم فحضر عنقه، ولم يقتل لرسول الله رسول غيره، وكان من الطبيعي أن يلقي شرحبيل جزاءه على ما اقترفه فقد جاء رد الرسول سريعا يتمثل في سرية وجهها إلى مشارف الشام حملة استطلاعية على مواقع اللقاء تمهيدا لغزوة مؤتة، المشهورة فبعث إليهم كعب بن عمير الغفاري على رأس خمسة عشر رجلا في السنة 8هـ / 630م، فلما وصلوا إلى ذات اطلاق<sup>(44)</sup> في أرض الشام وجدوا جمعا كثيرا فدعواهم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنبال حتى قتلوهم جميعاً، فلم يبق منهم إلا رجل جريح، فأتى الرسول فأخبره بما حدث ، فلم يكذب يمضي شهران على سرية كعب إلى ذات اطلاق حتى حدث أخطر مواجهة بين المسلمين والروم في مؤتة<sup>(45)</sup>. ويعد هذا الحادث السبب المباشر لغزوة مؤتة، ويذكر أن الأسباب الحقيقية لغزوة مؤتة تكمن أساسا في كل الانتهاكات والاستفزازات التي ارتكبتها عرب الشام ضد المسلمين.

فقد أسند الرسول قيادة غزوة مؤتة إلى موله زيد بن حارثة فإن استشهد فالفائد جعفر بن أبي طالب<sup>(46)</sup> فإن استشهد فعبده الله بن رواحه<sup>(47)</sup>، فإن استشهد فليرضي المسلمون بينهم رجلا فيجعلوه عليهم<sup>(48)</sup>. وتحرك زيد بن حارثة وقد أوصاه الرسول "أن يأتوا مقتل الحارث بن عمر وأن يدعوا من هناك إلى الإسلام، فإن اجابوا والا استعانوا عليهم بالله وقتلوه"<sup>(49)</sup>، فتحرك زيد من المدينة في اتجاه الشام على رأس جيش تعداده ثلاثة آلاف مقاتل، وقد عسكر المسلمون أولا بالجرف على بعد حوالي ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، ثم انطلقوا في غزوههم وخرج الرسول مشيعا لهم حتى بلغ ثنية الوداع ثم أوصاهم وودعهم<sup>(50)</sup>.

سمع العدو بتحرك المسلمين قبل أن يصلوا إلى وجهتهم فاستعانوا بهرقل وقد كان ذلك بداية لأن يأخذ اتجاه الحملة منعظا خطيرا، فلم يكن المسلمون يضعون في حسابهم أنهم ذاهبون إلى حرب الروم، بل إلى تأديب عرب الشام، ونشر الإسلام، فتقدم المسلمون حتى وصلوا إلى وادي القرى وأقاموا به أياما، ثم نزلوا معان فعلموا أن هرقل قد نزل ماب من أرض البلقاء، وكان تعداد جيش الروم وحلفائهم أضعاف تعداد المسلمين، كما أنهم يقاتلون في بلادهم، بينما يقاتل المسلمون بعيدا عن أرضهم ومقر دولتهم المدينة المنورة، وبذلك تكون المزايا العسكرية في التفوق عدة وعتادا، وفي قرب قواعد الروم إلى قواتهم المقاتلة، تزيد قواتهم على قوات المسلمين.

اختلف المؤرخون حول قائد قوات العدو فبعضهم يقول كان الروم تحت قيادة ثيودوس<sup>(51)</sup>، وآخرون يقولون تحت قيادة هرقل<sup>(52)</sup>، ولعلنا نستنتج أن القيادة كانت بيد هرقل.

فوجئ المسلمون وهم بمعان<sup>(53)</sup> بما لم يكونوا يتوقعونه من ضخامة جيش العدو فأقاموا هناك ليلتين يتشاورن في أمرهم: هل يتقدمون للقاء أم يستمدون برسول الله أم يعودون إلى المدينة؟ لكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله "يا قوم والله أن الذي تكهون الذي خرجتم تطلبونه: الشهادة.. فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسين: إما ظهور، وإما شهادة"<sup>(54)</sup>، فتابعه الناس على رأيه قائلين: صدق ابن رواحة ومضوا للقتال<sup>(55)</sup>.

انحاز المسلمون إلى قرية مؤتة حيث التقوا هناك بجموع هرقل من الروم المستعربة، والتحم الجيشان، فقاتل زيد بن حارثة براية الرسول، حتى استشهد، ثم اخذ الراية جعفر بن أبي طالب فقاتل حتى خر شهيدا، ثم أخذ الراية عبد الله بن رواحة فقاتل حتى سقط شهيدا، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد



وهو أول عمل له في الإسلام، ولم تكن المهمة أمام خالد بن الوليد سهله، فقد كان عليه أن ينقذ المسلمين، وقد أظهر عبقرته العسكرية، فقد غير نظام الجيش بأن جعل ميمته مسرته وميسرته ميمته، فخاف الأعداء وقالوا: "قد جاءهم مدد"، وكانت نتيجة ذلك أن تمكن المسلمون من الانسحاب إلى المدينة دون أن يجرؤا على تعقبهم<sup>(56)</sup>.

نتائج المعركة: كما اختلف حول تسميتها اختلف أيضاً حول نتائجها فهناك من قال إن المسلمين هزموا الروم وإن كانت الهزيمة في البداية لهم، مستندين بذلك إلى انسحاب جيش الروم عندما غير خالد نظام الجيش<sup>(57)</sup>، ويتبنى ابن كثير هذا الاتجاه ويدافع عنه بقوة<sup>(58)</sup>.

وهناك من يقول إن الروم هزموا المسلمين مستندين بذلك إلى، أن جيش مؤتة لما دنا من المدينة خرج الرسول والمسلمون لاستقبالهم وجعل الناس يثبون على الجيش التراب ويقولون: "يا فرار، فرتم في سبيل الله، لكن الرسول أراد أن يرفع من معنوياتهم فقال: ليسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله"<sup>(59)</sup>.

وهناك من يقول إن هذه المعركة لم تكن بالنسبة إلى المسلمين نصراً ولا هزيمة، فلو كانت نصراً للمسلمين لغنموا منهم، ولكنهم عادوا بدون غنائم حرب، كما لو أنهم انتصروا في هذه المعركة لذاع صيتها بين العرب وشبه الجزيرة العربية والروم مثل بدر، ولا يمكن أن تكون هزيمته فلو كان المسلمون قد هزموا لما انسحب جيش الروم، كما أن قتلى المسلمين لم يكونوا كثيراً، ولم يقع منهم أسرى.

وإذا كان هناك خلاف حول نتائج معركة مؤتة من منظور النصر أو الهزيمة فإن النتيجة التي لا خلاف حولها هي أن هذه المعركة لفتت أنظار المسلمين إلى أن هنالك عدوا شرسا في الشمال يترصد بهم ويتحين الفرصة للانقضاض عليهم، أنها الدولة البيزنطية لقد أراد المسلمون أن يواجهوا عرب الشام في مؤتة فإذا بهم يواجهون عدوا أشد خطراً، وأحد نابا، وهو إمبراطورية بيزنطة، ومن هنا كان على المسلمين أن يعيدوا حساباتهم ويراجعوا خططهم، كما أن هذه الغزوة أفادت المسلمين بمعلومات عن قوات الروم وأساليب قتالهم وأسلحتهم مما كان له أثره في المعارك التي خاضها المسلمون فيما بعد.

والواقع أن كل العداوات المستقبلية بين المسلمين والبيزنطيين يمكن رد جذورها إلى تلك المواجهة القاسية في مؤتة؛ فقد كانت مؤتة كما يذكر العديد من المؤرخين الشرارة الأولى في الصراع الإسلامي البيزنطي الذي قدر له أن يستمر أكثر من ثمانية قرون<sup>(60)</sup>، ثم إن المسلمين أدركوا بعد غزوة مؤتة أن



الصدام بينهم وبين البيزنطيين قادم لا محالة وأن إعداد أنفسهم لاحتالات ذلك الصدام أصبح من أهم الواجبات التي عليهم بضرورة لتأمين دولتهم.

سرية ذات السلاسل<sup>(61)</sup> (8هـ/ 630م)<sup>(62)</sup>: علم الرسول ﷺ بموقف القبائل العربية التي تقطن بجوار الشام من معركة مؤتة ومساندتها للروم ضد المسلمين ، ولهذا قرر الرسول ﷺ إرسال سرية إلى هذه المناطق للتأثر منهم ، فاختار لهذه السرية عمرو بن العاص<sup>(63)</sup> ، وقد تكونت من ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار ، وبعد أن تقدم عمرو في مسيرة علم أن هناك تجمعاً كبيراً في المنطقة التي كان يقصدها ، فاستمد الرسول فأمدّه باثنتين من أعيان المهاجرين والأنصار بإمارة أبي عبيدة بن الجراح ، وكان فيهم أبو بكر وعمر فلحق أبو عبيدة بعمرو ، وصار أبو عبيدة تحت إمرة عمرو بن العاص<sup>(64)</sup> .

وكانت نتائج هذه السرية أن نجح المسلمون وكسبوا ولاء كثير من عرب الشام<sup>(65)</sup> .

غزوة تبوك<sup>(66)</sup> (9هـ/ 631م)<sup>(67)</sup>: بلغ رسول الله ﷺ أن الروم جمعت الجموع تريد غزو بلاده فعزم على غزوهم وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب البلاد وشدة الحر ، فأرسل الرسول ﷺ في القبائل جميعاً يدعوها للتهيؤ لإعداد أكبر جيش يمكن إعداده ، وأرسل ﷺ إلى أثرياء المسلمين ليشاركوه في تجهيز هذا الجيش بما أتاهم الله من فضله حتى يدخل الخوف في نفوس الروم الذين عرفوا بوفره عدتهم وكثرة عددهم ، وأقبل الأغنياء فأنفقوا نفقة عظيمة لتجهيز الجيش الذي سُمي جيش العسرة ، فأجتمع للرسول ﷺ في هذا الجيش ثلاثون ألفاً من المسلمين منهم عشرة آلاف فارس<sup>(68)</sup> . وتحرك الجيش متوجهاً صوب الشام إلى تبوك بقيادة الرسول ﷺ ، وقد بلغ الروم أمر جيش المسلمين فانسحبوا بجيشهم ليحتموا داخل حصونهم في بلاد الشام ، فلما وصل رسول الله عليه وسلم لم يجد منهم أحداً فأقام بضع عشر ليلة صالح فيها صاحب أيله<sup>(69)</sup> ، وأهل أذرح<sup>(70)</sup> ، وجربا<sup>(71)</sup> ، وكتب لهم كتاباً بالأمان ، ثم عاد ﷺ إلى المدينة<sup>(72)</sup> .

يمكن القول إن غزوه تبوك إذا لم تكن أسفرت عن مواجهة مباشرة مع البيزنطيين فإن أهم ما ترتب عليها من نتائج بالنسبة إلى مستقبل الصراع الإسلامي البيزنطي هو بسط النفوذ الإسلامي على مناطق كانت تخضع تقليدياً للسيطرة البيزنطية ، وتدين بالولاء لهم ، على الرغم من أن معظم سكانها كانوا عرباً ، ويعد ذلك في الواقع نقطة البداية للسيطرة الإسلامية على بلاد الشام ، يضاف إلى ذلك أن القبائل العربية الشامية التي لم تخضع للسيطرة الإسلامية في تبوك بدأت تتعرض بشده للتأثير الإسلامي ، وبدأ كثير من هذه القبائل يراجع موقفه ويقارن بين جدوى الاستمرار في الولاء للدولة البيزنطية ، أو تحويل هذا الولاء

إلى الدولة الإسلامية الناشئة، وسوف يكون ذلك من بين العوامل التي مهدت للفتح الإسلامي لبلاد الشام بعد وفاه الرسول ﷺ.

كما أن غزوة تبوك تُعد تدريباً عسكرياً عالياً للمسلمين، وكان غرض الرسول صلى الله عليه وسلم منها أعدادهم لتحمل رسالة حماية حرية نشر الإسلام خارج شبه الجزيرة العربية وتكوين الدولة الإسلامية المترامية الأطراف، فقد كانت الغزوة آخر غزوات الرسول ﷺ فلا بد من الاطمئنان إلى كفاية جنوده قبل أن يلتحق بالرفيق الأعلى.

سرية أسامة بن زيد بن حارثة<sup>(73)</sup> (11هـ/632م): مع أن تبوك كانت آخر غزوات الرسول ﷺ كما كانت آخر حملة إسلامية ضد البيزنطيين وأحلافهم يتم إعدادها وتنفيذها في عهد الرسول ﷺ فإن هناك حملة ينبغي ذكرها هنا وهي التي تعرف بسرية أسامة بن زيد، على الرغم من أن هذه السرية تم أنفاؤها في أوائل خلافة أبي بكر فقد كان الرسول هو الذي وضع تفاصيل خطتها وأصدر قرار تنفيذها، ولكن حالت وفاته دون إتمامها.

بعد غزوه تبوك أقام الرسول ﷺ في المدينة، وبدأ بإرسال البعثات لنشر السرايا، وأمر أسامة بن زيد مولاه بسرية ليصل بها إلى حدود البلقاء، لإرهاب الروم وإعادة الثقة في قلوب المسلمين في تلك الحدود، وكذلك لإظهار قوات المسلمين، ثم دعا الرسول ﷺ أسامة بن زيد فقال له: "سر إلى موضع مقتل أبيك فوطئهم الخيل، فقد وليت هذا الجيش فاغز صباحاً على أهل ابني<sup>(74)</sup> وأحرق عليهم وأسرع في السير تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله فاقبل اللبث فيهم وخذ معك الأدلاء وقدم العيون والطلائع أمامك"، وعندما أعطى أسامة اللواء أوصاه وقال: "أغز باسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله"، وقد عسكر بالجرف، وانظم إلى أسامة المهاجرين والأنصار كلهم، ورفض بعض القوم، وقال: "يستعمل هذا الغلام على المهاجرين الأولين" فغضب الرسول ﷺ غضباً شديداً، فخرج وهو مريض وصعد المنبر، وقال: "ما مقالة بلغني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارتي أسامة لقد طعنتم في إمارته أبيه من قبله، وأيم الله إن كان للإمارة لخليقا وإن بنه من بعده لخليق للأمارة وأنه كان لمن أحب الناس إليّ، وأنها لمخيلان خير واستوصوا به خيراً فإنه من خياركم"<sup>(75)</sup>. ربما اعترض بعضهم على تولية أسامة الجيش لصغر سنه، وقد لا يكون جديراً بتحمل قيادة الجيش، وربما اعترض بعضهم بسبب النزعة القبلية في كونه ابن مولى رسول الله زيد بن حارثة.

وبينما أسامه بن زيد وهو في الجرف<sup>(76)</sup> يريد الرحيل وصل خبر وفاة الرسول ﷺ فعاد إلى المدينة، ولما بوع أبو بكر على الخلافة أمر جيش أسامة بالتحرك إلى ما أمره رسول الله ﷺ على الرغم من معارضة بعض الصحابة على تسيير الحملة في مثل تلك الظروف، لكن أبا بكر أصر على انفاذها لأن الرسول ﷺ أمر قبيل وفاته أن تنفذ هذه الحملة، فخرج أسامة حتى وصل إلى تبوك وأغار على قبائل قضاة وجذام ولخم وأصاب منها ثم رجع سالماً غانماً إلى المدينة بعد أن غاب عنها في بعثته تلك أربعين يوماً، وقيل ستين يوماً<sup>(77)</sup>.

حققت هذه السرية هدفها، حيث أحرزت نتيجة لم تحرزها حملة أبيه زيد بن حارثة إلى مؤتة، فقد أنزل العقوبة بالقبائل العربية الشامية التي كانت متواطئة مع الروم ضد المسلمين، كما أثرت هذه الحملة تأثيراً قوياً على الروم وحلفائهم مما مهد للفتح الإسلامي، فقد أيقنت الروم بقوة الإسلام، فقد ظنوا أنه بعد وفاة الرسول ﷺ أن القوة الإسلامية ستضعف وإذا بالأمر يفاجئهم بأن المسلمين ازدادوا قوة وليس ضعفاً. ونتيجة لذلك أمر هرقل بوضع حامية في البلقان تكون مسؤولة عن حماية حدود الشام من الهجمات الإسلامية، وقد استمرت الحامية البيزنطية في البقاء حتى قدمت الجيوش الإسلامية إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر بن الخطاب<sup>(78)</sup>.

الخاتمة: نستنتج أن الفترة المكية من حياة الرسول ﷺ كانت خالية من كل ما يثير العداء مع بيزنطة؛ ولكن لم يستمر الحال على ما هو عليه، بل أصبحت هناك مواجهات بين المسلمين والبيزنطيين غير مباشرة خلال الفترة ما بين (1هـ/6هـ)، فقد كانت بين المسلمين و عرب الشام حلفاء بيزنطة وخاصة قبائل كلب وجذام ولخم، لتبدأ بعد ذلك المواجهات المباشرة بين الطرفين في غزوة مؤتة؛ التي لفتت أنظار المسلمين أن هناك عدواً شرساً قوياً يهدد الكيان الإسلامي، وهي الدولة البيزنطية، وكان لابد أن يستعدوا للقضاء عليهم، وتحقق ذلك في غزوة تبوك التي من نتائجها بسط نفوذ الإسلام على مناطق كانت خاضعة للسيطرة البيزنطية، ومن ثم بدأ يقلص النفوذ البيزنطي، وكانت هذه بداية السيطرة الإسلامية على المناطق التي تحت النفوذ البيزنطي ويُعد هذا بداية لنهاية الإمبراطورية البيزنطية.

كما أن المسلمين ارتفعت معنوياتهم تجاه حروبهم ضد الإمبراطورية البيزنطية وحلفائهم، وجعلهم الرسول ﷺ يعتقدون بأن في إمكانهم محاربة بيزنطة والتغلب عليهم، ولم يكن العرب يحملون قبل الرسول

ﷺ بأنهم يستطيعون صد اعتداء الامبراطورية البيزنطية في عقر دارهم، فأصبحوا يعتقدون بعد تبوك أن في مقدورهم محاربة بيزنطة والقضاء على جيوشهم.

كما استطاع الرسول ﷺ تنظيم نقاط ارتكاز على الحدود الشمالية التي تربط شبه الجزيرة العربية ببلاد الشام الخاضعة لبيزنطة، بعقد التحالفات مع سكان تلك المناطق، وأن نقاط الارتكاز هذه سهلت مهمة الفتح الإسلامي في عهد الخلفاء الراشدين فيما بعد.

### الهوامش والإحالات:

- 1) محمد سعيد عمران، الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها، دار النهضة، لبنان 2002م، ص 14.
- 2) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، تحقيق: مصطفى طه بدر، دار الفكر العربي، القاهرة، ط 1، 1953م، ص 13.
- 3) عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطية، دار المعرفة، مصر، 1995م، ص 46. وهسي: العالم البيزنطي، تر: رأفت عبد الحميد، دار المعارف، القاهرة، 1948م، ص 74.
- 4) فيليب حتى: تاريخ سوريا وفلسطين، ج 1، دار الثقافة، بيروت، 1985م، ص 386.
- 5) نورمان بيتنر: الإمبراطورية البيزنطية، تر: حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد، القاهرة، 1950م، ص 908. وعمر كمال توفيق: تاريخ الدولة البيزنطية، ص 49.
- 6) هسي: العالم البيزنطي، ص 111.
- 7) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص 101؛ هسي: العالم البيزنطي، ص 121، جوزيف نسيم يوسف: الدولة البيزنطية (284، 1453م)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1998، ص 97؛ حسين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، ط 7، دار النهضة العربية، القاهرة. د.ت، ص 57.
- 8) خضير عباس الجميلي: محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط 1، مركز التربية، صنعاء، ص 127.
- 9) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية (323 - 1081م)، دار النهضة، بيروت، 1982م، ص 127.
- 10) أومان: الإمبراطورية البيزنطية، ص 107.
- 11) السيد الباز العريني: الدولة البيزنطية، ص 128؛ عبد الرحمن أحمد سالم: المسلمون والروم في عصر النبوة (دراسة في جذور الصراع وتطوره بين المسلمين والبيزنطيين حتى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ص 22.
- 12) لمزيد من التفاصيل حول العلاقة بين الغساسنة والبيزنطيين راجع: جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج 3، دار العلم للملايين، بيروت، ص 412-417.

- 13) علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط 1، تح: حسن مرعي، ج 2، المكتبة العصرية، بيروت، 2005م، ص 103.
- 14) عباس محمود العقاد: مطلع النور وطوال البعثة المحمدية، المكتبة العصرية، بيروت، ص 114.
- 15) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: (ت 310 هـ / 922م): تاريخ الرسل والملوك، ط 1، ج 2، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م، ص 93. وعبد الملك بن هشام ابن هشام (ت 218 هـ 834م): السيرة النبوية، ج 1، دار العلم، بيروت، د.ت، ص 164.
- 16) عبد الرحمن سالم: المسلمون والروم، ص 55.
- 17) ابن هشام: السيرة النبوية، ج 1، ص 241.
- 18) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 267.
- 19) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت 571هـ/1175م): تاريخ مدينة دمشق، ط 1، تح: أبو سعيد عمر بن غرامة الغمراوي، ج 8، دار الفكر العربي، بيروت 1988م، ص 357.
- 20) دومة الجندل: بلاد الشام حصن منيع وقوي من حدود الروم بالشام وتقع في طريق وسط بين بادية الشام وبادية العراق، وسكانها عرب من كنانة الكلبية، ويدين عدد منهم بالمسيحية، وكان عاملها عن هرقل أكيدر الكندي، ياقوت الحموي. شهاب الدين عبدالله (ت 625هـ/1229م): معجم البلدان، ج 4، دار صادر، بيروت، ص 96.
- 21) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 8، ص 217. والمسعودي: التنبيه والإشراف، ج 2، ص 214.
- 22) محمود بن عمر بن واقد الواقدي (ت 270 هـ / 822م): المغازي، ط 3، تح: مارسدن جونز، ج 1، منشورات المؤسسة الإعلامية للمطبوعات، بيروت، 1989م، ص 403. ومحمد بن سعد بن منيع البصري (ت 230 هـ/844م) الطبقات الكبرى، ط 5، تح: محمد عمر، ج 2، الهيئة المصرية للكتاب، 2002م، ص 621. ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق، ج 1، ص 217.
- 23) ابن سعد: الطبقات، ج 2، ص 621.
- 24) أبو الفداء عماد الدين بن عمر الدمشقي ابن كثير (ت 774هـ/1372م): البداية والنهاية، ط 5، تح: سهيل زكار، ج 2، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 62.
- 25) الواقدي: المغازي، ج 1، ص 403.
- 26) ابن سعد: الطبقات، ج 2، ص 62؛ الواقدي: المغازي، ج 1، ص 403؛ ابن قيم الجوزي. شمس الدين عبدالله بن محمد (ت 751هـ/1349م): زاد المعاد في هدي خير العباد، ط 15، ج 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997م، ص 112.

- (27) زيد بن حارثة الكلبي: حمل لقب الحب، حب رسول الله تنبأه الرسول صلى الله وسلم وقال في: "أشهد أن زيد ابني يرثني وارثه" صار لا يعرف في مكة كلها إلا باسم زيد بن محمد ولقبه الرسول زيد الحب، وزوج الرسول زيد ابنة عمه زينب {ابن سعد: الطبقات، ج4، ص45}.
- (28) حسمي: هو جبل بمنطقة جذام القحطانية الواقعة بين مدين وتبوك على الساحل، وتعرف بأرض جذام {ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج2، ص112. ومحمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي البغدادي (ت245هـ/ 859م): المحبر، تح: إيلزة ليخين، دار الآفاق بيروت. د. ت، ص383}.
- (29) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص112.
- (30) الواقدي: المغازي، ج2، ص557.
- (31) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ط4، دار المعارف، القاهرة. 1966م، ص17.
- (32) عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زهره بن كلاب القرشي أحد المبشرين بالجنة، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين أسلم قديماً، قبل دخول النبي دار الأرقم، هاجر المهجرتين وشهد بدر، وسائر المشاهد، مات شهيداً سنة 31هـ ودفن بالبقيع، ابن حجر العسقلاني. شهاب الدين احمد بن علي (ت852هـ / 1448م): الإصابة في تميز الصحابة، ج2، القاهرة 1325هـ، ص409.
- (33) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص117؛ الواقدي: المغازي، ج1، ص561.
- (34) عبد الرحمن محمد ابن خلدون (ت808هـ / 1405م): العبر وديوان المبتدأ والخبر، أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، دار الكتب المصرية القاهرة، 1999م، ص40.
- (35) ابن كثير: الطبقات، ج2، ص199.
- (36) المصدر نفسه.
- (37) ابن هشام: السيرة النبوية، ج1، ص20؛ الواقدي: المغازي، ج2، ص755؛ أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن علي (ت732هـ / 1331م): المختصر في أخبار البشر، ط1، تح: محمد زينهم محمد عرب، دار المعارف، القاهرة، ص178.
- (38) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ / 869م): صحيح البخاري، ط2، دار السلام، الرياض، 1995م، 3761 / 2178، ص657. وابن حجر: الإصابة، ج8، ص56.
- (39) ابن منظور جمال الدين بن مكرم الأنصاري (ت711هـ / 1311م): لسان العرب، دار صادر، بيروت، د. ت، ص115.
- (40) البخاري: صحيح البخاري، 3761 / 2178، ص587؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، ص279؛ ابن الأثير. أبو السعادات المبارك (ت606هـ / 1209م): النهاية في غريب الحديث، تح: طاهر أحمد الزاوي ومحمد الطناجي، ج2، المكتبة العلمية، بيروت، 1383هـ، ص363.

- 41) سورة الرعد: آية 10.
- 42) ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم (360 هـ / 1232 م): الكامل في التاريخ، ج 1، دار صادر، بيروت، 1966 م، ص 455.
- 43) عبد الرحمن سالم: المسلمون والروم، ص 37.
- 44) ذات الاطلاح: وراء وادي القرى في الشمال الغربي للمدينة باتجاه الشام، وهي من مناطق قضاعه، ويظهر أنهم كانوا يقطعون الطريق على المسافرين منها، إبراهيم حركات: السياسية والمجتمع في العصر النبوي، دار الآفاق، المغرب، 1990 م، ص 151.
- 45) الواقدي: المغازي، ج 2، ص 753.
- 46) جعفر ابن أب طالب: كان أشبه الناس بالرسول عليه الصلاة والسلام خلقا، كناه الرسول أبا المساكين، ولقبة ذي الجناحين، وأنعم عليه فيما أنعم بذكاء العقل وإشراق القلب وفطنه النفس، قال فيه (لقد رأيته في الجنة له جناحان مضر جان بالدماء)، ابن سعد: الطبقات، ج 3، ص 55.
- 47) عبد الله بن رواجه: ابن ثعلبة بن امرؤ القيس، استخلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خرج إلى غزوة بدر، وهو أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، شهد بدر واحد والخندق والحديبية وخيبر، ابن سعد: الطبقات، ج 5، ص 486.
- 48) شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد عثمان الذهبي (ت 748 هـ / 1347 م): العبر في خبر من غير، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ص 9.
- 49) ابن سعد: الطبقات، ج 2، ص 128.
- 50) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 36.
- 51) المسعودي: التنبيه، ج 2، 340؛ بركلمان: تاريخ الشعوب، تر: نبيه أمين فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ص 234؛ بريك محمد بريك أبو مايلة: غزوة مؤتة والسرايا والبعوث النبوية، مكتبة الملك فهد الوطنية، المدينة المنورة، 1999 م، ص 285.
- 52) ابن هشام: السيرة النبوية، ج 2، ص 40.
- 53) معان: مدينة في طرف بادية الشام بالبلقاء الحجاز في نواحي البلقاء، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 7، ص 60.
- 54) ابن خلدون: العبر، ج 3، ص 430.
- 55) الطبري: تاريخ الرسل، ج 1، ص 73، ابن هشام: السيرة النبوية، ج 2، ص 430.
- 56) ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 191، الواقدي: المغازي، ج 2، ص 764.

- 57) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ / 1347م): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام،  
تح: عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، 1987م، ص 486.
- 58) ابن كثير: البداية والنهاية، ج 4، ص 205.
- 59) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 3، ص 42؛ ابن الأثير: الكامل، ج 1، ص 238.
- 60) عبد الرحمن سالم: المسلمون والروم، ص 120.
- 61) ذات السلاسل: بضم السين الأولى وهي بقعة وراء القرى بينها وبين المدينة عشرة أيام، وذكر ابن إسحاق بأرض  
جذام يقال لها السلسال فسمي ذات السلاسل، وهي تقع في أقصى الشمال الغربي لجزيرة العرب وهي موقع مائي  
لجذام قرب الساحل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2، ص 114.
- 62) الواقدي: المغازي، ج 2، ص 630.
- 63) عمر بن العاص: هو ابن وائل بن هشام بن سعد بن سهم، ويكنى أبا عبدالله، وحضر بدر مع المشركين، اسلم قبل  
فتح مكة بقليل، توفي سنة 43هـ، وكان قد ولي على مصر، ابن سعد: الطبقات، ج 6، ص 55.
- 64) الواقدي: المغازي، ج 2، ص 769.
- 65) محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ص 180.
- 66) تبوك: موضع بين وادي القرى والشام وهو حصن به عين ونخل، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 2،  
ص 365.
- 67) ابن عماد الحنبلي. أبو الفلاح عبد الحي (ت 1089هـ / 1678م): شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المكتبة  
التجارية، بيروت، د. ت، ص 343.
- 68) ابن هشام: السيرة النبوية، ج 3، ص 159.
- 69) إيالة: مدينة على ساحل البحر الأحمر، مما يلي الشام، وهي آخر الحجاز، وأول الشام، ياقوت الحموي، ج 1،  
ص 391.
- 70) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعلان، وتقع إلى الشام الغربي من بلده معان، ياقوت الحموي:  
معجم البلدان، ج 1، ص 16.
- 71) الجرباء: موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، وهي موقع إلى الشام الغربي من مدينة معان الأردنية بعد  
أذرح، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 72.
- 72) الواقدي: المغازي، ج 2، ص 989.
- 73) أسامة بن زيد بن شرحبيل، وكان الرسول يحبه حباً شديداً، وقال في الرسول إن أسامة بن زيد لمن أحب الناس لي،  
وإني لأرجوه أن يكون من صالحكم، وتوفي في عام 54 للهجرة، ابن سعد: الطبقات، ج 9، ص 86.



74) ابني: موضع بالشام من جهة البلقاء وهي قرية بمؤتة وهذه قرية غير موجودة في الوقت الحاضر، ياقوت الحموي:

معجم البلدان، ج 1، ص 92.

75) البخاري: صحيح البخاري، 4468، ص 758؛ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج 2، ص 224.

76) الجرف موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام، ياقوت الحموي: معجم البلدان، ج 3، ص 87.

77) ابن سعد: الطبقات، ج 2، ص 352.

78) محمود شيت خطاب: الرسول القائد، ص 182



# **Difficulties and Problems Facing English Students in Translating Culture-Specific Items from English to Arabic and their Solutions**

**Dr. Abdou Ahmed Ali Mounassar\***

## **Abstract**

Translation of CSIs in literary texts poses many problems for the translator. This study explores problems faced undergraduate students of English language when translating culture-specific items from English to Arabic. To achieve this aim, the researcher selected 38 undergraduate students randomly, level four, who were registered for the B.A program in the Department of English, Faculty of Arts, Thamar University that exists in the Republic of Yemen. The study took place during the second semester of the academic year 2016/2017. The researcher carried out a translation test that consisted of 20 relatively short sentences which the learners were required to translate from English into Arabic. The findings show that the students encounter different kinds of problems when translating culture-specific items. These problems are mostly related to: Unfamiliarity with some of these culture-specific items; Failure to achieve the equivalence in the Arabic language; Ambiguity of some cultural items; Lack of knowledge of translation techniques and translation strategies; The incompetence of students in their mother tongue, i.e. Arabic language. At the end of the study, the researcher offered numerous recommendations that may help in overcome the problems of translating culture-specific items.

## **Introduction**

Translation of CSIs has been and still is a largely debatable issue in translation studies which propose problems for translators. Essentially human beings use language as the most important means of communication, and language is influenced by people's culture and beliefs whether consciously or unconsciously. Therefore, translation involves both language and culture; yet most translation definitions do not directly involve cultural expressions as Catford (1965), Peter Newmark (1981), but Nida (1964:13), in his attempt to

---

\* Assistant Professor of Translation, English Department, Faculty of Arts, Thamar University.

define translation and the role of a translator, took into consideration the cultural elements by asserting that "the role of a translator is to facilitate the transfer of the message, meaning, and cultural elements from one language into another and create an equivalent response to the receivers". He also suggested that the message from the source language is embedded by a cultural context. He believes that the translation of cultural items from the source language (SL) into the target language (TL) should have the same effect on the (TL) readers as it does on the (SL) readers.

The problem with translation culture-specific items are perhaps related to the cultural gaps between (SL) and (TL). Knowledge of the target culture is essential for successful English-Arabic translation. Poor comprehension may arise from lack of insight into the target culture. There is a mismatch in cultural norms and beliefs between the Arab and Western culture. Each different language has its own individuality, which makes it distinctive and peculiar to the people who speak it. The common point is that cultural specific items may constitute translation problems. Students in this case, are required to adopt certain translation strategies to solve these problems.

### **The Importance of the Study**

This study would shed some light on the nature of some problems students might encounter in translating culture-specific items from English to Arabic and would offer some awareness about what might go wrong in dealing with them.

### **The Objectives and Questions of the Study**

This study aims at investigating the problems that undergraduate students majoring at English Department, Faculty of Arts, Thamar University face in translating culture-specific items from English into Arabic. It also attempts to clarify the elements that cause these difficulties and gives some suggestions on how to overcome them. In order to achieve these goals, the study will answer the following questions;

- What are the difficulties faced by the fourth-year students who study English language at English Department, Faculty of Arts, Thamar University in Yemen when translating cultural specific items from English into Arabic?
- What types of strategies are chosen by fourth-year students when confronted any culture-specific items?

### **Definition of Terms**

#### **Translation:**

Ghazala(2008:1) used the term translation to refer to " all processes and methods used to render and/or transfer the meaning of the source language into the target language as closely, completely and accurately as possible."

### **Culture:**

The term culture refers to a set of beliefs that control a particular country or group behavior. It is defined by Taylor (1871) as a "... complex whole which includes knowledge, belief, art, morals, law, custom, and any other capabilities and habits acquired by man as a member of a group". Newmark(1988: 94) defined culture as: "The way of life and its manifestation that are peculiar to a community that uses a particular language as its means and expression."

### **Translation Difficulties:**

Translation difficulties are difficulties that individual translator could have when dealing with the translation process.

### **Translation Problems:**

Translation problems are linguistic phenomena known to be problematic in translation. Ghazala (2008:17) argued that a translation problem is " any difficulty which makes us stop translating to think about it."

### **Translation Strategies:**

The term 'strategy' refers to a method or a procedure used by a translator to solve a particular problem while translating.

### **Culture-Specific Items:**

CSIs are items in the source text that are problematic for the translator, either because they do not exist in the target language or because they have different functions or connotations for TL readers.(Aixelá, 2007)

### **Review of Related Literature**

Mohammad Salehi (2013) conducted study that explored to what extent the strategies of translating culture-specific items applied by native and non-native translators differ from each other in terms of frequency and secondly to determine the most frequent translation strategies applied by native translator compared to non-native translator in translating culture-specific items. The result affirmed the native Persian-speaking translator and the non-native Persian-speaking translator, have applied absolute universalization as their frequently used strategy facing with culture-specific items(CSIs).

Moreover, Kourosh Akef and Tahmineh Vakili (2010) study aimed to compare the strategies used by two Iranian translators in rendering the culture-specific items (CSIs) of *Savushun* English. The findings showed that in the translation of the culture-specific items (CSIs) of *Savushun*, Ghanoonparvar had a greater tendency towards conveying the sense of cultural terms outside the text by giving extra-textual explanations for 120 items (together with the proper names used in *Savushun*), whereas Zand has explained 35 items (together with proper names), extra-textually.

Furthermore, this study showed that neither of the translators has adhered to a single strategy in the process of translating Farsi (CSIs) of a certain subcategory into English. Therefore, they have both subscribed to the practice of employing a variety of strategies in translating (CSIs).

Erika Mussche and Klaas Willems (2010) investigated the transfer of proper names and references to food in the Arabic translation of the first three *Harry Potter* volumes. In this study it was found that culture-specific references to food may be translated by general hyperonyms or transferred by culture-specific analogues. However, one of the most pervasive procedures across all items that we have investigated is clearly omission.

Mohammad Noruzi (2012) attempted to investigate the issue of culture-specific-items in journalistic texts three major domestic news agencies were chosen and the news items in Persian and English were compared and contrasted. The translations were not evaluated and the broadcast versions considered to be correct. The comparison revealed that most of the cultural items in Persian texts have Islamic and Arabic roots and some others have their roots in ethnic groups living in Iran.

The previous studies focused on the different types of translation problems. The present study dealt with some cultural problems that undergraduate students face in translating from English to Arabic. Here the researcher used (20) sentences carried different cultural terms according to the level of fourth year students, to show the difficulties that face university students during translation processes.

### **Arabic and English: Cultural Overview:**

The use of linguistic elements by the member of society affect by culture and the understanding of these cultural elements between two languages communities also affect by cultural variables. In this case, language is an essential part of cultural because the meaning of such vocabulary gets its meaning from its cultural. Arabic and English are associated with specific cultural and social customs, but in different forms. According to Sapir (1949), "environment and culture have a considerable influence on the language of speakers as is clearly seen in their vocabulary".

One of the important reasons behind the difficulties between Arabic and English in translation is the cultural differences. The role of translator is to fill the gap between the two different cultures by finding the close cultural equivalent which meet the TL Arabic readers' expectations.

### **Translation Procedures for Culture-Specific Items (SCIs)**

Baker M. (1992:21) stated that" the source-language word may express a concept which is totally unknown in the target culture. The concept in question may be abstract or concrete; it may relate to a religious belief, a

social custom, or even a type of food. Such concepts are often referred to as 'culture-specific'."

The translation of culture-specific items carry many problems for both translators and students. They need to follow certain strategies and procedures in their translation. Vinay and Darbelnet, in their cultural theory of translation, mentioned seven procedures for rendering a word from SL to TL. They carried out a comparative stylistic analysis of French and English. They looked at texts in both languages, noting differences between the languages and identifying the following translation strategies as cited in Munday J. (2001:56-59)

### 1-Borrowing:

According to Jean-Paul Vinay and Jean Darbelnet borrowing is the simplest of all translation methods. By using the process of borrowing the translator introduce the flavour of the source language (SL) cultural, i.e. add the local colour. Here the word or expression is taken from the source language (SL) and used in the target language(TL), but in a naturalization form, that means to follow the grammar and pronunciation of the (TL). For example, French words such as "chic", "rendezvous" were borrowing and widely used in English, also the Russian *rouble*, *datcha*etc. are used in English and other languages to fill a semantics gap in the target language.

### 2-Calque:

It is a special kind of borrowing where the source language word or structure is translated into a target language literally. The translator imitates in his translation the structure or manner of expression of the source language. For example:

*English-French calque :*

Compliments of the season!

Compliments de la saison!

Science-fiction

Science- fiction

Week-end

Week- end

### 3-Literal Translation:

It is word-for-word translation, According to Veinay and Darbelnet, this method is common between languages of the same family and culture. For example, 'I left my spectacles on the table downstairs' which becomes (وضعت نظارتي على الطاولة في الطابق الأسفل)

### 4-Transposition:

Transposition concerns the changes of grammatical categories in translation. It involves a change a verb to noun, noun to verb, and noun group to noun and so on, without changing the meaning. This strategy can also be found within a language, 'I give him a kiss' is semantically no difference from 'I kiss him' though the word 'kiss' is changed from a noun into a verb.

Another example, "a red car" (سيارة حمراء), the position of adjective changes from English into Arabic. This change in position depends on the target language structure.

### 5-Modulation:

According to Vinay and Darblenet, as cited in Munday (2001: 57), it refers to "a variation of the form of the message, obtained by a change in the point of view". This change of point of view allows us to express the phenomena in a different way. The change can be from negative into positive or vice versa. E.g. "It is difficult" translate to French as "Cen'est pas facile" and to Arabic (ليس من السهل)

### 6-Equivalence:

This implies searching the target language for the most appropriate and equivalent expression corresponding to the one in the source language. It is the technique most frequently applied in the translation of proverbs, idiomatic expressions and figures of speech. The translator has no choice than find a similar situation in the target language. For example, "Like father like son" ((الولد سر أبيه/الولد طالع لبيه عامية))

### 7-Adaptaion:

Adaptation means the modification of the idea in the source language and find an acceptable one in the target language. Adaptation can be used where the translator does not find an appropriate equivalence. He works on changing the content and the form of source language in a way that conforms to the rules of the language and culture in the target language. For example, the English metaphor". He is a ship without compass" has no cultural equivalent in Arabic but the saying could be translated as (انه يعيش في عالم من الضياع لا موجه له فيه)

In Mona Baker's theory(1998:26-63), seven different procedures could be seen for translation of culture-bound elements which are summarized as follow:

- 1- A more general word (subordinate)
- 2- A more neutral/less expressive word
- 3- Cultural substitution
- 4- Using a loan word or a loan word plus explanation
- 5- Paraphrase using unrelated words
- 6- Omission
- 7- Illustration

Aixelá (2007:61-78 ) summarized 11 translating strategies of culture-specific items: (1) Repetition: reproducing the original text; (2) Orthographic Adaptation: transformation or transliteration; (3) Linguistic (non-cultural) Translation: preserving referential meaning in the source language text as far



as possible; (4) Extra textual Gloss: based on the first three methods to add interpretation such as using footnotes, endnotes, text comment method, etc; (5) Intratextual Gloss: the interpretation placed in the body; (6) Synonymy: the use of different ways to translate the same culture-specific items in order to avoid duplication; (7) Limited universalization: selecting another source culture-specific item which the readers are more familiar with; (8) Absolute universalization: using non-culture-specific items to translate culture-specific items; (9) Naturalization: selecting culture-specific items in the target language to translate the ones in the source language; (10) Deletion: omitting the culture-specific items in the target language; (11) Autonomous Creation: introduction of culture-specific items which the source language does not have.

### **Theoretical Framework:**

One important thing is that translation process starts from the understanding of the source text and then producing the close natural equivalent in target language. Robnenson (2003: 16) stated that "profession translators need to slow down to examine a problematic word, or phrase, or syntactic structure, or a cultural assumption painstaking with a full analytical awareness and its possible solution"

By the way, the various problems of cultural-specific items direct the researcher's attention to the work of students and the translation processes they follow to produce a good translation in the target language

Scholars as Newmark (1988:95) has tried to classify culture-specific items into different categories which make them easily recognizable in any text.

1-Ecolog: a geographical features which includes: Flora (all the plants grow in a particular place or country). Fauna (all animals living in particular area or period in history) plains, hills, winds.

2 -Material culture: include food and drinks: like milk-porridge, apple sauce, whisky, brandy. Clothes: as red coat .Houses and towns. Measuring system: units used in the determination of the size, weight, speed, length, etc.

3- Social culture: work and leisure like: barbecue

4- Organization, customs, activities, procedures, concepts: political, artistic, and religious.

5- Gestures and habits. For example, "shake the head to assent." or "give a thumbs- up to signal ok."

### **Method of the Study:**

#### **a- Sample of the Study**

The study involved a sample of 38 undergraduate students majoring in English Department, Faculty of Arts, Thamar University in the second semester of the academic year 2016/2017. It dealt with some culture specific



items that undergraduate students of English face in translation from English into Arabic and their solutions.

### b- Instrument of the Study

In this study, a translation test was designed by the researcher to find the various strategies that were employed by the students in translating cultural-specific items. The test consisted of 20 relatively short sentences of cultural items.

### c- Data Analysis

The analysis of some culture-specific items are discussed through the following procedures; cultural equivalent, naturalization, (general) sense , classifier, and literal translation (of the meaning).

#### Cultural Equivalent

It is an easy procedure which is popular and available for many speaker of Arabic language. In the first sentence "**England is the mother of Parliament.**" The word "Parliament" is belong to the material cultural category. The cultural equivalent in Arabic is مجلس الشعب/ مجلس الأمة/ المجلس الوطني

which is perfectly identical to that of the (SL)

expression. One student gave the correct translation by using the exact equivalent of the word "Parliament" to (مجلس الشعب)

Thirty three students gave acceptable translation by using the technique of transcription and naturalization, they translated it into (البرلمان)

On the other hand, four students gave incorrect translation by using meaningless translation into (الدولة الحاكمة/ ام المحادثات/ ام السينمات)

In the second sentence "**During this autumn the British Council has sent eight scholars to study Master in UK to study Master in UK.**" "The British Council" (المركز الثقافي البريطاني) has the same context and function in English and Arabic.

Twenty students gave acceptable translation. They translated it into (المجلس البريطاني)

Eighteen students mistranslated it, using incorrect words. They translated it into (القنصلية البريطانية/ السفارة البريطانية/ البعثة البريطانية/ الجمعية البريطانية )

The third sentence which is a proverb "**As beautiful as a lark**" has an Arabic equivalent (أجمل من البدر/ أحلى من القمر ليلة البدر). Twelve students translated it into (أجمل من القمر) which is a correct translation. Twenty six students translated it incorrectly into (يا لجمال الطير/ جمال يخطف الطير/ جمال كالطير).

Proverbs cannot be translated literary. They should be rendered with care to carry the same cultural conventions in the original proverb. The cultural

item" a lark" was replaced the word (البدر/القمر), students used the technique of cultural substitution.

The fourth sentence is "**It is raining cats and dogs**". It has an equivalent in Arabic (إنها تمطر بغزرة/ إنها تمطر كأفواه القرب). It is common to students so they did not find much difficulty in translating it. Thirty four students gave a correct translation, they translated it to (إنها تمطر بغزارة) Four students give incorrect translation they translated it to (هناك الكثير من الكلاب والقطة/تهاجم الكلاب القطة/ الجو مشحون بالمشاكل/ الجو سيء ومملوء بالمشاكل)

Table (1) students' performance in translating CSIs concerning cultural equivalent

NO	sentence	Correct		Acceptable		Incorrect	
		No	Percentage	No	Percentage	No	Percentage
1	England is the mother of <u>Parliaments</u>	1	2.5%	33	86.8%	4	% 10.5
2	During this Autumn the <u>British Council...</u>	0	0	20	52.6%	18	47.3%
3	<u>As beautiful as a lark</u>	12	31.5%	0	0	26	68.4%
4	<u>It is raining cats and dogs</u>	34	89.4%	0	0	4	10.5%
Total		47	31%	53	35%	52	34%

The percentage of correct translation reached to 31% while the percentage of acceptable translation reached to 35%. On the other hand, the percentage of incorrect translation reached to 34%.

The cultural equivalent is the easiest, popular for handling culture items, here students failed to give the exact equivalent specially for the items in the first and the second sentence. The reason was the inability to find in Arabic an equivalent for the same cultural item. Students were varied in understanding the proverbs as in the third and fourth sentence. Vinay and Darbelnet, as cited in Munday J.(2001:59) believed that the target language equivalent should "replicate the same situation as in the original, whilst using completely different wording"

#### Naturalization:

Newmark(1988:82)stated that "this procedure succeeds transference and adapts the SL. word first to the normal pronunciation, then to the normal morphology(word-forms) of the TL". Here the change will be on spelling of one or more of its letters into target language, as "performancz" in German and "performance" in English.

In the first sentence "**French and England are the official language of the Olympics**" Seven students translated the word "Olympics" to (الألعاب الأولمبية) which is correct translation. Eleven students translated it to

which is acceptable translation because it is widely used all over the world.

Twenty students gave incorrect translation by using such words like (الاولمبيات/الأولمبيدات/الألموبيو) which are unnaturalness of sound in Arabic.

The second sentence is "**Democracy is a means for the people to choose their leaders.**" "Democracy" is naturalizes and transcribes in Arabic into (الديمقراطية)."

This word did not cause much problems for students, because it is popular and widely used by Arabic speakers. Thirty eight students translated it into (ديمقراطية) which is a correct translation.

The third sentence is "**Guava is the queen of fruits.**" "Guava" is a new fruit came to environment from Western. The word "guava" is naturalizes and transcribes into Arabic(الجوافة)

It does not caused much problems for the students because they are familiar with this fruit. Thirty eight students translated it into(الجوافة) which is correct translation.

The fourth sentence "**Hercules was the greatest of the mythological Greek heroes.**" English and Arabic share certain names in religion, and history. Therefore, the English names was naturalized into Arabic. "Hercules" was a famous leader and mythological heroes known in both cultural. The name translated to (هرقل). Thirty one of the students translated to (هرقل), which is a correct translation. Seven students gave incorrect translation, they translated it to unnatural names like: (هيروكليس / هيروكليوس / هيروكلاس)

Table (2) students' performance in translating CSIs concerning naturalization

NO	Sentence	Correct		Acceptable		Incorrect	
		No	Percentage	No	Percentage	No	Percentage
1	French and England are the official language of the Olympics	7	18.4%	11	29%	20	52.6%
2	Democracy is a means for the people to choose their leaders	38	100%	0	0	0	0
3	Guava is the queen of fruits	38	100%	0	0	0	0
4	Hercules was the greatest of the mythological Greek heroes	31	81.5%	0	0	7	18.4%
Total		114	75%	11	7.3%	27	17.7%

According to the table, students did not seem to have a particular difficulty in translating culture-specific items as "Democracy", "Guava", and "Hercules" which 100%, 100%, and 81.5% of the students managed to give correct

translation respectively. In the first sentence, only 18.4% of students gave correct translation for the cultural item "Olympics", while the rate of acceptable and incorrect translation reached to 29% and 52.6% respectively. Most of the students were unable to give the correct naturalization word in Arabic for "Olympics" which reflect the absence of mastery of the target language in naturalize some culture- specific items.

### General Sense

In this procedure the translator ignores the cultural item, because there is no cultural equivalent in the target language. In the first sentence " **The President has lost the support of Congress**" Here, the word "congress" can be transcript and naturalize in Arabic to الكونجرس (الأمريكي) and it is well-known now for Arabic speakers.

Twenty three students gave a correct transcription by translating it into (الكونجرس)

Fifteen students gave incorrect translation as they used wrong word like (الاجتماع/ الجماهير/ الأعضاء) which were far away from the meaning of the word "Congress"

The same thing applied to the second example "**The Privy Council is a group of important people in Britain who advice the king or queen on political affairs.**" Five students translated ("The Privy Council"

(مجلس الملكة الخاص/المجلس الملكي الخاص). They translated it into its sense in Arabic because there were no equivalent in Arabic.

Twenty eight students gave acceptable translation by translated it to ( المجلس السري/ المجلس الاستشاري/ المجلس الخاص)

which sound like the (SL) item.

Five students gave incorrect translation by using a random answers to (خصوصية المجلس/ مجلس الشورى/ الخصوصية القنصلية) which tell us that they did not know the meaning of this cultural item. The problem in translating this cultural item lies in the inability of students to find the close cultural item in target language.

In the third sentence "**Bullfight is popular in Spain, in which a person fights and kills a bull**", the word "Bullfight" was linked directly to Spain and Spanish culture. It cannot be acceptable by Arabic readers who mainly view it as act of harshness, not sport. The Arabic version for this cultural items was (مصارعة الثيران). Thirty five students translated it correctly to (مصارعة الثيران/قتال الثيران) Three students gave incorrect translation by using such words like (بول فايت/ المصارعة/ لعبة)

The fourth sentence was " **A paddy field is a field in which rice is grown in water.** Eight students translated the item "A paddy field" to (حقل الأرز)

which is correct translation. On the other hand, thirty students translated it incorrectly to (الحقل السعيد/ حقل بادي/الحقل الواسع) these translations did not reflect the meaning of the cultural item.

Table (3) students' performance in translating CSIs concerning general sense

NO	Sentence	Correct		Acceptable		Incorrect	
		No	Percentage	No	Percentage	No	Percentage
1	The President has lost the support of <u>Congress</u> .	23	60.5%	0	0	15	39.5%
2	<u>The Privy Council</u> is a group of important people in Britain who advice the king or queen on political affairs.	5	13.2%	28	73.6%	5	13.2%
3	<u>Bullfight</u> is popular in Spain, in which a person fights and kills a bull.	35	92.1%	0	0	3	7.9%
4	" <u>A paddy field</u> is a field in which rice is grown in water.	8	21.1%	0	0	30	79 %
Total		71	47%	28	18%	53	35%

The percentage of correct translation reached 47% while the percentage of acceptable and incorrect translation reached 18% and 35% respectively. The table shows the problem faced students is in translating of the cultural item in the four sentence "A paddy field". Students unable to find an equivalent in Arabic and they are not familiar enough with this cultural item.

#### Classifier :

It is a kind of couplet translation which involves using a combination of two translation processes as a means of solving a cultural problems. Classified explain the unknown cultural expression in simple items.

In the first sentence "**Baseball is a bat-and-ball game played between two teams of nine players**". The word "baseball" transcribed into Arabic with modifying words to explain the meaning of this game. Here, it translated into (لعبة/كرة/ رياضة البيسبول)

Sixteen students gave a correct translation, they translated it into (لعبة البيسبول/كرة البيسبول/ كرة السلة/رياضة البيسبول).Here they used translation triplet

( transcription + naturalization + classifier). Twenty students gave acceptable translation by using the process of transcription and naturalization, they translated it into (البيسبول)

Two students did not give any answer for this item, which treated incorrect translation.

In the second sentence "**Steppes are an area in central Asia.**" Two students translated it into (سهل ستبس) which is a correct translation. Eighteen students translated it into (ستبس), it is acceptable because the item is popular for Arabic speaker and it is a famous place in Russia. Eighteen students gave incorrect translation, they used such words like (البوادي/ الصحراء العربية/ الباديات)

In the third sentence "**Rock is a type of popular music that originated in the Unite State in the 1950s.**" Ten students translated it into (موسيقى الروك) which is a correct translation, they used translation triplet (transcription + naturalization + classifier).

Twenty four students gave acceptable translation by using the process of transcription and naturalization, they translated it into (الروك) and it is a popular music in these days.

Four students gave incorrect translation, they translated it into (الصخرة)

In the fourth sentence "**Sake is a Japanese alcoholic drink made from rice.**" Seven students gave a correct translation. They translated it into (شراب الساكي/ مشروب الكحول)

They used translation triple (translation or transcription + classified + naturalization). Two students gave acceptable translation by using the word of (الخمير)

where this item is a kind of alcohol.

Twenty nine students gave incorrect translation by using such words like (شراب الامل/ جوز الهند/ السيك/ السك/ الساكي)

Table (4) students' performance in translating CSIs concerning classifier

NO	sentence	Correct		Acceptable		incorrect	
		No	Percentage	No	Percentage	No	Percentage
1	<u>Baseball</u> is a bat-and-ball game played between two teams of nine players.	16	42 %	20	53%	2	5%
2	<u>Steppes</u> are an area in central Asia.	2	5.2%	18	47.4%	18	47.4%
3	<u>Rock</u> is a type of <u>popular music</u> that originated in the <u>United States</u> in the 1950s.	10	26 %	24	63%	4	11%
4	<u>Sake</u> is a Japanese alcoholic drink made from rice.	7	18.4%	2	5.2%	29	76.3%
<b>Total</b>		35	22.9%	64	42.1%	53	35%

The result showed that the percentages of correct, acceptable and incorrect translation reached to 22.9%, 42.1% and 35% respectively. The table shows that students were failed in translating some cultural items as " sake" where

the percentage of incorrect translation reached to 76.3%. The reason is that they were not familiar with this item and it is forbidden in Islamic religion.

### **Literal translation of meaning:**

Sometimes the use of literal translation of meaning is unwillingly applied to translate culture-specific items, because the problem is the difficulty of being understood by the foreign readers.

This kind of translation can be called close or direct translation."It can be described as the best method of literal translation because it translate the real meaning of an expression in its linguistic context , regardless of whether it is direct or indirect, common or uncommon, non-metaphorical or metaphorical use."Ghazala (2008:11)

In the first sentence "**The harvest supper was very popular in late Victorian times.**"

It refers to special meal during the harvest time in the England which has no Arabic equivalent.

Seven students gave a correct translation for the cultural item " The harvest supper they translated it into"عشاء الحصاد",they used literal translation of the meaning."

Thirty one students gave incorrect translation by using different words like "الإنتاج/ المحصول الزائد/ الحصاد الأعظم/ حضارة هارفست /المحاصيل الزراعية الحصاد الموسمي/الحصاد/حصاد العشاء / العشاء المفضل"

They did not reflect the real meaning of the cultural equivalent situation.

In the second sentence "**To put cart before the horse**". Thirteen students translated the proverb into "يضع العربية أمام الحصان" which is correct translation. Twelve students gave acceptable translation by using such expression like "يضع الشخص المناسب في المكان المناسب / يضع الأمور في مكانها المناسب/"

It is a metaphorical translation which convey the real meaning of the proverb. Thirteen students translated it incorrectly into "اشترى الحصان قبل العربية/ الجار قبل الدار/ لا تعجل/ وضع طعام الحصان"

In the third sentence "**German measles is an illness caused by a virus.**" "German measles" is not difficult to understand by Arabic speakers because it is a worldwide disease known to people everywhere. Twenty Three students translated the item to "الحصبة الألمانية", which is a correct translation. Six students gave an acceptable translation by using the word "الحصبة" Nine students gave incorrect translation as الحصبة البريطانية/الميزلز "الحصبة الألمانية" which were far away from being correct."

In the fourth sentence "**The White House is the official residence of the President of the United States**" The cultural item " The White House " is the easiest one among this group because of its popularity and famous place



in U.S. Thirty seven students translated it correctly into (البيت الأبيض) where they used literal translation of the meaning of individual word. One student gave incorrect translation, he translated it into "الحصان الأبيض" Maybe he misunderstood or confused between "house and horse.

Table (5) students' performance in translating CSIs concerning literal translation of meaning

NO	Sentence	Correct		Acceptable		incorrect	
		No	Percentage	No	Percentage	No	Percentage
1	<u>The harvest supper</u> was very popular in late Victorian times.	7	18.4%	0	0	31	81.6%
2	<u>To put cart before the horse.</u>	13	34.2%	12	31.5%	13	34.2%
3	<u>German measles</u> is an illness caused by a virus.	23	60.5%	6	15.7%	9	23.6%
4	<u>The White House</u> is the official residence of the President of the United States.	37	97.3	0	0	1	2.6%
<b>Total</b>		80	52.6%	18	11.8%	54	35.5%

The table above revealed that the highest score of correct translation was recorded for the four cultural item "The White House" with 97.3% . On the other hand the highest score of incorrect translation was recorded for the first cultural item, "The harvest supper", with percentage of 81.6%. The total percentages of correct and acceptable translation reached to 64.4% while the percentage of incorrect translation reached to 35.5%. This indicate that most of the students apply the literal translation of the meaning in translating these cultural items into Arabic.

### Conclusion :

The study aimed at investigating the difficulties faced by the students of English language, at English Department, Faculty of Arts, Thamar University, Yemen. Selecting (38) participants, both male and female randomly. It was observed that the participants faced various difficulties in process of translation culture-specific items from English into Arabic. It also observed that some difficulties were related to students' unfamiliarity with cultural expression, failure to get the absolute equivalence in target language and lack of knowledge of translation techniques and translation strategies. Majority of students find it hard to get the equivalent of the culture-specific items that were used in the test. The findings also showed that the students were extremely affected by their cultural, and this realized in their translation. The difference between both cultures, English and Arabic, was the important factor in making translation task hard for translators in general and students in particular. Furthermore, the difficulty showed that the reasons behind that were the absence of cultural consciousness among the students which led to



inappropriate and incorrect translation, and the incompetence of students' mother tongue.

### Recommendation

The researcher believes that following recommendation may help in overcoming the difficulties faced by the students in translating culture-specific items;

- 1-Teaching and introducing all translation difficulties and problems in details .
- 2-Paying the attention to the cultural difficulties countered by students in the process of translation.
- 3-Teaching the students the principles of translation from English to Arabic.
- 4-Teaching English language in comparison with Arabic language for the students of English at university level.
- 5- Giving more attention to English style and Arabic style.
- 6- Encouraging the students to consult with other people.
- 7-Helping students to use effective strategies to solve translation problems that they may face while translating in all fields; grammatical, lexical, cultural. Stylistic and phonological problem

### References:

- Aixelá, Javier Franco. (2007) *Culture-Specific Items in Translation . Translation, Power, Subversion*. Román Avarez and M. Carmen -Africa Vidal eds. Beijing: Foreign Language Teaching and Research Press.
- Baker, M.(1992) *In Other Words: A course book on Translation*. London: Routledge.
- Bassnett, S. (1994) *Translation Studies*, Routledge , London and New York .
- Bayar, Monia, (2007) *To Mean or Not to Mean*, Kadmous cultural foundation. Khatawat for publishing and distribution. Damascus, Syria.
- Bell, R.T. (1991) *Translation and Translating: Theory and Practice*. London: Longman.
- Catford, J.C. (1965) *A Linguistic Theory of Translation*. London: Longman.
- Crystal, David(1955) *Cambridge Encyclopedia of the English Language*. Cambridge University Press.
- Eugene A. Nida, (1964). *Toward a Science of Translating*. Leiden: Brill.
- Ghazala, Hasan(2008) *Translation as Problems and Solutions*, (special edition), Dar El-Ilm Lilmalayin.
- Hatim, B. and I, Mason(1995) *Discourse and the Translation*. London and New York.
- Munday, Jeremy (2001) *Introducing Translation Studies*, Theories and applications. London and New York: Routledge.
- Newmark, Peter (1981) *Approaches to Translation*. Oxford and New York: Pergamon.
- \_\_\_\_\_ (1988) *A Textbook of Translation*. New York: Prentice Hall.
- Nida, E. (1964) *Towards a Science of Translating*. Leiden: Brill.
- Nida, E. and C.R.Taber (1969 ) *The Theory and Practice of Translation*.Leiden: E. J. Brill.

- Robenson, Douglas(2003) *Performative linguistics: speaking and translating as doing things with words*. London: Routledge,
- Sapir, E. (1949), *Language and Environment*. In Selected writings of Edward Sapir in language, culture and personality. University of California Press. USA.
- Tylor, Edward. 1920 [1871]. *Primitive Culture*. New York: J. P. Putnam's Sons. Volume1, *Online*  
([http://en.wikipedia.org/wiki/Edward\\_Burnett\\_Tylor#cite\\_note-8](http://en.wikipedia.org/wiki/Edward_Burnett_Tylor#cite_note-8))
- Venuti L.( 1994) *The Translator's Invisibility*. London: Routledge.
- Vinay, J. P., & Darbelnet, P.(1995) *Comparative stylistics of French and English: methodology for translation*. As cited in Munday, Jeremy (2001) *Introducing Translation Studies, Theories and applications*. London and New York: Routledge.



# Les difficultés lexicales des étudiants yéménites en français

Contribution à l'analyse de leurs erreurs dans la production écrite

Dr. Aziz Ali Al-Agra<sup>1</sup>

**Résumé :** Les recherches sur les erreurs lexicales commises par des étudiants du FLE au Yémen restent, à notre connaissance, très rares par rapport à celles d'autres domaines de la linguistique réalisées dans ce pays. Le présent travail a pour objectif l'identification d'un type d'erreur lexicale commise régulièrement par nos étudiants de quatrième année de licence à l'université de Dhamar. Le choix d'un public de ce niveau d'enseignement est justifié par notre volonté de montrer à quel point l'erreur du choix erroné de lexique est effectivement difficile à éradiquer.

Nous avons adopté une démarche descriptive et interprétative en analysant quelques exemples, comme modèles, d'erreurs révélées dans les écrits des apprenants en français.

**Mots clés :** erreur lexicale, sémantique, lexique, contexte, production écrite, dictionnaire, bilingue, monolingue.

**ملخص :** لا تزال الأبحاث حول أخطاء المفردات اللغوية الذي يرتكبها متعلمو اللغة الفرنسية كونها لغة أجنبية في اليمن نادرة جدا حسب معرفتنا وذلك مقارنة بالأبحاث في المجالات اللغوية الأخرى.

تهدف هذه الدراسة إلى بحث أخطاء طلبة اللغة الفرنسية المستوى الرابع بجامعة ذمار و أثرها السلبي على النصوص المكتوبة. إن الهدف من اختيارنا لهذه العينة من الطلاب بهذا المستوى الدراسي هو إظهار المدى الذي يشكل الاختيار الخاطيء للمفردات عشرة كبيرة لدى هؤلاء الطلبة. لقد استخدمت في هذا البحث دراسة منهجية مبنية على الوصف التحليلي. وقد تمثلت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة في ارتكاب الطلاب لأخطاء في المفردات اللغوية بسبب العديد من العوامل منها تأثير اللغة الأم، وقلة المفردات الفرنسية، واستخدام القواميس ثنائية اللغة.

## Introduction

Dans le but d'aider à l'amélioration de l'enseignement et/ou de l'apprentissage du français dans notre pays (le Yémen), nous avons choisi d'étudier, dans notre thèse de doctorat, les dysfonctionnements

<sup>1</sup> Professeur assistant de sciences du langage, chef du département de français, faculté de lettres, université de Dhamar, Yémen. [alagra2007@yahoo.fr](mailto:alagra2007@yahoo.fr)

morphosyntaxiques en français chez un groupe d'enseignants et d'étudiants yéménites. L'objet de la thèse était de mettre en évidence les zones du français qui sont sources de difficultés pour les étudiants tant sur le plan de la morphologie que sur celui de la syntaxe, de les classer et de les décrire. L'étude des erreurs s'est appuyée sur deux corpus de travaux écrits effectués, l'un par trente étudiants de quatrième année de licence du département de français de l'université de Dhamar<sup>2</sup>, l'autre par quinze enseignants de lycée diplômés du même département. Notre objectif de départ était de travailler sur tous les types d'erreurs les plus récurrentes dans les écrits de nos informateurs mais au cours de la correction de leurs travaux, nous avons découvert des centaines de types d'erreurs fréquentes surtout au niveau morphologique, syntaxique et lexicale. Cela nous a amené à limiter notre sujet d'étude à classer et analyser seulement les erreurs morphosyntaxiques<sup>3</sup>. Pour les erreurs de types lexicales nous avons décidé de leur consacrer des études particulières ultérieurement. Ainsi, comme nous sommes convaincus que les problèmes linguistiques doivent être résolus chez nos apprenants arabophones yéménites dans leur production écrite en français, nous avons décidé de poursuivre notre recherche dans ce domaine. De plus, l'importance de continuer la recherche dans ce même domaine vise à initier une réflexion, au sein des départements de français des universités yéménites, sur les stratégies et les objectifs de l'enseignement du français en tant que langue étrangère, dans un milieu plurilingue non francophone. Dans le but d'offrir des ressources didactiques en matière d'étude de la langue aux enseignants, en tentant de mettre en évidence des priorités, nous avons choisi comme objet de cette étude les difficultés lexicales des étudiants yéménites dans leur production écrite en français.

### Problématique

La langue française est aujourd'hui la deuxième langue étrangère enseignée dans notre pays le Yémen, depuis plus de 25 ans, d'abord dans les universités et depuis 17 ans dans les écoles secondaires. Notre université de Dhamar est l'une des universités qui enseignent le français depuis plus de 20 ans. Selon le programme d'enseignement suivi dans notre département, l'année universitaire dure huit mois ; elle est divisée en deux semestres. Durant ces deux semestres, nos étudiants suivent des cours en français dans six matières différentes chaque année. Chacune de ces six matières comprend deux cours d'une heure et demie, c-à-d trois heures par semaine, soit 48 heures par semestre. Cependant en expression écrite, le volume horaire est double en deuxième année, soit six heures d'enseignement par semaine, 96

<sup>2</sup>Dhamar est une ville yéménite située à 100 km, au sud de Sana'a (capitale politique du Yémen).

<sup>3</sup>La limite du sujet résulte de plusieurs raisons ; la récurrence et la fréquence des erreurs dans les écrits de notre public qui se composait lui aussi de deux catégories différentes ; étudiants et enseignants. Le corpus était assez large.

heures par semestre. Etant enseignant au département de français à Dhamar depuis 16 ans, nous avons remarqué que les étudiants font des erreurs lexicales dans leur production écrite d'une façon récurrente et ce malgré les efforts de leurs enseignants et la correction permanente de ces erreurs.

Etant donné qu'il est très important de maîtriser les règles d'une langue pour pouvoir communiquer, il est aussi primordial d'avoir une bonne connaissance de son lexique. Ainsi, comme la compétence lexicale joue un rôle essentiel dans la production des apprenants en langue étrangère, nous avons décidé d'étudier et d'analyser les erreurs lexicales les plus récurrentes de nos étudiants yéménites dans leurs productions écrites surtout celles concernant l'emploi d'une unité lexicale (une lexie) ; un nom, un verbe ou un adjectif portant un sens incompatible avec le contexte.

### **L'objectif et l'importance de l'étude**

La question de l'erreur lexicale dans le domaine d'apprentissage du français langue étrangère dans un pays non-francophone comme le nôtre est, à notre connaissance, très peu abordé. Malgré le fait que de tels problèmes existent dans les rédactions d'apprenants et les enseignants y sont sans cesse confrontés. De même, la plupart des enseignants s'intéressent peu à l'enseignement du lexique dans leur cours et ils travaillent essentiellement la grammaire, la lecture, l'écriture. Ainsi, tout en fournissant une analyse des erreurs lexicales de nos apprenants du FLE et de leurs causes, cette étude permettra de mieux comprendre les lacunes de nos apprenants dans leur emploi du vocabulaire et offrira certaines pistes quant à la façon dont le lexique devrait être abordé en classe.

L'objectif principal de cette étude est de trouver des réponses aux questions suivantes :

- Quelles sont les erreurs lexicales commises régulièrement par nos apprenants yéménites dans leurs productions écrites en français ?
- Quelles sont les causes de ces erreurs ?
- Est-il possible de trouver des moyens de correction à leurs erreurs ?

Avant d'analyser les erreurs de nos apprenants, il est indispensable de construire le cadre théorique. Nous abordons d'abord l'étude de quelques bases théoriques en clarifiant les concepts concernant la compétence lexicale, le lexique par rapport au vocabulaire et montrer ce qu'est une erreur lexicale ?

Puis, nous proposons une analyse de quelques exemples d'erreurs lexicales commises régulièrement par nos étudiants. Finalement, nous allons présenter les résultats de l'analyse des erreurs.

## Cadre théorique

### - Qu'est-ce que la lexicologie ?

La lexicologie, selon Polická A., (2014 : 9), « peut être définie en tant qu'étude scientifique du lexique. Elle étudie les unités lexicales, les mots et les syntagmes figés d'une langue. Elle s'intéresse à la fois au signe linguistique (rapport entre la forme et le sens des mots) et aux relations qui existent entre le lexique et la syntaxe ».

La lexicologie, un domaine de la linguistique, est « l'étude du lexique, du vocabulaire d'une langue, dans ses relations avec les autres composants de la langue, phonologique et surtout syntaxique, et avec les facteurs sociaux, culturels et psychologiques » (Dubois J. et al., 2002 : 281).

D'après ces deux définitions ci-dessus, nous constatons que la lexicologie étudie le lexique, le vocabulaire d'une langue en s'intéressant à la fois aux relations existantes entre le lexique et/ou le vocabulaire avec les autres composantes de la langue. La question qui se pose ici est la suivante ; quelle est la différence entre le lexique et le vocabulaire ?

### Le lexique vs vocabulaire

Le mot *lexique*, comme terme linguistique général, désigne l'ensemble des unités formant le vocabulaire, la langue d'une communauté, d'une activité humaine, d'un locuteur, etc. À ce titre, *lexique* entre dans divers systèmes d'opposition selon la façon dont est envisagé le concept. La statistique lexicale oppose *lexique* et *vocabulaire* ; le terme de *lexique* est alors réservé à la langue, le terme de *vocabulaire* au discours. (Dubois J. et al., 2002 : 282-283). Le lexique d'une langue, selon Polguère, A., (2002 : 64), est l'entité théorique correspondant à l'ensemble des lexies<sup>4</sup> de cette langue. Pour la notion de vocabulaire, Polguère a proposé de distinguer entre la notion du vocabulaire d'un texte qui est l'ensemble des lexies utilisées dans ce texte de celle du vocabulaire d'un individu qui est le sous-ensemble du lexique d'une langue donnée contenant les lexies de cette langue que maîtrise l'individu en question. (id.2002 : 67- 68).

Du point de vue linguistique, un vocabulaire est une liste exhaustive des occurrences figurant dans un corpus. Toutefois, l'opposition entre *lexique* et *vocabulaire* n'est pas toujours faite : dans des expressions comme vocabulaire de base, vocabulaire commun, vocabulaire général, vocabulaire du français élémentaire, rien n'indique si les mots figurant dans la liste figurent en tant qu'occurrences relevées dans un corpus, ou en tant qu'unités de la langue. (Dubois J. et al., 2002 : 507-508).

Anctil, D., (2011 : 31), lui, montre que « Pour désigner l'ensemble des mots connus par un individu, nous utiliserons plutôt le terme vocabulaire, qui nous servira aussi à désigner l'ensemble des mots contenus dans un texte. Le

<sup>4</sup> La lexie est l'unité fonctionnelle significative du discours, contrairement au lexème, unité abstraite appartenant à la langue.

vocabulaire d'une personne ou d'un texte est donc le sous-ensemble du lexique que connaît cette personne ou que contient ce texte. On pourra donc dire qu'une personne possède un vocabulaire riche, mais pas que son lexique est étendu».

D'après ces quatre définitions ci-dessus exprimant la différence entre le lexique et le vocabulaire, nous pouvons dire que le lexique est l'ensemble des lexies d'une langue donnée tandis que le vocabulaire est le sous-ensemble de son lexique contenant les lexies que maîtrise un individu dans cette langue. Le lexique est donc réservé à la langue et le vocabulaire au discours.

### **La compétence lexicale**

La compétence lexicale est une des composantes importantes de la compétence linguistique qui est, à son tour, considérée comme une des composantes essentielles de la compétence de communication. Selon Holec H.(1994 : 91) la compétence lexicale que l'apprenant doit acquérir, est la capacité de comprendre, oralement et/ou à l'écrit, d'utiliser dans ses productions orales et/ou écrites, de traduire éventuellement, les mots qu'il va rencontrer ou dont il aura besoin dans les situations de communication particulières où il aura à assumer des rôles discursifs.

La compétence lexicale est définie par le Conseil de l'Europe comme étant « la connaissance et la capacité d'utiliser le vocabulaire d'une langue » (Conseil de l'Europe, 2000 : 87). D'après cette définition, nous pensons que le fait d'être capable d'utiliser le vocabulaire d'une langue, sans faire de fautes, exige d'autres connaissances grammaticales et orthographiques de la part de l'apprenant d'une langue. Selon Manesse. D., et autres (2007 : 104), Les connaissances nécessaires pour écrire sans fautes en français couvrent en réalité une large partie de la grammaire. Et l'absence de ces connaissances est à l'origine de nombreuses erreurs comme l'absence de réflexion ou de vigilance.

La compétence lexicale ne signifie pas seulement savoir utiliser un vocabulaire dans une situation de communication donnée mais aussi d'en comprendre le sens durant la lecture d'un texte écrit ou de la communication orale. Car le vocabulaire, selon Foulon et Toczec, (2006 : 55-56), est aussi un facteur majeur de la compréhension. À capacités de décodage égales, les enfants qui disposent du lexique le plus étendu dans un domaine sont ceux qui comprennent le mieux les textes abordant ce domaine. La maîtrise du vocabulaire contribue à alléger le coût des traitements. Elle diminue le temps et l'attention consacrés à la recherche de la signification des mots en mémoire à long terme, ce qui réduit la durée d'interruption de la lecture.

Germain, C.,(1993 : 215), pour sa part, affirme qu'« à la limite, avec une bonne connaissance du lexique, une personne finit toujours par se débrouiller en langue seconde ». D'après ces définitions, nous constatons que la compétence lexicale de l'apprenant d'une langue comprend sa bonne



connaissance du lexique et sa capacité d'utiliser ce lexique et aussi d'en comprendre le sens dans une situation de communication orale ou écrite.

### Qu'est-ce qu'une erreur lexicale?

Une erreur lexicale est une erreur linguistique qui ne peut être expliquée qu'en faisant référence à une propriété spécifique à un mot ; cette propriété peut être, bien sûr, d'ordre sémantique – on parle alors d'*impropriété* –, mais aussi relever d'aspects plutôt morphologiques ou syntaxiques, être en lien avec le choix d'un vocabulaire appartenant à un registre de langue approprié en fonction de la situation de communication, ou concerner la cooccurrence lexicale, c'est-à-dire les combinaisons de mots. (Anctil, D., (2014 : 85).

Milićević et Hamel définissent l'erreur lexicale comme : « Tout emploi inapproprié d'une lexie ayant comme cause des connaissances insuffisantes de ses propriétés sémantiques, formelles et/ou de cooccurrence. Un emploi est jugé inapproprié s'il mène à l'agrammaticalité, mais aussi s'il résulte en une maladresse ». Lefrançois et al. (2005: 23) considèrent plutôt comme des erreurs lexicales « celles relatives au sens des mots, au choix de l'auxiliaire dans les temps composés, aux collocations fautives et aux prépositions régies par des mots». Luste-Chaâ, O. définit l'erreur lexicale comme la manifestation d'un défaut de maîtrise langagière, identifiée par le biais d'une unité, simple ou complexe, matérialisée dans le texte ou même absente de sa surface, qui s'apparente au stock lexical de la langue.

Granger, S. et Monfort, G., (1994 : 3), pour leur part, ont classé « comme lexicales toutes les erreurs qui sont imputables à une mauvaise connaissance des propriétés inhérentes au mot, que celles-ci soient d'ordre logico-sémantique (le sens dénotatif), stylistique (le registre), collocationnel (la combinatoire lexicale) ou lexico-grammaticale (les propriétés morpho-syntaxique du mot ».

La définition et la classification des erreurs lexicales a connu un flou méthodologique chez la plupart des linguistes et chercheurs dans le domaine d'analyse de ces erreurs. Ce flou pourrait être dû à l'absence de l'opposition entre ce qui est une erreur grammaticale (syntaxique), ou morphologique et lexicale ou lexico-sémantique...etc.

Granger S., et Monfort G., (1994 : 4) montrent que ce flou méthodologique ne concerne pas seulement l'opposition grammaire/lexique mais la comparabilité des résultats est également rendue difficile par la diversité de classement des erreurs lexicales elles-mêmes. Ces auteurs ont proposé quelques exemples pour démontrer cette hétérogénéité en distinguant généralement trois principes de classement qui résument les classifications qui sont déjà réalisées par les linguistes :

- (1) une description linguistique des erreurs ;
- (2) une analyse des sources d'erreurs ;
- (3) un amalgame des deux.



Ainsi, comme nous avons signalé ci-dessus dans l'introduction, nous avons adopté une classification assez pertinente des erreurs de nos apprenants dans leurs productions écrites en français. Nous avons étudié et analysé dans notre étude précédente, notre thèse de doctorat, deux catégories d'erreurs ; syntaxique et morphologique. Cette étude va aborder les erreurs lexicales ou plutôt les erreurs lexico-sémantiques concernant le choix d'une unité lexicale (une lexie) dans un texte avec une connotation incompatible avec le contexte. Ainsi avant d'analyser les erreurs de nos apprenants, il nous paraît nécessaire de présenter brièvement notre corpus écrit et notre public.

### **Le corpus**

Pour mener à bien notre étude ; nous nous sommes appuyés sur un corpus de travaux écrits effectués par 30 étudiants de 4<sup>ième</sup> année de licence. Les activités ont été pratiquées durant l'année universitaire 2010/2011 et se sont étalées sur trois périodes différentes de l'année ; fin du 1<sup>er</sup> semestre, début du 2<sup>ième</sup> semestre et fin du 2<sup>ième</sup> semestre. Il s'agit de trois productions écrites parmi celles que nos étudiants ont déjà pratiquées en classe durant leur formation universitaire de la deuxième à la quatrième année ; Ces activités sont proposées aux étudiants sans évaluation. les thèmes que nous avons choisis sont des thèmes faciles dont les informateurs ont une grande connaissance culturelle et sociale, il s'agit des thèmes qui touchent leurs études, leur pays et leurs vies quotidiennes. Toutes les questions sont formulées d'une manière simple et claire. Les trois activités écrites ont été réalisées par les étudiants en classe durant les cours en temps limité. L'objectif n'était pas de compliquer les tâches mais bien d'évaluer le niveau de chaque étudiant ainsi que sa capacité en production écrite, de découvrir les erreurs commises et les difficultés éprouvées dans l'activité d'expression écrite.

### **Public**

Notre public comprend 30 étudiants de quatrième année de licence de français de l'année universitaire 2010/2011, à l'Université de Dhamar, âgés de 20 à 29 ans (majorité de filles 56.7%). Ces étudiants parlent des dialectes différents comme langues maternelles, langues parlées en famille. Scolarisés dès l'âge de six ans ils pratiquent la langue arabe, langue officielle d'origine sémitique en plus de leur langue maternelle. Après six ans de primaire, ils fréquentent le collège où ils étudient leur première langue étrangère l'anglais durant six ans. Le Département de français à l'université de Dhamar a été créé en 1997 ; les étudiants y pratiquent le français en vue d'une spécialisation en langue française. Ces apprenants ont déjà passé quatre années d'apprentissage en langue française. Ils ont un niveau intermédiaire en français, nous observons que nos étudiants ont un niveau qui leur permet généralement de passer avec succès les épreuves de niveau B2 du DELF (diplôme d'études en langue française).

### Le repérage des erreurs

Après avoir collecté tous les textes écrits par nos étudiants, nous avons commencé à relever dans chaque rédaction les erreurs lexicales. Chaque texte était lu en entier une première fois avant l'identification des erreurs, dans le but de bien comprendre le sens général du texte pour être en mesure de relever efficacement les erreurs de sens ou de nature lexico-sémantiques.

Une deuxième lecture de chaque texte est consacrée à souligner toutes les erreurs de sens commises par les apprenants dans l'ensemble de leurs rédactions écrites. Nous avons finalement saisi le nombre d'erreurs que chacun a commis dans chaque texte comme le montre le tableau ci-après.

Tableau statistique de la fréquence des erreurs de choix erroné de lexique commises par nos apprenants

Types d'erreurs	Numéro d'informateur	Récurrence d'erreurs lexicales commises dans les activités écrites			Totalité d'erreurs commises dans les trois textes
		Texte 1	Texte 2	Texte 3	
Emploi des lexies ; un nom, un verbe ou un adjectif portant un sens incompatible avec le contexte,	Étudiant n° 1	4	6	12	22
	Étudiant n° 2	6	7	11	24
	Étudiant n° 3	3	9	4	16
	Étudiant n° 4	2	6	5	13
	Étudiant n° 5	4	1	10	15
	Étudiant n° 6	4	1	7	12
	Étudiant n° 7	5	4	13	22
	Étudiant n° 8	4	12	6	22
	Étudiant n° 9	5	3	1	9
	Étudiant n° 10	2	6	2	10
	Étudiant n° 11	5	3	5	13
	Étudiant n° 12	10	3	4	17
	Étudiant n° 13	2	3	2	7
	Étudiant n° 14	3	9	1	13
	Étudiant n° 15	5	4	5	14
	Étudiant n° 16	12	6	4	22
	Étudiant n° 17	6	-	14	20
	Étudiant n° 18	7	10	4	21
	Étudiant n° 19	8	3	9	20
	Étudiant n° 20	4	3	-	7
	Étudiant n° 21	6	8	3	17
	Étudiant n° 22	16	5	1	22
	Étudiant n° 23	7	3	3	13
	Étudiant n° 24	9	4	1	14

Étudiant n° 25	2	6	4	12
Étudiant n° 26	10	10	5	25
Étudiant n° 27	8	7	2	17
Étudiant n° 28	8	11	10	29
Étudiant n° 29	6	16	7	29
Étudiant n° 30	3	6	9	18

### Analyse de quelques erreurs

D'après notre repérage des erreurs de nos apprenants, nous avons constaté que la plupart de ces erreurs concernent l'emploi des lexies telle que le nom, le verbe et l'adjectif ayant des sens incompatibles avec les contextes des sujets de leurs rédactions. Ainsi, comme ce type d'erreur est récurrente chez tous les apprenants, nous allons analyser ci-dessous quelques exemples, comme modèles, d'erreurs commises par nos étudiants afin d'en découvrir les causes.

- 1- ...la **conservation** surtout en anglais [→ ...la mémorisation surtout en anglais].
- 2- ...**reserve** les mots. [→ ...mémoriser les mots].

Dans les exemples 1et 2 ci-dessus, les apprenants ont utilisé les lexies ; *conservation* et *réserver* pour indiquer le sens des mots *mémorisation* et *mémoriser*. Nous pensons que ces erreurs ont pour origines les raisons suivantes :

a- l'interférence avec la langue arabe (L1) et le plus souvent de la langue maternelle (le dialecte dhamarien) car, dans ces dernières, on n'utilise qu'un seul nom *Hifđ* pour désigner le sens des mots français *mémorisation* ou *conservation*, *garde*, *maintien*, *préservation*, *protection*, *sauvegarde* etc. de même le verbe *Hafađa* en arabe pour désigner le sens de plusieurs verbes en français tels que ; mémoriser, conserver, garder, réserver, sauvegarder, maintenir etc. mais ce qui nous aide à distinguer la différence de sens est le complément d'objet du verbe *Hafađa* ou le complément du nom dans le cas du nom *Hifđ*.

On dit, par exemple, en langue arabe ;

- Hafidaal dars = il a mémorisé la leçon
- Hafida altamatim= il a conservé les tomates
- *Hifđ* almelummat = mémorisation des renseignements ou sauvegarde des informations.
- *Hifđ* alsalam = maintien de la paix.

Et quelquefois on ajoute des particules (lettres) au mot soit au début (préfixe) ou avant la fin pour indiquer un autre sens comme par exemples *Hifađ* ou

*muHafaḍa* suivis d'une préposition *ela* (sur) = protection, conservation ou garde etc.

Nous pouvons dire que le verbe *Hafaḍa* et le nom *Hifḍ* en arabe ont des sens généraux.

b- l'ignorance de l'apprenant des différences sens de ces lexies et leur équivalences en français.

c- le manque de vocabulaire français chez l'apprenant, celui-ci par interférence avec sa L1 ou avec sa LM et par généralisation du sens, il a employé des lexies ayant des connotations inappropriées avec le contexte de la rédaction.

3- ...beaucoup de difficultés comme il n'y a pas des levres des **réviseur** français [→...beaucoup de difficultés parmi lesquelles le manque de livres et de références en français].

4-beut-être elle (la jeune mariée) meurt pendant **la naissance**... [ →Peut-être que le mariage précoce cause la mort de la jeune mariée pendant l'accouchement...].

5 - ...selon **des calculations** le 2004 [→...selon le recensement de 2004].

Dans les exemples 3, 4 et 5 le choix des vocabulaires ; *réviseur*, *naissance* et *calculations* au lieu de *références*, *accouchement* et *recensement*, signifie qu'il s'agit de problèmes de sélection lexicale liés à une connaissance imparfaite des équivalents de lexie arabe en langue française. Pour cela l'apprenant a cherché dans un dictionnaire bilingue l'équivalent de ces mots en français et il a probablement trouvé que ces mots ont un sens et/ou une orthographe proche en arabe comme dans le cas des exemples 3 et 4. Donc, après les avoir trouvés et sans vérifier s'ils ont d'autres équivalents et sans vérifier dans un dictionnaire monolingue la signification des mots si leur sens s'approprie avec le contexte ou non, il les a utilisés dans une situation inappropriée. Pour l'exemple N° 5, Nous remarquons une invention d'une nouvelle unité lexicale qui n'existe pas. Ni le sens, ni la forme sont employés dans la langue française. Il nous paraît évident que l'apprenant ne connaît pas le mot *recensement* et il a probablement trouvé le verbe *calculer* dans son dictionnaire bilingue donc, il a inventé, sans vérifier l'orthographe ni consulter le dictionnaire monolingue, le mot *calculations* tout en croyant que son sens est compatible avec le contexte.

6- Le Yémen : il **existe de paninisule d'arabe** [→Le Yémen : il est situé au sud de la péninsule arabe].

7- ...on **regardez** les filles sont satisfaites du mariage [→on constate que certaines filles sont satisfaites du mariage précoce].

8- ... donc je **pose** des solutions pour **être** le français très facile. [→... donc je propose des solutions pour rendre le français très facile].

L'emploi erroné des verbes *exister, regarder, poser* et *être* dans les exemples N° 6, 7 et 8 est du à ;

- la traduction littérale de la langue maternelle de l'apprenant (arabe dhamarien) ou de la langue arabe (L1) vers le français.
- la méconnaissance des équivalents en langue française.

D'après Al-Agra (2007 : 73), Nous constatons que les étudiants, par référence à leur langue source (L1), ont construit des phrases incorrectes en français du fait du choix inapproprié du lexique. Les quatre erreurs supra sont probablement entraînées par l'utilisation des dictionnaires bilingues, qui ne contiennent ni exemples d'utilisation, ni synonymes de mots pouvant aider l'étudiant à percevoir les nuances de sens des mots et, partant, les utiliser d'une manière juste selon le contexte.

9- ils nous donnent une grande méthode *durant* une **petite** période. [→ils nous donnent une grande méthode sur une courte période].

10- ...mais les *faces terrienne l'Arabique-Saudit et Saltanat oman*[→...mais les Frontières terrestres sont avec l'Arabie saoudite et Sultanat d'Oman].

11- les **dangereux** de ce mariage [→les dangers de ce mariage].

Le choix erroné du lexique a pour origine, selon Al-Agra (id : 85), « la pauvreté du vocabulaire qui vient de la négligence de l'apprenant. [...], celui-ci, se limite aux mots qu'il connaît et quand il arrive à une situation où il manque le vocabulaire exact, il cherche un autre mot de sens proche, soit adjectif soit adverbe etc.». De même, les unités lexicales de sens proche peuvent être à l'origine du choix erroné de lexique car elle *partagent quelques composantes de sens, et peuvent appartenir à un même champ sémantique, mais ne sont jamais substituables en contexte.* (Khelef H. et Khennour S., 2017 : 95).

Nous constatons, à travers le choix erroné des trois lexies ; *petite, terrienne* et *dangereux*, dans les exemples 9, 10 et 11 que les étudiants cherchent dans leurs dictionnaires bilingues de type "arabe / français" des équivalents de quelques mots qu'ils utilisent dans leur L1 ou dans leur LM en les écrivant en français tout en croyant que ces mots ont les mêmes sens et les mêmes fonctions.

12- les **montagne légume**[→les montagnes verdoyantes].

13- il y a *quelque* services *mais très manque* [→il y a quelques services mais ils sont très rares].

L'emploi erroné des deux mots *légume* et *manque*, dans les deux exemples précédents, sont des problèmes de sélection lexicale liés à une connaissance imparfaite des deux mots en question. Cela veut dire que les apprenants connaissent peut-être la signification des termes, mais les utilisent dans un contexte inapproprié.

Nous pouvons dire aussi que les apprenants ont probablement appris ou traduit ces mots et les ont mémorisés comme des termes isolés du contexte.

Nous constatons, de même, que les apprenants confondent peut-être la forme orthographique et la forme phonique de certains mots dans leur langue arabe (L1) surtout pendant la consultation des dictionnaires bilingues arabe/français. Cette confusion en langue arabe et la connaissance imparfaite en français pourraient être une des causes du choix erroné de certains mots pendant la rédaction en français. Prenons par exemple le mot *réviseur* (murajie = مراجع) utilisé par l'étudiant au sanglier dont la forme orthographique en arabe se ressemble beaucoup avec celle du mot *références* au pluriel = (marajie = مراجع). Le choix erroné du mot *légume* au lieu du mot *verdoyantes* a probablement pour origine la confusion des formes orthographiques en arabe.

14- Il est **coopération**[→Il est coopératif.]

15- les matières *le plus de difficultés*...[→ les matières les plus difficiles...]

Dans le cas des exemples 14 et 15, les erreurs d'emploi du nom *coopération* au lieu de l'adjectif *coopératif* et l'emploi du nom *difficultés* au lieu de l'adjectif *difficiles* sont peut-être dues à une des trois causes suivantes ;

- la mauvaise dérivation morphologique,
- le manque de vocabulaire,
- la méconnaissance de la fonction grammaticale de ces mots dans la phrase.

Après avoir analysé quelques exemples d'erreurs de choix de lexique commises par nos étudiants nous proposons ci-dessous quelques conseils aux enseignants du français.

### **Quelques conseils aux enseignants**

Pour aider les apprenants à enrichir leur connaissance lexicale et à réduire la fréquence des erreurs lexicales dans leurs productions écrites en langue française, nous conseillons aux enseignants :

- d'inciter les apprenants à l'emploi systématique du dictionnaire monolingue français/français. Mais avant de l'utiliser, il est nécessaire de leur apprendre comment chercher dans un dictionnaire ? Et comment lire les informations du dictionnaire ?
- de renforcer la pratique de la lecture en classe de langue ou à l'extérieur : les enseignants pourraient encourager leurs apprenants à

la lecture d'une façon continue surtout les enseignants de la compréhension écrite.

- de varier les types de textes et les thèmes abordés car la variété sert à aider les apprenants à découvrir et connaître de nouveaux mots à chaque fois qu'ils pratiquent la lecture. Ces nouveaux mots aident l'étudiant à mieux comprendre ce qu'il lit et à augmenter progressivement sa connaissance lexicale. L'apprenant pour sa part sera content car il « *sollicite sans cesse de nouveaux outils lexicaux pour pouvoir exprimer ce qu'il souhaite dire ou écrire* » (Tagliante, C, 1994 : 40).
- de renforcer la pratique de l'écriture en demandant aux apprenants d'écrire des paragraphes ou de courts textes en classe selon leur niveau de formation à fin d'exploiter leur connaissance lexicale et les inciter à chercher des mots nouveaux et les intégrer dans leurs rédactions.
- de sensibiliser les apprenants à l'autocorrection et à la révision de leur rédaction avant de les corriger.
- de corriger à chaque fois les copies des étudiants en leur montrant les erreurs commises tout en leur expliquant, si possible, les causes de ces erreurs car, pour l'apprenant, « *la prise de conscience de l'erreur commise, l'explication et la compréhension de sa nature favorisent la progression dans l'apprentissage, en enrichissant par ailleurs les réseaux sémantiques de son lexique mental* » Caroline Masseron et Olha Luste-Chaa, (2008 : 521).
- de montrer aux apprenants qu'en cas de besoin d'un vocabulaire inconnu en français, ils peuvent le chercher dans un dictionnaire bilingue mais avant de l'utiliser dans leur rédaction, ils doivent vérifier la signification de ce vocabulaire par la consultation d'un dictionnaire monolingue. Cela va aider l'apprenant à découvrir si ce mot est pertinent pour le contexte de sa rédaction ou non.

**En guise de conclusion**, nous pouvons dire que l'étudiant qui apprend une langue étrangère fait normalement des erreurs dans sa rédaction orale et écrite. C'est aussi normal que ces erreurs diminuent et/ou se disparaissent avec la progression de l'apprentissage et la correction par les enseignants. Mais ce qui pose problème est la récurrence de ces erreurs chez les apprenants malgré la longue période de formation. La récurrence des erreurs de choix de lexique dans les écrits de nos étudiants yéménites de quatrième année de licence en français était l'objet de cet article. Son objectif était de découvrir les causes des erreurs lexicales commises régulièrement par nos apprenants et d'essayer de trouver des moyens pour les traiter ou au moins de les réduire.



L'analyse de quelques exemples d'erreurs de nos étudiants nous a permis de constater que la plupart des erreurs de choix de lexique ont pour origine les raisons suivantes :

- l'interférence avec la langue arabe (L1) ou avec la langue maternelle (LM),
- la pauvreté du vocabulaire français chez l'apprenant,
- la connaissance imparfaite des équivalents de lexie arabe en langue française,
- l'utilisation fréquente des dictionnaires bilingues arabe/français, qui ne contiennent ni exemples d'utilisation, ni synonymes de mots,
- la non-consultation du dictionnaire monolingue (français/français).

Ces causes nous ont mené à proposer quelques conseils aux professeurs de français dans le but d'aider dans la remédiation et/ou à la diminution des erreurs de nos apprenants.

### Bibliographie

- Al-Agra A, 2007, « *Les interférences morphosyntaxiques dans l'apprentissage du français chez les étudiants yéménites (Dhamariens)* », Mémoire de Master 2, Université de Sana'a, dir ; Mohammed Embarki et Sallal Al-Maqtari.
- Al-Agra A, 2014, « *Contribution à une étude des dysfonctionnements morphosyntaxiques en français chez un groupe d'enseignants et d'étudiants yéménites* », thèse de doctorat, sous la direction de Marie Madeleine BERTUCCI, Université de Cergy Pontoise.
- Anctil D., 2011, « *L'erreur lexicale au secondaire : analyse d'erreurs lexicales d'élèves de 3<sup>e</sup> secondaire et description du rapport à l'erreur lexicale d'enseignants de français* », thèse de doctorat, dirigée par Pascale Lefrançois et Françoise Boch, Université de Montréal.
- Anctil D., 2014, *Quelques observations sur les erreurs lexicales d'élèves en production écrite*. Québec français, (171), 85–87, Article en PDF, En ligne, consulté le 18/02/2018
- Caroline Masseron & Olha Luste-Chaa, 2008, *Typologie d'erreurs lexicales: difficultés et enjeux*, Dans CMLF 2008 « *Didactique et enseignement, français langue maternelle, français langue seconde* », Paris, Pp. 519 – 531. Article en PDF, En ligne, consulté le 18/02/2018.
- Dubois J., et al., 2002, « *Dictionnaire de la linguistique et des sciences du langage* », LAROUSSE, Paris.
- Foulin Jean-noël, Toczek Marie-Christine., 2006, *Psychologie de l'enseignement*, Armand Colin, Paris.
- Germain C., 1993 , *Évolution de l'enseignement des langues : 5000 ans d'histoire*, coll. DLF, CLE International, Paris.
- Granger S. et Monfort G., 1994, *La description de la compétence lexicale en langue étrangère : perspectives méthodologiques*, AILE, 03.
- Holec H., 1994, « *Compétence lexicale et acquisition /apprentissage* », *Les Cahiers de l'ASDIFLE*, 6, p. 90-100.
- Khelef H. et Khennour S., 2017 , *L'erreur lexicale dans les écrits des étudiants du Master 1 à l'université d'Eloued* in Majalat Alathar N° 29, Pp. 91-96.



- Lefrançois P., Laurier M., Lazure R., et Claing R., 2005, « *Évaluation de l'efficacité des mesures visant l'amélioration du français écrit du primaire à l'université (tiré à part pour le secondaire)* ». Montréal : Université de Montréal, Collège Ahuntsic.
- Milićević J., et Hamel M.-J., 2005, « *Un dictionnaire de reformulation pour les apprenants du français langue seconde* ». Dans Actes du 29<sup>e</sup> colloque de l'Association linguistique des Provinces de l'Atlantique, Université de Moncton.
- Olha Luste-Chaâ, « *L'erreur lexicale dans l'analyse des productions écrites en FLE* », Pratiques [Enligne], 145-146 | 2010, mis en ligne le 15 juin 2010, consulté le 18 février 2018.
- Polguère A., 2002, « *Notions de base en lexicologie* », Montréal (Québec)—Canada (Version préliminaire septembre, pour LNG 1080).
- Polická A., 2014, *Initiation à la lexicologie française*, Masarykova univerzita.
- Tagliante, C, 1994, *La classe de langue*, CLE International, Paris.



# From Periphery to Center: Challenging Stereotypes and Deconstructing Binaries in Andrea Levy's *Small Island*

Dr. Ibraheem Nagi Ahmed Tagaddeen \*

Ms. Aisha Abdul Rahman Al-Matari

## Abstract

This research paper intends to critically examine counter-discursive strategies in contemporary postcolonial novel with special focus on the British colonial stereotypes about the colonized Other in general and the West Indies in particular as represented in Andrea Levy's masterpiece, *Small Island*. The study illustrates how Levy succeeds in challenging the Western Canon by questioning stereotypes, reversing European imperialist fixed binaries and deconstructing the Eurocentric myths of superiority, authority and civility. The study follows a descriptive and analytical method based on the critical analysis of Levy's *Small Island* within the theoretical framework of postcolonialism. It throws some light on such issues as identity crisis, discrimination, and racial prejudice, in order to expose the negative impact of colonial attitudes on the relationship between the West and the Rest. It further illustrates how these attitudes result in misunderstanding among different cultures, obstructing possibilities of dialogue and aggravating crisis in human relationships within the globalized world today. On the other hand, the study shows how Levy, as a postcolonial writer, reconstructs the world by rewriting canonical stories and 'writing back' to the Centre of the Empire to create a canonical counter-discourse, as a response to the classics of English literature. By challenging stereotypes about the non-Western Other and destabilizing the Eurocentric assumption of authority, Levy intends to project reconciliation and dialogue as the only alternatives for a peaceful co-existence with the Other in a multicultural world.

**Key terms:** colonialism, postcolonialism, stereotypes, challenging stereotypes, Eurocentricism, Other/othering, deconstructing colonial discourse, binary opposition.

## 1. Introduction

The historical phenomenon of colonization has been widely spread around the world and across time. It can be traced back to the periods of the ancient Greeks, the Romans, the Moors, and the Ottomans. The era from the 15<sup>th</sup> century to the mid-20<sup>th</sup> century marked the European colonial period in

---

\* Asst. Professor of Contemporary Critical Theory, English Dept., Faculty of Languages, Sana'a University

which several European powers such as Britain and France established colonies in Asia, Africa, and the Americas, ending with the national liberation movements of the 1960s. Since colonial times, Europeans have perceived most of the world as open to conquest, control, domination and subsequently exploitation. The colonized nations have been perceived as weak, vicious, savage and in need to be 'civilized'. Hence, the colonizers justified colonialism with unreasonable claims for appropriating and civilizing missions. They went further in promoting their sense of superiority and hegemony by developing all kinds of stereotypes about different colonized groups, describing them as dangerous, untrustworthy, having no history and culture. Colonial discourse, as a transmitter of colonial ideology, plays a great role in allowing stereotypes to be taken as facts as they are continually perpetuated throughout history.

Post-colonial literature has been a hot commodity for many scholars.<sup>1</sup> It refers to the body of writing that is, in some way, affected by colonialism, either written during the European colonial period, or in the aftermaths of it, and which somehow portrays the experiences of colonialism or post-colonialism (Ashcroft et al., *The Empire 2*). Of all the worthwhile research done on postcolonial literature, it is the novel and its studies that have had the greatest influence on the field. Although many scholars have studied postcolonial novel from different perspectives, the studies related to the role of the postcolonial novel in challenging stereotypes, specifically with reference to the novel under study, are rare. In other words, political, economic, and cultural domination under colonialism has repeatedly been studied by many scholars and theorists all around the world during the last Century. However, the psychological effects of colonialism and stereotypes have received less attention even though they really have shaped most of the people's perception in the present time. Racial, ethnic, or cultural stereotypes about Indians, Africans, Arabs, Muslims, Blacks, Jewish etc., have been invented a long time ago but still existing and circulating today all around the world.

Post-colonial novel has become a veritable weapon used to challenge the hegemonic boundaries and the determinants that create unequal power relations, based on binary oppositions such as 'Us' vs. 'them', 'First-world' vs. 'third-world', 'white' vs. 'black', 'colonizer' vs. 'colonized', etc. In challenging the way colonial discourse has represented colonial subjects,

post-colonial writers and theorists seek to reshape perceptions and thinking about formerly colonized people and countries.

It is worth noting that about three quarters of the people living in the world today have had their lives shaped by the experience of colonialism (Ashcroft et al., *The Empire* 1). Thus, this study is very significant because it illustrates how colonialism has affected people's perception of themselves and the other. It exposes the reality of colonial stereotypes and explains how such stereotypes helped Europe to maintain its control over the natives of the colonized countries not just politically or economically, but also culturally.

This study is theoretically informed by several related literatures that form a compelling interdisciplinary intersection: colonialism, stereotypes, postcolonial theory, challenging stereotypes, deconstructing the colonial discourse, and binary opposition. The study follows an analytical method based on the critical analysis of Levy's *Small Island* within the theoretical framework of colonialism, Eurocentrism, orientalism, otherness/othering, deconstruction, cultural studies and other interdisciplinary fields. Since the study is entirely literature-based, the methods of data collection which have been used include observation, archival research, traditional library research, and online research.

## 2. Historical Background

Jamaica is the third largest island of the Greater Antilles<sup>2</sup>. The colonial history of Jamaica started when Christopher Columbus learned of Jamaica from the indigenous people on the island of Cuba during his second voyage to the Americas in the 15<sup>th</sup> Century (Gardner 2). Accordingly, Jamaica was colonized first by the Spanish Empire, and then was captured by the English as one of the English colonies in 1655. During the 17<sup>th</sup> and 18<sup>th</sup> centuries, slave trade grew with the establishment of the plantation system especially when Jamaica became a British colony (Gardner 152). The economy of Jamaica started to decline in the last quarter of the 18<sup>th</sup> century, especially after the abolition of slavery. Due to the economy's long lasting fall, many West Indians were forced to migrate outside the country<sup>3</sup>. However, the Jamaican immigrants just as many other immigrants, who settled in Britain after World War II, were not welcomed to interact with the white society of Britain. Discrimination and prejudice against them were widespread. These immigrants suffered bad housing and employment due to their skin color and descent. Britain's white population disapproved them and

considered them as heathens (Lange 12). Thus, the Jamaican migrants were met with disappointment when arriving Britain. Negative atmosphere of resentment and hostility was all they received from their 'Mother Country'. In fact, the ideology of white supremacy was the only thing left after the decline of Britain as a great power in the aftermath of World War II. Although many migrants were educated in their homeland to consider England as their 'Mother country', from the first moment of their arrival, they got disillusioned and realized the difference between reality and what they had been taught. They were viewed to be inferiors and looked down upon as servants or slaves. Furthermore, white Britons were afraid to communicate with Jamaican immigrants and treated them based on the stereotypes that had been adopted due to colonial ideology.

### 3. Andrea Levy: Hybrid and Diaspora Identity

Andrea Levy is a British novelist born in London on 17 March 1956 to Jamaican parents. She is of originally Afro-Jamaican descent who has a Jewish paternal grandfather and a Scottish maternal great-grandfather. Her father sailed from Jamaica to Britain in 1948 on the *Empire Windrush*<sup>4</sup>. Her mother joined her father in his one room in west London six months after the Windrush had docked. Levy's parents were shocked when they found that they were foreigners in their 'Mother Country,' England. Like many other migrants at that time, they suffered bad housing and were treated with hostility when looking for somewhere to live because of their skin color. This experience has given Levy a complex perspective on the country of her birth.

Levy's fiction focuses mainly on the experience of Jamaican immigrants. It involves topics related to Jamaican diaspora people in England and their everyday experience of being Black and British. She uses her writing to illustrate the ways Black British negotiate racial, cultural, and national identities. As she puts it herself, "Black British identity is what interests me. I write about what I understand. What I know" ("This is my England").

Levy has written five novels: *Every Light in the House Burnin'* (1994), *Never Far from Nowhere* (1996), *Fruit of the Lemon* (1999), *Small Island* (2004), and *The Long Song* (2010). The first and second novels are about Jamaican children who grew up in London which may reflect her own experience. *Every Light in the House Burnin'* is about a young black Jamaican girl, Angela Jacob, who was born and brought up on a council

estate in London. *Never Far from Nowhere* revolves around two very different Jamaican sisters, Olive and Vivien, who were born and brought up in London in the 1960s and '70s. Both novels are narrated from the perspective of the main characters, Angela, Olive and Vivien, to describe their difficulties living in England as black British.

After the publication of her second novel in 1996, Levy visited Jamaica for the first time. That visit paved the way for her third novel *Fruit of the Lemon* (1999) in which she dramatizes her family's experience. She "explores the notion of home, and how it differs for the formerly colonized and their descendants" (Iweala). Levy's fourth novel *Small Island*, which has won five prizes<sup>5</sup>, was addressed as a masterpiece of the contemporary Caribbean experience in Britain by the time it appeared in 2004 (Murdoch 141). It portrays the post war era on two 'small islands' Jamaica and the UK. It is a novel which combines different perspectives into a comprehensive narrative. It is the story of cultural clashes and the formation of British society and identity. In general, *Small Island* depicts the varied experiences of colonized people and "provides an insight into the initial post-war contact between Jamaican migrants, descendants of enslaved Africans, and the white 'Mother Country'."<sup>7</sup>

#### 4. Levy's *Small Island*: a Postcolonial Reading

##### 4.1 Categorizing the Other: Stereotypes in *Small Island*

*Small Island* is a historical, political, and autobiographical novel. Levy had spent four years and a half writing this novel with excessive searching through archives, at the RAF and Imperial War Museums (Levy, "This is my England"). As a postcolonial novel, *Small Island* handles the weighty themes of Empire, exposes the legacies of colonialism and uncovers the illusion of Eurocentrism. In *Small Island*, Levy provides a historically accurate depiction of the experience of the *Windrush* generation, her parents' generation, who left their homeland in the years immediately following the World War II (Greer). She further alludes to the difficulties that have encountered the Jamaican servicemen who left Jamaica to serve in the RAF and highlights their significant role during World War II. Levy also shows how political conflicts contribute to the making of Britain's present-day multicultural society and asserts the necessity of treating people equally regardless of their race or color.

In fact, colonialism along with colonial discourse has construed colonized nations as racially, culturally and intellectually inferior Others. As a result, Jamaican immigrants were treated badly when arriving to Britain. They were considered by many white people as inferiors who practiced head hunting, cannibalism, infanticide, polygamy and 'black magic'. They were seen as "backward, uncivilised and inherently inferior to Europeans, eating strange foods and carrying unpleasant diseases. The common belief was that most black settlers were ignorant, illiterate and lacked proper education" (Lange 12). Harry Goulbourne explains in his book *Race Relations in Britain Since 1945* how Britain has become a multicultural society and asserts the role of colonialism in shaping and developing Britain's attitudes towards racial discrimination:

This context or background can be explicated by reference to two interrelated but independent historical developments which have been important aspects of British race relations for well over three centuries: the experiences of colonialism, and those experiences of people and institutions in the imperial centre. (30)

He further explains:

The principle and practice of 'divide and rule' which served the administrators of empire, held true not only in the colonies, but also at home in the metropolis, at least in one important sense: citizens came to believe that their state was engaged in civilising missions to barbaric and savage peoples in far off places, and that as part of the great white race they were superior to others. (41)

*Small Island* is set in 1948 and before in different geographic locations, i.e. Jamaica, England, USA, and India. The book is divided into past and present times and oscillating between the two. It presents a counter-history of the period before and after World War II. *Small Island* primarily tells the story of a Jamaican couple who left their homeland in 1948 in order to start a new life in England. Their story is intertwined with a white landlady with whom they live in London and whose husband has left to fight in World War II.<sup>7</sup>

*Small Island* also alludes to the condition of the society of Britain after World War II. It represents the immigration of so many colonized people, 'colored nations', who settled there and have become part of the multicultural society of the UK in the present time. It describes how colonized nations were perceived not according to their own behaviors but



according to the colonial stereotypes which were attributed to them throughout history. According to Iweala, it questions "the gaps in the understanding of racial issues that exist between so many groups of people — friends with different racial and cultural frames of reference, siblings, even parents and their children" (Iweala). Thus, Levy uses her main characters, Hortense, Gilbert, Queenie, and Bernard to emphasize the role of colonialism in establishing stereotypes that affect one's perception and lead to generalization, discrimination and prejudice. Although Gilbert and Hortense returned to England as civilians, they were treated very differently. In a series of misfortunes, they were judged by the white British on the basis of stereotypes. Accordingly, they suffered discrimination and prejudice in employment, housing and everyday practices as many West Indians, Asians or colonized non-western people in general.

#### 4.2 Stereotyping as the Mother of Preconception and Prejudice

Colonial/ imperial discourse plays a great role in forming and perpetuating racial, cultural or ethnic stereotypes to assert European superiority. Told from the perspective of European colonizers, colonial discourse usually constructs colonized people as the Other non-European, whereas colonizers are usually presented as generous, civilized, and benevolent. According to Sam Vaknin, stereotypes "form the core of racism" (99). He further explains that stereotypes:

split the world into the irredeemably bad – “the other”, blacks, Jews, Hispanics, women, gay – and the flawlessly good, “we”, the purveyors of the stereotype. While expressly unrealistic, the stereotype teaches “what not to be” and “how not to behave.” A by-product of this primitive rendition is segregation. (102)

Furthermore, such stereotypes have resulted from the colonizers' effort to maximize their self-esteem and ease their consciences in order to justify their bad actions towards the natives. As Aimé Césaire in *Discourse on Colonialism* points out “the colonizer, who in order to ease his conscience, gets into the habit of seeing the other man as an animal, accustoms himself to treating him like an animal” (41). According to the psychologist, Robert Feldman, people want to feel good about themselves and superior to others and therefore they stereotype. He further explains,

In an effort to maximize our sense of self-esteem, we may come to think that our own group (our *ingroup*) is better than groups to which we don't belong (our *outgroups*). Consequently, we inflate the



positive aspects of our ingroup—and, at the same time, devalue outgroups. Ultimately, we come to view members of outgroups as inferior to members of our ingroup (Tajfel & Turner, 2004). The end result is prejudice toward members of groups of which we are not a part. (542)

This is obvious in *Small Island* when Queenie is questioned by her neighbors and her reputation is put under threat as she agrees to lodge West Indians or 'colored people' in her house: “People were wondering if I was quite as respectable as they once thought.” (SI 98) In other words, the British white society considers a woman living alone in a house with the ‘colored’ to be unrespectable. The neighbors always warn Queenie, as she put it herself:

How can you think of being a woman alone in a house with coloureds? Blanche said. ... they had different ways from us and knew nothing of manners. They washed in oil and smelt foul of it. ... Morris blushed scarlet telling me of their animal desires. 'And that's both the men and the women, Mrs Bligh'. I was to watch out, keep my door locked.' You'll never understand, let alone believe, a word that any of those worthless people say to you,' he cautioned. (SI 97)

Similarly, when Bernard came back to London, he questioned Queenie with anger wondering why she brought black people to live in his house: “did they have to be coloured? Couldn't you have got decent lodgers for the house? Respectable people?” (SI 360) Mr. Todd, Queenie's next-door neighbor, also keeps blaming her of ruining the country by letting darkies or 'colored' live in her house. His concern was that “they would turn the area into a jungle” (SI 95). This typical attitude of the whites here is not different from their perception of the African natives, for example, in Salih's *Season of Migration to the North* in which Maxwell Foster-Keen fails to hide his dislike of Sa'eed: “You, Mr. Sa'eed, are the best example of the fact that our civilizing mission in Africa is of no avail. After all the efforts we've made to educate you, it's as if you'd come out of the jungle for the first time” (93-94).

The racial segregation is not only limited to housing but also very rampant in work place. Black men are not allowed to work along with white women, as they have been perceived to be more likely to commit violent crimes and have low moral standards (SI 258). Gilbert explains how a girl at the office looks at him with horror; he swore that “her hair was standing straight as stiff fingers” (SI 259). This may also explain the attitude of Mrs.

Smith when Gilbert raised his hat to her one morning while she was talking to Queenie:

She rushed into her house like he'd just expose himself. Out came Morris who stood on the doorstep to protect his honour. And Gilbert had only said hello. After that she never spoke to me again. (*SI* 98)

Racial discrimination culminates to the extent that when walking on the street, a black person has to step off the pavement into the road, if an English person wishes to pass and there is not sufficient room on the pavement for them both (*SI* 277). Still more, the conversation between the American CO and his Sergeant about Gilbert shows how stereotypes and racial prejudice are horribly sustained in the consciousness of the Western Whites: "‘He is coloured, Sir.’ ‘He's what?’ ‘He's coloured.’ ‘Ah, shit. Coloured you say.’ ‘Black, sir.’ ... ‘How coloured is he?’ ‘Enough, Sir.’ ... ‘These niggers are more trouble than they are worth’" (125-126). At last, the CO angrily instructs the sergeant to, "Tell him to wait or get him something to eat. They always want something to eat" (126).

In fact, colonization or colonialism has resulted in the wide spread of stereotypes as a means to serve their imperial whims. They stereotype the natives as primitive, uncivilized, unreliable, stupid, dirty, weak, inhuman or lazy as a strategy to assert their claim for superiority to rule and control the world (Tyson 419). In this regard, Dilip Hiro asserts that the colonizers invent stereotypes of colonized people in order to justify colonialism:

Ironically, in history, the white colonizers, aiming to wash themselves from any guilt they could feel; they have created, maintained and spread many stereotypes about black people and these stereotypical representations became engrained in the popular British beliefs and myths. (3, qtd. in Cinkova 25)

Thus, stereotyping fosters prejudice and leads to developing preconceptions and generalizing the view about the other. This is clear from Queenie's neighbors' preconception that all the 'colored' were 'cross-eyed and goofy before they come to Britain' (*SI* 93). They believe that the West Indians come to England "only for teeth and glasses" (*SI* 179). As stereotyping leads to prejudice, it fuels hatred, demonization, and then violence against the other. In the theater, the usherette tells Gilbert that, "other customers don't like to sit next to coloureds" (*SI* 153). His rejection of this prejudice leads to a riot between the Whites and the Blacks. However, Gilbert stood still contemplating when a white woman blames him of causing all the trouble:

"Man it was hatred raged in these men's eyes not anger! Tell me, if you build a bonfire from the driest tinder, is it the stray spark you blame when the flames start to lick" (*SI* 157). Again, in the teashop, the three GIs watch Gilbert sitting next to Queenie "like snipers clearing their aim at a sitting target" (*SI* 147). This shows the consequence of the racial stereotype and violence aimed at Gilbert, as he is an inferior and has no right to sit next to a white woman. This antagonistic attitude resulting from perpetuating stereotyping can be better explained by Feldman:

All stereotypes share the common feature of oversimplifying the world: We view individuals not in terms of their unique, personal characteristics, but also in terms of characteristics we attribute to all the members of a particular group. (540)

Furthermore, the cruel generalizations of colonial history are shown when Bernard accuses Gilbert of being the father of Queenie's "very brown-skinned baby" (*SI* 401). He further blames all the coloreds for the situation: "It's everything to do with you. You and your kind!" (*SI* 403) This case also emphasizes that stereotypes are "generalizations that are not derived from rational or otherwise "good" cognitive processes" (Schneider 20). This becomes clear through Gilbert's words:

Cha! Am I the only black man in this world? Why everyone look to me? I have been back in England for only seven months. Why no one think to use their fingers to count out that before they accuse? (*SI* 404)

#### 4.3 Stereotyping: Identity Crisis and Self-Alienation

In addition to discrimination, racism, and prejudice, stereotyping can lead to identity crisis and alienation which is clear in Hortense's case. As a high-class girl in Jamaica, Hortense is educated to believe that England is her 'Mother country'. According to the colonial education she had received there, Hortense starts to imitate "the ways, fashion, accent, tastes and codes of the 'Mother country'" (Talec 1) in order to be accepted as a civilized citizen. In England, however, she undergoes self-alienation and identity crisis when becoming aware that she neither reserves her Jamaican identity and nor succeeds in acquiring a British one. Hortense has undergoes a 'deculturalization process' (Fanon 36) and has adopted alien principles and standards thinking that she must be seen as an English to succeed in life. In describing the white English women working at school, Hortense admiration is clearly expressed:

Those white women whose superiority encircled them like an aureole, could quieten any raucous gathering by just placing a finger to a lip. Their formal elocution, their eminent intelligence, their imperial demeanour demanded and received obedience from all who beheld them. (SI 57)

She has adopted the principles of the white mythology due to colonial education and social influence. That is clear from her description of the black students she used to teach in Jamaica:

Sixty children fidgeting like vermin. ... sixty nappy-headed, runny-nosed, foul-smelling ragamuffins. Sixty black faces. Some staring on me, gaping as idiots do...their fickle minds would start wandering... at that school for scoundrels I had learnt to despise. (SI 56-58)

Therefore, Hortense has experienced self-denial, cultural alienation, and identity crisis due to stereotypes. In the beginning, Hortense believes that her real home is England in which she can accomplish her goals and succeeds in life. The stereotypes that have been invented and taught in colonial schools convince her that England is her 'Mother Country,' the ideal place in which she deserves to live. However, when she reached England, she got disillusioned with the reality of England and the English.

#### 4.4 Stereotyping: An Epitome of Othering

Lois Tyson indicates that colonizers "saw themselves as the embodiment of what a human being should be, the proper 'self'; native peoples were considered 'other,' different, and therefore inferior to the point of being less than human" (420). Consequently, such differences become a basis for 'Othering' in which the 'Other' is seen as less human and more primitive or savage. In *Small Island*, many racial slurs are used throughout the novel to illustrate how stereotypes have been proliferated to identify colonized nations. The West Indians along with Asians were identified as 'colored.' This label was entitled to anyone who was not White. Gilbert, as a Jamaican Royal Air Force (RAF) volunteer, explains how colony men were expected to be uncultured, stupid, or animals who cannot even speak; "They expect us colony men to be uncultured. Some, let us face it, do not expect that we can talk at all" (SI 138). Gilbert recalls how he sometimes heard children call out after him: "It speaks, Mummy, it speaks" (SI 138), while others yelled up at his friend "Oi, darkie, show us yer tail" (SI 117). He also recalls how in a Yorkshire village, an elderly woman approaches James, one

of the West Indian RAF men, with her husband and asks him, "Would you mind saying something? Only my husband here says it's not English you're speaking." When James replied, her husband was astonished and she said, "There, I told you. They speak it just like us, only funnier" (SI 115). Hortense describes how Miss Newman believes that colored girls are less civilized and closer to nature (SI 56). Gilbert, as a black Jamaican, was expected by the Flight Sergeant to be a stupid darkie who cannot drive (SI 120). He indicates that the sergeant believes "anything primitive about his West Indian charge, it was worth the try" (SI 122).

Through Queenie's first encounter as a child with a black man, Levy illustrates how colonial stereotypes have dominated the whole perception of the white British and created misconceptions and hence prejudgments about the Other. She asserts the fact that colonized nations were stereotyped by the European colonizers to be cannibals, savages, or infanticides since the beginning of colonization. Queenie recalls that she was very afraid of being eaten by the black African man: "He could have swallowed me up, this big nigger man" (SI 5). Similarly, Bernard used to describe the state of his friend after telling him about the death of Maxi as "dumb as a coolie" (SI 338). Such stereotypical representations are exposed in the novel to illustrate how stereotypes have become deeply rooted in the popular British beliefs and myths. Bernard's attitude towards Indians concerning the riot which has occurred in Calcutta in 1946 illustrates this point much further. The presumed ignorance and barbarism of the colonized are used as a tool to justify colonialism. Bernard recalls,

Thousands were killed in Calcutta. Men, Women, Children, even suckling babies, it didn't matter who. They called it a riot. Those of us who'd been there in the thick of battle with these bloodthirsty little men knew it was more than that ... Made me smile to think of that ragged bunch of illiterates wanting to run their own country. The British out of India? Only British troops could keep those coolies under control. (SI 308)

## 5. Counter-Discursive Strategies in Levy's *Small Island*:

### 5.1 Challenging Stereotypes as a Form of 'Writing Back':

The colonizers or colonialists in general have not just developed stereotypes, but also asserted, perpetuated, and spread them through their dominant culture, education, and literature. However, challenging the

stereotypes is one of the various forms of counter-discourse, canonical counter-discourse or “writing back” to the Western canon. There are many voices which worked to create a counter-discourse/counter narrative through postcolonial literary texts. They attempt to challenge the Eurocentric hegemonic canonical discourse which adopts and propagates negative stereotypes of non-Western cultures and societies. Thus, challenging stereotypes represents an act of ‘challenging the center’ and refers to an act of liberation from Western colonial power. This act of liberation carried out by post-colonial writers is a counter-discourse that attempts to ‘write back’ to or ‘re-write’ the canonical stories of the classics of English literature with the aim to challenge the colonial authority, truth, and authenticity by deconstructing the colonial discourse, exposing its ‘hidden’ ideology, and giving voice to the marginalized Other. Hence, ‘writing back to stereotypes’ can help in eliminating and subverting stereotypes of colonial texts. Similarly, Alexandra Lewis states that ‘writing back’ involves a process to rewrite and “reinvent a *presence* that colonialist discourse had theorized as *absence*” (101). Thus, like Tayeb Salih, Levy in *Small Island* questions “the official stories and stereotypes that the Centre disseminates about the margin, or the colonizer about the colonized,” to use the words of Salwa Ghaly (21).

In fact, by challenging stereotypes, *Small Island* is considered a re-visionary novel, which has a clear cultural-political thrust. According to Widdowson, re-visionary novels aim to “restore a voice, a history and an identity to those hitherto exploited, marginalized and silenced by dominant interests and ideologies” (506). Thus, the marginal displaces the colonially centered within the fictional space. Similarly, Benita Parry believes that such texts assert “the role of the native as historical subject and combatant, possessor of another knowledge and producer of alternative traditions” (34). When the readers are faced with the character of Hortense and Gilbert, they find the antithesis of the uncivilized African/Oriental/Caribbean image depicted in many Western colonial literary texts. In *Small Island*, Levy addresses an intended audience not only of white but primarily Caribbean readers. Similarly, Achebe Chinua addresses the African audience aiming to “teach that their past was not one long night of savagery from which the first Europeans acting on God’s behalf delivered them” (148, qtd. in Muharram 74). Not only does Levy write back to a particular English canonical text, as Lewis would say, but she also parodies “the whole of the discursive field [Orientalism] within which such texts continue to operate” (102).



## 5.2 Deconstructing the Myth of Britain as 'Mother Country'

In Jamaica, Gilbert and Hortense were brought up and educated in colonial schools to believe that England was their 'Mother country.' Their relatives fought for Britain in World War II believing that they were fighting to end slavery and discrimination. However, Hortense was rejected to work at Kingston's prestigious Church of England School, where "light-skinned girls in pristine uniforms gathered to drink from the fountain of an English curriculum" (SI 71). She is rejected by the headmaster simply because her "breeding was not legitimate enough for him to consider me worthy of standing in their elegant classrooms before high-class girls" (SI 71). Qualifications and professional efficiency are no criteria for job application. What matters more is "skin color and origin" (SI 375- 376). In the same way, Gilbert, as a Jamaican volunteer in the RAF, has been promised to be trained as a wireless operator/air gunner or flight engineer. However, when reaching England, he is reassigned to be trained as a truck driver for the Royal Air Force during World War II due to his skin colour (SI 123). In 1948, his suffering was intensified when he could not find a job in London though being well-qualified. Describing his frustration, Gilbert states, "In five, no, in six places, the job I had gone for vanish with one look upon my face" (SI 258). At last, Gilbert and Hortense have realized that they have no chance but to work beneath their qualifications.

In *Small Island*, laying bare the myth of the Mother Country and Western superiority affects the Western or imperial binary system in general. Both Gilbert and Hortense discover the bitter reality of their Mother Country. All the things they have been taught about England are turned to be fake. England's high standards and disciplines are best described by Gilbert:

Let me ask you to imagine this. Living far from you is a beloved relative whom you have never met. Yet this relation is so dear a kin she is known as Mother. Your own mummy talks of Mother all the time. 'Oh Mother is a beautiful woman-refined, mannerly and cultured.' Your daddy tells you, ' Mother thinks of you as her children; like the Lord above she takes care of you from afar.' There are many valorous stories told of her, which enthrall grown men as well as children. Her photographs are cherished, pinned in your own family album to be admired over and over. Your best, everything you have that is worthy is sent to Mother as gifts. And on her birthday you sing-song and party. (SI 116)

Then he describes the Mother Country's reality, stating:

Then one day you hear Mother calling- she is troubled, she need your help. Your mummy, your daddy say go. Leave home, leave familiar, leave love. Travel seas with waves that swell about you as substantial as concrete buildings. Shiver, tire, hunger- for no sacrifice is too much to see you at Mother's needy side. This surely is adventure. After all you have heard, can you imagine, can you believe, soon, soon you will meet Mother? The filthy tramp that eventually greets you is she. Ragged, old, and dusty as the long dead. Mother has a blackened eye, bad breath and one lone tooth that waves in her head when she speaks. Can this be that fabled relation you heard so much of? This twisted- crooked weary woman. This stinking cantankerous hag. She offers you no comfort after your journey. No smile, no welcome. Yet she looks down at you through lordly eyes and says, 'who the bloody hell are you?' (SI 116)

Accordingly, the myth of the 'Mother Country' is vanished. In fact, uncovering the illusion of Eurocentrism is one of the main aspects through which the deconstruction of colonial stereotypes is achieved in this novel. All the good traits which have been attached to that Mother, England, are invented to suit the English colonizer's needs. Colonized people are taught by colonial education to revere England and to believe in the superiority of the English. In *Small Island*, however, England is no more the respected or the admired lovely 'Mother'. Hortense and Gilbert have to re-evaluate what colonial education has implanted in them. When Gilbert was a member of the British Royal Air Force, he criticized the way the English cook their food and longed to the food of his homeland. He wonders:

How the English built empires when their armies marched on nothing but mush should be one of the wonders of the world. I thought it would be combat that would make me regret having volunteered , not boiled-up potatoes, boiled up vegetables – gray and limp on the plate like they had been eaten once before. Why the English come to cook everything by this method? (SI 106)

### 5.3 Challenging Racial Stereotypes in *Small Island*

As the term race has been defined to indicate "a group characterized by closeness of common descent and usually also by some shared physical distinctiveness such as colour of skin" (MacEwen 10), the term 'racial stereotypes' can include both cultural and ethnic stereotypes. In the



Eurocentric sense, racial stereotypes refer to people who have color, culture, language, history, or ancestry different from the Europeans. *Small Island* reflects the stereotypes which have been created by the European colonizers to different nations they colonized including the Asians, the Africans or the West Indians. Such stereotypes have influenced the perception of many people including the Europeans themselves. The racial superiority of the English which has been maintained by colonialism and its ideologies drives them to assume illiteracy, violence, irrationality and backwardness on the part of the people they have colonized. Therefore, the binaries of Western culture are politically motivated and culturally determined, as they are not based on science but upon belief. Colonial discourse in literature, media or history has played a vital role in perpetuating and legitimizing Western ideologies favoring the 'white colonizer'. Accordingly, there is usually an unequal binary opposition in the perceived dichotomy between the colonizer and the colonized, or the 'West' and the 'Rest', throughout history.

In *Small Island*, Levy constantly clarifies that the fixed binary system in which colonial discourse inscribes the inferiority of the colonized people is continually disturbed. The way she projects her characters challenges the fixity of Western binary system. In its review, *The Daily Telegraph* states that, "Levy undercuts any assumption that race alone defines them, and is keen to highlight those symmetries and parallels in their life experiences" ("A New England."). Moreover, Marianne Brace in *The Independent* comments, "What makes Levy's writing so appealing is her even-handedness. All her characters can be weak, hopeless, brave, good, bad – whatever their colour" (Brace).

As a culturally hybrid writer, Levy stands objective and unbiased in her assessment of reality and rather seeks reconciliation in challenging racial stereotypes. She admits in *The Independent*, "None of my books is just about race" (Brace). Levy strives for being accepted among the British as an English but at the same time feels proud of her Jamaican heritage. In this regard, she explains:

Saying that I'm English doesn't mean I want to be assimilated; to take on the majority white culture to the exclusion of all other. (I cannot live without rice and peas. I now dance like a lunatic when Jamaica wins anything. And I will always make a noise when moved by emotion.) I will not take up a flag and wave it to intimidate. And

being English will not stop me from fighting to live in a country free from racism and social divisiveness. ("This is my England")

Accordingly, the stories of Levy's Jamaican and English characters are "explored not in opposition to each other but rather as two parts of a historical moment, with Levy turning a critical and compassionate eye on both" (Slater). Despite the fact that Queenie and Hortense are from different backgrounds, both of them get married with men they do not love in order to have a better life "as Hortense married Gilbert to escape from Jamaica, Queenie married her dull husband Bernard to escape the rigours of life on a Midlands farm" (Heyns). In addition, all the four characters have lost their hopes in life. With reference to *Small Island* and the construction of multicultural Britain, Jane Ciabattari posts in the *Critical Mass*:

That Levy succeeds in making Queenie and Bernard almost as compelling as Hortense and Gilbert ensures that her story of Jamaican-British contact is not one-sided, and demonstrates her equal compassion for the denizens of two very different small islands. (Ciabattari)

Moreover, by highlighting the similarity between the Jamaican colored couple and the white British couple in their loveless marital relationships, Levy attempts to bridge any gap between the two culturally and biologically different human races living in two 'small islands' and hence challenging the Eurocentric emphasis on the otherness, exoticism and difference of the non-western nations/people. In other words, Levy challenges the superiority of the West by humanizing her characters and underlining the fact that all are equal. Even Bernard, the most racist character in the novel, Levy does not represent him as wicked. She, however, depicts him in a way that enables the reader to understand the circumstances under which he became such a bigot.

Levy's portrayal of characters never becomes biased to black or white. Her characters are presented as normal people who share the same history and suffer from being victims of colonialism. At the end of the novel, Levy clarifies this point through Gilbert's speech when talking to Bernard:

Listen to me, man, we both just finish fighting a war – a bloody war – for the better world we wan' see. And on the same side – you and me. We both look on other men to see enemy. You and me, fighting for empire, fighting for peace, but still, after all that we suffer together, you wan' tell me I am worthless and you are not. Am I to be the

servant and you are the master for all time? No. stop this, man. Stop it now. We can work together, Mr Bligh. You no see? We must. Or else you gonna fight me till the end. (SI 435)

Both the white British and black Jamaicans feel self-alienated despite being in their homeland. When Gilbert returns to Jamaica at the end of the war, he recognizes how small it is. He finds it difficult to readjust to home and recalls:

With alarm I became aware that the island of Jamaica was no universe: it ran only a few miles before it fell into the sea. In that moment, standing tall on Kingston harbour, I was shocked by the awful realisation that, man, we Jamaicans are all small islanders too! (SI 163)

Just like Gilbert, Bernard feels alienated when he reached his home after World War II. He is shocked by the changes that have befallen Britain, wondering:

England had shrunk. It was smaller than the place I left. [...] I had to stare out at the sea just to catch a breath. And behind every face I saw were trapped the rememberings of war. (SI 350)

Moreover, Levy challenges some stereotypes related to Africans or colonized people in general by using her characters' different perspectives. In the prologue of *Small Island* which is written from the perspective of the English narrator, some stereotypes are challenged. Queenie, who remembers going to the British Empire Exhibition as a child, recalls:

'I want to go,' I said, because there was nothing interesting to look at. But then suddenly there was a man. An African man. A black man who looked to be carved from melting chocolate. I clung to Emily but she shooed me off. He was right next to me, close enough so I could see him breathing. A monkey man sweating a smell of mothballs. Blacker than when you smudge your face with a sooty cork. The droplets of sweat on his forehead glistened and shone like jewels. (SI 5)

In these lines, Queenie describes her first encounter with a black man. It is clear that her perception and impression is completely negative. She immediately perceives him as a stereotype thinking that he must be dangerous because he looks different and calls him a 'monkey man'. She explains:

His lips were brown, not pink like they should be, and they bulged with air like bicycle tyres. His hair was woolly as a black shorn sheep. His nose, squashed flat, had two nostrils big as train tunnels. And he was looking down at me. (SI 5)

Queenie does not just prejudge the black man to be violent or hostile but also confesses that he may have eaten her alive. She considers:

This man was still looking down at me. I could feel the blood rising in my face, turning me crimson, as he smiled a perfect set of pure blinding white teeth. The inside of his mouth was pink and his face was coming closer and closer to mine. He could have swallowed me up, this big nigger man. (SI 5)

However, her negative perception is challenged once the black man speaks. She accepts to shake his hand then finally admits that the African man's hand "was warm and slightly sweaty like anyone else's" (SI 5).

Another example of challenging stereotypes by deconstructing the imperial binary opposition of the civilized vs. savage is Gilbert gentle and lovely way when calming Queenie despite Bernard's bad words and disdain. Hortense explains:

Gilbert insisted Mrs Bligh came from her knees. He lifted her, still sniveling, from the floor, supporting her with a careful arm round her waist. And he placed her down on the settee beside me ... Gilbert tried to squeeze himself down on the chair between Mrs Bligh and myself but there was no room. So it was he that took up the kneeling position. (SI 433)

Bernard bursts with anger when seeing Gilbert's hand placed on his wife's arm, shouting, "Get your filthy black hands off my wife!" Then he adds, "How dare you, you savage?" (SI 434). However, Gilbert's tender way in dealing with Queenie has challenged such a stereotype. This attitude also puts the colonial discourse in the reverse order showing Bernard as a savage with a barbarous conduct. Hortense then realized that "Gilbert Joseph, my husband, was a man of class, a man of character, a man of intelligence. Noble in a way that would someday make him a legend" (SI 435). Levy here presents each of the Jamaican characters to be possessed of far greater agency and insight than mere dirty black niggers with animal desire. In typical Conradian/Forsterian fashion, irrationality and foolishness are assigned to many of the "native" Africans/Indians. However, Levy here slams into this

relationship and suggests that unreasonableness and idiocy, in *Small Island*, originate in Britain, not Jamaica.

#### 5.4 The Deconstruction of Imperial Narrative: Reversing Binaries

As previously mentioned, the imperial embedded ideologies that have internalized all the bad human traits on non-Westerners are “a development of that tendency of Western thought in general to see the world in terms of binary oppositions that establish a relation of dominance” (Ashcroft et al., *Post-Colonial Studies* 19). The racial or cultural superiority of the English colonizer is also challenged via Hortense's constant and contemptuous question wondering about how different the way the English live in reality. In fact, Hortense has noticed England's reality since her arrival at Queenie's house. Observing the room where Gilbert lives, Hortense bursts with anger:

This place is disgusting. I caan believe you bring me all this way to live like this. You make me come here to live like an animal? (SI 26)

Gilbert also describes Hortense's disappointment and wondering, “Is this the way the English live?’ How many times she ask me that question?” (SI 18)

In fact, England does teach Hortense many things. One is that the English are not as hygienic or clean as she expected them to be. When Hortense goes shopping with Queenie, she is surprised by the way the English shopkeeper handles the bread. All the good habits which she has learnt concerning the English have come to be fables. Thus, the myth of ‘England’s supremacy is perished. Hortense recalls:

'There you are,' he said to me, pushing the loaf forward enough for me to see a thin black line of dirt arching under each fingernail. It was Mrs. Bligh who came and took the bread from him. Her dirty hand having pinch up my loaf as well, she placed it into my shopping bag. Then she tell me loud for all to hear, ' This is bread.' She thinks me a fool that does not know what is bread? But my mind could not believe what my eye had seen. That English people would buy their bread in this way. This man was patting on his red head and wiping his hand down his filthy white coat. (SI 274- 275)

In another occasion, Gilbert clarifies to Hortense the fact that 'not everything the English do is good' which is too difficult for Hortense to understand at that moment. He recalls:

Unwrapping and placing the fish and chips on the plate I tell her,' You know what the English do?' ... 'They eat this food straight from the newspaper. No plate. Nothing.' I knew this high-class woman would

not be able to keep her face solemn in the presence of such barbarity. Scandalised, she could not stop herself staring on me in disbelief,' Yes, from the newspaper! ... ' Not everything,' I tell her,' not everything the English do is good'. (SI 271)

In fact, Levy uses caustic depiction in portraying the consequences of racial stereotype of the coloured. Then, she inverts stereotypes where white people are denuded of their supposed superiority, which is a step on the road to subvert racial stereotype completely. In this respect, the Western binary labeling the colonized as savage/ uncivilized/ uneducated/ violent or dangerous is entirely deconstructed. The binary logic of imperialism is overlapped and reversed through Hortense's character. She is neat, determined, ambitious, self-confident, arrogant and decent. Throughout the novel, Hortense sense of superiority and royalty never fades. When she applies for a job at the English school, she walks into a cupboard thinking that it is the door to leave by. However, she criticizes the way those English women keep their cupboards instead of being embarrassed. She says, "I should have told them that their cupboard was a disgrace" (SI 382). Besides, Hortense frequently criticizes Queenie and despises her for her disgusting house and lack of fashion sense. In her second encounter with Queenie, Hortense is shocked by Queenie's curiosity and considers her impolite. She argues:

But this was my home, it was for me to tell her when to sit, when to come in, when to warm her hands. I could surely teach this woman something, was my thought. Manners! (SI 189)

Even when Queenie tries to be nice by telling Hortense that she does not mind being seen in the street with her, Hortense believes that since she is a teacher and Queenie is a landlady, she should be the one who is supposed to feel ashamed not Queenie: Hortense wonders:

Now, why should this woman worry to be seen in the street with me? After all, I was a teacher and she was only a woman whose living was obtained from the letting of rooms. If anyone should be shy it should be I. (SI 191)

As Hortense considers herself superior to Queenie, she does not understand the reason behind Queenie's constant explanations when they go shopping. Hortense is a high-class woman whereas Queenie is a daughter of a butcher. In describing Queenie, Hortense wonders, "I was confused. What class of white woman was she?" (SI 191)

When Hortense goes shopping with Queenie, she believes that Queenie humiliates her by explaining the names of the shops to her. In fact, Queenie presumes that Hortense is unaccustomed with such shops in Jamaica. However, Hortense is aware of such shops and knows well everything before Queenie explains it (*SI 275*).

She also challenges this imperial way of thinking by criticizing the way the English treat their materials, asking:

'Is this where you buy your materials?' For all the cloth seemed to be spread about the floor. There was little room to tread. Bolts and bolts of cloth thrown this way and that all about the place. Some of it dirty. Some of it ragged and frying. And two old women looked to be crawling on their hands and knees through this mess of cloth while the assistant just daydream behind a counter. (*SI 275*)

Hortense compares the way the English sell cloth with the Jamaicans' way:

How the English treat their good materials like this? In Jamaica, I told Mrs Bligh, all the cloth is displayed neatly in rows for you to peruse the design, the colour. When you have chosen you point to the bolt that the assistant will then take up for measuring. She understood what I was telling her but still she look surprise on me, saying, 'Oh, do you have drapers where you come from?' (*SI 275*)

Again, Hortense sarcastically wonders, "How can an Englishwoman expect me to wash myself in the same place where I must clean up the vegetables? It was disgusting to me" (*SI 275*). Also, when Hortense was lodging with the Andersons, a white family, she was surprised by their ill-bred behavior. She considers herself better than them and arrogantly comments, "For none was so mysterious to me than how, in God's name, a woman such as I found herself residing in the household of people like the Andersons" (*SI 72*). Furthermore, Hortense is always depicted as a high-class woman with self-pride. Gilbert's description of Hortense when she walked out of the door of Mrs. Bligh's basement flat asserts how proud Hortense is. :

As she moved past me to ascend the stairs to return to our room, her nose lifted so far in the air it was a wonder her neck did not break. Now this was the story that my mind conjured. Queenie had in some way insulted my fiercely proud wife. Her hat a little old-fashioned? Her English not so good? Who knows? But a slight none the less for



which Hortense took grave offence. In retaliation Hortense had – with a knife, perhaps, or hatchet – killed her. (SI 401)

Similarly, Gilbert's sense of pride is obvious when he admits that he cannot stand seeing his wife on her knees. Asking Hortense not to wash the floor on her knees, Gilbert says, "I did not bring you to England to scrub a floor on your knees. No wife of mine will be on her knees in this country. You hear me?" (SI 263)

In fact, the sense of pride with which the Jamaican characters (i.e. Hortense and Gilbert) are endowed by the author as opposed to the shameful and disgraceful attitude of the white couple helps in shaking the fixity of the Eurocentric sense of privilege and reversing the order of superior-inferior binary system.

In the novel, the description of the physical appearance of the British white people helps in deconstructing the myth of white beauty and challenging the stereotype of black ugliness. Levy successfully associates the image of the coloured Jamaican girls with elegance, education and perfect appearance. She inverts stereotypes where white people appear inferior, exotic and uncivilized. Hortense describing herself and other Jamaican girls "like butterflies, we new girls, dazzled in our white gloves, our pastel frocks, our pretty hats. Girls from good homes from across the island. Girls who possessed the required knowledge of long division, quadratic equations. Girls who could parse a sentence, subject, object, nominative. ... Girls who could recite the capital cities of the world" (SI 276). On the other hand, Levy pictures the shock of the Jamaican Hortense by the dowdy woolen coat Queenie is wearing. Hortense is astounded that this dreary dismal coat is Queenie's best outside coat. She is deeply astonished when she reaches the bustling street where every English woman is attired in a dowdy house coat.

On the other hand, Queenie positively portrays the black man "to be carved from melting chocolate" (SI 5), in contrast with the disgusting image of her father when having a bath: "I had to bring the hot water that rolled black grime down his skin like mud washing off a wall" (SI 196). Again, Hortense's description of the white lady whom she saw at the street indicates ugliness:

Never in my days had I seen such a white woman. The hair curled upon her head put me in mind of confection – white and frothy as foam. Her complexion so light, beside it paper would look solid. Eyebrows, eyelashes, even her lips appeared to have no colour



passing through them. So pale was she her blood must be milk. (*SI* 276)

In the same context, Hortense depicts her white English teachers as coloured "They were all white women but their complexions ranged through varying shades of pink." Moreover, the principle, Miss Morgan, "had a smile that was unfamiliar to her face that it had an opposite effect – rather like the leer of a gargoyle" (*SI* 52). Here, the white women are revealed as exotic, foreign, and strange in their appearance.

In another scene, the image of the white people is denuded of perfect appearance as Queenie depicts her mother Lillie as a woman who "had hands could clasp like a vice, arms as strong as bear's and hips that widened every year with old men in the village agree they were childbearing" (*SI* 23,195-196). Here, she denudes the image of white women of softness and slenderness.

In addition, white people in some parts of the story are represented as lacking in education whereas the Jamaicans are shown as educated, professional, practical and more cultivated though being of a non-white origin. Queenie appears less educated in comparison with Hortense who is a teacher. Queenie lacks manners and needs to attend elocution and deportment lessons. Besides, Queenie is forced to quit going to school and work in the farm as a skivvy which reveals her parents as illiterate and backward in a society that feigns being civilized. Another example is the Indian boy who speaks good English that surprises Bernard (*SI* 316). On the other hand, Gilbert recalls how his fellow in the RAF, a college-educated Lenval, wonders "how so many white people come to speak so bad – low class and coarse as cane cutters" (*SI* 117). Hence, the Caribbean have much better education than the native British and therefore it is hard for them to grasp why everybody speaks in an uncivilized way.

The barbarity and immorality of the colonizer is symbolized through the British characters. Queenie betrayed her husband and abandoned her baby. On the other hand, Bernard betrayed his wife with a young Indian whore, who "was nothing but a girl. Surely no more than fifteen. No younger. Fourteen or even twelve" (*SI* 340). He confesses that he "felt like a beast" (*SI* 341). Bernard unintentionally asserts that English men are used to do such things in India, when he describes the girl as "she hardly spoke any English. Just a few words learned by rote from other men who'd passed through" (*SI* 339). His violent act contradicts his words when accusing Gilbert of being

the father of the black child: "It's everything to do with you. You and your kind!" (SI 403) Thus, his actions contradict his words and that asserts the reversing of the binary opposition humane vs. savage again. Therefore, Levy makes it clear that savagery, wildness and violence are qualities attributed to the white.

In fact, Andrea Levy manages to disparage the status and superiority of the colonizer when she depicts the image of Queenie's father who fears joining the army and tries to evade and dodge this obligation. Again, through the character of Bernard, Levy has exposed the myth of superpower and unparalleled soldiering skills attributed to the army of the white colonizers. Bernard admits that he was happy and found a relief being not accepted for flying duty (SI 284). Bernard's cowardliness and lack of valor are so obvious when he and his friend were once scared in the war:

My finger was on the Sten's trigger – trembling again. I wondered if I looked as scared as Maxi. He was as bloodless as corpse. I could feel the urine warming my pants before seeping into the ground. I was a coward, I know, but I didn't want to die. Shot flinching on the ground, quivering like a girl. Could Queenie be proud of that?" (SI 297)

Levy here deals the self-importance of Bernard, as a representative of the Empire, a savage blow by displacing white soldiers and government to the margins of the text' giving priority to the valour and enthusiasm of the Jamaican and oriental Japanese soldiers. By this, she challenges stereotypes and deconstructs the colonial binary order of the center-margin dichotomy in which the white colonizer no more dominates the Other.

## 6. Concluding Remarks

In short, both English (colonizers) and Jamaican (colonized) characters in Levy's *Small Island* are portrayed in a way that reflects the fundamental flaws of racial stereotypes. The way Levy presents her characters challenges the colonial stereotypes and colonial hierarchies. However, her main purpose behind challenging stereotypes is reconciliation by putting more emphasis on equality between the British and Jamaican characters. In fact, we agree with Levy's attitude that adopting a counter-colonial discourse through 'writing back' should not be misunderstood as necessarily resulting in an endless cycle of stereotypical defence and attack (Lewis 93). Levy uses a more accommodating approach and refrains from answering perceived stereotypes

or racism with racism. To do so, she objectively and impartially attempts to humanize both the British and the Jamaicans on equal grounds. On the other hand, she strives to reverse the order of the Western fixed binary oppositions and proves that the foundations of the western stereotypical representations of the 'Other' are false and baseless. Like Salih's *Season of Migration to the North*, Levy's *Small Island* 'transvaluates' many of the traditional valences of European civilization through a complete explosion of binaries, to use the words of Makdisi (805). By this, she paves the way for establishing a common ground for a possible dialogue between the Self and the 'Other' based on equality, mutual respect and hence peaceful co-existence. Therefore, we can conclude that 'writing back' should be primarily concerned with 'voicing' in order to establish "an ongoing dialogue" that aims to facilitate what Leila Ghandi would call a "democratic colloquium between the antagonistic inheritors of the colonial aftermath" (x).

<sup>1</sup> 'Post-colonialism' (covering the terms 'postcolonial studies', 'postcolonial theory' and 'postcolonial literature') is an interdisciplinary academic field devoted to the study of European colonialism and its impact on the society, culture, history and politics of the formerly colonized regions such as the African continent, the Caribbean, the Middle East, South-Asia and the Pacific (Cuddon 550).

<sup>2</sup> This refers to an island in the West Indies that encompasses the nations of Cuba, Haiti, Dominican Republic, and Puerto Rico. To read a brief history of Jamaica from the late 15th to the end of the 20th century, see Veront Satchell. "Jamaica" *World History Archives: The Retrospective History of Jamaica*, <http://www.hartford-hwp.com/archives/43/index-ha.html>

<sup>3</sup> The British Nationality Act of 1948, giving British citizenship to all people living in Commonwealth countries, and full rights of entry and settlement due to labor shortage in Europe. This labor shortage had promoted the West Indians' immigration and lifelong residence in Britain (Lange 11).

<sup>4</sup> *Empire Windrush* was a passenger liner and cruise ship launched in Germany in 1930. She was acquired by the United Kingdom as a prize of war at the end of the war and renamed Empire Windrush. In British service, she continued to be used mainly as a troopship until March 1954, when the vessel caught fire and sank in the Mediterranean Sea with the loss of four crew. Empire Windrush is best remembered today for bringing one of the first large groups of post-war West Indian immigrants to the United Kingdom, carrying 492 passengers and one stowaway on a voyage from Jamaica to London in 1948.

<sup>5</sup> The 2004 Orange Prize for Fiction, the 2004 Whitbread Novel Award, the 2004 Whitbread Book of the Year, and the 2005 Commonwealth Writers Prize, the 2005 Orange Prize 'Best of the Best' award. It was adapted into a major BBC TV drama in 2009.

<sup>6</sup> Andrea Levy's *Small Island* setting, analysis and the slave trade and post-war migration can be seen in *Small Island Read* at [http://www.bristolreads.com/small\\_island\\_read/](http://www.bristolreads.com/small_island_read/)

<sup>7</sup> *Small Island* is not only told from the perspective of the Jamaican migrants who struggle to find jobs and lodging, but also from the standpoint of Londoners who have been not familiar with black faces yet. The narrative of the novel is divided into four smaller narratives. Each one of the main four characters narrates his/her story individually. Gilbert Joseph is a former Jamaican Royal Air Force recruit who has returned to Britain on the Empire Windrush on 28 May 1948; Hortense Joseph is a Jamaican teacher who follows her husband, Gilbert, to England. Queenie Bligh is a British white landlady, and Bernard Bligh is her husband. Each narrative enjoys a different perspective which provides an understanding of how people think differently and how stereotypes come as a result of ignorance and lack of information.

## 8. Works Cited

- Achebe, Chinua. "The Novelist as Teacher." *Research in African Literatures* 1(1999): 148-159.
- Allardice, Lisa. "The Guardian Profile: Andrea Levy." *The Guardian*, Guardian News and Media, 20 Jan. 2005, [www.theguardian.com/uk/2005/jan/21/books.generalfiction](http://www.theguardian.com/uk/2005/jan/21/books.generalfiction).
- "A New England." *The Telegraph*, Telegraph Media Group, 24 Feb. 2004, [www.telegraph.co.uk/expat/4191599/A-newEngland.html](http://www.telegraph.co.uk/expat/4191599/A-newEngland.html).
- "Andrea Levy." <http://www.andrealevy.co.uk/author/>. 12 Feb 2017.
- Ashcroft, Bill, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin. *The Empire Writes Back: Theory and Practice in Post-Colonial Literatures*. London: Routledge, 1989.
- Ashcroft, Bill, et al. *Post-Colonial Studies: The Key Concepts*. London & New York: Routledge, 2007.
- Brace, Marianne. "Andrea Levy: Notes from a Small Island." *The Independent*, 10 Oct. 2011, <http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache%3Ahttp%3A%2F%2Fwww.independent.co.uk%2Fnews%2Fpeople%2Fprofiles%2Fandrea-levy-notes-from-a-small-island-732211.html>.
- Césaire, Aimé. *Discourse on Colonialism*. Translated by Joan Pinkham. New York and London: Monthly Review Press, 1972.
- Ciabattari, Jane "In Retrospect: Ryyan Al-Shawaf on Andrea Levy's *Small Island*" *Critical Mass*, 27 Jan. 2009, [http://bookcritics.org/blog/archive/in\\_retrospect\\_ryan\\_al\\_shawaf\\_on\\_andrea\\_levys\\_small\\_island](http://bookcritics.org/blog/archive/in_retrospect_ryan_al_shawaf_on_andrea_levys_small_island).
- Cinková, Linda. *West Indian Experience in Britain in the Second Half of the Twentieth Century: Bittersweet Homecoming*. M.A Thesis. Masaryk University, 2010.
- Cuddon, J. A. *A Dictionary of Literary Terms and Literary Theory*. 5<sup>th</sup> ed., A John Wiley & Sons, Ltd., 2013.
- Ghaly, Salwa. "Evil Encounters with 'Others' in Tayeb Salih and Toni Morrison: the Case of Mustafa Saeed and Sula Peace." *This Thing of Darkness: Perspectives of Evil and Human Wickedness*. Ed. Richard P. Hamilton & Margaret Breen. Amsterdam & New York: Rodopi, 2004: 21-36.
- Gandhi, Leila. *Postcolonial Theory: a Critical Introduction*. Sydney: Allen & Unwin, 1998.
- Gardner, W. J. *A History of Jamaica: From its Discovery by Christopher Columbus to the Year 1872*. London: Frank Cass & Co. Ltd, 2005.
- Goulbourne, Harry. *Race Relations in Britain Since 1945*. UK: Palgrave, 1998.
- Greer, Bonnie. "Empire's child." *The Guardian*, 31 Jan. 2004, <https://www.theguardian.com/books/2004/jan/31/fiction.race>.
- Fanon, Frantz. *Black Skin, White Masks*. Translated by Charles Lam Markmann. London: Pluto, 1986.
- Feldman, Robert S. *Essentials of Understanding Psychology*. 11<sup>th</sup> ed., New York: McGraw-Hill Education, 2015.
- Hager, Alan. Ed. "Levy, Andrea." *Encyclopedia of British Writers, 1800 to the Present*, 2nd ed., New York: Facts On File, 2009.
- Heyns, Michael. *Small Island by Andrea Levy*. [https://mafiadoc.com/small-island-by-andrea-levy-review-michiel-heyns\\_5a19f9031723ddaef30a024.html](https://mafiadoc.com/small-island-by-andrea-levy-review-michiel-heyns_5a19f9031723ddaef30a024.html).
- Hiro, Dilip. *Black British, White British: a History of Race Relations in Britain*. London: Grafton, 1991.
- Iweala, Uzodinma. "Colonial Castoff." *The New York Times*, The New York Times Book Review, 10 Feb. 2007, [www.nytimes.com/2007/02/11/books/review/Iweala.t.html](http://www.nytimes.com/2007/02/11/books/review/Iweala.t.html).

- Lange, Eugene. "Afro-Caribbean communities." *Encyclopedia of Contemporary British Culture*, Edited by Peter Childs and Mike Storry. London and New York: Taylor & Francis e-Library, 2002.
- Levy, Andrea. *Fruit of the Lemon*. New York: Picador. 2007. E-book. 1 Apr. 2010.
- , *Small Island*. New York: Picador. 2004. E-book. 30 Mar. 2010.
- , "This is my England." *The Guardian*, 19 Feb. 2000, <https://www.theguardian.com/books/2000/feb/19/society1>.
- Lewis, Alexandra. "Postcolonial Literatures and the Ongoing Process of "Writing Back" *Journal of African Literature and Culture* 3 (2006): 93-116. *African Research*.
- MacEwen, Martin. *Housing, Race and Law: The British Experience*. London and New York: Taylor & Francis e-Library, 2005.
- Makdisi, Saree. "The Empire Re-narrated: *Season of Migration to the North* and the Reinvention of the Present" *Critical Inquiry* 18 (1992): 804-820.
- Muharram, M. *The Arab Writes Back: A Study of selected English and Arabic Novels*. PhD Diss. The English and Foreign Languages University, 2012.
- Murdoch, H. Adlai. *Creolizing the Metropole: Migrant Caribbean Identities in Literature and Film*. Indiana: Indiana University Press, 2012.
- Parry, Benita. "Problems in Current Theories of Colonial Discourse." *The Post-colonial Studies Reader*, ed. Bill Ashcroft, Gareth Griffiths, and Helen Tiffin. London: Routledge, 1995: 44-49.
- Phillips, Mike. "History - British History in Depth: Windrush - the Passengers." *BBC*, 10 Mar. 2011, [www.bbc.co.uk/history/british/modern/windrush\\_01.shtml](http://www.bbc.co.uk/history/british/modern/windrush_01.shtml).
- Salih, Tayeb. *Season of Migration to the North*. Trans. Denys Johnson-Davies. London: Heinemann, 1969.
- Satchell, Veront. "Jamaica." World History Archives: The Retrospective History of Jamaica, <http://www.hartford-hwp.com/archives/43/index-ha.html>.
- Schmidt-Haberkamp, Barbara. "The Writing-Back Paradigm Revisited: Peter Carey, *Jack Maggs*, and Charles Dickens, *Great Expectations*." *Fabulating Beauty: Perspectives on the Fiction of Peter Carey*, by Andreas Gaile. Amsterdam: Rodopi, 2005: 241-55.
- Schneider, David J. *The Psychology of Stereotyping*. London & New York: The Guilford Press, 2004.
- Slater, Rachel. "Review of Andrea Levy *Small Island*." *Politics and Culture*, 17 Aug. 2010, <https://politicsandculture.org/2010/08/17/review-of-andrea-levy-small-island-2/>. Web. 13 May 2017.
- Small Island Read 2007*. [http://www.bristolreads.com/small\\_island\\_read/index.html](http://www.bristolreads.com/small_island_read/index.html). Web. 16 Jan 2017.
- Tyson, Lois. *Critical Theory Today*. 2<sup>nd</sup> ed., London and New York: Routledge Taylor & Francis Group, 2006.
- Talec, Clémence. "Hybridity, Mimicry and Subversiveness in Andrea Levy's *Small Island*." *Academia.edu - Share Research*, [www.academia.edu/14436449/Hybridity Mimicry and Subversiveness in Andrea Levy's Small Island](http://www.academia.edu/14436449/Hybridity_Mimicry_and_Subversiveness_in_Andrea_Levy's_Small_Island).
- Vaknin, Sam. *Issues in Ethics*. 1<sup>st</sup> ed., Edited by Lidija Rangelovska. Macedonia: Lidija Rangelovska, 2005.
- Widdowson, Peter. "Writing back: contemporary re-visionary fiction," *Textual Practice* 20.3 (2006): 491-507.



# Faculty of Arts

## Quarterly Refereed Journal OF Humanities



### **Patron**

Prof. Taleb Tahir AL-Nehari

### **Editor**

Prof. AbdulKareem Musleh Al-Bahla

### **Managing Editor**

Dr.Fuad Abdulghani Al-Shameeri

### **Assistant Editor**

Dr. Fadhl Al-Omaisi

### **Editorial Board**

Dr. Nageeb Al-wrafi

Dr. Ameen Al-Jabar

### **Editorial Secretary**

Dr. Abdullah Ahmed Al-Jarfi

Ali Abdu Al-Rannah

Nada Ezzaddin Al-Osaimi

### **Financial Officer**

Ali Ahmed Al-Bakhrani

### **Advisory Board**

Prof.Adul Kareem Zabeeba

Prof. Nasr Al-Hujaily

Prof. Ahmed Al-Akwa'a

Prof. Hassan Al-Amri

Prof. Ali Said Saif

Prof. Ahmed Mohammed Shuga-Addin

Prof. Ibrahim Al-Silwi

Prof. Abdu Faran Al-Hemiari

### **Proof-reading**

#### **Arabic Section**

Dr. Essam Wasel

Sarah Al-Sanbany

#### **English Section**

Dr. Amin Ali Al-Solel

### **Designing & Producing**

Mohammed Mohammed Sobai



# Arts

Published by: Faculty Of Arts,  
Thamar University



Quarterly Refereed Journal of Humanities



7

التقييم الدولي: 2616-5864: ISSN  
التقييم المحلي : 2018 / 551